تأويلات القرآن

١٤٢٥

لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

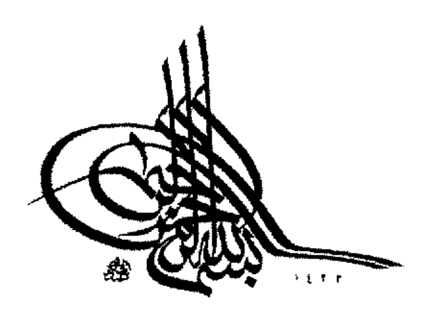
تحقيق
الدكتور خليل ابراهيم قجار

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلي

الجزء العاشر
المومنون - النمل


قال الشيخ الامام ابو منصور رضي الله عنه الفرق بين التاويل والتفسير هو ما قيل التفسير للصحابة والتاويل للفقهاء ومعنى ذلك
[illegible]

دار الميزان



ISBN 978-975-9048-01-3 (Tk.)
ISBN 978-975-9048-10-5

الكتابة والتنسيق

علي حيدر أولوصوي

عيسى يوجل

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

استانبول ٢٠٠٧



لابى منصور محمد بن محمد الماتريدى السمرقندى

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
الدكتور خليل ابراهيم قچار

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلى

استانبول ٢٠٠٧

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ر: نسخة راشد أفندي – مكتبة راشد أفندي بمحافظة قيصري، تحت رقم ٤٧.

ن: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ع: نسخة عاطف أفندي – مكتبة عاطف أفندي، تحت رقم ٧٦، ٧٧.

م: نسخة مهرشاه – مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ٨.

شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة حميدية – مكتبة سليمانية، قسم حميدية، تحت رقم ١٧٦.

الاختصارات:

صح هـ: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ر هـ: هامش النسخة الخطية بمكتبة راشد أفندي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

– : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمنون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١]

قوله عز وجل: **قد أفلح المؤمنون.** الفلاح، قال قائلون: الفلاح[2] هو البقاء، أي بقي المؤمنون. وقال قائلون: الفلاح السعادة، وقال: الفلاح الفوز، وأمثاله. وفي قوله:[3] **قد أفلح المؤمنون،** إلى آخر ما ذكر دلالة أن من المؤمنين من لم يكن[4] بهذا الوصف الذي وَصَف هؤلاء، وأن اسم الإيمان يقع بدون[5] الذي ذكر[6] في هذه الآية، لأنه[7] لو لم يكن [كذلك] لم يكن[8] لذكر ما ذَكَر من الخشوع في صلاتهم والحفظ لفروجهم والإعراض عن اللغو معنىً؛ دل أنه يكون مؤمنا بغير[9] الوصف الذي وصف هؤلاء. وكذلك في قوله: وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ،[10] وقوله: مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ.[11] فدل أن فيهم من ليس بعدل وفيهم من لا يُرضَى في الشهداء[12] حيث خصّ العدل والمَرْضِيّ في الشهادة.

---

[1] ر – سورة المؤمنون؛ ن + أيضا مكية؛ ع م + وهي مكية.

[2] ن – الفلاح.

[3] ر م: في قوله.

[4] جميع النسخ: من هؤلاء؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١١ظ.

[5] ع: دون.

[6] ع: ذلك.

[7] ع – لأنه.

[8] ر ع م – لم يكن.

[9] ع: بعني.

[10] ﴿فإذا بَلَغْن أجلَهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/٢).

[11] ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى﴾ (سورة البقرة، ٢٨٢/٢).

[12] ع: في شهداء.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٢]

وقوله: **الذين هم في صلاتهم خاشعون**، قال الحسن: الخشوع هو الخوف الدائم اللازم في القلب، وقال غيره: الخشوع في القلب. وأصل الخشوع كأنه آثار ذُلَ من الخوف تظهر في الوجه وفي الجوارح[١] كلها، لا الخوف[٢] الذي ذكر هؤلاء. ألا ترى أنه قال: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ،[٣] وقال: خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ؛[٤] دل هذا أن الخشوع هو آثار ذل من خوف يظهر في الوجه والجوارح كلها. ولذلك قال بعضهم: الخشوع في الصلاة هو أن لا يعرف مَن عن يمينه وشماله، لأن ذلك يَشغله عن العلم بمن يليه. وأصله ما ذكرنا. *والله أعلم*.

[٥٠٣و س٧ *وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **الذين هم في صلاتهم خاشعون**، قال: الإقبال عليها والذلة عليها. وعن علي رضي الله عنه قال: الخشوع في القلب، وأن تُلين كنَفَك[٥] للمرء المسلم؛

٥٠٣و س٩] وأن لا تلتفت في صلاتك.[٦] وقيل: التواضع. وأصله ما ذكرنا.*

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[٣]

وقوله: **والذين هم عن اللغو معرضون**، اللغو كأنه اسم كل باطل واسم كل ما يُلغَى ولا يُعبأ به.[٨] أخبر أنهم يُعرضون عن كل باطل وعن كل ما نُهوا عنه، ويُقبلون على كل طاعة وبكل ما أمروا به.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾[٤]

والذين هم للزكاة فاعلون، يحتمل الزكاة[٩] التي بها تَزَكُّوا أنفسهم عند الله. وجائز [أن تكون] الزكاة المعروفة المعهودة. أخبر أنهم فاعلون ذلك مؤدُّون. وجائز أن يكون ذَكَر هذا من المؤمنين من الطاعة لله والائتمار لأمره والرضا به مقابلَ ما كان من المنافقين من الكراهية في الإنفاق

---

[١] ر م: والجوارح.
[٢] ع: إلا الخوف.
[٣] سورة الغاشية، ٨٨/٢.
[٤] ﴿خاشعة أبصارهم تَرْهَقُهم ذِلَّة﴾ (سورة القلم، ٦٨/٤٣).
[٥] والكَنَفُ: الجانب والناحية (*لسان العرب*، «كنف»).
[٦] *تفسير القرطبي*، ١/٣٧٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٣و/سطر ٧-٩.
[٨] ن: بها.
[٩] ن ع + الزكاة.

والصلاة على الكسل والمراآة، كقوله: وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ،[١] الآية، وقوله: وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ،[٢] وقوله:[٣] لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ.[٤] نَعَتَهم بالكسل والخلاف وترك الإنفاق والمراآة في الطاعات، ونعت المؤمنين بضد ذلك وبالرغبة في أوامره والانتهاء عن معاصيه ونواهيه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[٥] ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[٦]

وقوله: **والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم،** استثنى في هذا [ولم يستثن فيما ذكر في أول الآية من اللغو وغيره]،[٥] لأن هذا مما يَحلّ في حال ويَحْرُم في حال. وأما اللغو وما ذكر من أول الآية إلى آخره لا يحل. واللغو حرام في الأحوال كلها، وكذلك ترك أداء الأمانة والزكاة والصلاة مما لا يحل تركه بحال.

وقوله: **فإنهم غير ملومين،** ذَكَر أن لا يلحقهم لائمة في ذلك -والله أعلم- لوجهين. أحدهما نقول الثنوية، لأنهم لا يرون التناكح، فأخبر أن لا لائمة في هذين وإنما اللائمة في غير هذين. والثاني ذكر لإبطال[٦] المتعة لأنه استثنى الأزواج وما ملكت أيمانهم، والمتعة ليست في هذين اللذَين استثناهما، ثم أخبر أن لا لائمة في هذين وفيما عداهما لائمة. والمتعة مما عدا هذين، وهو ما قال: وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ.[٧] وإلى هذا يصرف حفظ الفروج، وإلا كان عامة الناس يحفظون فروجهم عن الزنا ويعرفون حرمته، لكنهم كانوا يستبيحون[٨] المتعة والإجارة فيها فحَرّم ذلك. ثم قال:

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[٧]

فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون، هو المجاوز[٩] عن الحد الذي حُدّ له.

---

[١] سورة النساء، ١٤٢/٤.

[٢] ﴿وما منعهم أن تُقبَل منهم نفقاتُهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كُسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ (سورة التوبة، ٥٤/٩).

[٣] جميع النسخ: وقولهم.

[٤] ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يَنفَضُّوا﴾ (سورة المنافقون، ٧/٦٣).

[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥١١ظ-٥١٢و.

[٦] ن: إبطال.

[٧] ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عَرَض الحياة الدنيا﴾ (سورة النور، ٣٣/٢٤).

[٨] ع: يستحيون.

[٩] ر ع م: المجازي.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٨]

وقوله: **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**، يحتمل الأمانات العبادات والفرائض التي فُرضت عليهم. راعوها، أي أدّوها في أوقاتها، والعهودَ التي فيما بينهم وبين ربهم. أو أن يكون الأمانات التي وُضعت عندهم، والعهودُ التي فيما بينهم وبين الخلق.[١] راعوها، أي حفظوها وأدّوها إلى أربابها ولم يضيّعوها. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٩]

وقوله: **والذين هم على صلواتهم يحافظون**، يكون محافظة الصلاة بوجوه. أحدها يحافظونها بأركانها وفرائضها ولوازمها وآدابها. والثاني يحافظونها[٢] بأسبابها التي جعلت لها من الأوقات والطهارات وستر العورات وغيرها من الأشياء التي لا تقوم الصلاة إلا بها. والثالث يحافظونها[٣] بالخشوع والوقار وإظهار الذل له والإخلاص له وغير ذلك من الأشياء مما نُدِب المصلي إليه، وعلى ذلك جميع ما ذكر من الأمانات وغيرها. *والله أعلم*.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾[١٠] ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١١]

وقوله: **أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس**، الوارث هو الباقي عن المورث،
[٥٠٣و] وقال الله عز وجل: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ،[٤] أي إنا / باقون عن الخلق، أي يفني الخلائق وهو يبقى. أو أن يكون قوله: **الذين يرثون الفردوس** هكذا: هو ما وعد الله عباده الجنة إن أجابوه وإليها دعاهم بقوله: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ؛[٥] فمن ترك إجابته يصِرْ[٦] الموعود الذي وُعد له إن أجاب لمن أجابه، فذلك الوراثة التي ذكر الله.

وقوله: **الفردوس**، قيل: هو بلسان الروم بستان. سمّى الله تعالى الجنة بأسماء مختلفة؛ منها عَدْن ونعيم ومأوى وفردوس. وفي الحقيقة واحد، لأن العدن هو المُقام، والنعيم هو ما يُنعَم، ومأوى فهي كذلك، ثم فردوس وعدن ومأوى نعيم.[٧] وروي في بعض الأخبار

---

[١] ر م: الحق.
[٢] ع: يحفظونها.
[٣] ع: يحفظونها.
[٤] ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يُرجعون﴾ (سورة مريم ١٩/٤٠).
[٥] سورة يونس، ١٠/٢٥.
[٦] جميع النسخ: يصير.
[٧] ن: ونعيم.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الفردوس رَبْوَة الجنة العليا وهي أوسطها وأحسنها».[١]
فإن ثبت هذا فهو ما ذكر.*

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾[١٢]

و قوله عز وجل: **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين**، قال بعضهم: إنما ذكر سلالة لأنه سُلّ من كل تُرْبة. وقال أبو عَوْسَجة: السلالة الخالص من كل شيء. وقوله: **من سلالة**، من طين حُرّ، أي من أجود الطين. ذَكَر مرة **من سلالة من طين**، ومرة مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ،[٣] ومرة قال: فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[٤] ومرة [مِنْ صَلْصَالٍ] كَالْفَخَّارِ،[٥] ونحوه وهو آدم عليه السلام، وذلك على تغيير[٦] الأحوال. ***والله أعلم***.[٧]

* قال القُتَبي: يقال للولد سلالة أبيه، وللخمر سلالة، وللنطفة سلالة.[٨] ويقال: إنما جعل آدم من سلالة لأنه سُلَّ من كل تُربة.[٩] وقال أبو عَوْسَجة: السلالة الخالص من كل شيء.[١٠] [٥٠٤و س٦]
قال أبو معاذ:[١١] النسل الولد يُسَلّ من تحت كل شعرة.*

---

[١] عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ الرُّبَيِّعَ بنت النضْر أتت النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ابنُها حارثة بن سُراقة أُصيب يوم بدر أصابه سهمٌ غَرَب، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: أخبِرْني عن حارثة لئِن كان أصاب خيرا احتسبْتُ وصبرتُ، وإن لم يُصِب الخيرَ اجتهدتُ في الدعاء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أُمَّ حارثة إنها جِنانٌ في جنة وإنَّ ابنَكِ أصاب الفردوسَ الأعْلى والفردَوسُ رَبْوَةُ الجنة وأوسَطها وأفضلها» انظر: *صحيح البخاري*، الجهاد ١٤؛ و *سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٢٤.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٣و/سطر ٧-٩.

[٣] ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾ (سورة الحجر، ٢٦/١٥).

[٤] ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾ (سورة الحج، ٥/٢٢).

[٥] ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفَخّار﴾ (سورة الرحمن، ١٤/٥٥).

[٦] ن: تعبير.

[٧] ر ع + بالصواب.

[٨] ر ع م - وللنطفة سلالة.

[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٦.

[١٠] ر ع م - شيء.

[١١] فضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم. وروى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده. مات سنة ٢١١هـ، له كتاب في القرآن حسن. وروى عنه الأزهري في *كتاب التهذيب* وأكثر، وذكره ابن حبان في *الثقات*. ويذكره ابن منظور في *لسان العرب* في مواضع كثيرة (مثلا: وعد، قصر، قطر). وسمى كاتب جلبي كتابه "*كتاب القراءة*". أنظر: *الثقات* لابن حبان ٥/٩؛ *تهذيب اللغة* للأزهري، ٢٢/١؛ *الأنساب* للسمعاني، ٤٦٧/٥؛ *معجم الأدباء* لياقوت، ٥٦٥/٤؛ *الوافي بالوفيات* للصفدي، ٢٨/٢٤؛ *كشف الظنون*، ١٤٤٩/٢.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٤و /سطر ٦-٨.

[٥٠٤و س٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[١٣]

ثم جعلناه نطفة، أي ثم خلقنا ولده وذريته من نطفة. أخبر أصلَ ما خَلق آدم منه وأصل ما خلق ولده منه وهي النطفة.

وقوله: **في قرار مكين**، قال بعضهم: الرحم. وجائز أن يكون القرار هو صُلْب الرجل، لأن النطفة لا تُخلق في الصلب أول ما خُلق الإنسان ولكن تجعل فيه من بعدُ، فيكون الصلب قرارها ومكانها إلى وقت خروجها منه إلى الرحم، وعلى ذلك قوله: فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ.[١] قال بعضهم: المستقر الصلب، والمستودع[٢] الرحم. وقال بعضهم: المستقر الرحم، والمستودع الصُلب. وجائز أن يكونا جميعا واحدا أيهما كان:[٣] الرحم أو الصُلب، لأن كليهما[٤] [مكان] قرار ما[٥] يستودع فيه. وقال ابن عباس وغيره: السلالة صفوة الماء.[٦]

[٥٠٤و س٧] *وقوله: **في قرار مكين**، أي مكانا حريزا وهو الرَّحِم أو الصُلب، أيهما كان فهو ما وصف.*

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[١٤]

وقوله: **ثم خلقنا النطفة علقة**، والنطفة هي المعروفة، والعلقة الدم،[٨] والمضغة القطعة من اللحم إلى آخر ما ذكر. يخبرهم عن تحويله إياهم وتقليبه من حال إلى حال لوجوه.[٩] أحدها[١٠] يخبر عن قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره، ليعلموا أن من قدر على إنشاء العلقة من النطفة ما لو اجتمع الخلائق جميعا على أن يعرفوا سبب خلق هذا عن هذا –مع إحاطة علمهم أنْ ليس فيها من آثار العلقة شيء– ما قدروا على ذلك. وعلى ذلك جميع ما ذكر: العلقة[١١] من النطفة،

---

[١] ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع﴾ (سورة الأنعام، ٦/٩٨).

[٢] ر ع م – قال بعضهم المستقر الصلب والمستودع.

[٣] م: كانا.

[٤] ر: كلاهما.

[٥] جميع النسخ: وما.

[٦] انظر: تفسير *الطبري*، ١٨/٧.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٤و /سطر ٧-٨.

[٨] جميع النسخ: والدم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٢و.

[٩] ن + من المعتبر.

[١٠] ر: أحدهما.

[١١] جميع النسخ: من العلقة.

والمضغة من العلقة، والعظم من المضغة، والإنسان من ذلك كله، فدل ذلك كله.[١] على أنه قادر بذاته، فمن قدر على هذا يقدر على إنشاءهم من الأصل من لا شيءٍ ويقدر على إحيائهم بعد ما صاروا ترابا. والأعجوبة في خلق الإنسان مما ذكر من النطفة والعلقة والمضغة ليست[٢] بدون خلقه إياهم من التراب من الوجوه التي ذكرنا. وفيه دلالة علمه الذاتي، لأن من قدر على تحويلهم من حال إلى حال التي ذكر في الظلمات الثلاث.[٣] دل أنه عالم بذاته لا بعلم مستفاد من أحد ولا قوةٍ مكتسبة، ولكنه بالعلم الذاتي والقوة الذاتية؛ لأن مَن عِلْمه مستفاد ومَن قوته[٤] مستفادة[٥] ومكتسبة[٦] لا يبلغ ذلك. وفيه دلالة تدبيره لخروج الخلق جميعا وتوالدهم من أول أمرهم إلى آخر ما ينتهون على جَرْيٍ واحد وسَنَن واحد على غير تغيير في التوالد والتناسل الذي جَعَل فيهم. وكذلك جميع ما يخرج من الأرض من النبات ومن الأشجار والأوراق[٧] في كل عام وفي كل سنة، يخرج على جرية واحدة وسَنَنٍ واحد لا يتغير ولا يتفاوت وقت خروجه، بل على تقدير واحد وميزان واحد. دل أنه على تدبير ذاتي[٨] خرج، لا[٩] على الْجُزَاف. **وبالله الحول والقوة.**

وفيما ذكر من تحويله إياهم وتقليبه[١٠] من حال إلى حال دلالة أنه لم ينشئهم لأنفسهم. وإن ما[١١] أنشأ[١٢] من العالم سواهم إنما أنشأه[١٣] لهم وأنشأ[١٤] أنفسهم لعاقبة، لأنه لو كان

---

[١] ر ع م – فدل ذلك كله.
[٢] ر م: ليس.
[٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩). يقول المؤلف رحمه الله في تفسير هذه الآية: «﴿في ظلمات ثلاث﴾، قيل: الرَّحِم والبطن والمشيمة» (*تأويلات أهل السنة*، نشر الخيمي، ٢٩٤/٤).
[٤] ع: قوة.
[٥] ر م: مستفاد.
[٦] ن: وقوته مكتسبة.
[٧] ر ع م: الأوراق.
[٨] ر م: ذات.
[٩] ن – لا.
[١٠] ر: وتقلب؛ ع م: وتقليب.
[١١] ر م: وان من.
[١٢] م: انشاء.
[١٣] ر: انشاء.
[١٤] ر ع: انشاء.

إنشاؤه إياهم لأنفسهم وللفناء الذي ذَكَر في قوله: ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ،[1] لكان يتركهم على حالة واحدة ولا يحوّلهم من حال إلى حال. فإذا حولّهم وقلّبهم من حال إلى حال دلّ أنه لا للموت الذي ذكر خَلَقهم خاصةً بقوله: ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ، ولكن لعاقبة تُقصَد وهو البقاء الدائم، لا فناءَ فيه وهو ما ذكر: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ.[2]

وقوله: **ثم أنشأناه خلقا آخر**. أما أهل التأويل فمنهم من قال: نَفْخُ الروح فيه، وهو قول ابن عباس وغيره. وقال بعضهم: إنبات الشَّعْر ونحوه، وهو قول قتادة وغيره. وعن الحسن

[٥٠٣ظ] وغيره: ذكرًا وأنثى.[3] وجائز أن يكون / قوله: ثم **أنشأناه خلقا آخر** غير ما قال هؤلاء، وهو إظهار الجوارح والأعضاء وتركيبها بما[4] فيه دلالة [ذلك]، لأنه أخبر أنه يقلّبه من حال إلى حال،[5] وإنما يقلبه[6] شيئا واحدا مُصْمَتا ليس به هذه الجوارح والأعضاء، إنما يكون فيه آثارها لا أعينها، فيركّب فيه أعين الجوارح والأعضاء حتى يكون إنسانا. فذلك هو إنشاء خلقٍ آخرَ، ويكون نفخ الروح ونَبْت الشعر في تركيب ما ذكرنا. *والله أعلم*.

ومن ينكر خلق الشيء لا من شيء ويقول بقدم العالم إنما ينكر ذلك لما لم يَرَ في الشاهد[7] صنع شيء لا من شيء فيقال له: وهل رأيت إنشاء شيء من شيء على إتلاف الأصل حتى لا يبقى له أثر؟ فإذ[8] لم تر هذا في الشاهد وقد رأيت في الغائب إنشاء شيء من شيء على إتلاف الأول منه، نحو النطفة تصير علقة على تلف النطفة فيه والعلقةِ مضغةً على إتلاف العلقة فيها إلى آخر ما ذكر؛ كل ذلك مُنْشَأٌ من آخر[9] بعد تلف الأصل.[10] [فهذا دال على][11] أن عدم الأشياء[12] في الشاهد لا من شيء لا يدل على عدمه في الغائب وأنه حيث قدر على[13] هذا يقدر على كله.

---

[1] الآية التالية.
[2] سورة المؤمنون، ٢٣/١٦.
[3] انظر حول جميع الآراء: تفسير *الطبري*، ١٨/١٠؛ وتفسير *القرطبي*، ١٢/١٠٩.
[4] ك ن م: ما؛ ع - بما.
[5] ع - حال.
[6] ر م - من حال إلى حال وإنما يقلبه.
[7] م: في الشا.
[8] ع: انشأ.
[9] جميع النسخ + إنما كان.
[10] ر ع م + فهلا كل ذلك؛ ن + فهلا كل.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥١٢ظ.
[12] جميع النسخ: الإنشاء؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٢ظ.
[13] ر م - على.

وقوله: **فتبارك الله أحسن الخالقين**. مِن الناس مَن يستدل على أنه إذا لم يكن سواه خالقا لم يكن لقوله: **أحسن الخالقين** معنى، كقوله:[١] أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ،[٢] وأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ،[٣] ونحوه. وإنما[٤] قال هذا لِما يكون سواه رحيما حكيما كريما. فأخبر أنه أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ،[٥] وأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فعلى ذلك ما قال: **أحسن الخالقين**. ولكن [عندنا][٦] جائز القولُ بمثل هذا عند الناس على غير إثباتِ آخرَ سواه في ذلك حقيقة. وهو يخرج على وجوه. أحدها **أحسن الخالقين**، مما تنسبون أنتم إليه وتجعلونه خالقا عندكم، كقوله: فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[٧] فإبراهيم[٨] لم يُسمِّ معبودهم[٩] الذي عبدوه إلها على جعل الألوهية له ولكن على ما سموه هم[١٠] ونسبوا[١١] الألوهية إليه. وكذلك قول موسى حيث قال: وَانْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا،[١٢] على ما عندهم، ليس على تسمية الألوهية[١٣] له حقيقة. دل ما ذكرنا على أن تسمية ما ذكر[١٤] يجوز وإن لم يكن هنالك سواه إلها وخالقا.[١٥] وكذلك قوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[١٦] ليس على أن لهم شفعاء يشفعون لهم ولكن لا شفعاء لهم، فعلى ذلك ما ذكرنا.

والثاني تأويل **أحسنُ الخالقين**، أي لو جاز أن يكون خالق آخر سواه، لكان[١٧] هو أحسن الخالقين، ولكن لا يجوز، وهو كقوله: لَوْ أَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ [سُبْحَانَهُ]،[١٨]

---

[١] ر م: قوله.
[٢] سورة الأعراف، ١٥١/٧.
[٣] سورة هود، ١١/ ٤٥.
[٤] م: إنما.
[٥] ع + ونحوه وإنما قال هذا لما يكون سواه رحيما حكيما كريما فأخبر أنه أحكم الحاكمين.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥١٢ظ.
[٧] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٩١/٣٧).
[٨] جميع النسخ: إبراهيم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٢ظ.
[٩] ر: المعبودهم؛ م: لمعبودهم.
[١٠] ر: سموهم.
[١١] ر ع م: ونسبوه.
[١٢] سورة طه، ٩٧/٢٠.
[١٣] ر م: الآلهة؛ ن ع: الآلهية؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٢ظ.
[١٤] ع – على أن تسمية ما ذكر؛ ر ن م + وذكره.
[١٥] ر م: خالقا.
[١٦] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.
[١٧] ر م: لكن.
[١٨] سورة الزمر، ٤/٣٩.

أي لو جاز أن يتخذ ولدا لاصطفاه[1] مما ذكر، لكن لا يجوز. وكذلك قوله: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا،[2] أي لو جاز أن يكون كذا لكان كذا، ليس على أنه يجوز أن يكون. وكذلك قوله: مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ،[3] الآية، أي لو جاز أن يكون معه إله لذهب بما ذكر، لكن لا يجوز. فعلى ذلك قوله: **فتبارك الله أحسن الخالقين**، أي لو جاز أن يكون هنالك خالق غيره لكان هو أحسن الخالقين، ولكن لا يجوز. *والله الموفق*.

والثالث ذَكر أحسن الخالقين لِما أن العرب تسمي[4] كل صانعِ شيءٍ خالقا، فخرج الذكر لهم على ما يسمون[5] هم، ليس على حقيقة الخلق لمن دونه، كقول عيسى حيث قال: أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ.[6]

أو أن يكون ذكر هذا لقول من يقول:[7] إن[8] العالم أصله[9] من أربع طبائع: من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة.

أو أن يكون لقول بعض[10] الفلاسفة: إن العالم أصله من أربع أو من خمس: من الماء والأرض والنار وغيره. فأخبر أنه ليس كذا، ولكن هو خالقهم[11] لا من الأشياء التي توهموا هم.[12] وعلى قول من يقول: إنه يكون غيره خالقا،[13] لكان الخلق غير دال على الخالق،

---

[1] م: لاصطفى.
[2] سورة الأنبياء، ١٧/٢١.
[3] سورة المؤمنون، ٩١/٢٣.
[4] ع: يسمي.
[5] ر ع م: يسموه.
[6] ﴿ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله﴾ (سورة آل عمران، ٤٩/٣).
[7] ع – يكون ذكر هذا لقول من يقول + الفلاسفة.
[8] ن – إن.
[9] ن: كان.
[10] ع: لبعض.
[11] ع – الفلاسفة إن العالم أصله من أربع أو من خمس من الماء والأرض والنار وغيره فأخبر أنه ليس كذا ولكن هو خالقهم.
[12] م: توهموهم.
[13] لعل المؤلف يشير إلى استدلال بعض بأنه إذا لم يكن سواه خالقا لم يكن لقوله ﴿أحسن الخالقين﴾ معنى. وقد ذكر رحمه الله هذا القول في ابتداء تفسير الآية ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

وقد جعل الله الخلق سببا لمعرفة الخالق. فلو كان غيره خالقا لكان الخلق غير دال على معرفة الخالق، لأنه قال: [أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ] خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ.[١] أخبر أنه لو كان سواه خالقا أو عددًا لكان[٢] في ذلك تشابُه الخلق عليهم، فإذا تشابه لم يكن سببا لمعرفته[٣] على ما أخبر في إثبات عدد الآلهة، كقوله: وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ.[٤] فإذا بطل هذا و لم يجز عدد الآلهة وإثبات الألوهية لغيره، فعلى ذلك في الخلق على الوجه[٥] الذي ذكرنا.

*وقال القُتَبي: المضغة اللحمة الصغيرة، سميت بذلك لأنها بقدر ما يُمضغ، كما قيل: [٥٠٤و س٦
غُرفة بقدر ما يُغرَف.* ٥٠٤و س٧]

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾[١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[١٦]

وقوله:[٧] **ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**، قد ذكرنا فيما تقدم أن المقصود من خلق هذا العالم لم يكن الإماتة[٨] والإفناء خاصة[٩] ولكن عاقبة تُتأمل وتقصَد حيث قلّبهم من حال إلى حال ثم[١٠] لم يتركهم على حالة واحدة. فلو كان المقصود من خلقهم الفناء والهلاك لا غيرَ لكان تركَهم على حالة واحدة و لم يقلّبهم من حال إلى حال. فدل التحويل والتقليب من حال إلى حال على أن المقصود من الخلق العاقبةُ على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

على[١١] أنه أخبر أن خلقهم لا لعاقبة يُقصَد بها عبثٌ، حيث قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[١٢] صيّر خلقهم لا للرجوع إليه عبثا. وقال في آية أخرى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا،[١٣] الآية،

---

[١] سورة الرعد، ١٣/١٦.
[٢] ن: أوعدوا؛ م - خالقا أوعددا لكان.
[٣] ر م: لمعرفة.
[٤] سورة المؤمنون، ٢٣/٩١.
[٥] ر م: الوجوه.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٤و /سطر ٦-٧.
[٧] ن: قوله.
[٨] ع: الأمانة.
[٩] م - خاصة.
[١٠] ع ن - ثم.
[١١] م - على.
[١٢] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٥.
[١٣] ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دَخلاً بينكم أَنْ تكونَ أُمَّةٌ هي أَرْبَى مِن أمة﴾ (سورة النحل، ١٦/٩٢).

[٥٠٤و] صير نقض الغزل بعد إبرامه وقوته سفها منها. فلا جائزٌ أن يُسفَه تلك المرأة / تنقض غزلها بعد الإحكام والإبرام بلا نفع يكون لها ثم هو يفعل ذلك؛ إذ خَلْق الخلق للفناء والهلاك خاصةً عبث ولعب. وعلى ذلك بناء[1] البناء في الشاهد لا لعاقبة ومنفعة ولكن للهدم والنقض سفَهٌ ولعِب، لذلك قلنا بأن[2] خَلَق الخلق لا للموت خاصة ولكن لما ذَكَر[3] من قوله: **ثم إنكم [يوم القيامة] تبعثون**، أي تُحْيَوْن.*

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾[١٧]

وقوله: **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق**، قال بعضهم: سبع سماوات، وقال بعضهم: سبعة أفلاك. يذكر هذا -والله أعلم- أيهما كان:[5] السماواتِ أو الأفلاكَ التي جُعل لأمر الخلق ولحوائجهم لوجهين. أحدهما يخبر عن قدرته وسلطانه وغناه أنّ من قدر على خلق ما ذَكَر وإنشائه[6] بلا سبب لقادر على إنشاء الخلق لا من شيء. والثاني أن من قدر على هذا يقدر على بعثهم وإحيائهم بعد الموت.

قال القُتَبي: **سبع طرائق**، أي سبع سماوات، كل سماء طريقة. ويقال: هي الأفلاك، كل واحد طريق. وإنما سمّى طرائق لأن بعضها فوق بعض. يقال:[7] طارقتُ الشيء إذا جعلتَ بعضه على بعض،[8] ويقال: ريشٌ طرائقُ.[9] وغيره قال: **طرائق** أهواء مختلفة.

وقوله: **وما كنا عن الخلق غافلين**، أي لم نخلقهم[10] على جهل منا بأحوالهم ولكن على علم منا بذلك. ولا يحتمل أن يكون خلقه إياهم على علم منه ثم يخلقهم للفناء لا للعاقبة تُتأمل، لأن من يفعل هذا في الشاهد إنما يفعل إما للجهل به أو لحاجة، والله يتعالى عن ذلك[11] كله.

---

[1] ع: بني.
[2] جميع النسخ: ان.
[3] م: ذكرنا.
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٢ ورقم ١٤ فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٤و /سطر ٤-٦ وورقة ٥٠٤و /سطر ٦-٨.
[5] ن + له.
[6] ع: وإنشاء.
[7] ن: ويقال.
[8] ن: فوق بعض.
[9] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٦.
[10] ر ع م: يخلقهم.
[11] ن - ذلك.

أو أن يكون قوله: **وما كنا عن الخلق غافلين**، خلقِ ما ذكر، أي إذ[١] عرفتم أن خلق هذه الأشياء لا لأنفسها ولكن لأنفسكم[٢] ولمنافعكم فلا يحتمل أن يكون خلقها لكم بلا محنة ولا ابتلاء. فإن ثبت المحنة فيكم ثبت الثواب والعقاب، فإذ ثبت هذا ثبت البعث والحياة. **والله أعلم**.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[١٨]

وقوله: **وأنزلنا من السماء ماء بقدر**، قال بعضهم: **بقدر**، بعلم منا، وقال بعضهم: ما يقع لهم الحاجة والكفاية. وجائز أن يكون قوله: **بقدر**، أي معلوم مقدَر لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزداد ولا ينقص[٣] ولكن على ما قُدِّر، وكذلك جميع الأشياء.

وقوله: **فأسكنّاه في الأرض**، يذكر هذا ويخبر عن قدرته وسلطانه أن من قدر على استنزال الماء من السماء يقدر على البعث وعلى خلق الشيء لا من شيء، إذ لا أحد من الخلائق يقدر على ذلك إلا بالحِيَل التي علمه الله. أو أن يكون يقول: إنه حيث جعل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء ومنافع السماء [متصلة] بمنافع الأرض لبعد ما بينها دل اتصال منافع أحدهما بالآخر -مع بعد ما بينها- على أن منشئهما واحد ومدبرهما واحد عالم بذاته.

وقوله:[٤] **وإنا على ذهاب به لقادرون**، كقوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا،[٥] الآية.

﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[١٩]

فأنشأنا لكم به، أي بالماء، **جنات من نخيل وأعناب**، أي الكروم. يذكر نعمه التي[٦] أنعمها عليهم من الماء الذي به حياة الأبدان والأشياء جميعا يستأدي[٧] به شكره وعبادته. وقوله: **فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة**. فإن[٨] كان قوله: **لكم فيها**، أي في الجنات حيث ذكر أنه أنشأها لنا، **فواكه كثيرة**، ففيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله أن من حلف أنْ لا يأكل فاكهة فأكل عِنَبا لم يحنَث، حيث ذَكَر النخيل والأعناب وذكر فيها الفواكه على حِدَة، وإن كان يعني به النخيل والأعناب فليس فيه حجة له.

---

١ ر ع م: إذا.
٢ ر: لأنفسهم.
٣ ر ع م: ولا ينتقص.
٤ ن: قوله.
٥ ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾ (سورة الملك، ٦٧/٣٠).
٦ ر م: نعمة الله.
٧ ر ع م: ليتأدى.
٨ ر م: وإن.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾[٢٠]

وقوله: **وشجرة تخرج من طور سيناء**، أي أنشأنا لكم[١] أيضا شجرة في طور سِينَاء. ثم الشجرة التي يكون في الجبال لا صنع للخلق في إنباتها، وما يكون[٢] في الجنان والبساتين إنما يكون بإنبات الخلق. ثم أضاف كليهما ما يكون للخلق فيه صنع وما لا يكون [إلى نفسه]،[٣] دل إضافة ذلك إليه كله على أن لله[٤] في فعل العباد صنعا[٥] وأن جميع ما يكون إنما يكون بصنع منه ولطف. ويذّكرهم نِعَمه التي أنعمها عليهم من إنشاء الجنان لهم والنخيل والأعناب والفواكه التي ذكر ليستأدى[٦] بذلك شكره. وفيه دلالة قدرته وسلطانه حيث أنشأ[٧] الشجرة وأخرجها من الجبل وهو أشد الأشياء وأصلبها، ثم أنشأ[٨] في تلك الشجرة الدهن وهو ألْيَن الأشياء وألطفها، فيخبر أن من قدر على إخراج[٩] ألْيَن الأشياء من أشدها وأصلبها لا يُعجزه شيء. وفيه أن لا بأس بقِرانِ شيء إلى شيء فيؤكلان[١٠] جميعا وضمّ بعضهم إلى بعض فيجمع[١١] في الأكل حيث قال: **تَنبت بالدهن وصبغ للآكلين**، والصبغ[١٢] هو الإدام.

[٥٠٤ظ] ثم اختلف في قوله: / **طُورِ سَيْنَاء**، قال بعضهم: الطور الجبل بالسريانية، والسَّيناء الحسن بالحبشية.[١٣] وقال بعضهم: الطور الجبل وما ذكر،[١٤] والسيناء الشجرة[١٥] الحسناء. وقال بعضهم: الطور هو الجبل الذي كلّم الله موسى وأوحى إليه، والشجرة هي شجرة الزيتونة. وقال بعضهم: الطور هو الجبل، والسَّيناء شجرة حوله. وفي حرف ابن مسعود وحفصة:

---

[١] ر م: انشاء مالكم.
[٢] ع + للخلق.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥١٣و.
[٤] ر ع م: الله.
[٥] ر م: صنع.
[٦] ر ع م: لتأدى.
[٧] ع: انشاء.
[٨] ر ع م- ثم أنشأ.
[٩] ن - إخراج، صح هـ.
[١٠] ر ع م: فهو كان.
[١١] ر ع م: ويجمع.
[١٢] ر م - والصبغ.
[١٣] ر ع م: بالحبشة.
[١٤] ن: وما ذكرنا.
[١٥] ع: الشجر.

وشَجَرَةً تَخرُج من طُور سَيْنَاءَ تُخرِج الدهنَ وصبغا[١] للآكلين.[٢] قال بعضهم: تُخرج الثمر. قال أبو معاذ: أَنْبت النباتُ ونَبَت، لغتان كقِيلِك: أَسرى وسَرَى. وقال زهير:

رأيتُ ذَوِي الحاجات حولَ بيوتهم قطينا[٣] لهم[٤] حتى إذا أنبت البَقلُ[٥]

قال الكسائي: تقول: خرجتُ بزيد وأخرجتُ زيدا، ولا تقول: أخرجت بزيد إلا أن تقول: أخرجت بزيد عَمرا.[٦] وقال[٧] القُتَبي: **وَصِبْغٍ للآكلين**، مثل الصِباغ كما يقال: دِبْغ ودِباغ ولِبْس ولِباس.[٨] وقال أبو عَوْسَجة: **وصبغ للآكلين**، أي الصِباغ وهو ما اصطبغْتَ به من الشيء، أي غمرتَه فيه.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[٢١]

وقوله: **وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها**، وفي سورة[٩] النحل:[١٠] مِمَّا فِي بُطُونِهِ.[١١] قال بعضهم: إنما ذكره على الفرد والوُحدان، وفيما ذكره على التأنيث [فهو] على الجمع. وقال بعضهم: فيما ذكره بالتذكير[١٢] أراد به جنسا من الأنعام: **نسقيكم مما في بطونها**، وهذا أشبه، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١٣]

ثم قوله: **وإن لكم في الأنعام لعبرة**، ووجه العبرة فيها من وجوه. أحدها ما قال ابن عباس، وهو ما ذكر عز وجل: مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ،[١٤] الآية. ففي ذلك عبرة ودلالة على وحدانيته

---

[١] ر م: وصبغ.
[٢] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٤.
[٣] والقطين: الساكن النازل في الدار.
[٤] ر ن م – رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم.
[٥] انظر: *شرح ديوان زهير بن أبي سلمى* لأبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب، ١١١.
[٦] ر ع م: عمروا.
[٧] ر ع م: قال.
[٨] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٦.
[٩] ر ع م: في سورة.
[١٠] ن: النحل.
[١١] ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فَرْثٍ ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ (سورة النحل، ٦٦/١٦).
[١٢] ر: بالتذكر.
[١٣] انظر: تفسير سورة النحل، ٦٦/١٦.
[١٤] سورة النحل، ٦٦/١٦.

وربوبيته وعلمه وقدرته وتدبيره ولطفه، إذ ليس شيء منها إلا وفيها دلالة وحدانيته وربوبيته ودلالة علمه وقدرته وتدبيره.

وفيه أنه لم ينشئ هذه الأنعام لأنفسها، ولكن أنشأها للبشر حيث أخبر أنه سخرها لنا ليمتحنهم بها. ثم اختلف في الأنعام، قال مقاتل: الأنعام كل شيء يؤكل لحمه ويشرب لبنه، وما لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه فليس من[1] الأنعام. وقال أبو معاذ: إن من الأنعام ما لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه. وقال بعضهم: الأنعام كل بهيمة حتى الوحش. والأشبه أن يكون الأنعام هو الإبل، ولكنا لا نعلم حقيقته،[2] إنما هو اللسان، فهو على ما يسميه أهل اللسان.

وقوله: **ولكم فيها منافع كثيرة**، قيل: من الحمولة وغيرها، وقد ذكرنا هذا في سورة النحل.[3]

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[٢٢]

وقوله:[4] **وعليها وعلى الفلك تحملون**، يُذكّرهم نعمه فيما سخر لهم من الأنعام والسفن ليستأدي[5] به شكره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٢٣]

وقوله:[6] **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.** يردِّد عز وجل أنباء أولي العزم من الرسل وأخبارهم ويكررها على رسول الله ليكون أبدا يقظانَ[7] منتبِها ويَعرفَ أنْ كيف عامل أولوا العزم قومهم وكيف صبر أولوا العزم من الرسل على أذى قومهم[8] وتكذيبهم إياهم، ليعامل[9] هو قومه مثل معاملتهم ويصبر هو على أذى قومه على ما صبر أولئك على أذى قومهم وتكذيبهم إياهم؛ لهذا[10] يردد ويكرر أنباءهم عليه؛[11]

---

[1] ع: في.
[2] ر ع م: حقيقة.
[3] ن: النحل. انظر: تفسير سورة النحل، ١٦/٥-٨.
[4] ن: قوله.
[5] ر ع م: ليتأدى.
[6] ن: قوله.
[7] جميع النسخ: يقظانا.
[8] ن: قوم.
[9] ر م: ليتأمل.
[10] جميع النسخ + ما.
[11] ع: عليهم.

ويَعرف قومُه أيضا أنْ لا يظفرون بما يأمُلون من تكذيبهم العاقبة، بل العاقبة تصير له على ما صارت لأولي العزم من الرسل لا لقومهم. *والله أعلم*.

وقوله: **أفلا تتقون**، يحتمل وجوها. أحدها **أفلا تتقون** مخالفة الله ومخالفة رسوله. أو **أفلا تتقون** عذابه ونقمته أو وعيده. أو **أفلا تتقون** عبادة غير الله.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[٢٤]

وقوله: **فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم**، هذا الذي قالوا هو تناقض، لأنهم قالوا: إنه بشر مثلهم يريد أن يتفضل عليكم بما ادّعى من[1] الرسالة والإجابة له إلى ما دعاهم. ثم هم[2] -أعني الرؤساء منهم والقادة- ادَّعَوا لأنفسهم الفضل بما استتبعوا[3] هم السفَلَة وطلبوا منهم الموافقة لهم والإجابة وهم[4] بشر أمثالهم، فذلك تناقض في القول. ثم أقروا بتفضيل بعض الخلق على بعض وعرفوا قدرة الله[5] على ذلك حيث قالوا: **ولو شاء الله لأنزل ملائكة**، فإذ[6] قدر على تفضيل الملائكة على البشر قَدَرَ على تفضيل بعض البشر على بعض. ثم أخبر عن نوحٍ أنه لا يريد بما ادعى من الرسالة التفضّل عليهم ولكن يريد به[7] النصح لهم والإشفاق عليهم، حيث قال: وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ،[8] وقال: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ،[9] ونحو ما قال. أخبر أنه إنما أراد بذلك[10] النصح والشفقة، لا التفضّل الذي قالوا هم.[11]

---

[1] م + من.
[2] ر: هي.
[3] ر م: استبقوا.
[4] ع: والإجا وهو
[5] م - الله.
[6] م: فإذا.
[7] ر م - به.
[8] ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون﴾ (سورة هود، ٣٤/١١).
[9] سورة الأعراف، ٥٩/٧. جميع النسخ + وعذاب يوم الظلة. والتصحيح من نسخة ولي الدين أفندي، رقم ٤٢٥، ورقة ٢٥٣ظ. يبدو أن الناسخين قد أخطأوا بكتابة هذه الآية (سورة الشعراء ٧٧/٢٦ وما بعدها)، لأنه تخبر عن هلاك قوم شعيب لا عن قوم نوح عليهما السلام.
[10] ر ع م - بذلك.
[11] ن: قالوا؛ م: قالوهم.

وقوله:[1] **ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين**، هذا قولهم، وقد كذَبوا في قولهم.

|٥٠٥و س٢ * قال مقاتل: **يريد أن يتفضل** عليكم[2] بالرسالة وليس له[3] عليكم فضل في شيء، أفتتبعونه؟ وقوله: **ما سمعنا بهذا**، قال بعضهم: أي بالعذاب، **في آبائنا الأولين**. ويقال: **ما سمعنا** التوحيد

٥٠٥و س٤| **في آبائنا الأولين**، كما يدعو [إليه] نوح.*

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾[٢٥]

وقوله: **إن هو إلا رجل به جنة**، قد عرفوا أنه ليس به جنون ولكن أرادوا التلبيس والتموية على قومهم حيث خالفهم [نوح] في جميع أمورهم وعادَى الرؤساء منهم والقادَةَ. ويقولون: ما يفعل هذا إلا المجنون[5] فيه وآفة أصابته في عقله، وإلا عرفوا هم[6] في أنفسهم -أعني القادة-

[٥٠٥و] أنه ليس بمجنون ولكن أرادوا التموية / على قومهم.

ثم قالوا: **فتربصوا به حتى حين**، لسنا ندري ما أرادوا؛ الموت أو وقت ارتفاع ما قالوا فيه من الجنون، أو أرادوا وقتا آخر. *

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[٢٦]

وقوله: **قال رب انصرني بما كذبون**، لم يدعُ عليهم بأول ما كذبوه، ولكن إنما دعا عليهم بعد ما أيس من عَودهم إلى تصديقه، وهو ما قال: أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ.[8] وقال أهل التأويل: انصرني بتحقيق ما وعدت لهم من العذاب فإنه نازل بهم في الدنيا وعذّبهم[9] بما كذبوني[10] في قولي بأن العذاب نازل بهم في الدنيا. أو أن يكون قوله:[11] **انصرني بما كذبونِ**، أي اجعل لي الظفر عليهم بالتكذيب ونحوه.[12]

---

[1] ن: قوله.
[2] ر ع م: عليهم.
[3] ر ع م - له.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٥و /سطر ٢- ٤.
[5] ر ع م: المجنون.
[6] م: عرفوهم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٥و /سطر ٢- ٤.
[8] ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدُجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ (سورة القمر، ٥٤/٩-١٠).
[9] ر م: وعذابهم.
[10] ن: بما كذبوا.
[11] ن + قوله.
[12] «أي اجعل لي الظفر عليهم بسبب ما وجد منهم التكذيب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥١٣ظ.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[٢٧]

وقوله: **فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا**، قال بعضهم: بمنظر منا، وقال بعضهم: بمَرأى منا. وجائز أن يكون صلوات الله عليه ظنّ لمّا أمِر باتخاذ الفلك أنهم لا يتركونه أن يتخذ الفلك، فأخبره عز وجل: إنك تتخذه بحيث نراه[1] وننصرك عليهم بحيث[2] لا يملكون منعك[3] عن اتخاذها. وقوله: **ووحينا**، أي بأمرنا.

وقوله: **فإذا جاء أمرنا وفار التنور**، أي إذ جاء الموعود بأمرنا **وفار التنور**. أو أن يقول: إذا جاء وقت أمرنا بالعذاب وفار ما ذُكر، أي خرج الماء من التنور وظهر.

وقوله:[4] **فَاسْلُك فيها**، قيل: أَدخل فيها، يقال سلكتُ وأَسْلَكْتُ،[5] وهو الإدخال، كقوله: اُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ،[6] أي، أَدخِل، وتفسير: اُسْلُكْ، ما ذكر في آية أخرى: قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا.[7]

وقوله: **مِن كُلِّ زوجين اثنين**، يحتمل أن يكون قوله: **اثنين** نعتا[8] لقوله: **من كلِّ زوجين** مِن الذكر والأنثى. وجائز أن يكون قوله: **من كلِّ زوجين**، أي من كل زوجين عددين لونين: أبيض وأسودَ وطيّب وخبيثٍ. وقوله: **وأهلَكَ**، أي احمل أهلك أيضا في السفينة. وقوله: **إلا من سبق عليه القول [منهم]**، بالعذاب والهلاك، وقد ذكرنا هذا في سورة هود.[9]

وقوله: **ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُغرَقون**، اختلف فيه. قال قائلون: إنما نهاه عن مخاطبته في الذين ظلموا حيث قال: إنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي،[10] نهاه عن أن يسأله. فإن كان على هذا فقوله: **ولا تخاطبني**، أي لا تراجعني الكلام **في الذين ظلموا**. وقال قائلون قوله:

---

[1] ن ع: يراه.
[2] ن – بحيث.
[3] ر م – منعك.
[4] ن: قوله.
[5] ر م – وأسلكت.
[6] سورة القصص، ٣٢/٢٨.
[7] ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ (سورة هود، ٤٠/١١).
[8] جميع النسخ: نعت.
[9] انظر: تفسير سورة هود، ٤٠/١١.
[10] ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ (سورة هود، ٤٥/١١).

ولا تخاطبني في الذين ظلموا، في جميع ظَلَمَة قومه، **إنهم مغرقون**، وإن كان على هذا فهو نَهْيٌ عن ابتداء السؤال في نجاتهم. *والله أعلم*.

[٥٠٥و س٣٣ *وقال القُتَبي: **فاسلك فيها**، أي أدخل فيها، يقال:[١] سلكت[٢] الخيط في الإبرة، وأسلكتُه.[٣]

٥٠٥و س٣٤] وقال أبو عبيدة كذلك.*

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢٨]

وقوله: **فإذا استويت أنت ومن معك** من المؤمنين، **على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين**. هكذا الواجب على كل من أنجاه الله من الظلمة أن يحمَد ربه على ذلك ويسأله النجاة إذا ابتُلي بهم كما علّم نوحا أن يقول ما ذكر ويحمَده على النجاة منهم، وكما قال موسى حين خرج من عندهم خائفا: رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ،[٥] وكما سألَت امرأة فرعون النجاة من فرعون وقومه حين قالت: وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.[٦] ثم علّمه ربُّه أن يسأله[٧] الإنزال في مُنزَل مبارك حيث قال:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[٢٩]

وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المُنْزلين. ثم يحتمل سؤاله المنزل المبارك جميعَ الخيرات والحسنات وعَمَلَ الصالحات. ويحتمل سؤاله المُنْزَلَ المبارك الموضعَ الذي فيه السعة والخصب على ما قاله بعض أهل التأويل: المبارك بالماء والشجر وغيره. فإن كان هذا ففيه دلالة إباحة سؤال السَّعة والخصب. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾[٣٠]

وقوله:[٨] **إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين**، قال قائلون: قوله: **إن في ذلك لآيات**، أي في هلاك قوم نوح وإغراقهم لآيات لِمَن بعدهم. **وإن كنا لمبتلين** بآيات تفضلا منا وإحسانا سوى ذلك.

---

[١] ر م: فقال.

[٢] ر م: سلك.

[٣] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٧.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٥و /سطر ٣٣-٣٤.

[٥] ﴿فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٢١).

[٦] سورة التحريم، ٦٦/١١.

[٧] م: أن يسأل.

[٨] ن: قوله.

ويحتمل وجها آخر وهو أنّ قوله: **وإن كنا لمبتلين**، أي وما كنا لَمُبتلين، وتأويله **إن في ذلك**، أي في قوم نوح وما كان بهم، **لآيات** لمن بعدهم، وما كنا لمبتلين[١] بسوى الآيات[٢] التي كانت. وجائز في اللغة "إنْ" بمعنى "ما". ويحتمل وجها آخر وهو أنّ قوله: **وإن كنا لمبتلين**، أي وقد كنا لمبتلين، أي قد ابتلاهم قبل إهلاكه إياهم. ولسنا نعرف ما حقيقة هذا الكلام وما مراده. ***والله أعلم***.*
وقال أبو عَوْسَجة: **وإن كنا لمبتلين** هذا من الابتلاء، أي الاختبار.[٤] ومن البلاء لمُبلِون.[٥]

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[٣١] **﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾**[٣٢]

وقوله: **ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين**، قيل: من بعد قوم نوح، **قرنا آخرين** عادا وغيرهم. **فأرسلنا فيهم رسولا منهم** قالوا: هودا، **أنِ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**. جميع الأنبياء والرسل إنما بعثوا بالدعاء إلى توحيد الله وجعل العبادة[٦] له. وقوله: **أفلا تتقون**، مخالفته أو عبادة مَن دونه وجميعَ معاصيه على ما ذكرنا من قبل.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[٣٣] **﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾**[٣٤]

وقوله: **وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة**، أي بالبعث، **وأترفناهم في الحياة الدنيا**. قال بعضهم: **أترفناهم**، أي بسطنا لهم في الدنيا حتى ركبوا المعاصي / وقال [٥٠٥ظ] بعضهم: المُتْرَف الغني الطاغي.

*وقال القُتَبي: **وأترفناهم**، أي وسَعنا عليهم حتى أترِفوا. والتُّرفة النعمة،[٧] ومثلها تُحفة، كأن [٥٠٥ظ س] المترَف هو الذي يُتحَف.[٨] وقال غيره: **أترفناهم**، أي أنعمنا عليهم وبسطنا لهم. فكله يرجع إلى واحد.* ٥٠٥ظ س ٤

[١] ر ع م - أي وما كنا لمبتلين وتأويله إن في ذلك أي في قوم نوح وما كان بهم لآيات لمن بعدهم وما كنا لمبتلين.
[٢] جميع النسخ: بسور الآيات؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٤و.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٧ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٥و /سطر ٣٣- ٣٤.
[٤] جميع النسخ: أي اختبار؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٤و.
[٥] جميع النسخ: مبلون.
[٦] ر ع م: عبادة.
[٧] جميع النسخ: منة.
[٨] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٧.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٥ظ /سطر ١٢- ١٤.

وقوله: **ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم**، الآية، قد ذكرنا فيما تقدم أنهم تناقضوا[1] في قولهم: **ما هذا إلا بشر مثلكم**، إلى قولهم:[2] **ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون**، لما أنهم منعوا الأتباع عن أن يتبعوا الرسول ويطيعوه[3] لأنه بشر مثلهم، ثم طلبوا منهم الطاعة لهم والاتباع في أمورهم وهم بشر أمثالهم، فذلك تناقض في القول وفساد.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾[٣٥] ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[٣٦]

وقوله: **أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون**، قال بعضهم: **هيهات** استبعاد لأمر وإنكاره، أي بعيدا بعيدا، أي أمرٌ لا يكون.

[٥٠٥ظ س١٤] *قال أبو عَوْسَجة: قوله: **هيهات هيهات**، هذا تبعيد للأمر، أي إنه أمر بعيد على ما ذكرنا

[٥٠٥ظ س١٥] أنه لا يكون.*

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٣٧]

وقوله: **إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا**، إن كان هذا القول من الثنوية والدهرية فقوله: **نموت ونحيا** هم بأنفسهم، لأنهم يقولون: يموت الإنسان فيحيا غيره من البقر والحُمُر[5] وغيره من ترابه إذا أُكِل.[6] وإن كان هذا القول من غير الثنوية فنقول قوله: **نموت ونحيا**، أي نموت نحن ويحيا الأبناء. وذكر في حرف ابن مسعود وأُبي: نحيا ونموت وما نحن بمبعوثين.[7]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٣٨]

وقوله: **إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين**، هذا قولهم.[8]

---

[1] م: تناقض. انظر حول تفسير تناقضهم: سورة المؤمنون، ٢٣/٢٤.

[2] ر ع م: قوله.

[3] ر ع م: الرسل ويطيعوا؛ ن: الرسول ويطيعوا.

[*] وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٢ظ /سطر ٢٧.

[5] ن: والخمر.

[6] «هم يقولون: يموت الإنسان فيصير ترابا، ثم ينبت من ذلك التراب الكلأ فيأكله البقر والغنم فيصير ذلك جزءا من أجزائها فيصير حيا بعد الموت. فهو معنى قولهم: نموت ونحيا، لا أنهم يقرون بالبعث» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥١٤و).

[7] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٤، ١٤٨.

[8] ر: قوله.

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[٣٩] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[٤٠]

وقوله: **قال رب انصرني بما كذبون**، قد ذكرناه.[١] **قال عما قليل ليصبحن نادمين**، أي عن قريب يندمون بالتكذيب وعن هذا القول[٢] الذي قالوه والإنكار الذي أنكروه، لا شك في ذلك.*

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤١]

وقوله: **فأخذتهم الصيحة بالحق**، قد ذكرنا. وقوله: **فجعلنا هم غثاء**، قال بعضهم: الغثاء اليابس الهامد كنبات الأرض إذا يبس. وقال بعضهم: الغثاء هو الذي يحمله السيل بالموج. قال أبو معاذ: غُثَاءً أَحْوَى،[٤] أي أسود. وقال بعضهم: **غثاء**، أي موتى. وجائز أن يكون تأويل قوله: **غثاء**، أي كالشيء المنسي الذي لا يذكر ألبتةَ، لأن أولئك الفراعنة والأكابر إذا هلكوا[٥] لم يذكروا ألبتةَ ولا افتخر[٦] أحد[٧] من أولادهم بهم من بعد الهلاك، كما افتخر أولاد الأنبياء والرسل والصالحين بآبائهم وأجدادهم من بعدهم وصاروا مذكورين إلى أبد الآبدين. فأما أولئك صاروا خامِلِي[٨] الذكر كالشيء الخسيس المنسي المتروك. وقوله: **فجعلناهم غثاء**، الغثاء ما ذكرنا على قول بعضهم كالرميم الهامد الذي يحمله السيل. وعلى قول[٩] بعضهم كالشيء البالي المتغير. وعلى قول[١٠] بعض: الغثاء ما ارتفع على الماء مما لا ينتفع به. وكله واحد. وقال القُتَبي: **غُثَاءً**، أي هَلْكَى كالغُثاء وهو ما علا[١١] السيل من الزَّبَد والقَمْش،[١٢] لأنه يذهب ويتفرق.[١٣] قال أبو عَوْسَجة: الغثاء ما يحمل السيل من العِيدان والبَعْر، والأغثِيَة جَمْعٌ،[١٤] والغثاء حميل السيل.

---

[١] انظر: تفسير الآية ٢٦ من هذه السورة.

[٢] ر ع م: عن هذا القول.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٣٣ و٣٦ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٥ظ /سطر ١٢- ١٥.

[٤] ﴿فجعله غثاء أحوى﴾ (سورة الأعلى، ٥/٨٧).

[٥] ر: أهلكوا.

[٦] م: وافتخر.

[٧] ر م: أحدهم.

[٨] الخامِل: الخَفِيُّ الساقط الذي لا نَباهة له. يقال: هو خامل الذِّكْر والصوتِ (*لسان العرب*، «خمل»).

[٩] ر ع م: على قول.

[١٠] ر م – قول.

[١١] ر م: على.

[١٢] القَمْشُ: الرَدِيئ من كل شيء (*لسان العرب*، «قمش»).

[١٣] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٧.

[١٤] جميع النسخ: جميع.

ثم ذكر[1] أنفس قوم عاد وثمود وشبهها بما ذكر من الغُثاء، وكذلك يذكر أنفس جميع[2] أهل الشرور والفساد. وذكر في أهل الخير أعمالهم لا أنفسهم،[3] لأن لهم أعمال الخير والصلاح فيجعل[4] أنفسهم حيّة بالأعمال، كقوله: فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ،[5] جعل أعمالهم أحاديث فيما بينهم. وأما أهل الكفر والشر فإنه لا أعمال لهم تذكر فتذكر أنفسهم بُعدا لهم[6] وسُحقا.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾[٤٢] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾[٤٣]

وقوله: **ثم أنشأنا من بعدهم**، قيل: من بعد قوم عاد وهؤلاء **قرونا آخرين. ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون**، كأنه ذكر هذا لِما كانوا يستعجلون العذاب الموعود والهلاك الذي أُوعِدوا، فأخبر أن لكل أمة أجلا[7] لا تسبق أجلها باستعجال[8] من يستعجل، ولا يستأخرون أجلها الذي جُعل لهم.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٤٥] ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾[٤٦]

وقوله: **ثم أرسلنا رسلنا تترى**، قال بعضهم: **تترى**، تِبَاع واحدٍ بعد واحد، وبعضٍ على إثر بعض. **كلما جاء أُمةً رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا**، في الهلاك، الأول فالأول. **وجعلناهم أحاديث**، لمن بعدهم ولمن بقي منهم، يعني الذين أُهلكوا. **فبُعدا لقوم لا يؤمنون.**

---

[1] أي في الآيات السابقة، من هذه السورة، من ابتداء الآية ٣٣.

[2] ن – أنفس.

[3] م: لأنفسهم.

[4] ع م: فتجعل.

[5] ﴿فقالوا ربنا بَاعِدْ بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزّقناهم كل مُمَزَّق﴾ (سورة سبأ، ١٩/٣٤).
يبدو أن الاستدلال بهذه الآية على أعمال أهل الخير والصلاح ليس بصحيح، لأن هذه الآية تخبر عما نزل على ساكني سبأ من العذاب والهلاك. وستأتي قريبا آية أخرى تخبر عما نزل بمكذبي الرسل من العذاب والهلاك أيضا، بقوله: ﴿فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فَبُعْدًا لقوم لا يؤمنون﴾. وأما استدلال الإمام في أن أهل الخير، أي المؤمنين يذكرون بأعمالهم لا بأنفسهم ففيه آيات كثيرة. من ذلك الآيات المبتدأة بها في السورة التي نحن بصدد تفسيرها: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾.

[6] ع م: بعدا وسحقا.

[7] جميع النسخ: أجل.

[8] ر م: بالاستعجال.

ثم أرسلنا موسى، قد ذكرنا. **فاستكبروا وكانوا قوما عالين**، قيل: غالبين،[١] كقوله: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ.[٢] وقال بعضهم: متكبرين متجبرين.[٣] قال[٤] أبو عَوْسَجة: هو من العلوّ، ليس من التعالي، والتعالي لا يوصف به الخلق.

قال القُتَبي: **تَتْرَى**، أي تَتَابَعُ بفترةٍ بين كل رسولين، وهو من التواتر. والأصل وَتْرَى فقُلِبَتْ الواوُ تاءً كما قَلَبوها في التَّقوى والتُّخَمة[٥] والتُّكلان.[٦] وقال أبو عَوْسَجة: **تترى**: بعضهم على إثر بعض، وهو من المتابعة.

وفي قوله: **ثم أرسلنا رسلنا تترى** دلالة على[٧] أن أهل الفترة ومن كان فيما بين بعث الرسل لا عذر لهم في شيء لإبقاء الحجج والبراهين قبل أن يبعث آخر وحُسنِ آثارهم وأعلامهم -أعني آثار الرسل وأعلامهم- حيث[٨] أخبر أنه أرسل الرسل تِباعا بعضا على إثر[٩] بعض وإن كانت[١٠] بين بعثهم فترةٌ، لما أبقى الحجج[١١] / والبراهين وآثار الرسل وأعلامهم.[١٢] ***والله أعلم.*** [٥٠٦ر]

﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[٤٧] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾[٤٨]

وقوله: **فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون**، قال[١٣] بعضهم: نَذْهب[١٤] نَرْفَعُهم[١٥]

---

[١] ر ع م – قيل غالبين.
[٢] ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شِيَعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٤).
[٣] ر م: ومتجبرين.
[٤] ع: وقال.
[٥] التُّخَمة، بالتحريك: الذي يُصيبك من الطعام إذا استوْخمتَه (*لسان العرب*، «وخم»).
[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٧. والتوكل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم التُّكْلان (*لسان العرب*، «وكل»).
[٧] ن ع م – على.
[٨] ر م – حيث.
[٩] ر م – إثر.
[١٠] جميع النسخ: وإن كان.
[١١] م + و والبراهين قبل أن يبعث آخر وحسن آثارهم وأعلامهم أعني آثار الرسل وأعلامهم أخبر أنه أرسل الرسل تباعا بعضا على بعض وإن كانت بين بعثهم فترة لما أبقى الحجج.
[١٢] ر م: وأعمالهم.
[١٣] ر: وقال.
[١٤] ر ع: تذهب.
[١٥] ر: ترفعهم.

بعد ما كنا نحن[1] غالبين عليهم بجعلهم[2] غالبين علينا وكانوا لنا[3] عابدين. أي نرفعهم[4] فوقنا ونكون تحتهم، ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا، كيف نصنع[5] ذلك؟[6] وذلك[7] -والله أعلم- حين أتوهم بالرسالة. **فكذبوهما فكانوا من المهلكين**، صاروا من المهلكين بالتكذيب.[8]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٤٩]

وقوله: **ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون**. يشبه أن يكون حرف "لعلّ" لموسى، أي آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون عنده. و"لعلّ" حرف[9] رجاء وتَرَجٍّ،[10] لكن يستعمل مرة على الإيجاب والإلزام، ومرة على النهي، كقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[11] أي لا تبخع نفسك، وقوله: فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ،[12] أي لا تترك بعض ما يوحى إليك، وذلك جارٍ[13] في اللغة، يقول الرجل لآخر: لعلك تفعل كذا، أي لا تفعل، ونحوه. وحرف "لعلّ" من الله يحتمل الإيجاب والإلزام والنهي، ومن الخلق على النهي والترجي. ***والله أعلم***.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[٥٠]

وقوله: **وجعلنا ابن مريم وأمه آية**، خصّ عز وجل عيسى وأمّه بأن جعلهما آية. وجميع البشر في معنى الآية واحد، إذ خُلقوا[14] جميعا من نطفة ثم حُوّلت النطفةُ علقةً[15] والعلقةُ مضغةً إلى آخر ما ينتهي إليه فيصير إنسانا. فالآية والأعجوبة في خلق الإنسان من النطفة

---

[1] ر ع م – نحن.
[2] ر م ع: يجعلهم.
[3] م – لنا.
[4] ر: ترفعهم.
[5] ر: تصنع.
[6] ع: ذاك.
[7] ن: وذاك.
[8] ن: التكذيب.
[9] ن + حرف.
[10] جميع النسخ: إرجاء وترجي.
[11] ﴿لعلك باخع نفسك ألّا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء، ٣/٢٦).
[12] ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾ (سورة هود، ١٢/١١).
[13] ع: جاز.
[14] ع: واحدا واختلفوا.
[15] ن + علقة.

ومما ذُكر[١] -إن لم تكن أكثرَ وأعظمَ- لم تكن بدون خلقه بلا أب ولا زوج وما ذَكَر، لكنه خصّهما بذكر الآية فيهما لخروجهما[٢] عن الأمر المعتاد في الخلق. والعادة الظاهرة فيهم أنْ يُخلقوا من النطفة والأب والتزاوج[٣] والتناسل الذي يجري فيما بينهم والأسبابِ التي جُعِلت[٤] للتوالد.[٥] فلخروجهما[٦] عن الأمر المعتاد والعادة الظاهرة خصّهما بذكر الآية. وإلا الآية[٧] والأعجوبة في خلق البشر من النطفة وما ذكر -إن لم تكن[٨] أكثرَ وأعظمَ- لم تكن دونه. وهو كما خصّ[٩] بني إسرائيل بالخطاب[١٠] بالشكر لِما أنعم عليهم من المن والسلوى ولِما أنجاهم من آل فرعون، بقوله:[١١] ﴿أُذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾،[١٢] وقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾،[١٣] [وقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾].[١٤] وقد كان عليهم من النعم ما هو أعظم وأكثر مما ذكر من المن والسلوى ونجاتهم من فرعون وآله، لكنه خصّهم بذكر المن والسلوى واستأدى منهم الشكرَ بذلك من بين سائر النعم لأنها خرجت عن المعتاد من النعم المعروفة، وهم كانوا مخصوصين بهذا من بين غيرهم، فعلى ذلك عيسى وأمه كانا خارجين عن الأمر المعتاد ومخصوصين[١٥] بذلك، لذلك خصهما بذكر الآية.

والآية ما ذكر بعض أهل التأويل أنه خُلق من غير أب ولَدته أمُّه من غير بعل[١٦] وأمثالها.[١٧]

---

[١] ر ع م: ذكرنا.
[٢] ن: لخروجها.
[٣] ر م + جعلت للتوالد.
[٤] ر ع م: جعل.
[٥] ع: التوالد؛ ر ع م + في الخلق.
[٦] ر: للخروجهما؛ م: لخروجهما.
[٧] ر م - وإلا الآية.
[٨] ر ع م: يكن.
[٩] جميع النسخ: ما خص؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٤ظ.
[١٠] م: الخطاب.
[١١] ع: لقوله؛ ر م: لقومه.
[١٢] ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ (سورة إبراهيم، ٦/١٤).
[١٣] سورة البقرة، ٤٧/٢.
[١٤] سورة طه، ٨٠/٢٠.
[١٥] ن ع: مخصوصين.
[١٦] ر م ع: فعل.
[١٧] ن - وأمثالها.

وقال بعضهم: الآية في عيسى بأن كلَّم الناس في المهد صبيا ونحوه من إبراء الأكمَه والأبرَص وإحياء الموتى ومثله.[1]

وقوله: **وآوَيْناهما إلى رَبْوَةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعين،** ذكر أنه آواهما[2] إلى ربوة كما يؤوي[3] الأبُ والأم الولدَ إلى مكان يتعيّش به؛ إذ الربوة هي مكان التعيش فيه، ألا ترى[4] أنه ذكر **ذاتَ قرارٍ ومعين،** وذات القرار[5] هو المكان الذي يُستقَرّ فيه ويُتعيّش. وقوله: **ومعين** المعين هو الماء الجاري الطاهر[6] الذي تأخذه العيون وتقع عليه الأبصار.[7]

*قال أبو عَوْسَجة: قوله: **إلى ربوة،** قال: الربوة[8] المكان المرتفع. وآويته، أي أدنيته.[9] [٥٠٦ظ س١٦
وقال القُتَبي: الربوة الارتفاع. وكل شيء ارتفع أو زاد فقد رَبا، ومنه الرِّبا[10] في البيع.[11] قال أبو معاذ: للعرب في الربوة أربعُ لغات: رَبْوَة ورُبْوَة ورِبْوَة[12] ورَباوة. وقوله: **ذات قرار ومعين،** قال أبو عَوْسَجة: المعين الماء الطاهر[13] الجاري، والقرار الثبات؛ وتقول منه: قرّ[14] يَقَرُّ قَرارا، فهو قارٌّ؛ وأقررته، أي أثبتُّه. وكذلك قال القُتَبي. وقال: معين ماء طاهر[15] وهو مفعول من العين، كان أصله معيون كما يقال: ثوب مَخيط وبُرٌّ[16] مَكيل.[17]* ٥٠٦ظ س٢١]

---

[1] كما قال الله تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفُخ فيها فتكون طيرا بإذني وتُبرئ الأَكْمَهَ والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ (سورة المائدة، ٥/١١٠).

[2] ن: وآويهما.

[3] ن ع م: يووى.

[4] ن: يرى.

[5] ر م – وذات القرار.

[6] ر ع م: الظاهر.

[7] ن – وقوله ومعين المعين هو الماء الجاري الطاهر الذي تأخذه العيون وتقع عليه الأبصار.

[8] ع م – قال الربوة.

[9] ر م: أويته.

[10] ن ع م: الربوا.

[11] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٧.

[12] ع – وربوة.

[13] ر م: الظاهر.

[14] ر م – قر.

[15] ر م: ظاهر.

[16] ن: يد.

[17] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٧.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٦ظ/سطر ١٦-٢١.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٥١]

وقوله: **يا أيها الرسل كلوا مِن الطيبات واعملوا صالحا**، قال عامة أهل التأويل: إنما خاطب بهذا محمدا خاصة على ما يخاطب هو، والمراد منه جميع أمته في ذلك. ولكن جائز أن يقال: خاطب به جميع الرسل لأنهم جميعا مخاطبون بهذا كله من أكل الطيبات والعمل الصالح؛ هذا الخطاب فيه وفي غيرهم، إذ عمّهم جميعا بهذا. ثم **الطيبات** يحتمل أن[١] يراد به الحلالات، كأنه قال: كلوا حلالا غير حرام، ألا ترى[٢] أنه قال: **واعملوا صالحا**، أي اعملوا صالحا ولا تعملوا سيئا، فعلى ذلك قوله: **كلوا من الطيبات**، أي كلوا حلالا ولا تأكلوا حراما ما[٣] خَبُثَ. وفيه أنهم يمتحنون كما يمتحن غيرهم من البشر[٤] بالأمر والنهي.[٥] ويحتمل أيضا قوله: **كلوا من الطيبات**، ما طابت به أنفسكم وتلذذت، فإن كان على هذا فهو يخرج على الإباحة والرخصة ليس على الأمر. معناه: لكم أن تأكلوا ما تستطيب به أنفسكم ولكم أن تُؤْثِروا غيرَكم به على أنفسكم. وإن كان على الأول[٦] فهو على الأمر يخرج والنهي. ***والله أعلم***.

وقوله: **إني بما تعملون عليم**، ظاهر، وهو وعيد.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[٥٢]

وقوله: **وإن هذه أمتكم أمة واحدة**، جائز أن يكون قوله: **وإن هذه أمتكم أمة واحدة**، في الكتب المتقدمة وعلى لسان الرسل السالفة،[٧] كقوله: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ،[٨] أي كنتم خير أمة في الكتب المتقدمة وفي الأمم الماضية، فعلى[٩] ذلك هذا.[١٠] وقال بعضهم: قوله: **وإن هذه أمتكم أمة واحدة**، أي دينكم دين واحد وملتكم ملة واحدة وهي الإسلام.

---

[١] ر م: بأن.
[٢] ن: يرى.
[٣] م – ما.
[٤] ر ع م – من البشر.
[٥] ر م – والنهي.
[٦] ر ع م: على الأمر.
[٧] ر م – السالفة.
[٨] سورة آل عمران، ٣/١١٠.
[٩] م: فعل.
[١٠] ن – فعلى ذلك هذا.

[٥٠٦ظ] وقال بعضهم: لسانكم لسان واحد. وجائز / أن يكون قوله: **أمتكم أمة واحدة**، لا يختلفون في رسولكم إلى يوم القيامة كما اختلف الأمم الذين من قبلكم في رسلهم، بل تجعلوا رسولكم رسولا على ما هو عليه. وأما سائر الأمم فإنهم قد فرّطوا فيهم حتى كان[١] فيهم من[٢] جعل الرسول ابنا له، كقوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، والنصارى كذلك.[٣] وأما هؤلاء فإنهم لا يزالون على أمر واحد. *والله أعلم*.

وقوله: **وأنا ربكم فاتقونِ**، وقال في آية أخرى: فَاعْبُدُونِ،[٤] جائز أن يكونا واحدا، وجائز أن يكون قوله: **فاتقون**، أي مخالفتي. و **فاعبدون**،[٥] أي اعبدوني وأطيعوني.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٥٣]

وقوله: **فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا**، قال بعضهم: **فتقطعوا أمرهم**، وفقطّعوا[٦] واحد، وهما لغتان: تفرّقوا وفرّقوا. **زُبُرا** برفع الباء وزُبَرا بنصب الباء.[٧] قال أبو معاذ: من قرأ بالنصب زُبَرا فمعناه قِطَعا، كقوله: آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ،[٨] وزُبُرا بالرفع، أي كُتبا، كقوله: تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ،[٩] وقوله: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ،[١٠] ونحوه. وقال في حرف ابن مسعود وأُبيّ: وقطّعوا الزبور بينهم.[١١] قال أبو معاذ: قطّعوا وتقطّعوا لغتان كقيلك: علّقت الشيء وتعلّقته، وحوّلت وتحوّلت، وولّيت[١٢] وتولّيت ونحوه كثير.

كل حزب بما لديهم فرحون، راضون أو مسرورون بما لديهم من الدين، أو ما ذكرنا.

---

[١] ن – كان.
[٢] ر م – من.
[٣] ر م – كذلك. ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم﴾ (سورة التوبة، ٣٠/٩).
[٤] ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (سورة الأنبياء، ٩٢/٢١).
[٥] ر م: أي مخالفتي فاعبدون.
[٦] ر ن ع: وتقطعوا.
[٧] معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣٣٥/٣.
[٨] سورة الكهف، ٩٦/١٨.
[٩] ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تُبدونها وتُخفون كثيرا﴾ (سورة الأنعام، ٩١/٦).
[١٠] ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا﴾ (سورة البقرة، ٧٩/٢).
[١١] ن + زبرا. لم ترد هذه القراءة عنهما في *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٤، ١٤٨.
[١٢] ع – وولّيت.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾[٥٤]

فذرهم في غمرتهم حتى حين، وقال في آية أخرى: فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا،[١] وقال: وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ،[٢] فذلك يحتمل وجوها. أحدها[٣] قال ذلك عند الإياس عن إجابتهم لِما علم أنهم لا يؤمنون، وذلك في قوم مخصوصين، كأنه قال: ذَرْ هؤلاء وأقبلْ نَحوَ[٤] هؤلاء الذين يقبلون أمرك ويجيبون دعاءك[٥] ويسمعونه.

والثاني **فذرهم في غمرتهم**، ولا تكافئهم[٦] حتى أنا أكافئهم، كقوله: فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ.[٧]

والثالث أمره أن يذَرهم ويُعرض عنهم لئلا يخوضوا في سبّ[٨] الله والطعن في آياته،[٩] كقوله: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا،[١٠] الآية. وقوله: **حتى حين**، يحتمل القيامة، ويحتمل وقتا[١١] آخر لم يبين. *والله أعلم*.*

وقوله: **في غمرتهم**، قيل: في ضلالتهم وغفلتهم.[١٣] وقال [القُتَبي]:[١٤] الغَمْر الماء الكثير، وغَمْرة[١٥] الحرب وسطها، وغَمرة[١٦] الموت شدتها، رجل غَمْرٌ، أي سخِيّ.[١٧] وجمعه غِمار. ويقال: غَمَرَه[١٨] الماءُ، أي صار فوقه. قال: والغَمَر العداوة،[١٩] والغَمْر الذي لم يجرب الأمور،

---

[١] ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ (سورة الزخرف، ٨٣/٤٣).
[٢] سورة الأنعام، ١١٠/٦.
[٣] م – أحدها.
[٤] ر م – نحو.
[٥] ن م: دعاك.
[٦] جميع النسخ: ولا تكافهم.
[٧] سورة الطور، ٤٥/٥٢).
[٨] ن: في بيت.
[٩] ر: الآية.
[١٠] ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ (سورة الأنعام، ٦٨/٦).
[١١] ر ع م: وقت.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٦ظ/سطر ١٦–٢١.
[١٣] ر م: غفلتهم.
[١٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥١٥و.
[١٥] ر م: وغمرت.
[١٦] ر م: غمرة.
[١٧] ر ع م + ليس له جمع؛ ن + ليس له جميع.
[١٨] ر ع: غمرة.
[١٩] ر م: عداوة.

وقوم أغمار.[1] والغَمَر الدَّسِم، والغَمْرة الشدة، والغمَرات جميع، والغُمَر القدَح الصغير، والمغامرة المخاطرة، تقول: غامر بنفسه، أي خاطر بها.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾[٥٥] ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٥٦]

وقوله: **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون،** حسِب أولئك الكفرة أن ما أمد لهم من الأموال والبنين وما[2] أعطى لهم إنما أعطى لهم خيرا لهم وبِرّا لا شرّا. فأخبر عز وجل وكذّبهم في حِسْبانهم الذي حسِبوا فقال: **بل لا يشعرون،** أنه إنما أعطى لهم ذلك شرا وإثما. فعلى ما حسب أولئك الكفرة فيما أعطوا من الأموال والبنين إنما أُعْطُوا خيرا.

حسِب المعتزلة في قولهم: إن الله تعالى لا يفعل[3] بأحد من الخلق إلا ما هو أصلح لهم[4] في الدين؛ فأخبر أن ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا أصلح لهم، وهو ما ذكر في قوله: إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا.[5] وهم يقولون: إنما نملي لهم ليزدادوا خيرا وبِرّا. وكذلك قالوا في قوله: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا،[6] وهم يقولون: لا،[7] بل إنما أراد ليرحمهم بها. فيقال لهم: [أ]أنتم أعلم أم الله، كما قال لأولئك الكفرة حيث قال: أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ.[8]

---

[1] ورجل غَمْرُ الرِداء وغَمْرُ الخُلُق، أي واسع الخلُق كثير المعروف سخي. ورجل غُمْر وغَمِر: لا تجربة له بحرب ولا أمر ولم تحنّكه التّجارب (*لسان العرب*، «غمر»).

[2] ر ع م: ما.

[3] ع – لا يفعل.

[4] ر ع م: له.

[5] ﴿ولا يحْسَبَنّ الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾ (سورة آل عمران، ١٧٨/٣).

[6] ر م + وهم يقولون إنما نملي لهم ليزدادوا خيرا وبرا وكذلك قالوا في قوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم؛ ع – بها. ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتَزْهَق أنفسهم وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٥٥/٩).

[7] ع: الا.

[8] ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله﴾ (سورة البقرة، ١٤٠/٢).

إلا أن يكابروا في قوله: **بل لا يشعرون**، لما أنهم إنما[١] قالوا ذلك على الظن والحِسبان لا على العلم حيث قال: **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين**، فقال: **بل لا يشعرون** حيث قالوا ذلك ظنا وحِسبانا. وإنما الواجب عليهم أن يعلموا[٢] ذلك علم إحاطة ويقين.

فجواب هذا أن يقال: إن عندهم أنّ ذلك إنما أُعطي لهم وأُملي خيرا وبِرّا لهم، فكانوا على يقين من ذلك وإحاطة عند أنفسهم. وإنما ذلك الظن والحِسبان هُم مما عند الله، وإلا كانوا على حقيقة العلم عند أنفسهم أنه إنما أعطاهم ذلك وأمدّ لهم خيرا. فأكذبهم الله في ذلك وردّ عليهم قولهم: إنه أنما أعطاهم ذلك لما ذكروا، بل أخبر أنه إنما أعطاهم لمضادة ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾[٥٧]

وقوله: **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون**، جائز أن يكون هذا موصولا بقوله: نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ،[٣] على التقديم والتأخير، فكأنه قال: / إنما نسارع في الخيرات للذين [٥٠٧و]
هم من خشية ربهم مشفقون إلى آخر ما ذكر، لا لأولئك[٤] الكفرة. وجائز[٥] أن يكون على الابتداء، وصف الذين آمنوا ونعتهم فقال: **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون**،[٦] أي من عذاب ربهم خائفون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[٥٨]

وقوله: **والذين هم بآيات ربهم يؤمنون**، الإيمان بالآيات يكون إيمانا بالله حقيقة لأن الآيات هن الأعلام التي تدل على وحدانية الله وربوبيته. والإيمان هو التصديق، فإذا صدق آياته وهن أعلام وأخبار تخبر عن وحدانية الله، فإذا صدقها صدّق الله وآمن به، لذلك قلنا الإيمان بآياته يكون إيمانا بالله.[٧]

---

[١] ر ع م – إنما.
[٢] ع: يعلمو.
[٣] الآية السابقة.
[٤] ر ع م: لا أولئك.
[٥] ر: جائز.
[٦] ع – إلى آخر ما ذكر لا أولئك الكفرة وجائز أن يكون على الابتداء وصف الذين آمنوا ونعتهم فقال إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون.
[٧] ن: لله.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾[٥٩]

وقوله: **والذين هم بربهم لا يشركون**، أي لا يشركون غيره في عبادتهم.[١]

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[٦٠]

وقوله:[٢] **والذين يؤتون ما آتوا**، وفي بعض القراءات:[٣] والذين يأتون[٤] ما آتوا، مقصورة، وهي قراءة عائشة. فمن قرأ:[٥] يأتون ما آتوا،[٦] تأويله: أي الذين يعملون من عمل وجِلت له قلوبهم أن[٧] يتقبّل منهم أم لا. ومن قرأ:[٨] **يؤتون ما آتوا**، فهو من الإعطاء والإنفاق،[٩] يقول: والذين يُعطون ويُنفقون[١٠] ما أنفقوا وقلوبهم وجلة إن ذلك يقبل منهم أم لا. وفيه دلالة أن المطيع فما يطيع ربه يكون على خوف منه كالمسيء في إساءته. وكذلك روي عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قالت: أَهم[١١] الذين يشربون الخمر ويَسرِقون ويزنون؟ فقال: «لا ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات».[١٢] وجائز أن يكون قوله: **وقلوبهم وجلة**، لا على ذلك ولكن على ما يذكر، أي قلوبهم وجلة أنهم بم[١٣] يرجعون إلى ربهم: على السعادة أم على الشقاوة. ***والله أعلم***.

---

[١] ر ع م: عبادهم.
[٢] ن: قوله.
[٣] ر: القراءت.
[٤] ع: يؤتون.
[٥] م: قراء.
[٦] انظر: معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣٣٧/٣.
[٧] ر ع م: أي.
[٨] ع م: قراء.
[٩] ورد في مسند أحمد عن أبي خلف أنه دخل مع عُبَيد بن عُمَير على عائشة، فسألها عبيد بن عمير كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: الذين يأتون ما أوتوا أو يؤتون ما آتوا. فقالت: أيهما أحب إليك؟ فقال: والله لأحدهما أحب إلي من كذا وكذا قالت: أيتهما؟ قال الذين يأتون ما آتوا. فقالت: أشهد لكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حرف (*المسند*، ١٤٤/٦).
[١٠] ر: أو ينفقون.
[١١] ع: هم.
[١٢] *سنن ابن ماجة*، الزهد ٢٠؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٢٤.
[١٣] ر م: بهم.

﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٦١]

وقوله: **أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**. أخبر أن الذين نعتهم ووصفهم هم الذين يسارعون في الخيرات، لا أولئك الكفرة الذين تقدم ذكرهم. وقوله: **وهم لها سابقون**، يحتمل أي سبقوا إلى الخيرات أو سبقوا[١] أولئك الكفرةَ بها. ***والله أعلم***.[٢]

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٦٢]

وقوله: **ولا نكلف نفسا إلا وسعها**، جائز أن يكون ذَكَر هذا وقاله لما عمل أولئك الكفرة[٣] من الأعمال[٤] التي لا تَسَع ولا تَحِلّ فقالوا: الله أمرهم بذلك بقولهم: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[٥] فقال: **ولا نكلف نفسا إلا وسعها**،[٦] أي إلا ما يسعها ويحل، كقوله تعالى: إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ،[٧] ردًّا لقولهم وتكذيبا لهم.[٨] ويحتمل وجها آخر وهو أن يقول: لا نكلف من الأعمال إلا وسعها، أي طاقتها، وذلك يحتمل وجهين. أحدهما، أي لا نكلف أحدا[٩] من العمل ما يُتلِف طاقته ووسعه[١٠] فيه؛ لا يُكلِّف الغنيَ من الإعطاء ما يُتلف به غناه، وكذلك لا يكلف كل حي من العمل ما يُتلف به طاقته وحياته، ولكنه إنما أمره وكلّفه بأمور تحتمل طاقتُه[١١] ذلك العملَ والأمر. فإن كان كذلك فدلّ ذلك أنه لم يُرِد به طاقة العمل وقدرته ولكن طاقة الأحوال التي يجوز تقدمها عن الأفعال.[١٢] والثاني ذكر[١٣] هذا لئلا يقولوا: إنا لم نُطِق ما كُلّفنا،

---

[١] ر م – إلى الخيرات أو سبقوا.

[٢] ن + والله أعلم.

[٣] ر ع م – الكفرة.

[٤] ر ع م: أعمال.

[٥] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

[٦] ع + جائز أن يكون ذكر هذا وقاله لما عمل أولئك من أعمال التي لا تسع ولا تحل فقالوا الله أمرهم بذلك بقولهم والله أمرنا بها فقال ولا نكلف نفسا إلا وسعها.

[٧] تقدم قريبا.

[٨] ر ع م – لهم.

[٩] ر م: أحد.

[١٠] ر م: وسعه.

[١١] جميع النسخ: يحتمل طاقتهم.

[١٢] جميع النسخ: الأحوال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٥ظ.

[١٣] ر ع م: ذلك.

لأنهم تركوا الأعمال التي أمروا بها وكُلِفوا بأعمالٍ مثلِها التي تركوها وهي المعاصي التي عملوها، فما أُمِروا من الأعمال ليس يفوق التي عملوها ولكن مثلها، فلا يكون لهم في ذلك احتجاج.

وقوله:[١] **ولدينا كتاب ينطق بالحق** قال قائلون: هو الكتاب الذي يُكتَب فيه أعمالهم وأفعالهم من الخيرات والحسنات[٢] والسيئات، وذلك كله محفوظ محصِيَ عليهم، كقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.[٣] فإن كان هذا فيكون قوله: **بالحق**، أي بالصدق.[٤] وقال قائلون: هو[٥] الكتاب الذي أنزل إلينا وهو هذا القرآن؛ **ينطق** عليكم **بالحق** الذي لله علينا وبالحق الذي يكون لبعضٍ على بعض، وهو كقوله: هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ،[٦] وهو ما ذكرنا من الحق الذي له علينا ومن الحق الذي لبعضنا على بعض. وجائز أن يكون هو اللوح المحفوظ، فإن كان هذا ففيه أن الله لم يزَل عالما بما كان[٧] ويكون في الأوقات التي يكون [إلى] أبد الآبدين.

وهم لا يُظلَمون، فإن كان على الكتاب الذي يكتب فيه أعمالهم فيكون قوله: **لا يظلمون**، لا يُنقَص من أعمالهم التي عملوا من الخيرات ولا يزاد فيه على سيآتهم، بل يُحفظ ما عملوا. أو أن يكون **وهم لا يظلمون**، أي لا يزاد على الجزاء على قدر أعمالهم ولا ينقص من قدرها، بل يُجزَون على قدر أعمالهم. ***والله أعلم***.

﴿**بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ**﴾[٦٣]

وقوله: **بل قلوبهم في غمرة من هذا**، قيل: في عَماية وجهالة وغفلة من هذا. قال قائلون: قوله: **من هذا**،[٨] من الكتاب الذي كتب فيه أعمالهم وأُحصِي عليهم. وقال القائلون[٩] قوله: **بل قلوبهم في غمرة من هذا**، أي من هذا القرآن الذي ينطق بالحق، أي قلوبهم في عماية وغفلة من هذا القرآن.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر – والحسنات.
[٣] سورة ق، ١٨/٥٠.
[٤] ر م: بالتصديق؛ ع: بالصديق.
[٥] ع: في.
[٦] ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ (سورة الجاثية، ٢٩/٤٥).
[٧] ع: يكون.
[٨] ر ع م – قال قائلون قوله من هذا.
[٩] ر ع م+ من.

وجائز أن يكون قوله: **من هذا**، من[1] الأعمال التي ذكر للمؤمنين فيما تقدم، من ذلك. قوله: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ،[2] إلى آخر ما ذكر من أعمالهم، فأخبر أن قلوب أولئك الكفرة في غفلة وعماية من الأعمال التي عملها المؤمنون. *والله أعلم*.

وقوله: **ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون**، اختلف فيه، قال بعضهم: **ولهم** /**أعمال من دون ذلك**، أي من دون ما عمل أولئك الكفرة من الأعمال التي تقدم ذكرها [٥٠٧ظ] من قوله: فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ. أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ،[3] على ما ذكر، ثم أخبر أن لهم أعمالا من دون ما ذَكَر. وقال قائلون: **ولهم أعمال**، يعني المؤمنين[4] الذين ذكر أعمالهم، أي لهم أعمال دون الذي ذكر، لهم دون تلك الأعمال.

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾[٦٤] ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾[٦٥]

وقوله: **حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون**، قال أهل التأويل: ذلك في العذاب الذي أخذ أهل مكة في الدنيا من الجوع بِسِنِين[5] حتى أكلوا الجِيَف والعظام المحرقة ونحوه. لكن الأشبه أن يكون ذلك في عذاب الآخرة، ألا ترى أنه يقول: **إذا هم يجأرون**، أي يتضرعون. ويقول أيضا: قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ،[6] فإنما يخبر أن كنتم تفعلون كذا في الدنيا ويذكر: **إذا هم يجأرون**، فلا يحتمل أن يتضرعوا إليه في الدنيا ثم لا يقبل منهم ذلك التضرع. أو ينهاهم عن التضرع بقوله: **لا تجأروا اليوم**، فدل ذلك[7] أنه في الآخرة، وهو ما ذكر: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[8] الآية. مثل هذا يكون في الآخرة،

---

[1] ن – من.
[2] سورة المؤمنون، ٢٣/٥٦-٥٧.
[3] سورة المؤمنون، ٢٣/٥٤-٥٦.
[4] ر م: المؤمنون.
[5] ر ع م: سنين. السَّنة: الجدب والقحط. والجمع: سِنُون وسَنَوات (*لسان العرب*، «سنه»).
[6] الآية التالية.
[7] ن: فداخلك.
[8] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥).

وفي الدنيا ما ذكر: وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ.[1] ذكر في عذاب الدنيا أنهم لم يتضرعوا، فلا يحتمل أن يتضرعوا[2] في الدنيا عند نزول العذاب بهم ثم[3] لا يقبل منهم التضرع والاستكانة، دل ذلك أنه ما ذكرنا. ألا ترى أنه قال: **لا تجأروا اليوم**، نهاهم عن التضرع، ولا يحتمل النهي عن ذلك.

وقوله: **إنكم منا لا تنصرون**، أي لا تُمنعون من عذابه.

[٥٠٧ظ س٣١ *قال أبو عَوْسَجة: **إذا هم يجأرون**، أي يستغيثون. قال: وأصله من الصياح. وقال بعضهم:
٥٠٧ظ س٣٢] **يجأرون** يصرخون، وقيل: يصيحون.[4]*

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾[٦٦]

وقوله: **قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون**. قوله: **على أعقابكم [تنكصون** أي]، ترجعون، على التمثيل ليس على التحقيق، لأنهم إذا رجعوا على الأعقاب صار ما كان أمامهم وراءهم،[6] فكأنهم نبذوا ذلك وراء ظهورهم. أو أن[7] يكون المنقلِبُ[8] على الأعقاب كالمكِبّ على الوجه، والمكبّ على وجهه مذموم عند جميع من رآه[9] وعاينه، لهذا شبّهه به وضَرَب مَثَله[10] به. *والله أعلم*.

[٥٠٧ظ س٣٤ *وقوله: **تنكصون**، قال بعضهم: ترجعون، وقال بعضهم: تستأخرون،[11] كقوله: نَكَصَ
٥٠٧ظ س٣٥] عَلَى عَقِبَيْهِ.[12] ترجعون وتستأخرون[13] واحد.*

---

[1] سورة المؤمنون، ٧٦/٢٣.

[2] ر ع م – فلا يحتمل أن يتضرعوا.

[3] ر ع م – ثم.

[4] م – وقيل يصيحون.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٧ظ /سطر ٣١– ٣٢.

[6] ن – وراءهم.

[7] ر ع م: وأن.

[8] ر ع م: المتقلب.

[9] ع: وراء.

[10] ر ع م: أشبه وبه ضرب مثل.

[11] ر ع م: يستأخرون.

[12] ﴿وإذ زَيّن لهم الشيطانُ أعمالهم وقال لا غالبَ لكم اليومَ من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٤٨/٨).

[13] ر ع م: ويستأخرون.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٧ظ /سطر ٣٤–٣٥.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾[٦٧]

وقوله: **مستكبرين به**، قال عامة أهل التأويل: قوله: **به**، أي بالبيت. ووجه[١] هذا أنهم لما رأوا أنفسهم آمنين بِمُقامهم عند البيت وفي حرم الله وأهلُ سائر البقاع في خوف ظنُّوا أن ذلك لهم لفضل كرامتهم ومنزلتهم عند الله، فحملهم ذلك على الاستكبار على[٢] رسول الله ومَن تابعه. وقال بعضهم: **مستكبرين به**، أي بالقرآن. وتأويله: أي استكبروا على الله ورسوله لمّا نزل القرآن. وإضافة[٣] الاستكبار إلى القرآن لأنهم بنزوله تكبّروا على الله فأضاف استكبارهم إليه لأنه كان سبب تكبرهم، وهو كقوله: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ [إلى قوله] فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[٤] الآية، أضاف زيادة رجسهم إلى السورة لما بها يزداد رجسهم وكانت سبب[٥] رجسهم، وإن كانت لا تزيد رجسا في الحقيقة.

وقوله: **سامرا تَهْجُرون**، قال الزجاج: السَّمَر هو ظل القمر، فيه كانوا يهجرون، والسَّمَر هو حديث بالليل. وقوله: **تهجرون**، قال[٦] قائلون تَهْذُون.[٧] وقال بعضهم: **تهجرون** القرآن، أي كانوا لا يعملون[٨] به ولا يعبئون فهو الهجر. وفيه لغة أخرى: تُهجِرُونَ،[٩] وهو كلام الفحش والفساد.[١٠]

٥٠٧ظ س٣٢| *وقوله: **سامرا تهجرون** ما ذكرنا من[١١] الحديث بالليل. **تهجرون**، قال:[١٢] أي تَهْذُون كما يَهذِي النائم أو المريض[١٣] الشديدُ المرضِ. قال: وأَهْجَر يُهْجِر من الهجر وهو الفحش، وهَجَر يهجَر إذا سار في الهاجرة وهي شدة الحر.* ٥٠٧ظ س٣٤|

---

[١] ر م: ووجهه.
[٢] ر م: عن.
[٣] م: وإضافت.
[٤] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).
[٥] ر ع م - سبب.
[٦] ر ع م: وقال.
[٧] ع: تهتدون.
[٨] ع: يعلمون.
[٩] ن + تهجرون؛ ر م: يهجرون.
[١٠] أهجر به إهجارا: استهزأ به وقال فيه قولاً قبيحًا. والهُجْرُ: الهَذيان (*لسان العرب*، «هجر»).
[١١] ع: في.
[١٢] ن + قال.
[١٣] ر م: والمريض.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٧ظ /سطر ٣٢-٣٤.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[٦٨]

وقوله: **أفلم يَدَّبَّرُوا القول**، قيل: أي في القرآن. يحتمل قوله: **أفلم يَدَّبَّرُوا**، أي فهلا دبروا ذلك القول الذي يقولون في الآخرة في الدنيا، وهو قولهم: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[١] وما ذكر من تضرعهم في الآخرة وهو قوله: إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ.[٢] وجائز أن يكون قوله: **أفلم يَدَّبَّرُوا القول**، أي قد دبروا القول لكنهم تعاندوا وكابروا واستكبروا ولم يخضعوا له أَنَفا واستكبارا. أولا ترى أنه إذا قرع أسماعهم قوله: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ،[٣] وقوله: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ،[٤] الآية، لا يحتمل أن لا يدّبروا فيه. دل أنهم قد تدبّروا فيه وعرفوه، إلا أنهم تعاندوا وكابروا واستكبروا أنَفا منهم واستكبارا[٥] واستنكافا عن اتباعه والخضوع له.*

وقوله: **أفلم يدبروا القول**، قد ذكرنا أنه يخرج على وجهين. أحدهما على ترك التدبر فيه والتفكر والإعراض عنه، أي لم يَدَّبَّرُوا فيه و لم يتفكروا. والثاني على إيجاب حقيقة التدبر فيه والتفكر، أي قد تدبّروا فيه وعرفوا أنه حق وأنه[٧] منزّل من الله، لكنهم تركوا متابعته عنادا وتمرّدا، إشفاقا على ذهاب رياستهم وطعَما على إبقائها ودوام مَأْكَلَتِهم. فأيّ الوجهين كان ففيه لزوم حجج الله وبراهينه على مَن جَهِلَها و لم يعرفها بالإعراض عنها وترك التدبر فيها،

[٥٠٨و] حيث استوجبوا / عذاب الله ومَقته لجهلهم بها بترك التدبر[٨] فيها بعد إذ[٩] كان لهم سبيل الوصول إلى معرفتها. وظاهر قوله: **أفلم يدبروا**، استفهام إلا أنه في الحقيقة إيجاب لها لا يجوز أن يَستفهِم الله أحدا، فهو على الإيجاب، لأنه علام الغيوب.

---

[١] ﴿هل ينظرون إلا تأويلَه يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).

[٢] ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يَجأرون﴾ (سورة المؤمنون، ٦٤/٢٣).

[٣] ﴿وإن كنتم في ريب مما نَزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٢٣/٢).

[٤] ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (سورة الإسراء، ٨٨/١٧).

[٥] ن – واستكبارا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٦٤، و٦٦، و٦٧ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٧ظ/سطر ٣١ – ٣٥.

[٧] ر ع م – حق وأنه.

[٨] ع: التدبير.

[٩] ر م: إذا.

وقوله: **أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين**، أي قد جاء هم ما جاء آباءهم[١] الأولين من الرسول، لم[٢] يأت هؤلاء شيء إلا ما أتى آباءهم، لم يُخَصُّوا هم بالرسول فكيف أنكروه. ألا ترى[٣] أنهم قالوا: لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[٤] قد أقرّوا أن في الأمم المتقدمة رسولا حيث قالوا: لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ، وعلى ذلك يخرج قوله:

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[٦٩]

أم لم يعرفوا رسولهم، أي قد عرفوا رسولهم، لكنهم أنكروه وتركوا اتباعه لما ذكرنا في القرآن من أحد الوجهين عنادا وتكبرا، إشفاقا على رياستهم لكي[٥] تبقى. ألا ترى[٦] أنه قال: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ،[٧] الآية. وعلى هذا [قوله]:

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٧٠]

أم يقولون به جنة، أي قد عرفوا أنه ليس به جنة. وجائز أن يكون قوله: أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ،[٨] جاء هؤلاء ما لم يأت آباءهم وخص هؤلاء ما لم يخصّ آباءهم. وكذلك قال ابن عباس: لَعَمْري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين. وجائز أن يكون قوله: أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ، إلى ما ذكر من قوله: **أم يقولون به جنة**، لأنه يخرج على الأمر بالتدبر[٩] فيه ومعرفة الرسول أنه ليس كما يصفونه من الجنون وغيره، كقوله: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا،[١٠] أي تفكروا[١١] فيه فإنه[١٢] ليس به جنة على ما يصفونه، أو على ما ذكرنا أنهم تفكروا وعرفوا

[١] ر ع م: ما جاء هم.
[٢] ر م: ثم.
[٣] ن: يرى.
[٤] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).
[٥] ر ن م: لكن.
[٦] ن: يرى.
[٧] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٤٦/٢).
[٨] سورة المؤمنون، ٦٨/٢٣.
[٩] ع: بالتدبير.
[١٠] ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾ (سورة الأعراف، ١٨٤/٧).
[١١] ع: يتفكروا.
[١٢] م: وأنه.

أنه ليس به[1] جنون ولا شيء مما وصفوا به، لكنهم أرادوا أن يُلبّسوا أمره على أتباعهم وسفلتهم إشفاقا على إبقاء ما ذكرنا.[2]

وقال بعضهم: قوله: أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ،[3] من البراءة من العذاب. وقوله:[4] **بل جاء هم بالحق**، بالرسالة والقرآن من عند الله وجعْل العبادة له[5] من دون الأصنام التي عبدوها. **ولكن أكثرهم للحق كارهون**، كرهوا الحق لما ظنوا أن في اتباعه ذهاب الرياسة والأسباب التي كانت لهم على أتباعهم بعد معرفتهم أنه حق. أو كرهوا لما يعرفوا في الحقيقة أنه حق، وإلا لا أحد ممن يوصف بصحة العقل وسلامته[6] يكره الحق ويترك اتّباعه إلا للوجهين اللذَين ذكرنا هما. ***والله أعلم***.

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾[٧١]

وقوله: **ولو اتبع الحق أهواءهم**. قال عامة أهل التأويل: **الحق** ههنا هو الله، أي لو اتّبع الله أهواءهم في كفرهم وشركهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن. وتأويل هذا أن الكفر والشرك مما لا عاقبة له، وكل شيء لا عاقبة له فهو في الحكمة والعقل فاسد باطل غير مستحسن. وقال بعضهم: **الحق** ههنا كتاب الله وهو القرآن، أي لو جاء هذا القرآن[7] على ما يهوون هم لفسد ما ذَكَر، لأنه يكون خارجا عن الحكمة. وجائز أن يوصل قوله: **ولو اتبع الحق أهواءهم**، الحقَّ الذي سبق ذكره. وهو قوله: بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ،[8] أي ذلك الحق إن كان رسالة أو قرآنا[9] أو كل[10] خير، لأن الحق هو اسم كل خير[11] واسم كل مستحسن

---

[1] ع – به.
[2] أي على إبقاء الرياسة والجاه والمأكلة.
[3] سورة المؤمنون، ٦٨/٢٣.
[4] ن: قوله.
[5] ر م – له.
[6] ر م: وسلامة.
[7] ر ع م – أي لو جاء هذا القرآن.
[8] الآية السابقة.
[9] جميع النسخ: أو قرآن.
[10] ن + كل.
[11] ر ع م – إن كان رسالة أو قرآنا أو كل خير لأن الحق هو اسم كل خير + أهواءهم وجاء على ما هوت به أنفسهم واشتهت.

وممدوح في العقل والحكمة. لو اتبع ذلك الحق أهواءهم وجاء على ما هوت به أنفسهم واشتهت من عبادة غير الله وتسميتهم إياها آلهة وإنكارهم البعث والتوحيد وغيرِ ذلك من الأفعال التي كانوا اختاروها وعملوها **لفسدت السماوات والأرض** وما ذَكَر، لأنه يكون خَلْقهم وخَلْق ما ذكر من السماوات والأرض وما[1] فيهن لا لما توجبه الحكمة والعقل؛ إذ[2] خَلَقهم وخَلَق ما ذَكَر لأفعالهم التي يفعلون. فإذا[3] خرج أفعالهم على غير ما توجبه الحكمة والعقل، بل على السفه والجهل خرج [من] الذي لها خُلق ومن أجلها[4] أنشئ[5] كذلك، إذ خَلْق الشيء وفعله لا لعاقبة تُقصَد خارج عن الحكمة. ***والله أعلم بذلك***. وجائز أن يكون **الحق** هو رسول الله، أي رسول الله لو اتبع أهواءهم لفسد ما ذكر.

وقوله: **بل أتيناهم بذكرهم**، قال أهل التأويل: بشرفهم[6] وذكرهم، كقوله: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ.[7] **فهم عن ذكرهم معرضون**، أي عن شرفهم معرضون. وجائز أن يكون الذكر هو الحقّ الذي تقدم ذكره، أي لو قبلوا ذلك الحق[8] وأقبلوا نحوه يكون في ذلك ذكرُهم من بعد هلاكهم كما يذكر أصحاب رسول الله من بعد ما ماتوا. ألا ترى أن أولادهم بذكر آباءهم يتعيّشون [و]يقولون: أنا من بني فلان، فيَبَرّهم الناس بذلك ويكرمونهم.[9] وأما أولئك فإنهم لا يُذكرون بشيء من ذلك، فذلك يدل على ما ذكرنا. ويحتمل قوله: **بل أتيناهم بذكرهم**، الثناء عليهم أن[10] لو آمنوا، كقوله: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ،[11] الآية، وقوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا،[12] وقوله: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ،[13] الآية، ونحو ذلك مما أثنى الله على من آمن منهم، فهم لو آمنوا استوجبوا بذلك الثناء.

---

[1] ع: ومن.
[2] ر ع م: إذا.
[3] جميع النسخ: فإذ؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٦ظ.
[4] ر م: ومن أجلها.
[5] ر: الشيء.
[6] ر م: لشرفهم.
[7] ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٤٤).
[8] ر ع م + الذي.
[9] ر م: ويكرمون هم.
[10] م: أنهم.
[11] ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٠).
[12] ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٣).
[13] ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ (سورة التوبة، ٩/١٠٠).

وجائز أن يكون قوله: **بل أتيناهم بذكرهم**، أي بدعاء[1] لهم، وهو ما دعا[2] الملائكة والرسل
[٥٠٨ظ] للمؤمنين، كقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ / لِلَّذِينَ آمَنُوا،[3] الآية، وقوله: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ،[4] وقول نوح: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ،[5] الآية، وقول إبراهيم ودعائه؛ لهم[6] لو آمنوا استوجبوا دعاء هؤلاء الملائكة والرسل جميعا. أو أن يكون ما ذكرنا من إبقاء ذكرهم إلى يوم القيامة كما بقي ذكر أولئك الذين آمنوا به وصدقوه، فيكون في ذلك كلِّه شرفهم وقَدْرُهم على ما قاله أهل التأويل. ***والله أعلم***.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٧٢]

وقوله: **أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير**، جائز أن يكون هذا صلة ما تقدم من قوله: أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ. أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ،[7] أي قد عرفوا رسولهم. أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ،[8] أي ليس به جنة، أي ليس به شيء يمنعهم عن الإجابة له[9] والإيمانِ به بما يُعذرون هم[10] في ترك الإيمان به، فعلى ذلك قوله: **أم تسألهم خرجا**، أي لم تسألهم أجرا على ما تدعوهم إليه حتى يمنعهم ثِقَل ذلك الأجر عن إجابته وتصديقه، [و]كقوله أيضا: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ.[11] يقطع بما ذكر جميع أعذارهم وحِجاجهم -وإن لم يكن لهم[12] عذر ولا حجة- في ترك الإجابة له. وقال بعضهم: الخراج الرزق،[13] أي لا تَسألهم رزقا. ثم أخبر أن[14] أجر ربك ورزقه[15] خير وهو خير الرازقين.

---

[1] جميع النسخ: بدعى.
[2] جميع النسخ: دعى.
[3] ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربَّنا وَسِعْتَ كلَّ شيء رحمةً وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ (سورة المؤمن، ٧/٤٠).
[4] ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ (سورة محمد، ١٩/٤٧).
[5] ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيْتِيَ مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات﴾ (سورة نوح، ٢٨/٧١).
[6] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٤٠-٤١).
[7] سورة المؤمنون، ٢٣/٦٨-٦٩.
[8] سورة المؤمنون، ٢٣/٧٠.
[9] ر ع م - له.
[10] ر م: مما يعذرونهم؛ ع: بما يعذرونهم.
[11] سورة الطور، ٥٢/٤٠.
[12] ر م - لهم.
[13] ر م: والرزق.
[14] ر م - أن.
[15] ر ع م - ورزقه.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٧٣]

وقوله: **وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم**، المستقيمُ القائم بالآيات والحجج، ليس كالسبيل التي يسلكون هم بلا آيات ولا حجج ولا برهان.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾[٧٤]

وقوله: **وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن إنكارهم البعث والآخرة هو الذي حملهم على العدول عن الصراط المستقيم. والثاني أن الصراط الهدى[1] في الدنيا هو المجعول للآخرة، فإذا تركوا سلوكه لشهوات منعتهم عن ذلك أنكروا الآخرة، أو كلام نحو هذا. وقوله: **لناكبون**، أي لعادلون، من العدول عنه والمجانبة والميل إلى غيره.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٧٥]

وقوله: **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون**، ذكر الضُّر ولم يذكر أي شيء كان، وليس لنا أن نقول: كان الجوع أو كذا إلا بثَبَتٍ.[2] وفيه وجهان من المعتبر. أحدهما أن رفع المِحَن التي امتحنهم من البلايا والشدائد إنما يكون برحمة منه وفضل، لا على ما قاله بعض الناس بالاستحقاق حيث ذكر رحمته تكشف[3] ذلك عنهم. والثاني فيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر أنه، وإن كشف ذلك الضر عنهم، **لَلَجُّوا في طغيانهم**، فكشف عنهم ذلك فلجوا في طغيانهم على ما أخبر، فدل أنه بالله عرف ذلك. ***والله أعلم***.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[٧٦] ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٧٧]

وقوله: **ولقد أخذنا هم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**. يخبر عن سفههم وجهلهم بالله وقسوة قلوبهم وتمردهم وعنادهم حيث أخبر أنهم -وإن أُخذوا بالعذاب- لم يتضرعوا إليه وما استكانوا له لجهلهم بعذاب الله.[4]

---

[1] ر ع م: الذي.
[2] أي بحجة
[3] ع: يكشف. انظر في هذا الموضوع: تفسير الآيات ١٥٥-١٥٧ من سورة البقرة.
[4] ر ع م + حيث أخبر أنهم وإن أخذوا.

حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون. اختلف في قوله: **مبلسون،** قال بعضهم: المُبْلِس الآيِس من كل خير وهو ما وصفهم: إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ،[1] و فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ،[2] ونحوه. وقال الزجاج: المُبْلِس الساكت المتحيّر لا يدري ما يَعمل به.[3] فعلى ذلك هم كانوا حَيَارَى لمَا نزل بهم العذاب، لا يدرون ما يعملون به في دفع ذلك عنهم. وقال الكسائي: المبلس المنقطع[4] السيّئُ الظنّ. قال: ومنه[5] سمي إبليسُ إبليسَ[6] لأنه أيس من رحمة الله وانقطع رجاؤه عنه.[7] وقال أبو عَوْسَجة: المبلس[8] البائس الحزين. ويقال: أبلَسَ[9] الرجلُ، أي أيِس فحزن وأبلَسَ[10] غيرَه أيضا. وإنما[11] سمي إبليسُ إبليسَ لأنه يئِس عن رحمة الله فحزن. قال: وقوله: **فما استكانوا لربهم،** أي لم يَذِلّوا لربهم[12] بالطاعة له والخضوع لما ذكرنا.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾[٧٨]

وقوله: **وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون،** يذكّرهم نِعَمه التي أنعمها عليهم ليستأدى[13] بذلك الشكر له عليها. لكنه ذكر[14] أمهات النِّعم [و] لم يذكر غيرها وهو السمع والبصر[15] والفؤاد الذي ذكر، إذ بها يوصل إلى معرفة كل نافع وضار وكل طيب وخبيث وكل ليّن وخشِن وكل سهل وشديد وكل حُلْو ومُرّ، وكان الإنسان مطبوعا

---

[1] ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور﴾ (سورة هود، ٩/١١).
[2] ﴿لا يَسْأَم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾ (سورة فصلت، ٤٩/٤١).
[3] انظر: *تفسير القرطبي*، ١١١/١٤؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ٤٠/٣.
[4] ر ع م: المقطع.
[5] ع: منه.
[6] ر م – إبليس.
[7] ر م: عنده.
[8] ر م – المبلس.
[9] جميع النسخ: إبليس؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٧و.
[10] جميع النسخ: وإبليس؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٧و.
[11] ع: إنما.
[12] م – أي لم يذلّوا لربهم.
[13] ع: ليتأدى.
[14] ر ع م: ذكرها.
[15] ع: السميع والبصير.

على حب النافع والطيب واللين والسَّهل، واختيارِها[1] على أضدادها[2] والهرَبِ من كل ضارّ ومُؤذٍ والفرارِ عن أضداد ما ذكرنا من المختارات عنده. فأخبر أنه أَعطى لهم ما يعرفون به النافع[3] من الضارّ والطيب من الخبيث[4] ونحوه، مشاهدة وخبرا، وما به يميّزون ذا مِن ذا ويختارون ما هو المختار عندهم من غيره وما ينفعهم مما يضرهم ليستأدى بذلك شكره ويذكّرهم[5] في قوله: وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.[6]

[٥٠٩و س٢ *ثم أهل التأويل صرفوا قوله: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ،[7] إلى آخره، إلى الكفار وهم يكفرون بنعمه[8] التي ذَكَر وينكرونها وهم لا[9] يشكرون رأسا، بقوله: قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ.[10] إلا أن يقال: إنهم في بعض الأحايين[11] ربما يشكرون الله ويتضرعون إليه نحو قوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ،[12] الآية، ونحوه من الآيات التي ذكر فيها دعاءهم[13] وتضرعهم إلى الله عند ما أصابهم[14] الضرّ فذلك منهم شكر. أو أن يقال: إن قوله: قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ، أي قليلا ما تشكرون رأسا؛ كقول[15] الرجل لآخر: قليلا ما تفعل كذا، أي لا تفعل أصلا، فعلى ذلك هذا إن كان المراد منها والخطاب بها أولئك الكفرةَ، وإلا الخطاب بها يجيء أن يكون راجعا إلى المؤمنين، إذ هم الذين يقومون ببعض الشكر لنعمه وقليله. وأما الكفرة فهم يكفرونها وينكرونها رأسا.* ٥٠٩و س٩]

---

[1] ر ن م: واختياره؛ ع: واختاره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٧و.
[2] جميع النسخ: أضداده؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٧و.
[3] ع: المنافع.
[4] ع: والطيب والخبيث.
[5] ر م: يذكرهم.
[6] الآية التالية.
[7] سورة المؤمنون، ٧٨/٢٣.
[8] ن: بنعمته.
[9] ع – لا.
[10] تتمة الآية.
[11] ر ن م: الأحانين؛ ع: الحانين.
[12] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البرّ إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).
[13] ع: دعاهم.
[14] ن ع: أصاب بهم.
[15] ع: كقوله.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٩و /سطر ٢-٩.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٧٩]

وهو الذي ذرأكم في الأرض، أي جعلكم سكّان الأرض بقدرته وسلطانه وأخبر أنه لم يخلقكم عبثا ولكن للبعث بعد الموت والحشر إليه، لما ذكرنا في غير موضع أنّ[١] خلق الخلق للفناء خاصة لا للبعث والإحياء بعد الموت عبثٌ ولعِب. وأخبر عن قدرته وسلطانه حيث قال:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٨٠]

وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار، إن مَن قدر وملك على إحياء[٢] الموتى وإماتة الحي لقادر على البعث، ومن ملك على إنشاء الليل بعد ما ذهب أثر النهار وإنشاءِ النهار بعد ما ذهب أثر الليل لقادر على الإحياء والبعث بعد الموت. ثم قال: **أفلا**

[٥٠٩و] **تعقلون،** أي أفلا / تعقلون أنه كذلك، فكيف تنكرون قدرته على البعث والإحياء بعد ما صرتم رمادا[٣] وترابا، وكيف تشكرون غيره في عبادتكم إياه وتصرفون الشكر[٤] إلى غيره فيما أنعم عليكم؟*

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾[٨١] ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٨٢] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٨٣]

وقوله: **بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أإذا متنا وكنا ترابا،** يخبر جل وعلا رسوله[٦] سفه قومه وقولَهم الذي قالوا له بعد ما تبيّن[٧] لهم حكمته في خلقهم وإنشاءِ ما أنشأ لهم وذكّرهم نعمه التي أنعم عليهم وذكر قدرته وسلطانه فيما ذكر من قوله: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ، وقوله:[٨] وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ، وقوله:[٩] وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ.[١٠]

---

[١] ر ع م: وان..
[٢] ر م: عن إحياء.
[٣] ع: ماردا.
[٤] ع – الشكر.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٧٨ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٩و /سطر ٢–٩.
[٦] م + عن.
[٧] ن: بين.
[٨] ن: قوله.
[٩] ع – وقوله.
[١٠] سورة المؤمنون، ٢٣/٧٨–٨٠.

ذَكّرهم ما ذكر في هؤلاء الآيات من حكمته في خلقهم وقدرته في إنشاء ما أنشأ لهم، وعرّفهم ذلك حتى عرفوا ذلك كله.

ثم بين سفههم في جوابهم رسوله فقال: **بل قالوا مثل ما قال الأولون**، يخبر رسوله أن هؤلاء ليسوا بأول مكذبي الرسل ولكن كان لهم[١] شركاء وأصحاب في التكذيب، قلّد هؤلاء أولئك الأولين. يصبّر رسوله على سفه هؤلاء وأذاهم له[٢] ليصبر على ذلك كما صبر إخوانه الذين[٣] كانوا من قبل. أو[٤] يذكر هذا[٥] ليسلّي[٦] بعض ما تداخل فيه بتركهم إجابته وخَوْضِهم فيما فيه هلاكهم، لأنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاد أن يهلك[٧] نفسه لذلك حتى قال [تعالى:] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٨] و لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ.[٩]

ثم بين[١٠] ما قالوا: **أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون. لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين.** يقولون: قد وعِدَ[١١] آباؤنا بمثل ما وُعِدْنا نحن فلم ينزل بهم ما أُوعدوا من العذاب ولا ينزل أيضا بنا ما تعدنا وهو أساطير الأولين، أي أحاديث الأولين. ثم أمر رسوله أن يسألهم ما يُلزمهم الإقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٨٤] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٨٥]

قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، فقالوا: لله،[١٢] لم يجدوا بُدًّا من أن يقولوا:[١٣] لله[١٤] ويقروا به، لأنهم لو أنكروا ذلك جهلهم، ويَظهر جهلُهم عند كل الخلائق فقالوا: لله.[١٥]

---

[١] ع - لهم.
[٢] ر ع م - له.
[٣] ع: الذي.
[٤] ر ع م: إذ.
[٥] ن - هذا.
[٦] ر م: السبيل.
[٧] جميع النسخ: تهلك.
[٨] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٩] ﴿لعلك باخع نفسك ألّا يكونوا مؤمنين﴾ (الشعراء، ٣/٢٦).
[١٠] ر ع م: فبين.
[١١] ر ع م: وعدنا.
[١٢] م: الله.
[١٣] ر م: يقول.
[١٤] م: الله.
[١٥] م: الله.

فيقول: فإذا عرفتم أن ذلك كله له وهو خالقهم فكيف تركتم طاعته، وأنا لست أدعوكم إلا إلى ذلك أن تجعلوا الأرض وما فيها كله لله، أفلا تتعظون وتُقرون[1] بما أدعوكم إليه، وعلى ذلك قوله:

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٨٦] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٨٧]

من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله، لا بد لهم من أن يقرّوا بذلك. فإذ[2] عرفتم بذلك وأقررتم به، **أفلا تتقون**، مخالفته وتتقون نقمته. وكذلك ما قال:

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٨٨] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾[٨٩]

قل من بيده ملكوت كل شيء، فإذ[3] عرفتم ذلك وأقررتم به، **فأنى تُسْحَرُون**. قيل: فأنى تصرفون عن ذلك. وقال بعضهم: فأنى تُخْدَعون وتُغَرُّون في ذلك إذا عرفتم ذلك أنَّ كله لله. وجائز أن يكون قوله: **فأنى تسحرون**، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وتقولون: إنه ساحر وإنه[4] كذاب، وهو ليس يدعوكم إلا إلى ما أقررتم واعترفتم به فأنى تنسبونه إلى السحر؟ *والله أعلم*.

وقوله: **ملكوت كل شيء**، قد ذكرنا فيما تقدم. وقوله: **وهو يجير ولا يجار عليه**، أي هو يؤمّن كل خائف، ولا يقدر أحد أن يؤمّن مَن أخافه هو، وهو كقوله: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ،[5] الآية. قال أبو عَوْسَجة: قوله: **وهو يجير**،[6] أي يمنع. **ولا يجار عليه**، أي لا يقدر أحد أن يمنع منه أحدا. **فأنى تسحرون**، أي تُغَرُّون وتُخدعون، تقول: سُحِرتُ، أي خُدِعت وغُرِرت. وقال: **تُسحرون**، أي تخدعون وتصرفون عن هذا، وسميَ السحر من هذا.

---

[1] ع: ويقرون.

[2] ر م: فإذا.

[3] ر ع م: فإذا.

[4] ر ع م – وإنه.

[5] ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ (سورة الأنعام، ١٧/٦).

[6] ر م + ولا يجار عليه.

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٩٠]

وقوله:[١] **بل أتيناهم بالحق،** الحق[٢] قد ذكرنا[٣] أنه يحتمل وجوها. أحدها **بالحق**، أي بوحدانية الله وألوهيته وتعاليه عن الشركاء والولد وعما وصفوه. أو أن يكون قوله: **بالحق،** أي بالقرآن الذي عرفوه أنه حق وأنه من عند الله. أو أن يريد **بالحق** محمدا صلى الله عليه وسلم، عرفوا أنه حق وأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم. أو أن يكون الحق ما ذكر من ذكرهم وما فيه شرفهم ومنزلتهم. أو **بالحق**[٤] الذي يكون لله[٥] عليهم، وما لبعضهم على بعض من الحقوق. ***والله أعلم.***

وقوله: **وإنهم لكاذبون،** في وصفهم ربهم مما وصفوه بما لا يليق وصفه به. أو **كاذبون** بأن القرآن[٦] مفترى ومُخْلَق من عند غير[٧] الله. / أو كاذبون في قولهم بأنه ساحر وأنه مجنون [٥٠٩ظ]
وأنه ليس برسول، كَذَّبوا في جميع ما أنكروا. ***والله أعلم.***

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٩١] ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٩٢]

وقوله:[٨] **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق.** وجائز[٩] أن يكون كل حرف من هذه الحروف موصولا بعضه ببعض بما تقدم.[١٠] وجائز أن يكون كل حرف من هذه الأحرف منفصلا من الأول مستبدًا بذاته. فإن[١١] كان على الأول فيكون قوله: **ما اتخذ الله من ولد،** ولو كان اتخذ ولدا لكان إلها، إذ الولد يكون من جنس الوالد ومن جوهره، لا يكون من خلاف جوهره ولا من غير جنسه في المتعارف، فإذا كان إلها

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر م – الحق.
[٣] انظر: تفسير الآية ٧١ من هذه السورة.
[٤] ر م: وبالحق.
[٥] م – لله.
[٦] ر ع: بالقرآن؛ م: في القرآن.
[٧] ر ع م – غير.
[٨] ن: قوله.
[٩] ع: غير جائز.
[١٠] ر ع م: لما تقدم.
[١١] ن: وإن.

من الوجه الذي ذكرنا **لذهب** إذا **كل إله بما خلق**. وإن كان منفصلا فهو على ما ذكر من فساد ذلك كله، لأنه قال: ولو كان معه إله على ما[1] زعموا **إذًا لذهب كل إله بما خلق** من الخير والشر والدلالة على ألوهيته، **ولعلا بعضهم على بعض**، أي قهر وغلب بعضهم بعضا، على ما يكون من عادة ملوك الأرض؛ فإذا كان ما قالوا ذهب دلالة الألوهية والربوبية. فإذا لم يكن ذلك دل أنه واحد لا شريك معه ولا ولدَ، إذ اتساق التدبير وجري الأشياء على حدّ واحد وسَنَنٍ واحد دالٌّ[2] على ألوهيةٍ واحدٍ لا لِعدد،[3] إذ لو كان لِعدد لكان ما ذكر من غلبة بعض على بعض وقهرِ بعض لبعض، ثم ما ذكر: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا.[4]

ثم معلوم أن مثل هذا الاحتجاج لا يكون مع الذين ينكرون ألوهية الله ويعبدون الأصنام، وهم مشركو العرب وكفار مكة، ولكن إنما يكون مع الذين يقرون بألوهية الله[5] لكن يجعلون معه شريكا لحاجة تقع له. وهم[6] الثنوية والدهرية والمجوس وأولئك الذين يجعلون خالق الشر غير خالق الخير، وخالق هذا غير خالق هذا فيكون قوله: **سبحان الله عما يصفون** على هذا، أي يتعالى عما[7] وصفوه بالحاجة له في خلْق ما خلَق والنفع له في ذلك، وكذلك قوله: **فتعالى عما يشركون**. وأما على ظاهر ما تقدم ذكره من اتخاذ الولد والشريك، **سبحان الله عما يصفون** من الولد والشريك وما قالوا فيه ونسبوا إليه مما لا يليق به. أو أن يكون قوله: **سبحان الله عما يصفون**، كما يوصف المخلوق المحدث، لأنهم وصفوه بالولد. والولد في متعارف الخلق لا يكون إلا من الوالد والأم،[8] هذا التوالد المعروف فيما بين الخلق. فإذ وصفوه باتخاذ الولد شبّهوه بالمخلوق المحدث من الوجه الذي ذكرنا، فنزه نفسه عن ذلك.

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾[٩٣] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٩٤]

وقوله: **قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين**. وقوله:

---

[1] ع – ما.
[2] ر م: دل.
[3] ع: لعدد.
[4] سورة الأنبياء، ٢٢/٢١.
[5] ن: لله.
[6] ر: وهم.
[7] ع – عما.
[8] ع: والأمي

إما تريني ما يوعدون، يحتمل[1] وجهين. أحدهما رب إما تريني أو لا تريني[2] ما يوعدون فلا تجعلني في القوم الظالمين، لأنه كان وعد له أن يُريه بعض ما وعد لهم، بقوله: فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ،[3] فلا نُرِيك شيئا، فقال: رب إن أَرَيْتَنِي ما يوعدون أو لا تريني فلا تجعلني في القوم الظالمين.

والثاني إنك وإن أريتني ما تعدهم[4] على التحقيق فلا تجعلني في القوم الظالمين.

ثم يحتمل قوله: **فلا تجعلني في القوم الظالمين** وجهين. أحدهما لا تجعلني في القوم الظالمين في العذاب الذي وعدت لهم أن ينزل، لأنه من العدل أن يعذبه ويعامله معاملة أهل العدل، كأنه يقول: رب لا تعاملني معاملتك إياهم وإن كان ذلك من العدل أن تعاملني مثل ما تعامل أولئك، لأن رسول[5] الله وإن لم يكن [منه][6] زلاتٌ ظاهرة فلقد كان من الله إليه من النعم والإحسان ما لو أخذ بشكر ذلك لم يقدر على أداء شكرٍ واحدة منها، فضلا عن أن يؤدي شكر الكل. ألا ترى أنه روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يَدخل أحد الجنة إلا برحمة الله». فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: «ولا أنا، إلا أن يَتَغَمَّدَنِيَ الله برحمته».[7] و[الثاني] يحتمل قوله: **فلا تجعلني في القوم الظالمين**، في الزيغ والغواية. يسأل ربه أن يعصمه عن الزيغ والضلال[8] والغواية الذي عليه القوم الظالمون، وهو كدعاء إبراهيم ربه وسؤاله[9] العصمة عن الزيغ بقوله: رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[10] وإن كان وعد لهم العصمة عن ذلك. *والله أعلم*.

﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾[٩٥]

وقوله: **وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون**، هذا أيضا يحتمل وجهين. أحدهما يخبر رسوله أنه ليس لعجز يؤخر ما وعد لهم من العذاب ولكن لحلم منه وعفو، وهو كقوله عز وجل:

---

[1] ر م + على.
[2] ر ع م - أو لا تريني.
[3] ﴿فإما نُرِيَنَّك بعض الذي نَعِدهم أو نَتوفَّينَّك فإلينا يُرجعون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧٧).
[4] ر م: نعدهم.
[5] ن ع: رسل.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧ ٥ظ.
[7] صحيح *البخاري*، المرضى ١٩، الرقاق ٣٩؛ وصحيح *مسلم*، صفة القيامة ١٨.
[8] جميع النسخ: بالضلال.
[9] ر م: وسؤال.
[10] سورة إبراهيم، ١٤/٣٥.

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ،[1] على التنبيه والإيقاظ، فعلى ذلك يحتمل هذا. والثاني يُعزي رسول الله ويصبّره على أذاهم إياه. يقول: إني مع قدرتي على إنزال العذاب عليهم والانتقام منهم أَحْلُم عنهم[2] وأؤخر عنهم، فأنت مع ضعفك على[3] ذلك أولى أن تصبر على أذاهم. وعلى هذا يخرج قوله:

﴿اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[٩٦]

ادفع بالتي هي أحسن السيئة، أي لا تكافئهم لأذاهم إياك ولا تشتغل بهم بمجازاة ذلك، ولكن ادفع ذلك[4] بأحسن ذلك،[5] وَكِلْ مكافأتهم إليّ حتى أكافئهم. **ونحن أعلم بما يصفون** من الكذب والأذى الذي يؤذونك. والثاني **ادفع بالتي هي أحسن السيئة**، أي ادفع / سيئاتهم [٥١٠و] المتقدمة بإحسان يكون منك إليهم ليكونوا لك أولياء وإخوانا في حادث[6] الأوقات، وهو كقوله: اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.[7]

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[٩٧] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[٩٨]

وقوله: **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون**، وقال[8] في آية أخرى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ،[9] علّم رسوله وأمره أن يتعوذ به من الشيطان الرجيم اللعين إذا نزغه، ونَزْغُه وسوسته. وأمره أيضا أن يتعوذ من هَمْزه أيضا وهو همه وقصده بذلك. وأمره أن يتعوذ بحضورهم[10] مكان الوسوسة حتى يدفع عنهم ولا يحضرون ذلك المكان. وكان التعوذ عن نزغهم ليدفع عنه[11] لئلا يؤثّروا في نفسه

---

[1] ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تَشْخَص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).
[2] ر ع م: منه؛ ن: منهم.
[3] ر م: عن.
[4] ر ع م - ولكن ادفع ذلك.
[5] وعبارة الشرح: «ولكن ادفع بالتي هي أحسن» (ورقة ٥١٨و).
[6] ع: في أحاديث.
[7] ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت، ٣٤/٤١).
[8] ع: قال.
[9] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧.
[10] أي بسبب حضورهم.
[11] أي وكان رسول الله قد تعوذ من نزغ الشياطين ليدفع الله عنه ذلك.

بعد ما حضروه ووسوسوه.[١] والتعوذ عن همزهم هو أن يدفع عنهم طعنهم ونَخْسهم لئلا يَشغلوه بالذي قصدوه، به والتعوذ عن حضورهم مكان الوسوسة. قال الحسن: همز الشيطان المُوتة، والموتة[٢] غَشَيان القلب.[٣] روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من الشيطان الرجيم، من[٤] هَمْزه ونَفْخه ونَفْثه.[٥] وقال بعضهم: همزاته ونزعاته واحد. وقال القُتَبي: همزات الشياطين نَخْسها[٦] وطعنها، ومنه قيل: للعائب هُمَزَة كأنه يطعن ويعيب.[٧] قال أبو عَوْسَجة: همزات الشياطين وساوسهم، يقال: همَز يَهمِز هَمزا، أي وسوس. ومن وجه آخر همَز يهمِز همزا، أي عاب يعيب. ومنه قوله: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ.[٨]

ثم في قوله: **رب أعوذ بك من همزات الشياطين**، إلى آخر ما ذكر وجهان على المعتزلة. أحدهما أنه أمر رسوله أن يتعوذ به مما ذكر. فدل أن عنده لطفا لم يعطِه ما لو أعطاه الله لدفع به ما ذَكَر، وأنه مالك لذلك، إذ لو كان غير مالك لذلك يخرج السؤال به مخرج الهُزْء به، إذ من طلب مِن آخَر شيئا يعلم أنه ليس عنده ذلك خرج ذلك الطلب منه[٩] مخرج الهزء به، فعلى ذلك هذا.

والثاني أن كل مأمور[١٠] بالتعوذ جعل الله له الإعاذة عما يتعوذ عنه. فالوجهان جميعا ينقضان على المعتزلة في قولهم: إن الله قد أعطى كلا الأصلح في الدين وأعطى كلا العصمة عن كل زيغ وضلال.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[٩٩]

وقوله: **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون**، ظاهر هذا أن يكون قوله: **رب ارجعون**، بعد الموت وبعد ما عاين أهوال الآخرة وأفزاعها، لأن الموت ليس هو شيء

---

[١] ر: وسوسته.
[٢] ر - والموتة.
[٣] المُوتةُ: جنس من الجنون والصَّرَع يعتري الإنسانَ، فإذا أفاق عاد إليه عقله كالنائم والسكران. والمُوتة: الغَشْي. والمُؤتةُ: الجنون لأنه يَحْدث عنه سكوت كالموت (*لسان العرب*، «موت»).
[٤] جميع النسخ: قال في؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٤و.
[٥] انظر: سنن *ابن ماجة*، الإقامة ٢؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ١٢٣-١٢٤؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ٦٧.
[٦] ن - نخسها.
[٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٠.
[٨] سورة الهمزة، ١٠٤/١.
[٩] رع م - منه.
[١٠] ع: مأمو.

يأتي من مكان إلى مكان، إنما هو شيء يذهب بالحياة التي فيهم. إلا أن أهل التأويل قالوا: إن ذلك عند معاينتهم ملَك الموت وعند هجومه عليهم بأهواله، فعند ذلك يسألون الرَّجْعة إلى الدنيا. والأول أشبه وأقرب.

ثم قوله: **حتى إذا جاء أحدهم الموت**، ليس هو صلة قوله: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ،[1] ولا جوابَه، لأنه ليس من نوعه ولا من جنس ذلك، ولكنه -والله أعلم- صلة قوله: بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ،[2] وجواب قوله: وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ،[3] ونحوه الذي تقدم ذكره. يقول:[4] وإنهم على ذلك **حتى إذا جاء أحدهم الموت**، فعند ذلك يرجع إلى الحق والتصديق لكن ذلك لا ينفعه في ذلك الوقت.

قال رب ارجعونِ و لم يقل: رب ارجعني، وذلك يخرج على وجهين. أحدهما سأل على ما يُسأل الملوك ويُخاطَبون: افعلوا كذا، على الجماعة وإنْ كان إنما يخاطِب واحدا، على ما خرج جواب الله وقوله: إنا فعلنا كذا ونفعل كذا.

والثاني أن يكون قوله: **رب ارجعون** يسأل ربه أن يأمر الملائكة الذين يتولون قبض أرواحهم أن يرجعوه إلى ما ذَكَر. ***والله أعلم.***

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١٠٠]

وقوله: **لعلي أعمل صالحا فيما تركت**، قال بعضهم: **فيما تركت**، أي فيما كذّبت. وقال بعضهم: **فيما تركت** في الدنيا من الأعمال الصالحة فأعمل بها. وجائز أن يكون قوله: **فيما تركت** من الأموال فأؤدي منه حقك؛ لأن من الكفرة من كان[5] سبب كفرهم منع الزكاة وجحودَها،[6] كقوله: وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ.[7] فيسأل ربه أن يَرجع إلى المال الذي تركه ليؤدي الحق الذي كان فيه فمنعه،

---

[1] الآيتان السابقتان.
[2] سورة المؤمنون، ٢٣/٩٠.
[3] سورة المؤمنون، ٢٣/٧٠.
[4] ر م: تقول.
[5] جميع النسخ: ما كان.
[6] جميع النسخ: وجحوده.
[7] سورة فصلت، ٤١/٦-٧.

كقوله: فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ.[١] وقوله: فَأَصَّدَّقَ، أي فأتصدّق بالصدقة التي منعتُها، لأن الخطاب في الصدقة بقوله: وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ، الآية، وهذا أشبه. *والله أعلم*.

وقوله: **كلا**، هو رد لما سألوا من الرَّجْعة. وقوله:[٢] **إنها كلمة هو قائلها**. قال بعضهم: قوله: **إنها كلمة**، هو قول الله: وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا،[٣] الآية. **هو**[٤] **قائلها**، أي الله قائلها، أي قالها بأنه لا يؤخِّر نفسا جاء أجلها. وقال بعضهم: **إنها كلمة هو قائلها**،[٥] يعني الكافر عند معاينة العذاب وهو قوله: **ارجعونِ لعلي أعمل صالحا فيما تركت**. ثم قوله: **كلا**، على هذا يحتمل وجهين. أحدهما أنه لا حقيقة لسؤاله الذي يسأله من الرجعة ليعمل[٦] العمل صالح، أي إنه وإنْ رُدّ ورجَع لا يعمل، كقوله تعالى: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.[٧] والثاني أن لا منفعة لهم في سؤالهم الرجعة، إذ لو رُجعوا / لا يصلون إلى ما يأمُلون، لأنهم إنما يسألون [٥١٠ظ] ليؤمنوا، والإيمان سبيله الاستدلال، فإذا لم يستدلوا به وقت أمنهم وفُسْحتهم فكيف يقدرون على الاستدلال في وقت خوفهم. *والله أعلم*.

وقوله: **ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يُبعثون**، قال بعضهم: **ورائهم**، أي أمامهم. قال أبو معاذ: [إنه] مشتقة[٨] من "تواريت عنك". فكل ما توارى عنك -أمامك كان أو خلفك- فهو وراءك. وقال بعضهم: **من ورائهم** على حقيقة الوراء. **برزخٌ إلى يوم يبعثون**، قال بعضهم: البرزخ هو ما بين النفختين.[٩] وقال بعضهم: البرزخ هو الأجل بين الموت والبعث، وهو قول الكلبي وقتادة.[١٠] وقال مجاهد: البرزخ هو حاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا.[١١]

---

[١] ﴿وأنفِقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدَكم الموتُ فيقولَ رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصَّدَّق وأكنْ من الصالحين﴾ (سورة المنافقون، ١٠/٦٣).

[٢] ن: قوله.

[٣] ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ (سورة المنافقون، ١١/٦٣).

[٤] ر م – هو.

[٥] ر ع م – أي الله قائلها أي قالها بأنه لا يؤخر نفسا جاء أجلها وقال بعضهم إنها كلمة هو قائلها.

[٦] ع: يعمل.

[٧] ﴿بل بدا لهم ما كانوا يُخفُون مِن قبلُ ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ (سورة الأنعام، ٢٨/٦).

[٨] جميع النسخ: ومشتقة.

[٩] ر م: نفختين.

[١٠] *تفسير الطبري*، ٥٣/١٨.

[١١] *تفسير القرطبي*، ١٥٠/١٢.

وقال القُتَبي وأبو عُبيدة: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة، وقالا: كل شيء بين شيئين فهو برزخ.[1] وقال أبو عَوْسَجة: البرزخ ما بين الحدّين: يعني الدنيا والآخرة؛ وقال: البرزخ[2] الأرض المستوية. وأصل البرزخ الحاجز، ومنه[3] قوله: وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا،[4] أي حاجزا. وتأويله:[5] أي صاروا إلى الوقت الذي يَحجُزهم عما يتمنَّون ويشتهون وهو كقوله: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ،[6] وإنما يشتهون ويتمنَّون الإيمان والأعمال الصالحة. وجائز أن يكون قوله: **ومن ورائهم برزخ**، أي من وراء[7] أحوالهم الممكنةِ الإيمانِ فيها[8] أحوالٌ لا يمكن فيها الإيمانُ وما تمنَّوا من العمل الصالح. ***والله أعلم***.

وفيه نقض قول الباطنية، لأنهم يقولون: البعث هو أن يجعل للمؤمن من الأعمال الصالحة صورة روحانيةٌ تَبْقَى أبدا تُثاب[9] تلك الصورة الروحانيةُ، ومن الأعمال[10] القبيحة السيئة للكافر صورة قبيحةٌ روحانية هي تعاقَب وتعذَّب أبدا، فذلك البعث عندهم. فأخبر عز وجل أنّ بين موتهم وبين البعث برزخٌ[11] وهو[12] الأجل الذي ذكرنا أو الحاجز. فدل ذلك على نقض قولهم أن ليس البعث إلا خروج الصورة الروحانية.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[١٠١]

وقوله: **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**، إن كان[13] قوله: **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**، في الناس كلهم فذلك في اختلاف المواطن على ما قاله ابن عباس وغيره من أهل التأويل واختلافِ الأوقات؛ لا يتساءلون في موطن أو في وقت،

---

[1] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٠.
[2] ر ع م – وقال البرزخ.
[3] ر: منه.
[4] ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عَذْب فُراتٌ وهذا مِلح أُجاج وجعل بينهما برزخا وحِجْرا محجورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٥٣).
[5] ع: أو تأويله. أي تأويل قوله تعالى: ﴿ومن وراءهم برزخ﴾.
[6] ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِل بأشياعهم من قبلُ إنهم كانوا في شك مريب﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٥٤).
[7] ر م: من ورائهم.
[8] جميع النسخ: فيه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٨ظ.
[9] جميع النسخ: يثاب.
[10] ر م: من الأعمال.
[11] ر م: البرزخ.
[12] ع: هو.
[13] ع – كان.

ويتساءلون في وقت آخر وفي موطن آخر.[١] ألا ترى[٢] أنه قال: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ،[٣] ونحوه. وإن كانت[٤] الآية في الكفرة خاصةً فهو يخرج على وجهين. أحدهما **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**، لأنه كان يتناصر بعضهم ببعض على غيرهم ويستعين بعضهم بعضا ويكونون رِدْءًا لهم في هذه الدنيا وشفعاء وأعوانا وأنصارا، فأخبر أن ذلك ينقطع بينهم، ويذهب ذلك التناصر عنهم في الآخرة. والعرب خاصةً كانت[٥] يتفاخر بعضهم على بعض بالأنساب ويتناصر، فأخبر أن ذلك منقطع عنهم في الآخرة.

والثاني **فلا أنساب بينهم** وما ذكر، **يومئذ** لشغلهم[٦] بأنفسهم لفزع ذلك اليوم وأهواله، يَنْسَى بعضهم[٧] بعضا ويَهْرَب منه، كقوله: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ،[٨] الآية، وقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[٩] الآية، وقال في آية أخرى: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى،[١٠] الآية. فذلك كله لشدة أهوال ذلك اليوم وأفزاعه. كان لكل في نفسه شغل[١١] حتى لا يتفرغ إلى أحد وإن قرب منه[١٢] لشغلهم بأنفسهم.[١٣] وإن كان في الناس جميعا[١٤] فهو ما ذكرنا أن ذلك يكون في اختلاف المواطن والأوقات؛ يسألون في وقت ولا يسألون في وقت، ويسألون في موطن ولا يسألون في موضع، أو يسألون عن شيء ولا يسألون عن آخر.

---

[١] ر ع م – وفي موطن آخر.
[٢] ن: يرى.
[٣] سورة الصافات، ٢٧/٣٧.
[٤] ر: كان.
[٥] جميع النسخ: كان؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٨ظ.
[٦] ع: يشغلهم.
[٧] ن م: بعض.
[٨] ﴿مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ (سورة إبراهيم، ٤٣/١٤).
[٩] ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (سورة عبس، ٨٠/ ٣٤-٣٧).
[١٠] ﴿يوم ترونها تَذْهَل كل مُرضعة عما أرضعت وتضع كل ذاتِ حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢/٢٢).
[١١] جميع النسخ: شغلا.
[١٢] ر ع: عنه.
[١٣] م – لفزع ذلك اليوم وأهواله ينسى بعضهم بعضا ويهرب منه كقوله مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم الآية وقوله يوم يفر المرء من أخيه الآية وقال في آية أخرى وترى الناس سكارى الآية فذلك كله لشدة أهوال ذلك اليوم وأفزاعه كان لكل في نفسه شغل حتى لا يتفرغ إلى أحد وإن قرب عنه لشغلهم بأنفسهم.
[١٤] أي في المسلم والكافر جميعا.

وروي في[1] الخبر[2] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل نسب كان فهو منقطع إلا نسبي»، أو كلام نحو هذا.[3] ثم يحتمل قوله: «إلا نسبي» وجهين. أحدهما الشفاعة له في أنسابه، لا يكون ذلك لغيره في نسبه، فإذا أراد هذا فهو على حقيقة نسبه. والثاني أراد بقوله: إلا نسبي المتعيّن[4] له في دينه، لأن كل من اتبعه فقد انتسب إليه فكأنه قال: إن كل شفاعةٍ دوني فهو منقطع إلا شفاعتي، لمن[5] اتبعني وانتسب إليّ[6] بقبوله ديني.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٠٢] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[١٠٣]

وقوله: **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه**، جائز أن يكون قوله: **فمن ثقلت موازينه**، أي من عظُم قدره ومنزلته عند الله بالأعمال التي عملها[7] من الصالحات والحسنات فهو من المفلحين. **ومن خفت** منزلته وقدره عند الله[8] بأعماله[9] الخبيثة السيئة فهو من الذين خسروا أنفسهم. ***والله أعلم***. وقد ذكرنا أقاويل أهل التأويل في الموازين[10] فيما تقدم.[11]

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾[١٠٤]

وقوله: **تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون**، قال بعضهم: لفحتهم النار لَفْحَةً فلم تَدَع لحما على عَظْم إلا ألقته. **وهم فيها كالحون**، قال[12] بعضهم: عابسون، وقال بعضهم:

---

[1] ر ع – في.

[2] ن – في الخبر.

[3] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٢٣/٤؛ و*المستدرك* للحاكم، ١٤٢/٣؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٦٤/٧. قال الناشرون لكتاب مسند *أحمد بن حنبل* في هذا الحديث: حديث صحيح دون قوله «وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري» فهو حسن بشواهده. الخ. (مسند *أحمد بن حنبل*، نشر مؤسسة الرسالة، ٢٠٧/٣١-٢٠٩).

[4] ر ع م: المعين.

[5] ر م: فمن.

[6] ع– إلي.

[7] جميع النسخ: عملوها.

[8] ع + بالأعمال التي عملوها من الصالحات والحسنات فهو من المفلحين ومن خفت منزلته وقدره عند الله.

[9] ع: بأعمال.

[10] ر م: الموازن.

[11] انظر تفسير الآيتين من سورة الأعراف، ٨/٧-٩.

[12] ع: وقال.

تلفَح، أي تَنفُخ، وقال بعضهم: **تلفح** تَشوي وتُحرق؛ وذلك عادة النار، إنها تعمل كل هذا العمل. وقال أبو عَوْسَجة: **تلفح**، أي تضرب، واللفح الضرب، يقال: لفحتْه النار، أي ضربته فأحرقت وجهَه، تلفَح لَفْحا، فهي لافحة. والكالح العابس.

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[١٠٥]

وقوله: **ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون**،[١] كذلك كانوا يكذّبون.[٢] وقد ذكرنا في غير موضع.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾[١٠٦]

وقوله: **قالوا ربنا غلبت علينا شِقوتنا**،[٣] أما ما قال أهل التأويل: **غلبت علينا**، أي ما كُتبت علينا[٤] من الشقاوة فإنه لا يحتمل،[٥] لأنهم يقولون ذلك القول اعتذرا لِما كان منهم من التفريط في أمره والتضييع، فلا يحتمل أن يطلبوا لأنفسهم عذرا فيما كان منهم، إذ لو كان ما ذكر أولئك لكان في ذلك طلب العذر / لأنفسهم وهم في ذلك الوقت لا يطلبون عذرا لأنفسهم [٥١١و] ولكن يقرّون بما كان منهم، كقوله: فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ.[٦] لكن يحتمل وجهين. أحدهما يقولون: ربنا شَقِينا بأعمالنا التي عملناها وظلمنا أنفسنا[٧] وكنا قوما ضالين. والثاني عملنا أعمالا استوجبنا بتلك[٨] الأعمال جزاء، فنحن أولى بذلك الجزاء فغلب علينا جزاء تلك الأعمال، أو كلام نحو هذا. وأما ما قاله أولئك من أهل التأويل: **غلبت**، أي كتبت، فهو بعيد، لأنه إنما يكتب ما يفعل[٩] العبد وما يَعلم أنه يختاره،[١٠] لا يُكتب غير الذي عَلم أنه يفعل ويختار.[١١] ***والله أعلم***.

---

[١] ع + آياته.
[٢] ع- كذلك كانوا يكذبون.
[٣] جميع النسخ + قال.
[٤] ر ع م - أي ما كتبت علينا.
[٥] ع + لأنهم يقولون ذلك كانوا يكذبون آياته كان منهم من التفريط في أمره والتضييع فلا يحتمل.
[٦] ﴿فاعترفوا بذنبهم فَسُحْقًا لأصحاب السعير﴾ (سورة الملك، ٦٧/١١).
[٧] ع: أنفسهم.
[٨] جميع النسخ: بذلك.
[٩] ر: يكتب ما بالفعل.
[١٠] ع: يختار.
[١١] ر م: ويختاره.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾[١٠٧]

وقوله: **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون**، قوله: **فإنا ظالمون**، ظُلم عِيانٍ وظلم ظاهر، وإلا قد كانوا أقروا بالظلم بقولهم:[١] فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ،[٢] وقوله: وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ،[٣] قد أقروا بالظلم لكنهم أقروا بظلمٍ[٤] خبرٍ وظلم سماع لا ظلم عيان فقالوا: **أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون**، ظلم عيانٍ. *والله أعلم*.

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[١٠٨]

وقوله: **قال اخسئوا فيها ولا تكلمون**، قال بعضهم: قوله: **اخسئوا**، أي اسكتوا، وقال بعضهم: **اخسئوا**، أي ابْعُدوا فيها. قال أبو عَوْسَجة: يقال: خَسَأْتُ فلانا وأخسَأته، أي باعدته فَخَسِئَ،[٥] أي تباعد.

وقوله: **ولا تكلمونِ**، يحتمل الوجهين. أحدهما جائز أن يكون هذا السؤال منهم في أول ما أُدخلوا فيها[٦] فقال لهم: **اخسئوا فيها ولا تكلمونِ**، فإنكم ماكثون. أو أن يكون هذا السؤال منهم بعد ما سألوا المالك[٧] الموتَ مرة، بقوله: وَنَادَوْا يَا مَالِكُ،[٨] الآية، وسألوا مرة تخفيف العذاب، بقوله: ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ،[٩] فلما أيسوا منه فعند ذلك يسألون ربهم إخراجهم منها والإعادة[١٠] إلى المحنة فقال: **اخسئوا فيها**، أي ابْعُدوا فيها، **ولا تكلمونِ**، أي تصيرون بحال لا يقدرون على الكلام لشدة العذاب فعند ذلك يكون منهم الشهيق والزفير.[١١]

---

[١] ع: يقول هم.
[٢] سبق قريبا.
[٣] الآية السابقة.
[٤] ن: بالظلم.
[٥] جميع النسخ: فخسأ.
[٦] ر ع م - فيها.
[٧] ر ع م: الملك.
[٨] ﴿ونادوا يا مالك لِيَقْضِ علينا ربُّك قال إنكم ماكثون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٧٧).
[٩] سورة المؤمن، ٤٠/٤٩.
[١٠] ر م + منها.
[١١] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأما الذين شَقُوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾ (سورة هود، ١١/١٠٦).

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[١٠٩]
﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[١١٠]

وقوله: **إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون**. يخبر عز وجل أولئك الكفرة الذين يسألون الإخراج من النار: إنكم قد اتخذتم فريقا من عبادي آمنوا بي[1] سخريا وكنتم منهم تضحكون، يذكر هذا لهم -والله أعلم- ليكون ذلك حسرة عليهم[2] ونكاية.

وقوله: **سخريا**،[3] اختلف في قراءته وتأويله. قرأ بعضهم **سِخْرِيًا** بكسر السين، وقرأ بعضهم برفعه. قال أبو معاذ: من قرأ برفع السين فهو من العبودة[4] والخَوَلة،[5] أي اتخذتموهم خَوَلا وعبيدا. ومن قرأ بكسر السين فهو من الاستهزاء والهُزْء.[6] وقال الكسائي بالرفع والكسر جميعا من الاستهزاء، ولا يقال في العبودة إلا[7] برفع السين. وقال بعضهم:[8] هما سواء.[9]

*قال القُتَبي: سِخريا بكسر السين، أي تَسْخَرون[10] منهم. وسُخريا بضمها، أي تَسْخَرونهم[11] [٥١١ظ س٩
من السُّخرية.[12] وقوله:[13] **حتى أنسوكم ذكري**، أي شغلكم أمرهم عن ذكري.[14] والوجه فيه
ما ذكرنا فيما تقدم.* ٥١١ظ س١٠]

---

[1] ر - بي.
[2] ر م - عليهم.
[3] ر - سخريا.
[4] ع + العبودة.
[5] م: والخولة. خَوَلُ الرجل: حَشَمُه، الواحد خائل، وقد يكون الخول واحدًا وهو اسم يقع على العبد والأمة؛ والخَوَل: العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية، الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء (*لسان العرب*، «خول»).
[6] ر م: الهمز.
[7] ر م: لا.
[8] ر - بعضهم.
[9] انظر حول الآراء: *تفسير القرطبي*، ١٢/١٥٤. قال في اللسان: وقيل: السُّخريُّ، بالضم، من التسخير والسِّخري، بالكسر، من الهُزْء (*لسان العرب*، «سخر»).
[10] جميع النسخ: يسخرون.
[11] جميع النسخ: يتسخرونهم.
[12] ر ع م + عبثا.
[13] ر ع م: قوله.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٩٦.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥١١ظ /سطر ٩-١٠.

وقوله: **حتى أنسوكم ذكري**، قال[1] بعضهم: حتى أنساكم الهزء بهم عن العمل بطاعتي. وقيل: أضاف الإنساء إلى الذكر لأنهم كانوا بذكرهم[2] ودعاءهم[3] إلى ذكر الله يهزءون بهم فأضاف إليه لذلك،[4] فكان كإضافة الرجس إلى السورة، لأن ذلك إنما يزداد لهم عند تلاوة السورة فأضيف ذلك إلى السورة، وإلا كانت السورة لا تزيد رجسا.[5] فعلى ذلك أضاف[6] الإنساء إلى ذكره لما عند ذكره ودعائهم إليه يحملهم إلى ذلك -والله أعلم- فأضيف إليه.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[١١١]

وقوله: **إني جزيتهم اليوم بما صبروا**، أي إني جزيتهم اليوم الفوز بما صبروا في الدنيا على أذى أولئك الكفرة أو على أداء ما أمروا به ونُهوا عنه. أو أن يكون ذلك كقوله: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[7] ونصره إياهم هو أن صارت لهم العاقبة.[8] ***والله أعلم***.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[١١٢] ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾[١١٣]

وقوله: **قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم**، اختلف فيه، قال مقاتل بن سليمان: في القبور. وقال[9] أبو معاذ: قد[10] أخطأ مقاتل وذلك قول من ينكر عذاب القبر وهو قول الجهمية، لأن من كان في عذاب وشدة لا يقتصر المُقام فيه كلَّ هذا الاقتصار حتى يقول: لبثتُ يوما أو بعض يوم، بل يزداد له مُقام يوم في العذاب على سنة وأكثر،

---

[1] ع: وقال.
[2] ع: يذكرهم.
[3] م: ودعاهم.
[4] ر م: ذلك.
[5] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).
[6] ع - أضاف.
[7] ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٥١).
[8] جميع النسخ: عاقبة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٩و.
[9] ن: قال.
[10] ر م - قد.

فقال: إلا أن يكون عَنَى ما بين النفختين حتى يؤذن للأرواح[١] فترقُد، فإذا بُعثوا استقلُّوا رَقدة ذلك المقدار بما كانوا قاسَوا قبل الرقدة من العذاب في القبور، إلى هذا يذهب بعض أهل التأويل.[٢]

وجائز عندنا ما قال مقاتل ومحمد بن إسحاق بأن ذلك يكون في القبر،[٣] وذلك لا يدل على نفي عذاب القبر، لأنهم لا يعذبون في القبور بالعذاب الذي يعذبون في الآخرة، فجائز أن يستقلّوا عذاب القبر بعذاب الآخرة ويستقصرون ذلك الوقت بعذاب الآخرة لشدته وأهواله. وذلك جائز في متعارَف الخلق أن يكون[٤] الرجل في بلاء وشدة ثم يزداد له البلاء والشدة فيستقلّ ذلك البلاءَ الذي كان به لشدة ما حل به؛ فعلى ذلك هم، جائز أن يكونوا في عذاب في قبورهم لكنهم إذا عاينوا عذاب[٥] الآخرة استقلّوا / عذاب القبر واستقصروه لشدة عذب الآخرة. أو أن [٥١١ظ] يكون عذاب القبر على النفس الروحاني الدرّاك الذي يخرج[٦] في حال النوم ليس على روح الحياة، نحو[٧] النائم يرى نفسه في بلاء وعذاب في نومه ويكون في أفزاع وكانت نفسه ملقاة في مكان لا علم لها بذلك ولا خبر، وبها آثار الأحياء. فجائز أن يكون عذاب القبر على هذا السبيل على الروح الذي به يدرك الأشياء، لا على روح الحياة الذي به يحيا. وقال قائلون: ذلك في الدنيا، استقلوا حياة الدنيا بحياة[٨] الآخرة، وهو كقوله: فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ.[٩] ألا ترى أنه قال: **فاسأل العادّين**، هذا يدل على أن حمل الآية على الحياة[١٠] الدنيا أشبه حيث أمر أن يسأل الذين يعدّون، وذلك إنما يكون في الدنيا لا في الآخرة. ثم اختلف في العادّين. قال بعضهم: هم الملائكة الذين يكتبون أعمالهم في هذه الدنيا ويرقبونهم.[١١] وقال بعضهم: هم ملك الموت وأعوانه.

---

[١] ر: الأرواح؛ ع م: لأرواح.

[٢] يقول القرطبي في تفسيره (١٥٥/١٢): أنساهم شدة العذاب مدة مكثهم في القبور. وقيل: لأن العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم. قال ابن عباس: أنساهم ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الأولى إلى الثانية. وقيل: استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور ورأوه يسيرا بالنسبة إلى ما هم بصدده.

[٣] م: القبور.

[٤] ع + إلا.

[٥] ع: العذاب.

[٦] أي يظهر ويعمل.

[٧] ر م – نحو.

[٨] ر ع م: الحياة.

[٩] سورة التوبة، ٣٨/٩.

[١٠] جميع النسخ: أن ذلك في الحياة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٩ظ.

[١١] جميع النسخ: ويرقبوهم.

﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١١٤]

وقوله: **قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون**، أي ما لبثتم إلا قليلا لو كنتم تعلمون ولكن لا تعلمون.*

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١١٥]

وقوله: **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا**، قوله: **أفحسبتم**، يحتمل وجهين. أحدهما **أفحسبتم**، أقد[٢] حسبتم أنما خلقناكم عبثا. والثاني **أفحسبتم**، أي لا تَحْسَبوا أنا إنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون، صيّر خَلْقَه الخلقَ لا للرجوع إليه[٣] والبعث عبثا لوجهين. أحدهما لأن خلْقَه إياهم، لا لعاقبة تُتأمَل أو لِمنافعَ تُقصَد،[٤] للهلاك خاصةً وللفناء عبثٌ، كبِنَاء الباني لا لمنفعة تقصد[٥] به ولكن للنقض يكون عبثا في الشاهد. وهو ما قال في آية أخرى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا،[٦] سفّهها في غزلها للنقض خاصة لا لمنفعة قصدَتْ به، ونهانا أن نفعل مثل فعلها. فلو لم يكن المقصود من خلق الخلق إلا الموت والفناء خاصة لا لعاقبة تُقصد كان سفها وعبثا.

والثاني ما أخبر أنه إنما أنشأ هذا العالم غيرَ البشر لهذا البشر وله سخر ذلك كله، حيث قال: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ،[٧] إذ ليس لغير البشر منفعة بهذه النعم التي أنشأها لهم من نحو الجن والملائكة ونحوهم، إذ لهم قِوَام بدون ذلك من الشمس والقمر ونحوه من النعم، إنما ذلك للبشر خاصة. فإذا كان كذلك لا يحتمل أن يجعل لهم كل هذه النعم التي ذكرها وأنشأها لهم ثم لا يمتحنهم بالشكر على ذلك ولا يأمرهم بأوامر ولا ينهاهم بمناهي. فدل ما أنشأ لهم من النعم وسخر لهم من الأشياء أنهم يُبعثون ويُرجعون إليه حتى يُجزَون جميعا، المحسنُ جزاءَ الإحسان، والمسيءُ[٨] جزاءَ الإساءة، إذ في العقول التفرقة بين الولي والعدو،

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١١٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥١١ظ/سطر ٩-١٠.
[٢] ع ن: أي قد.
[٣] ر م – إليه.
[٤] ن + يكون.
[٥] ر م ع: يقصد.
[٦] سورة النحل، ١٦/ ٩٢.
[٧] سورة الجاثية، ٤٥/ ١٣.
[٨] ر م – جزاء الإحسان والمسيئ.

وبين المحسن والمسيء، وبين الشاكر والكافر.[١] ثم رأيناهم جميعا في هذه الدنيا عاشوا على سواء[٢] في الضِيق والسَّعَة، لم نر[٣] ما يفصِل بين الولي والعدو، وبين المحسن والمسيء، وبين الشاكر والكافر. فدل ما لم نر[٤] من التفرقة بين[٥] ما ذكرنا في هذه الدنيا على أن هنالك دارا أخرى دارَ الجزاء، هنالك[٦] يُفصَل بين من[٧] ذكرنا في الجزاء. **والله الموفق.**

لا تُرْجَعون، قيل: لا تبعثون، وقيل: لا ترجعون إليه بالأعمال التي عملتموها، كقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ،[٨] وقوله: فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ.[٩]

﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[١١٦]

وقوله: **فتعالى الله الملك الحق**، أي يتعالى الله عن أن يكون خَلْق الخلق منه عبثا. أو يتعالى أن يكون خلَق الخلق لا لحكمة. **الملك الحق**، قال الحسن: **الحق** اسم من أسماء الله. أو **الملك الحق** هو[١٠] الذي خلق الخلق للحكمة.

لا إله إلا هو تنزيه وتبرئة عن جميع ما قالوا فيه.

وقوله:[١١] **ربُّ العرش الكريم**، يشبه أن يكون على الأول يتعالى الملك الحق ورب العرش[١٢] الكريم عن أن يخلقهم لا للحكمة أو للعبث.[١٣]

وقالت[١٤] الباطنية: **العرش** القيامة. ونحن نقول:[١٥] يشبه أن يكون العرش القيامة على ما قالوا هم،

---

[١] ر + فدل ما لم تر.
[٢] ع: على السواء.
[٣] ن: تر.
[٤] ن: تر.
[٥] ر م - بين.
[٦] ر ع م: هناك.
[٧] ر ع م: ما.
[٨] سورة الانشقاق، ٦/٨٤.
[٩] ﴿وقالوا قلوبنا في أكِنَّة مِمَّا تدعونا إليه وفي آذاننا وَقْرٌ ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين﴾ (سورة فصلت، ٤١/٥-٦).
[١٠] ر م - الحق هو؛ ع - هو.
[١١] ن: قوله.
[١٢] جميع النسخ: الملك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥١٩ظ.
[١٣] ر ع م: للبعث.
[١٤] ن: وقال.
[١٥] ر ع م - نقول.

إلا انهم يقولون: هو قائم الزمان، وقلنا نحن: هي القيامة المعروفة وهي الساعة؛ رب القيامة وهي المَلِك الذي ذكرنا، كقوله: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ،[1] وخص ذلك اليوم بالملك له -وإن كان الملك له في الدارين جميعا- لما لا ينازَع[2] في ملكه يومئذ، قد نوزِع[3] في الدنيا فَخَلَص له ملك ذلك اليوم وصفا له يومئذ. وقال بعض[4] أهل التأويل: **العرش** السرير، أضاف إلى نفسه لكرامته[5] ومنزلته عند الله. والكريم هو نعت ذلك السرير، أي الحسن، كقوله: وَمَقَامٍ كَرِيمٍ،[6] أي حسن، وهكذا يوصف كل كريم بالحسن. وقال بعضهم: الكريم[7] هو نعت الرب، أي ذو عفو وصفح. *والله أعلم.*

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[١١٧]

وقوله:[8] **ومن يدع مع الله إلها آخر**، ظاهر هذا يومئ[9] أن هنالك إلها آخر. لأنه قال: ومن يدع مع الله إلها آخر،[10] لكنه يخرج على وجهين. أحدهما [هو كقوله:] لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ،[11] [و]كقوله: وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ.[12] والثاني **ومن يدع مع الله إلها آخر**،[13] أي من يسمِّ مع الله إلها آخر، إذ كانوا يسمُّون الأصنام التي كانوا يعبدونها آلهة. على هذين الوجهين يخرج تأويل الآية.

وقوله: **لا برهان له به**، أي لا حجة لهم بذلك، لأن الحجة إنما تكون[14] بوجوه ثلاثة.

---

[1] ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/١٦).
[2] ر م: يتنازع.
[3] ن: توزع.
[4] ر: بعضهم.
[5] ر ع م - لكرامته.
[6] ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٥٧-٥٨).
[7] ر ع م - الكريم.
[8] ن: قوله.
[9] ر ع: يوحي.
[10] ن - إلها آخر لأنه قال ومن يدع مع الله إلها آخر؛ ن + كقوله ولا تجعلوا مع الله إلها آخر، صح هـ.
[11] ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٢٢).
[12] ر + وقوله. ﴿ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٥١).
[13] ر ع - لأنه قال ومن يدع مع الله إلها آخر لكنه يخرج على وجهين أحدهما لا تجعل مع الله إلها آخر كقوله ولا تجعلوا مع الله إلها آخر والثاني ومن يدع مع الله إلها آخر؛ م -، صح هـ.
[14] ر م: يكون.

إما بالأخبار التي يجوز الشهادة / على صدقها وصحتها، وإما العقول تشهد على ذلك، وإما[١] [٥١٢و]
من جهة الحس يدل على ذلك، فلم يكن لهم واحد من هذه الوجوه.

ثم الحس يكون به الدلالة[٢] من وجهين. أحدهما بوقوع الحس عليه بالبديهة، أو بآثار تدل[٣] على الألوهية. فلا[٤] كان في ظاهر وقوع الحس دلالةُ ذلك ولا كان بها[٥] آثار تدل على ذلك، بل فيها آثار العبودة والذُّل فضلا أن تكون[٦] لها آثار الألوهية.[٧] ولا عذر لهم في ذلك، لأن العبادة لآخر[٨] إنما يكون لوجوه: إما للنعم والآيادي [التي] تكون[٩] منه إليه فيعبده[١٠] شكرا لما أنعم عليه وأحسن إليه، وإما لحوائج[١١] يطمع قضاءها له من عنده، أو لما يرى له في نفسه من آثار العبودة له. فإذ لم يكن واحد من هذه الوجوه التي ذكرنا لا عذر لهم في عبادة تلك الأصنام. فإن قالوا: لنا برهان وحجة في ذلك، قيل: قَطَع حجاجَكم بما ذكر من قوله: إِنْ أَرَادَنِيَ اللّٰهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ،[١٢] الآية، وقوله: فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا،[١٣] ونحو ذلك من الآيات، فيها قَطْع حجاجهم. وفي حرف حفصة: **لا برهان له به،**[١٤] أي لا سلطان له به.

وقوله: **فإنما حسابه عند ربه،** قال قائلون: **حسابه عند ربه،** هو قوله: **إنه لا يفلح الكافرون.** وقال بعضهم: **حسابه،** جزاؤه لصنيعه عند ربه، كقوله: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ.[١٥]

---

[١] ر م: وما.
[٢] جميع النسخ: بالدلالة.
[٣] ع: يدل.
[٤] ر ع م: فلو.
[٥] أي بالآلهة أو بالأصنام.
[٦] جميع النسخ: يكون.
[٧] ع + فلو كان في ظاهر وقوع الحس دلالة ذلك ولا كان بها آثار تدل على ذلك بل فيها آثار العبودة والذل فضلا أن يكون لها آثار الألوهية.
[٨] ع: الآخرة.
[٩] جميع النسخ: يكون.
[١٠] ر م: فيعبدوه.
[١١] ر ع م: لحوايجهم.
[١٢] ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣٨).
[١٣] ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٥٦).
[١٤] ر ع م – به.
[١٥] سورة الغاشية، ٨٨/٢٥-٢٦).

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[١١٨]

وقوله: **وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين**، جائز أن يكون هذا تعليما[١] من الله لكل أحد سؤال المغفرة والرحمة. وقيل: هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فهو يخرج على وجهين. إن في حكمته وعدله أن لا يرحم ولا يغفر أحدا وإن كان في فضله ورحمته أن يرحم ويغفر. والثاني يجعل له العصمة والرحمة بهذا الدعاء.[٢] أو أن يكون العصمة تزيد في الخوف، كقول إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[٣] وقوله: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا،[٤] الآية.

وقوله[٥] عز وجل: **وأنت أرحم الراحمين**، لأن رحمته إذا أدركت[٦] أحدا أغنته عن رحمة غيره، ورحمة غيره[٧] لا تغنيه عن رحمته.

---

[١] ر م: تعظيما.

[٢] ر ع م + أو أن يكون العصمة والرحمة هذا الدعاء.

[٣] سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.

[٤] سورة آل عمران، ٨/٣.

[٥] ن: قوله.

[٦] ر ع م: أدركن.

[٧] ر – ورحمة غيره.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]

قوله عز وجل: **سورة أنزلناها**، سماها "سورةً" وجعل تلاوتها سورة [فرضا] و لم يجعل لغيرها من السور التلاوةَ سورةً كما جعل لهذه.[2] فجائز ذلك لكثرة ما فيها من الأحكام من الفرائض والآداب ما بالناس إلى ذلك حاجة، أو لمعنى لم يذكره، أو لا لمعنى ولكنه ذكر هكذا، وله[3] الخلق والأمر. قال أبو عَوْسَجَة: السورة القطعة من كل شيء، تقول:[4] سوَرتُ الشيء، أي قطَعته. وقال بعض العلماء: إنما سمِّي القرآن[5] [قرآنا] لجماعة السور [المجتمعة]،[6] وسميت السورة [سورة، لكونها] مقطوعة من الأخرى، فلما قُرِن بعضها إلى بعض سُمّي قرآنا، كقوله: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ،[7] أي تأليفَ بعضها إلى بعض، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أي فإذا جمعناه وألّفناه، فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أي ما جُمع فيه، فاعمل به من أمر أو نهي. ويقال: ليس لشعره قرآن، أي نظم وتأليف. ويقال للمرأة: ما قرأت سَلًى قط، أي لم تجمع في بطنها ولدا.

---

[1] ر - سورة النور؛ ن ع م: ذكر أن سورة النور كلها مدنية.

[2] ر م: لهذا.

[3] ر م: أو له.

[4] ر ع م: يقول.

[5] قَرَأْتُ الشيءَ قُرْآنًا: جَمَعْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض. ومنه قولهم: ما قَرَأَتْ هذه الناقةُ سَلًى قَطُّ، وما قَرَأَتْ جَنِينًا قطُّ، أي لم يَضْطَمّ رَحِمُها على ولد. وقال أكثر الناس: معناه لم تَجْمع جنينًا أي لم يَضطَمّ رَحِمُها على الجنين. وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قرأ القرآن على إسمعيل بن قُسْطَنْطِين وكان يقول: القُران اسم، وليس بمهموز ولم يُؤخذ من قَرأت ولكنّه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل. ويَهمز قرأت ولا يَهمز القرانَ (*لسان العرب*، « قرأ»).

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٠و.

[7] سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٨.

وقال بعضهم: سورة -بلا همز- أي[1] المنزلة والرِفعة، وبالهمز سؤرة [أي] البقية، ومنه سمي سُؤر الكلب وسؤر الهِرَّة[2] وسؤر الطائر، أي بَقيّته[3] والقطعة منه. ثم قرئت بالنصب: سورةً **أنزلناها**، والرفعِ جميعًا **سورةٌ** وهي القراءة الظاهرة. فمن قرأها بالنصب أوقع الفعل عليها، أي أنزلناه[4] سورةً، والفعل إذا وقع على شيء انتصب، تقدّم الفعلُ أو تأخر: كقولك: زيدًا ضربناه، وضربنا زيدا. وقال بعضهم: إنما انتصب لإضمار فيه، كأنه قال: اتبِعوا سورة، أو اذكُروا سورة[5] أنزلناها، كقوله: نَاقَةَ اللهِ[6] بالنصب، أي احذَرُوا[7] ناقةَ الله. ومن قرأها بالرفع رَفَعَ[8] على الابتداء،[9] فكل ما يُبتدأ به فهو رفع. وقال بعضهم: رفع على إضمار: هذه سورة أنزلناها. وذلك كله جائز في اللغة. ***والله أعلم***.

وقوله: **وفرضناها**، قرئ[10] بالتخفيف **فرَضناها**، والتشديد[11] فرّضناها. قال الزجاج: قوله: فرّضناها، بالتشديد يخرج على وجهين. أحدهما، أي كثّرنا فيها الفرائض والأحكام.[12] والثاني فرّضناها، أي فصّلنا فيها بين ما يُؤتى وبين ما يُتّقى وبين ما أمر فيها وبين ما نُهي. وقال: وأما التخفيف **فرَضناها**، أي الزَمُوا ما فيها من الفرائض وآدابها.[13] وقال القُتَبِي: **فرَضناها**، بالتخفيف، أي بيّنّا فيها الفرائض.[14] وقال أبو عَوْسَجَة: من قرأها[15] بالتخفيف **فرَضناها**، أي أنزلنا فيها فرائض مختلفة، ومن قرأ فرّضناها، بالتشديد يقول: فرضناها عليكم وعلى من بعدكم، على التكثير. ***والله أعلم***.

---

[1] ن ع: هي.
[2] ر ع م: الهر.
[3] ر م: بقية.
[4] ن: أنزلنا.
[5] ع - أو اذكروا سورة.
[6] ﴿فقال لهم رسولُ الله ناقةَ الله وسُقْياها﴾ (سورة الشمس، ١٣/٩١).
[7] ن: أحذوا.
[8] ر م - رفع.
[9] ر م + أي احذروا.
[10] ع: قراء.
[11] ر م: وبالتشديد.
[12] *انظر: حجة القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٤٩٤.
[13] *معاني القرآن* للزجاج، ٢٧.
[14] وقد ورد في *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة: «فَرَضْناها، فرضنا ما فيها»، انظر: ص ٣٠١.
[15] ع: قرأ.

وقوله: **وأنزلنا فيها آيات بينات**، يحتمل قوله: **آيات بينات**، أي حججا بيّنة يفهمها ويعرفها كل أحد بالبديهة والتأمل. أو أن يريد بالآيات الآيات التي جمع فيها أشياء وتتلى، لأن الآية / إنما تستحق اسم الآية إذا جُمع فيها كلمات وحروف، فأما كلمة واحدة وحرف [٥١٢ظ] واحد لا يسمى بهذا الاسم.[١] أو[٢] أن يكون قوله: **آيات بيناتٍ**، ما ذَكر فيها وبيّن مما يُؤتى ويُتّقى وما[٣] يَحلّ وما يَحرُم، فذلك كله مبيَّن فيها. ***والله أعلم***.

وقوله: **لعلكم تذكرون**، أي تتعظون[٤] بما ذكّر فيها من المواعظ وبيّن فيها ما يزجر عن المعاودة وهي الحدود التي ذكر فيها، لأن سبب الاتعاظ أحد شيئين: المواعظ التي[٥] تُلين القلوب والحدود التي تَزْجُر.

﴿اَلزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]

وقوله:[٦] **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**. لو كان الخطاب يجب اعتقاده على ظاهر المَخرَج والعموم، على ما قاله بعض الناس، لكان لكل أحد أن يُقيم على آخَرَ حدا بظاهرِ قوله: **فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**، فيقول: الله أمرني بذلك بقوله: **فاجلدوا**. أو أن يضربوا جميعا واحدا من الزُّناة[٧] بظاهر قولِه: **فاجلدوا**، فيزداد الضرب والحد على ما حدَّ الله أضعافا مضاعفة. فدل أن اعتقاد العموم فاسد بظاهر المخرج. أو أن يقول قائل: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العينان تزنيان واليدان تزنيان والرِجلان تزنيان والفرج يصدّق ذلك كلّه أو يكذّب».[٨] سمّى الناظر إلى ما لا يحل نظرُه إليه زانيا والماسّ لها كذلك فيلزمه الحد بظاهر قوله:[٩] **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**،

---

[١] ر: لاسم.
[٢] ع - أو.
[٣] جميع النسخ: وبين ما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٠و.
[٤] ع: تيقظون.
[٥] ع - وبين فيها ما يزجر عن المعاودة وهي الحدود التي ذكر فيها لأن سبب الاتعاظ أحد شيئين المواعظ التي.
[٦] ن: قوله.
[٧] ع: من الزيادة.
[٨] ورد الحديث بعبارات مختلفة، انظر: صحيح *البخاري*، القدر ٩؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٥؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٤٤؛ الأدب ٥٢.
[٩] ع + فاجلدوا فيزداد الضرب.

فإذ لم يفهم من ظاهر قوله: **الزانية والزاني** ما ذكرنا كله دل أن الاعتقاد على عموم المخرج فاسد وأن المراد من قوله:[1] **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**، راجع إلى الخصوص: إلى مقيم دون مقيم، وإلى زانٍ دون زان؛ وهو الزاني الذي يجمع في فعل الزنا جميع بدنه: العينَ واليد والرِّجل والفرج وجميع بدنه. ورجع الخطاب به إلى البِكرَين الحرّين[2] والثيِّبين الحرَّين اللَّذَين لم يستجمعا جميعا أحكام الإحصان. فأما من[3] استجمع جميع أسباب الإحصان فإن حدَّه الرجمُ على اتفاق القول منهم جميعا، إلا أن طائفة من أهل العلم[4] أوجبوا عليه مع الرجم الجلْدَ، وفي البِكر مع الجلد تغريب عام. والدليل على أن المراد راجع إلى الحرَّين البكرين أو الثيِّبين اللذَين لم يستجمعا أسباب الإحصان ما ذكرنا من القول المتفق، وقولِه: فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ،[5] دل إيجابُ نصفِ ما على المحصنات[6] على الإماء على أنه أراد بالمحصنات الحرائرَ التي لم يستجمعن جميع أسباب الإحصان، وأن الخطاب بقوله: **الزانية والزاني**، إلى آخر ما ذَكر، راجع إلى الحرين اللذَين ذكرناهما.

ثم لم يُضرَب في الزنا الذي به زُنِي وهو الفرج، وقُطع في السرقة الذي به سُرق وهو اليد، فهو -والله أعلم- لَمّا جُعلَ الحدود زواجر[7] عن المعاودة لم تُجعل دافعة مُذهِبةً إمكانَ ذلك الفعل من الأصل، وفي ضرب الفرج ذهاب إمكان الفعل من الأصل، ولا كذلك في قطع اليد في السَّرقة، إذ تبقى[8] [يد] أخرى، بها يأخذ وبها[9] يقبض، لذلك افترقا. أو أن يقال: في ضرب الفرج خوف هلاكه في الأغلب وليس ذلك في قطع اليد، بل يبقى حيا في الغالب. وقد ذكرنا أن الحدود لم تجعل مهلكة مُتْلِفة ولكن جعلت زواجر عن المعاودة، لذلك افترقا.

---

[1] ر م: بقوله.
[2] ر ع م: الحرتين.
[3] ر ع: فامن؛ م: فإن من.
[4] وهو قول الشافعي. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٢٠و.
[5] سورة النساء، ٢٥/٤.
[6] ر - من العذاب دل إيجاب نصف ما على المحصنات.
[7] ر م: وزواجر.
[8] جميع النسخ: يبقى.
[9] ر: وابها.

وفي قوله: **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**، دلالة على أن النفي[1] ليس من عذاب الزانيَين ولا من عقوبتهما،[2] لأنه قال: **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**، والنفي مما لا يُحتمل أن يؤمر بشهوده لأنه لا يمكن، فدل أنه ليس من عذابهما. ويدل [عليه] أيضا قوله: فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ،[3] لأنهم أجمعوا على أن لا نَفيَ على الإماء إذا زنَين، وقد أَوجب عليهن إذا[4] زنين نصفَ ما على المحصنات. أو إنْ ثبت النفيُ فهو يحتمل[5] وجهين. أحدهما أنه أراد به قطع الشَّين الذي[6] لحقهما بفعل الزنى، لأنه ليس جُرم من الأجرام أكثرَ شَينا[7] وأشدّ من فعل الزنى، فأراد أن ينقطع[8] ذلك من بين الناس. أو أن يكون أراد به قطع الشهوة التي حملتهم على الزنى بذُلّ السفر وذلة الغربة. أو صار منسوخا لما شَدّد في الضرب بقوله: **ولا تأخُذْكم بهما رأفة في دين الله**، وفيما ذَكَر النفي لم يذكر فيه الشدة، إنما ذكر فيه الجَلد حسبُ، بقوله عليه السلام: «أمّا على ابنك هذا جَلْدُ مائةٍ وتغريبُ عام».[9] فجائز أن يكون الضرب كان بالتخفيف وفيه نفي، فلما[10] شُدّد في الضرب ارتفع النفي. وقد جاء عن عمر رضي الله عنه أنه نفى رجلا فارتد عن الإسلام ولحِق بالروم، وقال: كفى بالنفي فتنة، وقال: لا أنفي بعد هذا أبدًا. وكذلك روي عن علي رضي الله عنه.[11] *والله أعلم*.

---

[1] أي تغريب عام، وهو قول الشافعي كما مرّ قريبا.
[2] ن: عقوبتها.
[3] سورة النساء، ٤/٢٥.
[4] ر م: إذ.
[5] ع + على.
[6] ع – الذي.
[7] م: شئنا.
[8] ن: بتقطع.
[9] ورد الحديث في صحيح *البخاري*، (الصلح ٥، الشروط ٩) في سياق طويل: – عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجُهَني رضي الله عنهما قالا جاء أعرابي فقال: يا رسول الله اقْضِ بيننا بكتاب الله. فقام خصمُه فقال صدق، اقْضِ بيننا بكتاب الله. فقال الأعرابي: إنَّ ابْنِي كان عَسِيفًا على هذا، فزنَى بامرأته، فقالوا لي: على ابنك الرَّجْمُ. فَفَدَيْتُ ابني منه بمائةٍ من الغَنَم ووليدة، ثم سألتُ أهلَ العلم، فقالوا: إنّما على ابنك جَلدُ مائةٍ وتَغْرِيبُ عَامٍ. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لأَقْضِيَنَّ بينكما بكتاب الله، أمّا الوليدة والغنمُ فَرَدٌّ عليك، وعلى ابنك جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وأمّا أنتَ يَا أُنَيْسُ –لِرَجُلٍ– فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هٰذَا فَارْجُمْهَا» فَغَدَا عليها أُنَيْسٌ فرجَمها. وانظر: صحيح *مسلم*، الحدود ٥؛ وسنن *الترمذي*، الحدود ٨.
[10] ع: لما.
[11] للاطلاع على كلا الرأيين انظر: *تفسير روح المعاني* للآلوسي، ١٨/٨١.

وقوله: **ولا تَأْخُذْكم بهما رأفة في دين الله**، قال بعضهم: **لا تأخذكم بهما رأفة** حتى تعطّلوا حدود الله فلا تقيموها. [و]قال بعضهم: **لا تأخذكم بهما رأفة**،[1] في تخفيفها، فهو -والله أعلم- لأنه من أعظم الأجرام والشَّين.[2]

ثم للمعتزلة تعلُّق بظاهر قوله: **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**، قالوا: إن الله وصف

[٥١٣و] نفسه بالرحمة بقوله: رَءُوفٌ رَحِيمٌ،[3] / ووصف المؤمنين بالرحمة فيما بينهم والشدة على الكفار بقوله: وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ.[4] ثم نهاهم أن تأخذهم[5] رأفة على الزانِيَين[6] وقت إقامة الحد عليهم، دل أن الزاني قد خرج بفعله من الإيمان لما ذكرنا من رفع الرأفة والرحمة عنهما.

لكن عندنا في الآية دلالة أنه ليس على ما ذهبوا إليه، لأن الزاني لو كان يخرج من الإيمان بفعل الزنى لكان لا يحتاج إلى أن يقول: **ولا تأخذكم بهما رأفة**، لأنهم كانوا على ما وصفهم الله بالشدة على غير المؤمنين بقوله: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ، دل أن الزنى لم يُخرجه عن الإيمان،[7] فنَهَى أن لا تأخذنا[8] بهما رأفة[9] الإيمان والدين في تعطيل الحد أو تخفيفه.[10] أو أن يكون النهي عن أخذ الرأفة ليتحملا[11] ذلك الحد وإلا لم ينتفع[12] به في الآخرة، وهو أن لا يعذَّب به. ألا ترى أنه قال: **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**، وفائدته ما ذكرنا أنه **لا تَأْخُذْكم بهما رأفة** في إضاعة الحد ليندفع به عنهم عذاب الآخرة، إذ الرجل قد يتحمل الشدائد والمُؤَنَ[13] لما يتأمل من النفع في الآخرة، نحو مَن يشرب الأدوية الكريهة ويفتصد ويحتجم

---

[1] ر ع م - حتى تعطلوا حدود الله فلا تقيموها قال بعضهم لا تأخذكم بهما رأفة.
[2] م: في الشئن.
[3] سورة النور ٢٤/٢٠.
[4] ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٩).
[5] جميع النسخ: يأخذهم.
[6] ر ن م: الزانين.
[7] ن: من الإيمان.
[8] جميع النسخ: تأخذ.
[9] ع + عن.
[10] ر م: وتخفيفه.
[11] جميع النسخ: ليتحمل.
[12] ن ع: لم لينتفع.
[13] ر ع م - ليندفع به عنهم عذاب الآخرة إذ الرجل قد يتحمل الشدائد والمؤن.

لما يطمع البرء به والنفع في العاقبة.[١] فعلى ذلك جائز أن يكون النهي عن أخذ الرأفة في حد الزنى ليقام ذلك عليه ويتحمل ألمه[٢] فينجو في الآخرة عن عذابه. ***والله أعلم.***

وقوله: **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين.** قال[٣] بعضهم: الطائفة واحد واثنان فصاعدا، وكذلك قالوا في قوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا،[٤] هما رجلان اقتتلا، دل على ذلك قوله: فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ،[٥] وهما اثنان في الظاهر، لكنْ جائزٌ[٦] أن ينضم إلى كل واحد منهما جماعة من عشيرته فيكون الطائفة جماعة لا واحدا. وقال بعضهم: الطائفة جماعة من العشيرة فصاعدا.

ثم يجب أن يُنْظر لأي[٧] معنى أَمَر أن يشهد[٨] عذابهما طائفة من بين سائر الأجرام، فهو -والله أعلم- يحتمل وجوها. أحدها المحنة؛ أراد أن يمتحن من حضر ذلك، إذْ[٩] المرء قد يتألَّم على ضربِ آخرَ وما يحُلّ بغيره[١٠] لينزجر عن مثله. والثاني لانتشار الخبر في الناس لينزجروا عن مثله. والثالث لئلا يتعدى الضارب والمقيم عليه[١١] ذلك الحد ويجاوزَه على الحد الذي جُعل له، فإن هو يتعدَّى منَعه مَن حضره[١٢] عن المجاوزة والتعدي. والرابع لدفع التهمة عن الحاكم لئلا يَتّهمه الناس أنه إنما أقام عليه الحد بلا سبب كان منه ولا جُرم. فإن كان[١٣] الأمر بشهود الطائفة عذابَهما هذه الوجوه الأربعةَ[١٤] التي ذكرنا من [المحنة و]انتشار الخبر ودفع التهمة عنه ومنع المجاوزة، فالطائفة يحتاج أن يكون جماعة، كأن الواحد غير كافٍ لذلك. وإن كان الأولَ، وهو المحنة، فالواحد وما فوقه يكون يمتحن كلا في نفسه بحضور ذلك الحد ليتألم به.

---

[١] ن - في الآخرة؛ ع: في العاقبة.
[٢] ر م - ويتحمل ألمه.
[٣] ر ع م: وقال.
[٤] ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ (سورة الحجرات، ٤٩/٩).
[٥] ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ (سورة الحجرات، ٤٩/١٠).
[٦] ر ع م - جائز.
[٧] ر م: لأثر؛ أثر.
[٨] ع: تشهد.
[٩] ع: إذا.
[١٠] ر ع م: لغيره.
[١١] ر ع م - عليه.
[١٢] ع: حضرة.
[١٣] ن - كان.
[١٤] جميع النسخ: الثلاثة.

وقد ذكرنا أن بعض أهل العلم قالوا: إنه يجمع مع الرجم الجلد،[1] واحتجوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الثيب بالثيب جَلْدُ مِائَةٍ ورجم بالحجارة،[2] والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام».[3] فأما الجَلْد فلا خلاف في أنه حدّ البِكر، وأما النفي فمما اختلفوا فيه؛[4] فمنهم من رآه واجبا، ومنهم من رآه عقوبة لهم يُضمّ إلى الحد. ونحن قد[5] ذكرنا المعنى في ذلك إن ثبت ما يغنينا[6] عن تكراره. ونزيد[7] أيضا نكتة وهي أن الحدود ذو نهايات المقدار وغايات، ولذلك سميت حدودا، لأن لها نهاية وغايةً كما يقال: هذا[8] حد الدار،[9] [يقصد] أنه منتهاها وآخرها. فلما لم يكن للنفي مكان معلوم يُنفَى[10] الزاني إليه دل أنه ليس بحد ولكن أراد به الوجوه التي ذكرنا: إما حبسا كما يُحبَس الباغي[11] حتى يُحدِث توبة، أو قطعَ الشَّين والذِّكر الذي يتحدث الناس به ليُنسَى ذلك ويترك، أو قطعَ الشهوات التي حملتهم على ذلك بذلة السفر والغربة، أو أنْ كان ثم صار منسوخا بما شُدد فيه الضرب. **والله أعلم**.

وأما قول أصحابنا رحمهم الله في إزالة[12] الجلد عن الثيِّب إذا كان مُحصَنا لقول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «أغدُ يا أُنَيسُ على امرأةِ هذا، فإن اعترفت فارجُمْها»،[13] ولم يذكر جَلدا. وذهبوا أيضا إلى أن حديث ماعِز بن مالك لَمّا رجمه النبي صلى الله عليه وسلم باعترافه ولم يُذكر أنه جُلد. وروي أن أبا[14] بكر رضي الله عنه قال له[15] لما اعترف ثلاثا:

[1] ن: والجلد.
[2] ر م: الحجارة.
[3] صحيح *مسلم*، الحدود ١٧؛ وسنن *أبي داود*، الحدود ٢٣؛ وسنن *الترمذي*، الحدود ٨.
[4] ر م - فيه.
[5] ع: ما.
[6] ن: تغنينا.
[7] ن: وتزيد.
[8] ع - هذا.
[9] جميع النسخ: هذا حد فلان وحد الدارين؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٢٠ظ.
[10] ع: نفى.
[11] ر ع م: الذاعر.
[12] ر ع ن: في أن آلة.
[13] صحيح *البخاري*، الوكالة ١٣، الشروط ٩؛ وصحيح *مسلم*، الحدود ٥؛ وسنن *أبي داود*، الحدود ٢٥.
[14] ع: عن أبا.
[15] أي لماعز.

لو[1] اعترفتَ في المرة الرابعة لَرجمتك ولم يقل [لَ]جلدتك،[2] علم أنه لا يجمع مع الرجم الجلدُ؛ وما روي عن عمر رضي الله عنه أنه أمر برجم امرأة زنَت ولم يجلدها؛[3] وروي عن ابن عمر عن عمر مثله. إلى هذه الأخبار ذهب أصحابنا رحمهم الله ويقولون: لا يجتمع على رجل في فعل واحد حدان: الجلد والرجم جميعا، كما لا يجتمع في غيره من الأجرام في فعل واحد حدان أو عقوبتان. وقوله صلى الله عليه وسلم: «الثيب بالثيب يُجلَد ويُرجم»،[4] يُحتمل[أن] يَجلد[5] ثيبا غير محصن ويرجم ثيبا آخر محصنا، أو يجلد ثيبا في حال ويرجم ثيبا[6] في حال. وقد ذكرنا هذه المسألة في سورة النساء.[7]

﴿اَلزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]

قوله:[8] **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك،** في ظاهر الآية لا يحِلّ[9] للزاني أن ينكح إلا الزانية من المؤمنات أو مشركة، وكذلك الزانية من المؤمنات / لا ينكحها العفيف من المؤمنين وإنما ينكحها الزاني منهم أو المشرك.[10] وفي ظاهر [٥١٣ظ] الآية النهي للزاني عن نكاح العفائف وإباحة نكاح الزانيات أو المشركات،[11] فإن كان ذلك فكان قوله: وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ[12] إلا الزناة منكم فإنه يحِلّ لهم أن ينكحوا المشركات.

---

[1] ع – اعترف ثلاثا لو.

[2] جميع النسخ: لرجمتك... جلدتك؛ والتصحيحان من *الشرح*، ورقة ٢٠٥و.

[3] ورد في *السنن الكبرى* للبيهقي (٤٤١/٧) عن عامر عن عبيد بن نَضْلة قال: رفع إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة تزوجت في عدتها فقال لها: هل علمت أنك تزوجت في العدة؟ قالت: لا. فقال لزوجها: هل علمت؟ قال: لا. قال: لو علمتما لرجمتكما. فجلدهما أسياطا وأخذ المهر فجعله صدقة في سبيل الله، قال: لا أُجيز مهرا لا أجيز نكاحه. وقال: لا تحل لك أبدا.

[4] ورد الحديث في صحيح *مسلم* بعبارة مختلفة: «البِكرُ يُجلَد ويُنفَى وَالثَّيِّبُ يُجلَد وَيُرجَم»، الحدود ٣.

[5] ر ع م: الجلد.

[6] ن ع – ثيبا.

[7] انظر: تأويل الآية ١٥.

[8] ر ع م – قوله.

[9] ر ع م: أن لا تحل.

[10] ر م: الزانية منهم والمشرك.

[11] ر م: والمشركات.

[12] ﴿ولا تَنكحوا المشركات حتى يؤمِنَّ ولَأَمَةٌ مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ (سورة البقرة ٢٢١/٢).

وكذلك قوله: وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشِرِكِينَ إلا الزانياتِ فإنه يحل، هذا ظاهره.[1] لكنهم أجمعوا على أن لا يحِلّ للمؤمن -وإن كان زانيا- أن يَنكح المشركة، وكذلك لا يحل للمشركة أن تتزوج[2] بالزاني من أهل الإيمان.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويله. قال مقاتل ومحمد بن إسحاق وهؤلاء: **الزاني** من أهل الكتاب **لا يَنكح**، أي لا يتزوج **إلا زانية** من أهل الكتاب[3] **أو مشركة** من[4] غير أهل الكتاب. **والزانية** من أهل الكتاب **لا يَنكحها**[5] **إلا زانٍ** من أهل الكتاب[6] **أو مشركٌ** من غير أهل الكتاب[7] [الذين] يزنُون[8] علانية. وعن ابن عباس رضي الله عنهما[9] قال:[10] نزلت الآية في نفر من أهل مكة هاجروا إلى المدينة وكانوا ذوي عُسرَة، وكان بالمدينة بغايا يَبغِينَ بأنفسهن ظاهرات بالفجور وكنّ مُخصِبات[11] أو[12] مَخاصيب[13] البيوت، فهمّ أولئك المهاجرون أن يتزوجوا بأولئك البغايا ليصيبوا[14] من خِصبهن وسَعَتهن فذكروا ذلك لرسول الله واستأذنوه في ذلك فنزلت الآية في شأنهم: **الزاني** من أهل القبلة المعلن به **لا ينكح إلا زانية** من اليهود **أو مشركة**، الآية.[15]

وحُرِم ذلك على المؤمنين، أي نكاحهن على المؤمنين،[16] لكن هذا يصلح أن لو كان أولئك المهاجرون مثلَهن زناةً. فأما إن كانوا مهاجرين أهل إيمان[17] وعِفَة فلا يصلح أن يقال فيهم: **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة** وهم لم يكونوا زناة إلا أن يقال على الابتداء أنه لا يفعل ذلك.

---

[1] ع: ظاهرة.
[2] ر ع م: يتزوج.
[3] ر م + أي لا ينكح.
[4] ر م – من.
[5] ع – أو مشركة من غير أهل الكتاب والزانية من أهل الكتاب لا ينكحها.
[6] ع – أو مشركة من غير أهل الكتاب والزانية من أهل الكتاب لا ينكحها إلا زانٍ من أهل الكتاب.
[7] ن – أو مشرك من غير أهل الكتاب.
[8] جميع النسخ: يزنين؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٠و.
[9] ن م: عنه.
[10] ع: قالت؛ م + لما.
[11] ن ع: محصنات.
[12] ن + مشرك من غير أهل الكتاب
[13] ع: مخاصب.
[14] ع – ليصيبوا.
[15] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٧٥؛ و*تفسير القرطبي*، ١٢/٢٠٨.
[16] ر ع م– أي نكاحهن على المؤمنين.
[17] ر ع م: الإيمان.

وقال بعضهم:[١] قوله: **الزاني لا ينكح**، أي لا يجامع ولا يزني [**إلا زانية**] إلا بزانية مثله، وكذلك الزانية لا تزني إلا[٢] بزانٍ مثلها أو مشرك لا يحرِّم الزنى. وهو قول الضحاك وهؤلاء. وقال سعيد بن المسيَّب: نسخت هذه الآيةُ: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ[٣] قولَه: **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة**، الآية. وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن رجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها، قال: هما زانيان ما اصطحبا.[٤]

وجائز أن يكون النهي عن نكاح الزانية والزاني نهيا عن الزنى نفسه لا عن نكاح، كأنه[٥] قال: لا تزنوا، فإنكم إذا زنيتم وصرتم[٦] معروفين به لا تجدون أن تنكحوا إلا زانية أو مشركة التي لا تحرّم الزنى، لأن العفائف منهن لا يرغَبْن في نكاح من[٧] صار مُعلن الزنى، فإذا لا يرغبن لم يجدوا إلا من ذُكر، وهو كما قال:[٨] لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى،[٩] ليس النهي عن قِرْبان الصلاة ولكن النهي عن السكر وشرب المسكِر. وكذلك ما روي أنه قال: «لا صلاة للمرأة الناشزة ولا للعبد الآبق»،[١٠] إنما النهي عن نشوزها وعن إباقه، ليس عن الصلاة. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك**، إنما نهى عن الزنى، أي لا تزنوا لترغب[١١] العفائف من المؤمنات فيكم، ولا تزنِ[١٢] النساء ليرغب أهل العَفاف من المؤمنين [فيهن]،[١٣] فإنكم إذا زنيتم وصرتم معروفين به معلنين لا تجدوا إلا نكاح من ذكر من الزانية أو المشركة.

---

[١] ع– بعضهم.

[٢] ع + إلا أن يقال على الابتداء إنه لا يفعل ذلك وقال بعضهم قوله الزاني لا ينكح أي لا يجامع ولا يزني إلا بزانية مثله وكذلك الزانية لا تزني.

[٣] سورة النور، ٣٢/٢٤.

[٤] انظر: *تفسير الطبري*، ٧٥/١٨.

[٥] ع: لأنهم.

[٦] ع – وصرتم.

[٧] ع: ما.

[٨] جميع النسخ: ما قال.

[٩] سورة النساء، ٤٣/٤.

[١٠] لم أعثر على حديث بهذا اللفظ، ولكن ورد في سنن الترمذي عن أبي أُمامة: «ثلاثةٌ لَا تُجاوز صلاتُهم آذانهم: العبدُ الآبِقُ حتى يرجع، وَامرأةٌ بَاتَت وزوجُهَا عليها ساخط، وإمامُ قومٍ وهم له كارهون». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. انظر: *سنن الترمذي*، الصلاة ١٥٤. قارن: *صحيح مسلم*، الإيمان ١٢٤.

[١١] جميع النسخ: ليرغب.

[١٢] جميع النسخ: ولا يزني.

[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٥و.

أو أن يكون ما ذكرنا: لا يُرغب الزاني إلا في نكاح زانية أو مشركة، وكذلك المرأة الزانية لا ترغب إلا في نكاح زانٍ مثلها أو مشرك. أو لا يرغب الزاني في الزنى إلا بزانية أو مشركة التي لا تحرّم الزنى، وكذلك الزانية لا ترغب إلا بزانٍ مثلها أو مشرك الذي لا يحرم الزنى.

وحرم ذلك على المؤمنين، وحرم الزنى على المؤمنين.[1] أو إن كان على النكاح فيكون تأويل قوله: **وحرم**، أي منع عن ذلك المؤمنون،[2] أعني نكاح الزانيات والزناة.

قال أبو عَوْسَجَة: الزانية والزاني يقال: منه زنى يزني [زِنًى و] زِناء،[3] وأما زنأ يَزْنَأُ زُنُوءًا، أي ارتقى يرتقي، ويقال: الزناء الضِيق، ويقال: زَنَنْتُه[4] أَزُنُّه زَنًّا، أي ظننت به ظنا. والقذف التهمة، والرمي أشد من القذف.

ومن جعل الآية في الزانين المسلمين وجعل قوله: **لا ينكح**[5] على التزويج لزمه أن يجيز للزانية المسلمة أن تتزوج[6] الزاني المسلم والمشرك على ما ذكرنا بدءا، وهذا لا يقوله أحد. وفي بطلان هذا القول بيان أن الآية إن كان المراد بها عقدَ النكاح فإنها نزلت في الزانية المشركة [التي] يريد المسلم أن يتزوجها كما ذُكِر في حديث مَرثَد،[7] وإن كان المراد به بذكر النكاح منها الوطءَ فهو كما قال ابن عباس في إحدى الروايتين عنه أنه الجماع، ليست تحتمل[8] الآية غير هذين الحالين. والله أعلم بما أراد.

وقد زعم قوم أن المرأة إذا زنت حَرُمت على زوجها. فكأنهم ذهبوا إلى أنه لِما لم يَحِل له أن يطأها، لأنها إذا كانت زانية لم يَحِل المُقام عليها إذا زنت وهي زوجه. لكن التأويل في الآية على خلاف ما توهم أولئك بما وصفنا، فلا وجه لتحريمهم الزانية على زوجها. ولو كان[9] التأويل على ما توهموه لوجب[10] أن تحرُم الزانية على زوجها من حيث كان[11] ممنوعا من تزويجها.

---

[1] ع – وحرم الزنى على المؤمنين.
[2] ع: المؤمنين.
[3] م: زناة.
[4] ر ع م: زنيته.
[5] ر م: لا تنكح.
[6] م: يتزوج.
[7] سنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٢٥؛ وسنن *النسائي*، النكاح ١٢.
[8] جميع النسخ: ليس يحتمل.
[9] ع: كانت.
[10] ر ع م: فوجب؛ ن: فأوجب.
[11] ر م: حيث إن كان.

ألا ترى أنه لا يجوز للرجل[١] أن يتزوج امرأة في عدة من غيره. ولو أن رجلا / وطِئ امرأة [٥١٤و]
رجل بشبهة فوجب عليها منه عدة لم تَحْرُم على زوجها. أفلا ترى أن العدة إذا كانت على النكاح مخالفة للنكاح في العدة. واحتجوا أيضا بأن الرجل إذا قذف امرأته لوعِن[٢] بينهما وفُرِّق، لكن الوجه فيه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥]

وقوله: **والذين يرمون المحصنات**، ذكر الرمي و لم يذكر بم؟ فيُعرَف ذلك بالنازلة وبقوله:[٣] **ثم لم يأتوا بأربعة شهداء**. ذكر الأربعة للشهود والزنى هو المخصوص بالشهود الأربعة دون غيره من الأجرام، فدل ذكر ذلك على إثر ذلك على أن الرمي المذكور[٤] فيه هو الزنى.

ثم قوله: **المحصنات**، هن الحرائر في هذا الموضع لا العفائف،[٥] لأن قاذف الأمَة يلزمه التعزير، ألا ترى أنه قال: فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ،[٦] الآية. ألا ترى أنه أوجب على الإماء نصف ما على المحصنات وهي[٧] الحرائر. ولأنا لو جعلنا قوله:[٨] **المحصنات**،[٩] عبارة وكناية عن[١٠] العفائف دون الحرائر لأسقطنا شهادة الشهود، لأن العفة تكذبها. وكذلك يدل قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ،[١١] الغافلات عبارة عن العفائف، فدل أن المحصنات عبارة عن الحرائر. ثم دخل[١٢] المحصنون[١٣] في حكم هذه الآية في الرمي والقذف وغيره وإن لم يذكروا في الآية.

---

[١] ر ع م: الرجل.
[٢] جميع النسخ: لعن.
[٣] ر ع م: ولقوله.
[٤] م: للذكور.
[٥] ع: لا العفاف.
[٦] ﴿فإذا أُحْصِنَّ فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ (سورة النساء، ٢٥/٤).
[٧] ر م: وهي.
[٨] ر م – قوله.
[٩] ع – وهي الحرائر ولأنا لو جعلنا قوله المحصنات.
[١٠] ن: على.
[١١] سورة النور ٢٣/٢٤.
[١٢] ر ع م: أدخل.
[١٣] جميع النسخ: المحصنين؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢١ظ.

ثم شدّد الله تعالى في الزنى وغلّظ في أمره ما لم يُشدِّد و لم يُغلِّظ في غيره من الأجرام مثلَه [على وجوه]. منها ما نهى من تعطيل الحد فيه وإضاعته وتخفيفه حيث قال: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ.[1] ومنها ما أمر برجمه[2] إذا كان محصَنا مثل ما يُرجم الكلب[3] ويقتل بالحجارة. ومنها ما أوجب على الرامي به من الحد إذا لم يأتِ بأربعة شهداء. والزنى[4] بهذا كله مخصوص من بين غيره من الأجرام. وذلك -والله أعلم- لقبحه في العقل والطبع جميعا وكذلك في الشرع. والدليل على أنه قبيح[5] في الطبع والعقل جميعا ما ينفر عنه طبع كل مسلم وينفر عنه كل عقل سليم.

فإن قيل: لو كان ينفر عنه لكان لا يرتكبه ولا يأتيه؟

قيل: ينفر عنه، إلا أن الشهوة التي مُكِّنت فيه ورُكِّبت تغلبه وتمنعه عن النفار عنه. ألا ترى أنه لو تفكر مثلَه في المتصلات به من الأم والأخت والابنة[6] وجميع المحارم لم يحتمل قلبه ذلك. وبمثله روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أتاه فقال له: ائذَن لي في الزنى. فقال: «أرأيت لو فُعِل بابنتك وأمِّك مثلُه أكنتَ تكره؟» فقال: نعم. فقال له: «اكْرَهْ لغيرك[7] ما تكرَه لنفسك».[8] دل ذلك أنه قبيح في الطبع والعقل جميعا، إلا أن الشهوة[9] تمنعه عن النفار عنه.

وفيه اشتباه الأنساب والمعارف التي جعلت فيما بين الخلق، حتى لا يهتدي أحد[10] إلى معلم يعلمه الحكمة والأدب[11] ومعالم السنن ولا الدعاءَ بالآباء. و[فيه] ارتفاعُ[12] التواصل وحفظِ الحقوق التي تقوم[13] لبعض على بعض[14] والشَّفَقةِ التي جعلت[15] لبعض على بعض من التربية في الصغار

[1] سورة النور ٢٤/٢.
[2] ن: برحمة.
[3] ن ع: الكلاب.
[4] ر ع م: والزناة.
[5] ن: القبيح.
[6] ر ع م: والابنت.
[7] ر: لغيره.
[8] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٩/١٦١.
[9] ن: الشهود.
[10] ن ع: أخذ.
[11] ر م: والآداب.
[12] جميع النسخ: وارتفع.
[13] ر ع م: يقوم.
[14] جميع النسخ: بعض لبعض.
[15] ر ع م: جعل.

وحقوق المحارم وغيرهم. وبه[1] امتُحِن البشر والعالَم الصغير.[2] و[به] يبطل[3] خلق ما ذُكر من الإنشاء لهٰذا العالم وتسخيرِ ما ذُكر مما في السماوات والأرض لهم. فهذا كله يدل على قبح[4] الزنى ونهايته في الفحش والمنكر؛[5] حتى لا يعرف هذا العالَمُ[6] قبحه ونهايةَ فحشه، وإنما[7] يعرفه العالَمُ الروحاني الذي لم يمكَّن[8] فيهم هذه الشهوة و لم يُمْتَحَنوا بها. وأما هذا العالم الذي جعلت فيهم الشهوة لا يعرفون قَدر قبحه وفحشه لما[9] تغلبهم وتمنعهم عن النفار عنه والنظر في معرفة قبحه. لهذا –والله أعلم– ما شدّد الله تعالى أمْر الزنى وغَلّظ في أحكامه ما لم يُغلَّظ بمثله في غيره من الأجرام وعظّم شأنه من بين سائر الآثام.

ثم الذِّكْر إنما جرى في الحرائر بما ذكرنا، فهو في الرجال[10] من الأحرار –إن لم يكن أكثر– فما يكون دونه؛[11] لأن العذر فيهن أكثر وهي الشهوة التي تغلب وتمنع عن النفار عنه، وفي الرجال أقل،[12] فالعذر فيهم أقلّ. ألا ترى[13] أنه ذكر الحد في الإماء بقوله: فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ،[14] ولم يذكر في العبيد شيئا، فيلزم العبدَ ذلك الحدُّ إذا ارتكبه، فعلى[15] ذلك ما ذكر من الحد في النساء والقذف فهو في الرجال مثله.

---

[1] جميع النسخ: وبها.
[2] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قول نسب إلى الإمام عليّ كرّم الله وجهه: «وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالَمُ الأكبر»، ويقصد المؤلف من «العالم الصغير» الإنسانَ بمعنى الجنس.
[3] جميع النسخ: بطل.
[4] ع: قبيح.
[5] م – والمنكر.
[6] ع + وتسخير ما ذكر مما في السماوات والأرض لهم فهذا كله يدل على قبح الزنى ونهايته في الفحش والمنكر حتى لا يعرف هذا العالم.
[7] ن: إنما؛ ع + لم.
[8] ر ع م: يكن.
[9] ر: لا.
[10] جميع النسخ: بالرجال.
[11] أي جزاء الرمي بالزنى إنما ذكر في الآية التي نحن بصدد تفسيرها في حق النساء، فيجب إجراء هذا الجزاء في قذف الرجال أيضا كما في النساء.
[12] ع: قل.
[13] ن: يرى.
[14] سورة النساء، ٢٥/٤.
[15] ن ع: فعل.

ثم أجمعوا على أنه[1] [يجب على] قاذف الأَمَة التعزيرُ ولا حدَّ عليه، وقد سَمَّى الزوجة وإن كانت محصَنة أَمَةً وقال: فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ، وقال: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ،[2] سمى مُلْكَ اليمين محصنة بقوله: أُحْصِنَّ، إن[3] تزوجن. وقوله: فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ، أي الحرائر، فقد بَانَ بهذه[4] الآية أن الإحصان قد يكون بالحرية ويكون بالتزوج[5] وإن كانت الزوجة أمة

[٥١٤ظ] إذا كان لها زوج. وسَمَّى الطبقة من النساء محصنة، قال تعالى: / مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ،[6] يعني العفائف. فالإحصان على ثلاثة أوجه، وإنما يجب الحد على قاذف الحر المسلم والحرة المسلمة، فإن كان حرا أو حرة فعليهما الحد ثمانين، وإن كان عبدًا أو أمَة فعليه الحد أربعين سوطًا على ما ذكرنا.

وقوله: **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة،** فظاهر هذا أنه[7] لا يقع عند حَضْرَة القذف[8] ولكن له[9] أن يأتي إلى وقت إياسه وهو الموت، كمن يحلف بيمين و لم يوقِّت لها وقتا فإنما وقعت إلى وقت إياسه فحنث عند ذلك. فعلى ذلك يجيء على ظاهره: أن يقع على الأبد ليس عند حَضْرَة القذف. لكن لو وقع على الأبد لكان فيه سقوطه، إذ لا يقام الحد بعد الموت. أو [يقال:] إنه[10] أراد بذكر الشهود الأربعة[11] زجرَه عن[12] قذف المحصنات لما لا يجد[13] الشهودَ على الحال،[14] فالذي هو أخفى وأسرّ أبْعَدُ.

[1] ر غ م: على أن؛ ن: أن على.
[2] سورة النساء، ٤/٢٤.
[3] ر ن م: أي.
[4] غ: فهذه.
[5] ر م: بالزوج.
[6] سورة النساء، ٤/٢٤.
[7] أي جزاء الجلد.
[8] أي لا يجب إجراء حد القذف عند وجود القذف فورا.
[9] ن – له.
[10] جميع النسخ: ان.
[11] ر غ م: الأربع.
[12] غ: على.
[13] غ: تجد.
[14] جميع النسخ: الحلال.

والثاني أن الحد قد لزمه[١] بالقذف، فإن أراد إسقاطه لم يسقط[٢] إلا ببينة تقوم حَضْرَة ذلك، كمن يقرّ بقصاص أو حق من الحقوق ثم ادّعى العفو في ذلك أو إسقاط ما أقر به[٣] والخروجَ منه لم يصدَّق إلا ببينة تقوم على حضرة ذلك، فعلى ذلك قوله: **ثم لم يأتوا بأربعة شهداء**، وقع ذلك على حضرة القذف، فإن أتى به وإلا حُدَّ. ***والله أعلم.***

ثم المسألة بأنه إذا أتى بأربعة فُسّاق دَرَأ[٤] عن نفسه الحدَّ عندنا. والقياس أن لا يطالَب بشهودٍ عدول، لأن العدول لا يشهدون ذلك المشهد ولا ينظرون إليه، إنما يشهده الفساق، فالفساق[٥] أحق أن يَدرَأ[٦] بهم الحدَّ عنه من العدول. وليس كالشهادة على إقامة حد الزنى، لأن قصدهم بالنظر إلى ذلك المكان قصد إقامة الشهادة وإيجاب الحد على فاعل ذلك، لذلك لم يصيروا فسَقَة، ولأنهم لا يشهدون بذلك إلا عن توبة تكون منهم، إذ يملكون[٧] التوبة. ولأن الفساق [في الكون] من أهل الشهادة[٨] ليسوا[٩] كالكفار والعبيد، وهؤلاء وإن كانت لا تقبل شهادة الفساق فهم من أهل الشهادة. ألا ترى[١٠] أن من قذف فاسقا، أو كانت امرأة فقذفها زوجها وهو فاسق، إنا نحدّ قاذف الفاسق ويُلاعَن بين الزوج وبين امرأته. وإن قذف مسلمٌ كافرا أو قذف حرٌّ[١١] عبداً لم يُحَدّ، وإن قذف أحدهما زوجته لم يلاعَن بينهما. فمن خالفنا في هذا اللعان[١٢] فليس يخالفنا في أن الحر إذا قذف العبدَ، والمسلمَ إذا قذَف الكافرَ فلا حدّ على واحد منهما. فهذا كله يدل أن الفساق من أهل الشهادة، والكافر والعبد والمحدود في القذف ليسوا من أهل الشهادة، فإذا كانوا[١٣] من أهل الشهادة

---

[١] ع: لزم.
[٢] ر م: تسقط.
[٣] جميع النسخ: له؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢١ظ.
[٤] ن ع م: درئ.
[٥] ر ع م – فالفساق.
[٦] ر: يدرئ؛ ع م: يدر.
[٧] ن: تملكون.
[٨] ع – وإيجاب الحد على فاعل ذلك لذلك لم يصيروا فسقة ولأنهم لا يشهدون بذلك إلا عن توبة تكون منهم إذ يمنكون التوبة ولأن الفساق من أهل الشهادة.
[٩] ر م: ليس.
[١٠] ن: يرى.
[١١] ع: حرمه.
[١٢] ن: في اللعان.
[١٣] أي فلو كانوا.

-وإن لم تقبل شهادتهم في غيره- فأوجب ذلك شبهة، والحدود مما تُدرَأ[1] بالشبهات، لذلك دُرِئ عنه الحدّ.[2] وأما الكافر والعبد والمحدود في قذف، فإذ[3] لم يكونوا من أهل الشهادة لم تجب[4] شبهةٌ في دَرْءِ الحد عنه، لذلك افترقا.

ثم المسألة إذا جاء الشهود[5] متفرقين[6] حُدُّوا ولم تقبل[7] شهادتهم. والقياس[8] عندنا أن لا يُحدُّون[9] لأنهم إنما يقومون[10] في الشهادة محتسبين لا يقصدون به قذفه ولا شتمه، وأما الرامي فإنه يقصد قصْدَ شتمه وقذفه. ولأن الشاهد يقول: رأيته فعل كذا؛ والرامي يقول: أنت كذا، فكان كمن يقول لآخر: رأيته كفر، لم يضرب بهذا القول، ولو قال: يا كافر ضُرِب، لأن هذا خرج مخرج الشتم، والأول لا، فعلى ذلك الأول. لكنهم أقاموا الحد على الشهود إذا جاءوا متفرقين، لأن الله أكد الشهادة بالزنى بأمرين. **أحدهما** أن لا يقبل فيها أقلَّ من أربعة، وأن لا يقبل حتى يقولوا:[11] زنى بها، فيأتوا بهذه[12] اللفظة ويصفوا بأكثر مما يوصف غيرُه من النكاح وغيرِه. فالشهادة بالزنى أحوج[13] إلى اجتماع الشهود في موطن واحد من اجتماع الشهود[14] على النكاح، ومن قولهم: إن النكاح إذا عُقد بشاهدين متفرقَين لم يكن نكاحا. فالزنى الذي كان أمره أوْكَد[15] والحاجة إليه أحوج[16] وأكثر أحقُّ أن لا يقبل.

---

[1] ر: يدرئ؛ م ن: يدرا؛ ع: يدر.
[2] أي المشهود عليه.
[3] ع: فإذا.
[4] ر ع م: يجب؛ ن: يوجب.
[5] ن: للشهود.
[6] أي غير مجتمعين، فرادى.
[7] ع: يقبل.
[8] ن: والفاسق.
[9] م: لا يحددون.
[10] ن: تقومون.
[11] ن: تقولوا.
[12] ر ع م: فيأتون هذه.
[13] ر م: أخرج.
[14] ع - في موطن واحد من اجتماع الشهود.
[15] ر ع م: واكد.
[16] ر: أخرج.

والثاني ما جاء عن عمر أن ثلاثة شهدوا على رجل بالزنى وفيهم أبو بكرة[١] فجلدهم عمر جميعًا لما لم يشهد الرابع كما شهدوا هم،[٢] وكان ذلك بحضرة أصحاب النبي فلم ينكر عليه أحد فكان ذلك إجماعا. ألا ترى أن أبا بكرة[٣] رضي الله عنه[٤] قال بعد ذلك: أنا أشهد، فهمّ[٥] عمر أن يجلده فقال له علي[٦] رضي الله عنه: إن جلدت هذا فارجُمْ صاحبك.[٧] فلم ينكر عليه عليٌّ جلده[٨] إياهم إذا لم يتِمّ أربعة، إنما أنكر إذا تم. والله أعلم. لذلك[٩] قلنا: إنهم إذا جاءوا فُرادَى متفرّقين صاروا قَذَفة ولا ينتظر به حضور من بقي منهم كما لم ينتظر عمر.

ثمّ مسألة أخرى: إنه إذا جاء أربعة وأحدهم زوج قُبِل عندنا ودُرِئ[١٠] عنه الحدّ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف، ولأن الشهادة عليها وشهادة الزوج على امرأته تقبل، وإنما تردّ إذا شهد لها. ألا ترى أنه لو شهد / عليها في الديون والقصاص والسَّرِقة [٥١٥و] وغير ذلك من الحقوق قُبِل، فعلى ذلك في هذا.

---

١ ن: بكر.

٢ م: شهدوهم.

٣ ن: بكر.

٤ ر ع م - رضي الله عنه.

٥ ع: أفهم.

٦ ن: وعلي.

٧ روي في *السنن الكبرى* للبيهقي (٨/٢٣٥) عن قتادة: أن أبا بكرة ونافع بن الحارث بن كلدة وشبل بن معبد شهدوا على المغيرة بن شعبة أنهم رأوه يولجه ويخرجه؛ وكان زياد رابعهم وهو الذي أفسد عليهم، فأما الثلاثة فشهدوا بذلك. فقال أبو بكرة: والله لكأني بأثر جُدَرِيّ في فخذها. فقال عمر رضي الله عنه حين رأى زياد: إني لأرى غلاما كيسا لا يقول إلا حقا ولم يكن ليكتمني شيئا. فقال زياد: لم أر ما قال هؤلاء ولكني قد رأيت رِيبَة وسمعت نَفَسا عاليا. قال: فجلدهم عمر رضي الله عنه وخلى عن زياد. وقد رويناه من وجه آخر موصولا، وفي رواية علي بن زيد عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة أن أبا بكرة وزيادا ونافعا وشبل بن معبد كانوا في غرفة والمغيرة في أسفل الدار، فهبت ريح ففتحت الباب ورفعت السِّتر فإذا المغيرة بين رجليها، فقال بعضهم لبعض: قد ابتلينا، فذكر القصة. قال: فشهد أبو بكرة ونافع وشبل، وقال زياد: لا أدري نكحها أم لا. فجلدهم عمر رضي الله عنه إلا زيادا. فقال أبو بكرة رضي الله عنه: أليس قد جلدتموني؟ قال: بلى. قال: فأنا أشهد بالله لقد فعل. فأراد عمر أن يجلده أيضا فقال علي: إن كانت شهادة أبي بكرة شهادة رجلين فارجم صاحبك وإلا فقد جلدتموه، يعني لا يجلد ثانيا بإعادته القذف. وانظر أيضا: *المصنف* لابن أبي شيبة، ٥/٥٤٥.

٨ ر م: جلدة؛ ع: في جلده.

٩ ن: بذلك.

١٠ ن: درئ.

فإن قيل: إن الزوج إنما يشهد لنفسه و[لما]فيه منفعة له، لأن حدّه[1] اللعانُ إذا قذفها، فهو يريد أن يزيل اللعان[2] عن نفسه.

قيل: إنما يكون حد الزوج اللعانَ إذا قذفها قبل أن يرتفعا إلى الحاكم، فإذا فعل ذلك ثم شهد مع ثلاثة لم تجز[3] شهادته. وأما إذا كان أول ما بدأ به أنْ جاء مع ثلاثة فشهدوا عليها بالزنى فليس يُبطل بشهادته عن نفسه شيئا وجب عليه. ألا ترى[4] أن الأجنبي إذا قذف امرأته ثم جاء ليشهد[5] بذلك عليها مع ثلاثة، [فـ]إن شهادته لا تجوز،[6] لأن الحد قد لزمه قبل شهادته فهو يدفع الحد الذي وجب عليه بشهادته[7] فلا تُقبَل. وإنه[8] لو جاء مع ثلاثة وكان أول أمرهم أن يشهدوا عليها بالزنى فشهادتهم جائزة،[9] ولا يقال: إن أحدا[10] منهم يدفع عن نفسه شيئا وجب عليه، فعلى ذلك الزوج.[11]

وقوله: **ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون**، تسمية الفسق لهم لا تخلو إما أن كان لِما رَمَوا وقذفوا به بريئا من ذلك، أو لما هتكوا عليه السِتر من غير أن يَهتِك[12] هو على نفسه.[13] فإن كان[14] الأولَ فذلك لا يعلم إلا الله، فعلى ذلك توبته[15] لا تظهر عندنا، فإنما ذلك فيما بينه وبين ربه، فكأنه قال: **وأولئك هم الفاسقون** عند الله، **إلا الذين تابوا**. وإن كان الثاني فإنا نعلمه، فكأنه قال: **وأولئك هم الفاسقون** عندكم، **إلا الذين تابوا**. لكن[16] لا تظهر توبته عندنا، لأن توبته هو[17] أن يعزم

---

[1] ر: حد.
[2] ن + إذا قذفها.
[3] ع: يجز.
[4] ن: يرى.
[5] ع: يشهد.
[6] ر ع م: يجوز.
[7] ع: شهادته.
[8] ع: هو انه.
[9] ن: جائز.
[10] ر: أحد.
[11] ن: للزوج.
[12] ر ع م: هتك.
[13] يستعمل المؤلف ضمير التذكير وإن كان بيان الآية التي نحن بصدد تأويلها للمحصنات، لأنه رحمه الله يرى لو كان المقذوفون بالزنى رجالا لوجب حد القذف أيضا كما مر أثناء تأويلاته للآية.
[14] ع – كان.
[15] ع: توبة.
[16] ر م – لكن.
[17] ر – هو.

أن لا يَهتِك على آخَرَ سِتره أو يعزم أن لا يقذف بريئا من الزنى أبدا. فأيّ الوجهين كان تسمية[١] فسقهم فإن التوبة من ذلك لا تظهر عند الناس، لذلك[٢] لم تقبل [شهادتهم]. وكذلك[٣] قال ابن عباس: وإنما توبته فيما بينه وبين الله، إذا تاب غفر الله له ذنبه الفريةَ.[٤] وكذلك روي عن غير واحد من السلف من نحو الحسن وإبراهيم وأمثالهما[٥] قالوا: توبته فيما بينه وبين ربه.[٦]

وقوله: **ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا**، ليس ثمة شهادة رفعت إلى الحاكم فردها ولكن لا[٧] تقبلوا لهم شهادة يرفعونها إلى الحكام، فالجرح على كل شهادة يرفعون [به] من بَعدُ. ثم إذا شهد[٨] بعد ما قذف قبل أن يُجلَد قبِلت شهادته وهو قاذف، فدل أن شهادته إنما تُرَدّ بعد ما جلد لما اتهمه الحاكم. وكل شهادة ردت لتهمة[٩] فهي لا تُقبل أبدا، والتهمة التي بها جُلد القاذف هي لا تزول أبدا. أو أن يكون توبته قوله: قد[١٠] كذبتُ فيما قذفتُ. فكنا نرد شهادته لتهمة الكذب، فإذا أكذب نفسه نقبلها[١١] لتحقق[١٢] الكذب، فهذا بعيد.

وأصله أن كل توبة كانت بعد التمكين فهي لا[١٣] ترفع الحكم الذي جُعل له والحدَّ، وكل توبة كانت قبل التمكين فهي ترفع العقوبات، كقوله: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ،[١٤] فلو لم يرفعوا[١٥] عنهم تلك العقوبات لكانوا يتمادَون في السعي في الأرض بالفساد.[١٦] وأما فيما نحن فيه فليس في ذلك التمادي فيه.

---

[١] ر ع: تسمية.
[٢] ع: كذلك.
[٣] جميع النسخ: ولذلك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢١ظ.
[٤] ورد في مصنف عبد الرزاق (٣٨٧/٧) عن مَعْمر عن قتادة عن الحسن وغيره قال: لا تقبل شهادة القاذف أبدا إنما توبته فيما بينه وبين الله. قال: وقاله شريح أيضا. وانظر أيضا: *مصنف ابن أبي شيبة*، ٣٢٤/٤.
[٥] جميع النسخ: وأمثالهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢١ظ.
[٦] انظر: *تفسير الطبري*، ٨٠/١٨-٨١، ١٠٤-١٠٥؛ و*تفسير القرطبي*، ١٨١/١٢، ٢٠٩.
[٧] ن - لا.
[٨] ر م: شهدوا.
[٩] ع: لتهمته.
[١٠] ر ع م: فقد.
[١١] ر ن ع: تقبلها.
[١٢] ر: التحقق.
[١٣] ع: على.
[١٤] ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ (سورة المائدة، ٣٤/٥).
[١٥] ع: لم يعرفوا.
[١٦] ع: في الفساد.

وزعم الشافعي أن حاله قبل الحد وبعد ذلك سواء. وهذا[1] خلاف ما نص الله عليه، قال الله تعالى: **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**، الآية، وقال: فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ،[2] فجعلهم كاذبين عند العجز عن[3] إقامة الشهداء وكان[4] أمرهم قبل ذلك موقوفا. فالواجب أن يجعلهم كاذبين عند عجزهم عن تصحيح ما قالوا وهي[5] الحال التي جعلهم الله فيها كاذبين. فبانَ بما وصفنا أن من جعل حال المحدود بعد أن ضُرب الحدّ كحاله قبْل ذلك مخطئٌ. ودل ما وصفنا على أنه لا يجب أن يُستدل بجواز شهادته قبل أن يُجلد على جواز شهادته إذا تاب بعد الجلد على ما ذكرنا، لأنا بالجلد علمنا أنه قاذف، لا بما كان من رميه المرأة قبل أن يُجلد. ومن الدليل على اختلاف الحالين أن عمر لما جلد أبا بكرة[6] قال له: إن تبت قبِلت شهادتك، وأنه قبْل أن يجلده لم يَرُدّ شهادته،[7] لأنه لو كان عنده مجروحا بالقذف لم يسمع شهادتهم. ولا أعلم بين أهل العلم خلافا أنه لا تقبل[8] شهادته بعد الجلد ما لم يَتب، وإنما يختلفون في[9] شهادته[10] بعد التوبة وأن شهادته قبل الجلد مقبولة، فكيف تشتبه[11] الحالتان مع ما[12] وصفنا.

وقال غيرهم: التوبة تُزيل فِسقَه ولا تجوز[13] شهادته، وقالوا:[14] الاستثناء على آخر الكلام على الذي يليه [فقط]. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على بطلان شهادته وإن تاب، [مثل] ما رَوى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] ر م: هذا.
[2] سورة النور ١٣/٢٤.
[3] ع: أن.
[4] ع: فكان.
[5] ع: أو هي.
[6] ن: بكر.
[7] والرواية في صحيح *البخاري* وردت بلفظ: «وجلد عمر أبا بَكْرَةَ وشِبْلَ بن معبد ونافعا بقذف المغيرة ثم اشتتابهم، وقال: من تاب قبلت شهادته» انظر: الشهادات، ٨.
[8] ر ع م: يقبل.
[9] ن – في.
[10] ع: شهادتهم.
[11] جميع النسخ: يشتبه.
[12] ر ع م – ما.
[13] ر ع م: يجوز.
[14] ر ع م: قالوا.

«المسلمون عُدولٌ بعضُهم على بعض إلا محدودا في قذف».[١] وعن ابن عباس قال: لما نزل قوله: **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة**، وذكر حديثا[٢] فيه طول وفيه: لم يلبثوا إلا قليلا حتى جاء هلال بن أُمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم [و]قال: يا رسول الله لقد / رأيت فلانا مع أهلي. فقال[٣] رسول الله صلى الله [٥١٥ظ]
عليه وسلم: «ما تقول يا هلال؟» قال: والله يا رسول الله، لقد رأيته وسمعته بأذني. قال: فشق على رسول الله الذي[٤] جاء به، ثم قال: «أيُجلَد هلال وتبطل[٥] شهادته في المسلمين »، فاشتد ذلك على رسول الله وجعل يقول: «أيجلد[٦] هلال وتبطل[٧] شهادته في المسلمين».[٨] وقول رسول الله «أيُضرَب هلال وتبطل[٩] شهادته في المسلمين؟» وما ظهر من غمه بذلك وجَزَعه يدُلان على أن المحدود لا تُقبل[١٠] شهادته[١١] بعد توبته، لأن توبته لو قُبِلت وكان كسائر الأشياء التي إذا أُنِيب منها جازت شهادته لقال النبي: "تبطل[١٢] شهادته في المسلمين إلا أن يتوب"، لأنه لا يقال في[١٣] شيء من المعاصي: "فلان فعل كذا وكذا فبطلت شهادته في المسلمين" حتى يُقرَن[١٤] إلى ذلك "إلا أن يتوب". وقد ذكرنا عن ابن عباس في قوله: **إلا الذين تابوا**، قال: فتاب الله عليهم من الفسق، فأما الشهادة فلا تجوز.[١٥] وكذلك رُوي عن كثير من السلف أنهم قالوا: توبته فيما بينه وبين ربه.

---

[١] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢٧٣/٣.
[٢] جميع النسخ: حديث.
[٣] ر + يا.
[٤] ن ع: للذي.
[٥] جميع النسخ: ويبطل.
[٦] ن ع: يجلد.
[٧] جميع النسخ: ويبطل.
[٨] انظر: *تفسير الطبري*، ٨٣/١٨؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ٢٧٣/٣.
[٩] جميع النسخ: ويبطل.
[١٠] ر ع م: يقبل.
[١١] ع – في المسلمين وما ظهر من غمه بذلك وجزعه يدلان على أن المحدود لا تقبل شهادته.
[١٢] جميع النسخ: يبطل.
[١٣] ع – في.
[١٤] ن: يقرر.
[١٥] جميع النسخ: فلا يجوز. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢٧٣/٣.

وفيه وجه آخر وهو أن القاذف إذا ضُرب الحدَّ فهو[١] يقول ما لم يرجع: أنا صادق في نفسي و لم يلزمني[٢] الحدُّ فيما بيني وبين ربي وإنما لزمني في ذلك الحكمِ. فإذا تاب فهو يقول: كان الحد واجبا عليّ فيما بيني وبين ربي[٣] وفي الحكم، فذلك أحرى أن لا يزول عنه من إبطال شهادته بذلك الحد.

ووجه آخر وهو أن القاذف لم تبطل[٤] شهادته بقوله: فلانٌ زانٍ، لأنه مدّعٍ بقوله هذا شيئا قد يجوز أن يكون حقا، وإنما يصير قاذفا إذا عجز عن إقامة البينة وضَرَبَه الحاكم الجلدَ. فإذا كانت شهادته إنما بطلت بحكم حاكم لم يَزُل ذلك الحكم إلا بحكم حاكم.[٥] فإن حكم حاكم بجواز شهادته في شيء جازت شهادته[٦] فيه.

فإن قيل: يلزمكم على هذا أن تقولوا: إن قال حاكم: قد أجَزتُ شهادته في كل شيء فإنها[٧] تجوز،[٨] لأن الحاكم قد رفع ما لزم من بطلان شهادته بالحكم الأول.

قيل: قول الحاكم: قد أجَزتُ شهادته ليس بحكم، إنما هو فتوى، والحكم إنما يكون فيما تقام له البينة أو يقع له الإقرار.

فإن قيل: فما تقولون في رجل زنى فحدَّه الحاكم، هل تجوز[٩] شهادته إن تاب؟ قيل: بلى.

فإن قال: قد بطَلت شهادته بحكم[١٠] آخر[١١] وتوبته مقبولة[١٢] بغير حكم حاكم، فما منَع أن يكون القذف مثلَ ذلك، وما[١٣] الفرق؟

قيل: الزنى فِعل ظاهر يعرف به فسق الزاني وإن لم يُحدّ، والقذف[١٤] لا يعلم كَذِبُ

---

[١] م + فهو.
[٢] ع: ويلزمني.
[٣] ن: الله؛ م + وإنما لزمني في ذلك الحكم فإذا تاب فهو يقول كان الحد واجبا علي فيما بيني وبين ربي.
[٤] جميع النسخ: يبطل.
[٥] ع: حكم.
[٦] م – في شيء جازت شهادته.
[٧] جميع النسخ: أن.
[٨] ر م: يجوز.
[٩] ر ع م: يجوز.
[١٠] ن ع + حاكم.
[١١] ن – آخر.
[١٢] ر ع م: مقبول.
[١٣] ع: وأما.
[١٤] ع: وا القذف.

القاذف فيه من صدقه،[١] لأنه شيء يدّعيه على غيره، وإنما يُعلَم أنه كاذب في قذفه بما يُنفَّذ عليه من حكم الحاكم، فلذلك افترقا.

ومن الدليل أيضا على أن شهادة القاذف إذا حُدّ لا تُقبل وإن تاب أنه إذا قال: "تبت من[٢] قذفي فلانا وكنت في ذلك كاذبا"[٣] فلسنا ندري هل هو صادق في قوله: "كنت كاذبا" أم هو في قوله ذلك [كان] كاذبا، لأن المقذوف إن كان في الحقيقة زانيا فقول القاذف: "كنت في قذفي إياه [كاذبا] كذِبٌ[٤] منه" وهو في ذلك آثم. فإذا كنا لا نقف بتكذيبه نفسه على كذِبه فيه من صدقه لم نجعل له[٥] توبة، لأن التوبة إنما تكون أن يظهَر عند الحاكم[٦] من الأفعال ما يعلم بنفسها أنها[٧] طاعة، وأنه فيها على خلاف ما ظهر من نفسه في الوقت الأول، فلمّا لم يُعرَف كذِب المكذِّب لنفسه من صدقه لم يجعل[٨] ذلك منه توبة. وقلنا: توبته فيما بينه وبين ربه، لأن الله يعلم هل هو كاذب في تكذيبه نفسه أو صادق، ونحن لا نعلم ولا دليل لنا من الظاهر عليه، فلم نجعل توبته توبة في الحكم، وقلنا: حالك الآن كحالك قبل ذلك.

ودليل آخر أنا قد علمنا كذبه بقول الله: فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ،[٩] فإذا قال: "كذبت في قذفي، قلنا له: "لم تفِدنا بتكذيبك نفسَك فائدة لم نعرفها، فأنت في هذا الوقت كاذب فإنك[١٠] في الوقت الأول تُعلمنا أنك كاذب، فحالك الآن في شهادتك كحالك قبل ذلك، على ما ذكرنا.

على أن الشافعي يقول: لا ترجع الملاعنة إلى زوجها وإن تاب. فإذا كانت توبته لا تُبطِل ما لزمها من الحكم في رجوعها إليه فكذلك لا يُبطِل ما لزمه من الحكم في بطلان شهادته. **والله أعلم.**

---

[١] ع: من صدق.
[٢] ع - من.
[٣] ر م: كذبا.
[٤] جميع النسخ: كذبا.
[٥] ر ع م: لم نجعله؛ ن: لم يجعله.
[٦] ر م: الحكم.
[٧] ن: أنه.
[٨] ع: لم يجعله توبة.
[٩] ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ (سورة النور، ٢٤/١٣).
[١٠] ن: وأنت.

وقوله: **فاجلدوهم ثمانين جلدة**، إن كان الجَلْد مأخوذا من [ضرب] الجِلْد[1] فجائز أن يستخرج منه حدُّ الضرب وهو أن لا يجاوز[2] الجلود ولكن يُضرب مقدارَ ما لم يتألم به ويتوجع ولا يمزّق به الجلود ولا يَخرِقها. ويستخرج[3] منه التفريق في الأعضاء كلها والجوارح، لأنه لو ضرب في مكان واحد لخرَقه ومزّقه، سوى الرأس والوجه والمذاكير لما فيه من التأثير والمجاوزة.

فإن كان كذلك ففيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في قوله: إن الشهود إذا شهدوا على حد فضرَب به الإمام فأصابه الجراحات ثم رجعوا لا يَضمنون ما أصابه من الجِراحات، لأنهم لم يشهدوا[4] على ضرب يَجرَح[5] ويُؤثر فيه ما أصابه، لذلك لم يَضمنوا.

[٥١٦و] وقول عمر لأبي بكرة: "نقبل شهادتك إن تُبتَ"[6] فهو / يحتمل: أي نقبل روايتك عن رسول الله ومشاهدك[7] التي شهدتها.

وقد ذكرنا[8] أن الحكم والحد في الآية إنما جرى في قذف المحصَنات دون المحصَنين بقوله: **والذين يرمون المحصَنات**، الآية، لكن قذف المحصن وشتمه إن لم يكن أكثر في الشَّين وأعظم في الوزر لا يكون دونه. فالذِكر وإن جرى في المحصنات فأمكن وجودَ المعنى الذي به جرى ذلك في المحصنات[9] في المحصَن، وهو ما قال: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[10] وهو الإيمان والإحصان والعفة، لذلك لزم الحكم في هذا [المحصَنين] كما لزم في المحصنات.

وقد ذكرنا أيضا فيما تقدم أن لا يجلد من قذَف مملوكة أو مملوكا أو قذف كافرة. أما المملوك لقوله: **والذين يرمون المحصنات**، وقد ذكرنا الدليل على أن المراد بالمحصنات الحرائر دون غيرهن،

---

[1] جميع النسخ: الجلود؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢١ظ.
[2] ن: أن لا تجاوز.
[3] ر م: وتستخرج.
[4] ع: لم يشهدا.
[5] ر: يخرج.
[6] انظر: تفسير *الطبري*، ٧٦/١٨.
[7] ع: ومشاهدتك.
[8] ر ن ع: ذكر.
[9] ن + لا.
[10] سورة النور ٢٣/٢٤.

لذلك لم يجلد قاذف المملوك. ولأنا لو أوجبنا[1] على قاذفه الجلد أوجبنا[2] جلد ثمانين، فهو لو أتى بفعل الزنى حُدَّ خمسين، فلا يجوز أن يوجَب على قاذفه مما به قذف من الجلد أكثرُ مما يُوجب في عين[3] ذلك الفعل[4] لو أتى به. فسقط بما ذكرنا الجلد على قاذف المملوك. وأما الكافر والكافرة [فقد] سقط عن[5] قاذفهما الحد لما ذكرنا من قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ،[6] شرط فيه الإيمان والإحصان والعفة، فإذا عُدِم أحد[7] ما ذكرنا لم يُقَم، ولأنا لو أوجبنا الحد حدّدناه لقَذْف عدو الله. ولا يجوز أن يجلد مسلم بقذف[8] عدو من أعداء الله، مع ما فيما ذكرنا من المسائل إجماع بين أهل العلم في ذلك. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٦] ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٧] ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٨] ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٩]

وقوله: **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله**، روي عن ابن عباس [أنه] قال: لما نزلت هذه الآية قال عاصم[9] بن عدي الأنصاري:[10] دخل منا رجل بيته فوجد رجلا على بطن امرأته، [فـ]أراد أن يخرج فيجيء بأربعة رجال شهودٍ يشهدون على ذلك، [لكن]قد قضى الرجل حاجته وخرج. وإن هو عجّل فقتَل قُتِل به، وإن هو قال: وجدت فلانا مع فلانة ضُرب به الحد ولاعن امرأته، وإن سكت سكت على غيظ. فذَكر أنه ابتُلي بذلك من بين الناس، فأتى رسول الله فأخبره بذلك وقال:

---

[1] ر: وجبنا.
[2] ر م - على قاذفه الجلد أوجبنا.
[3] ر: في غير.
[4] ن: القول.
[5] ن ع: على.
[6] سورة النور ٢٣/٢٤.
[7] ر ع م: عد واحد.
[8] ع: يقذف.
[9] ر ع م: عبد الله.
[10] ن ع + ان. ورد في *التاريخ الكبير* للبخاري (٤٧٧/٦) معلومات مختصرة: عاصم بن عدي الأنصاري المديني أبو البداح -شهد بدرا- الأوسي العجلاني. قال أبو عاصم عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن أبي البداح بن عاصم عن أبيه قال: رخص النبي صلى الله عليه وسلم لرعاء الإبل أن يرموا يوم النحر ويؤخروا يومين ثم يرموا.

وجدت فلانا على[1] بطنها. فأرسل رسول الله إلى امرأته وإلى فلان فجمع بينهما وبين عاصم فقال للمرأة: «ويحكِ ما يقول زوجك؟» قالت: يا رسول الله، إنه لكاذب ما رأى شيئا من ذلك، ولكنه رجل غَيور فذلك الذي حمله على أن يتكلم بالذي تكلم،[2] فكان فلان ضيفا[3] عنده يدخل ويخرج عليّ وهو يعلم ذلك فلم ينهَني[4] عن ذلك ساعة من ليل ولا نهار[5] أن[6] يدخل عليّ. فسأله[7] عن ذلك فقال: «يا عاصم اتق الله في حليلتك ولا تقل إلا حقا.» قال: يا رسول الله، أُقسم بالله ما قلت إلا حقا ولقد رأيته يغشي على بطنها وهي حُبلى وما قرَبتها منذ كذا وكذا. فأمرهما رسول الله أن يتلاعنا عند ذلك وقال: «يا عاصم، قُم فاشهد أربع شهادات بالله إنه لكما قلت وإنك لمن الصادقين في قولك عليها.» ثم قال: «والخامسةَ أن لعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين.» ففعل ما ذكر. ثم قال للمرأة مثل ذلك فشهدَت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين عليها في قوله،[8] والخامسةَ أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين عليها في قوله. فلما تلاعنا وفرغا من اللعان فرَق بينهما ثم قال للمرأة: إذا ولدتِ فلا تُرضعيه حتى تأتيني به. فلما انصرفوا عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ولدته أُحَيمر مثل الدِبْس[9] فهو الذي يُشبه أباه الذي نفاه، وإن ولدته أسودَ أدعَج جَعْدًا قَطَطا[10] فهو يشبه الذي رُمِيَت به. فلما وضعت أتت به رسول الله فنظر إليه فإذا هو أسود أدعج جعد قطط على ما نعته رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه الذي رُمِيَت به، فقال[11] رسول الله:[12] «لولا اللعان والأيمان التي سلَفت لكان لي فيها رأي.»[13]

---

[1] ر ن – على.
[2] ن + به.
[3] ع: ضيقا.
[4] جميع النسخ: ينهاني.
[5] ر م: ونهار.
[6] م: وأن.
[7] ع + فسأله.
[8] ر ع م – في قوله.
[9] الدُبْسَةُ: لون في ذوات الشعر أحمر مُشرَب سوادا. والدَّبْسُ: الأسود من كل شيء. والدِبْس بفتح الدال وكسرها: عسل التمر وعصارته (*لسان العرب*، «دبس»).
[10] الأَدْعَجُ من الرجال: الأسود. الجعد من الشعر: خلاف السَبِط، وقيل: هو القصير. والجَعْد من الرجال: المجتمع بعضه إلى بعض، والسبط: الذي ليس بمجتمع. والقَطَطُ: شعر الزَنْجي. وشعر قطَطٌ: جَعْد قصير (*لسان العرب*، «دعج»، «جعد»، «قطط»).
[11] ر م + يا.
[12] ن: عليه السلام.
[13] روي نحوه في *صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٢٤/٣؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٢٤/٢٥.

وفي بعض الأخبار أنه لما جمع بينهما قال لهما:[١] «اتقيا الله فإن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟ فإن[٢] عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا.»[٣] وفي بعض الأخبار أن الآية نزلت في شأن هلال بن أمية فذُكر فيه ما ذكرنا.[٤] *والله أعلم*.

ثم[٥] في هذا مسائل. إحداها[٦] أنه ذُكر قذف الأزواج وذكر فيه اللعان ولم يبيّن في ظاهر[٧] الآية الزوج والزوجة كافران أو حران مسلمان أو مملوكان أو كيف؟ فعندنا أنه إذا كان أحدهما كافرا أو مملوكا أو كانا جميعا [كذلك] لم يكن بينهما لعان إلا أن يكونا جميعا من أهل الشهادة. وحجتنا[٨] في ذلك أن الله جعل على الأجنبي الحر إذا قذف أجنبية حرة الحدَّ ثمانين، وجعل حد[٩] الزوج إذا قذف زوجته وهما حران مسلمان اللعانَ. ثم قد ذكرنا إجماعهم على أن الحر إذا قذف أَمَة أو يهودية فلا حدّ عليه. فلمّا لم يكن على الحر القاذف للأمة من الحد ما على[١٠] قاذف الحرة[١١] لم يكن على زوج الأمة من اللعان ما على زوج الحرة. وأصل هذا أن[١٢] الله ذكر الشهادة في رمي الأجنبية المحصنة وإبراءَ القاذف / عن الجلد[١٣] إذا أتى بها، [٥١٦ظ] وأمر بإقامة الحد إذا عجز عن إقامتها. ثم استثنى من الشهداء الذين ذُكر في قذف الأجنبية شهادةَ الزوجين بقوله: **ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله**، فإذ[١٤] لم يدخلا في تلك الشهادة إذا كانا مملوكين أو كافرَين أو أحدهما لم يدخلا فيما استثنى، إذ الثُّنْيا استخراجٌ من تلك الجملة المستثناة وتحصيل منها، لذلك بطل اللعان.

---

[١] م: لها.

[٢] ر م: قال.

[٣] المرجع السابق.

[٤] ورد الحديث بعبارات مختلفة، انظر: *صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٢٤/٣، الطلاق ٢٩، ٣٣-٣٥؛ وسنن *أبي داود*، اللعان ٢٧؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٢٤/٢٥.

[٥] ع + ان.

[٦] ر ن م: إحديها؛ ع: أحدهما.

[٧] ر ع م: فظاهر.

[٨] جميع النسخ: وحجتهم.

[٩] ع - حد.

[١٠] ع م: على ما.

[١١] ر م: الحر؛ ر ع م + ذا قذف أمة.

[١٢] جميع النسخ: بأن.

[١٣] ر م: عن الحد.

[١٤] م: فإذا.

ووجه آخر في الكافرة وهو أن[1] المرأة تقول في الخامسة: عليها غضب الله إن كان من الصادقين، وغضب الله يكون عليها[2] بغير شرط.[3] فمحال أن يقول القاضي لها: عليكِ غضب الله[4] بشرط أن كان الزوج صادقا وهو[5] يعلم أن غضب [الله] عليها في كل حال، لذلك بطل.

والمخالف لنا أولى بإبطال اللعان بين[6] الحر[7] والأمة والمسلم والذمية منا، لأنهم يزعمون أن العبد ليس[8] بكفء[9] للحر، ولا الكافرَ بكفء[10] للمسلم في القصاص في النفس وفيما دون النفس،[11] فكيف جعلوها في أيمانها أكفاء لأيمان الأحرار المسلمين؟ كان يجب أن يقولوا:[12] ليست يمين الكافر بمُحاذِيَةٍ[13] ليمين المسلم فلا يوجبون بينهما لعانا أبدا،[14] والوجه فيه ما ذكرنا بدءا.

ثم المسألة [الأخرى] في إباء الأيمان. إذا أبى أحدهم الأيمان حُدّ عند بعض أهل العلم وهو قول الشافعي، وعندنا أنه لا يُحدّ بالإباء. فذهب من أوجب الجَلْد بالإباء[15] إلى ظاهر قوله: ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ،[16] أوجب الجلد في قذف الأجنبي إذا عجز عن إقامة الشهود ودرأ[17] عنه الحدَّ إذا أتى بأربعة يشهدون. فعلى[18] ذلك دُرِئَ[19] عن الزوجين الحد إذا شهد كل واحد منهما أربع شهادات بالله. فوجب إذا أبى[20] أحدهما الأيمانَ أن يُحَدَّ،

[1] ع – أن.
[2] ر م – عليها.
[3] أي بكونها كافرة.
[4] ع + يكون عليها بغير شرط فمحال أن يقول القاضي لها عليك غضب الله.
[5] جميع النسخ: وهم.
[6] ع – بين.
[7] جميع النسخ: بين الحرة.
[8] ع – أن العبد ليس.
[9] جميع النسخ: بكفؤ.
[10] جميع النسخ: بكفؤ.
[11] ع – النفس.
[12] ع: أن يقول.
[13] ن: بمجازية، ر ع: بمجان به.
[14] ر م – أبدا.
[15] ع: بالإيماء.
[16] سورة النور، ٢٤/٤.
[17] ر ع: ودراء.
[18] ن: فعل.
[19] ن: درأ؛ ن: دريء.
[20] ر م: أتى.

إذ بالأيمان يُدرأ الحد ويوجَب اللعانُ. والثاني ما قال: **ويَدْرَأُ عنها العذابَ أن تشهد أربعَ شهادات بالله**، جعل الأيمان سبب[١] درء الحد عنها فإذا أبت[٢] ذلك لزم الحدُّ.

وعندنا أنه[٣] لا يُحَدّ بالإباء لأنه ليس في الإباء ظهر الكذب، إذ ليس كلُّ من أبى اليمينَ يَظهَر كذبه فيه، وإنما يُحد[٤] لظهور كذبه في القذف وهو[٥] لا يظهر بالإباء. وإنما حد في الأجنبية إذا لم يأت بأربعة شهداء لأنه في الظاهر عند الناس كاذب، لأنه ليس بينه وبين الأجنبية سبب ولا معنى يبعثه على إظهار ما ذكر. وأما فيما بينه وبين زوجته سبب ومعنى يحمله[٦] على إظهار[٧] ذلك وهو الغيرة. فإذا كان كذلك فهو في قذف[٨] الزوجة في الظاهر صادق عند الناس للسبب الذي ذكرنا، لأنه طالبُ حقٍ قِبَلها، على ما روِي: «لا يُوطِئَنَّ فُرُشهنّ من يكره الأزواج»[٩] فلا يزال صدقه بإباء اليمين. وأما في قذف أجنبية فهو كاذب في الظاهر لعدم السبب الحامل على إظهار ذلك فهو على ذلك[١٠] الكذب[١١] حتى يأتي ما به[١٢] يزيل الكذب وهو الشهود. وفي [قذف] الزوجة على الصدق حتى يظهر كذبه، ولا يظهر[١٣] بالإباء، لذلك افترقا. ولأن الحد لا يقام بالإباء ألبتّة. ولأن الأيمان لا تُقابَل[١٤] بشهادة العدول بحال. ألا ترى أن من شهد عليه شاهدًا عدلٍ[١٥] بحقّ فحلف هو بأيمان لم تكن تُقابَل[١٦] الأيمان بتلك الشهادة في سقوط الحق.

[١] ن - سبب.
[٢] ن: أتت.
[٣] ع: لأنه.
[٤] ر: تحد.
[٥] ر ع م + لا يعلم.
[٦] ع: بجملة.
[٧] ع: على ظاهار.
[٨] ع: في القذف.
[٩] ورد الحديث بلفظ: «وإن لكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أحدا تَكْرَهونه» انظر: صحيح *مسلم*، الحج ١٩؛ وسنن *ابن ماجة*، المناسك ٨٤، وسنن *أبي داود*، المناسك ٥٨.
[١٠] ر م - فهو على ذلك.
[١١] م: لكذب.
[١٢] م - به.
[١٣] ر م - كذبه ولا يظهر.
[١٤] ع: لا تقبل.
[١٥] ر م: شاهد عدل.
[١٦] ر م - تقابل.

وأما قوله: **ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله**، جائز أن يكون ذلك في تلك[1] المرأة التي في أمرها نزلت الآية، علم رسول الله[2] صلى الله عليه وسلم كذبها بالوحي. ألا ترى أنه قال:[3] إذا جاءت بكذا فهو لكذا[4] وإذا جاءت بكذا فهو لكذا، ثم جاءت به شبيها بالذي رُمِيت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن»،[5] علم كذبها حيث قال: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن» فدرأت تلك المرأة العذابَ عنها بالأيمان. أو أن يكون العذاب[6] الذي دُرِئ[7] عنها الحبسَ، إذ مِن قولنا: "أيهما أبى اليمين حُبِس حتى يَشهَد أربعَ شهادات بالله أو يُقِرّ بالزنى أو يكذّب نفسه". فدُرِء[8] الحبس عنها بالأيمان التي ذكر. وإنما[9] لم يُحدّ بالإباء، لأن الإباء لا يُظهِر الكذب كالإقرار، ولأن الإباء في الحقيقة إباحةٌ. ولو أن[10] إنسانا أباح للحاكم أن يقيم عليه الحدّ لم يقِم، فعلى[11] ذلك هذا. أو لِمَا يجوز أن يأبى[12] عن الأيمان صونا لنفسه عن اللعن والغضب الذي ذُكر فيه،[13] فلم يُحدّ لما ذكرنا.[14]

ثم مسألتان[15] **في هذا** نذكرهما وإن لم يكونا في ظاهر هذه الآية. إحداهما[16] في إلحاق[17] الولد أمه، والأخرى في تفريق الحاكم بينهما إذا تلاعنا. قال بعض أهل العلم:

---

[1] ع – في تلك.
[2] ن – رسول الله.
[3] ن + قال.
[4] ن: لذا.
[5] انظر: صحيح *البخاري*، تفسير القرآن ٣/٢٤؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٢٥/٢٤.
[6] ع – عنها بالأيمان أو أن يكون العذاب.
[7] ر: دراء؛ ع: درأ.
[8] ر: قدر؛ ن: درئ.
[9] ع: وإنما.
[10] ع: ولعان.
[11] ن: فعل.
[12] ع: أن يأتي.
[13] ر م – فيه.
[14] ع: لما ذكر.
[15] ر م: مسألتنا.
[16] جميع النسخ: احديهما.
[17] ن: في الحلق؛ ع: في الحاق.

إذا[1] فرغ الزوج من أيمانه وقعت بينهما الفُرقة وإن لم يفرق الحاكم. وقلنا نحن: لا تقع[2] الفرقة بينهما حتى يفرغا من تلاعُنهما ويفرق الحاكم بينهما. والأخرى في إلحاق الولد. قال[3] أولئك أيضا: إذا فرغ الزوج من لعانه لحِق الولد أمَّه وإن لم تلتعن[4] المرأة.

والقياس في لحوق الولد ما قال أولئك: إنه يلحق بفراغ[5] الزوج[6] من اللعان. والقياس في وقوع الفرقة ما قال أصحابنا: إنه لا يقع إلا بعد فراغ الزوجين جميعا وتفريق الحاكم بينهما، لأن الزوج إذا شهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين قد ألزَم امرأتَه الزنى في الظاهر. فإذا ظهر ذلك ظهر[7] أن الولد ليس منه، فجائز لحوقه بالأم[8] بفراغه / من اللعان. وأما الفرقة [٥١٧و] فإنها لا تقع إلا[9] بظهور الزنى، ألا ترى أن امرأة الرجل إذا زنت لا يقع بينهما الفرقة، ألا ترى أن دعوى[10] المرأة باقية بعد فراغ الزوج من أيمانه، لذلك افترقا.[11]

والأخبار تدل لمذهب أصحابنا في المسألتين جميعا، لأنه روي عن نافع عن ابن عمر[12] أن رجلا لاعن امرأته في زمان[13] رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفى من ولدها،[14] ففرق رسول الله بينهما وألحق الولد بالمرأة.[15] وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين[16] [عاصم بن عديّ وبين امرأته] فرق[17] بينهما.[18] وروي في الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما:

---

[1] ن + إذا.
[2] ر ن م: لا يقع.
[3] ن ع: فإن.
[4] ع: لم يلتعن.
[5] ع: بفرغ.
[6] ع - الزوج.
[7] ر م - ذلك ظهر.
[8] ن: بالأمن.
[9] ر م - إلا.
[10] ع: دعوة.
[11] أي افترقت المسألتان.
[12] ع + أن رضي الله عنه.
[13] ع: من زمان.
[14] ع - ولدها.
[15] ع: بامرأة. انظر: صحيح *البخاري*، الطلاق ٣٥-٣٧؛ وصحيح *مسلم*، اللعان ١.
[16] جميع النسخ: بينهما.
[17] جميع النسخ: ففرق.
[18] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٣٨/٦، و*تفسير ابن كثير* ٢٥٨/٣-٢٥٩.

«الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟»[1] قال ذلك لهما ثلاثا فأبيا ففرق بينهما. وفي بعض الأخبار قال: «حسابكما على الله، أحدكما كاذب، لا سبيل لك عليها».[2]

فإن قيل: إنما فرّق النبي بينهما[3] لأن الفرقة قد وقعت بينهما، فأخبره النبي أنه لا تحل له وقال: «لا سبيل لك عليها».

قيل: قولكم: "إن الفرقة قد وقعت بينهما[4] باللعان" دعوى منكم، وظاهر الأخبار يشهد لنا وعلى وهْمِ الخصم. ثم يقال لهم: ألستم تقولون في المُولِي: إذا مضت مدّته فارتفعا إلى الحاكم هل تقع الفرقة بينهما إذا امتنع من قِربانها أو طلاقها[5] ما لم يقل القاضي: قد فرّقت بينكما؟[6] فإن قيل: فرقة الإيلاء طلاق وفرقة اللعان غير طلاق عندنا. قيل: هما عندنا طلاق.

فإن قيل: إنكم تزعمون أن فرقة الإيلاء تقع بمُضيّ الأجل، فما منع أن يقع الفرقة باللعان بتمام اللعان؟

قيل: لم يكن للحاكم في[7] الإيلاء صنع فلا[8] يحتاج إلى حكمه، وفي الآخر لا يتم اللعان إلا بالقاضي فلا تقع[9] الفرقة إلا بالقاضي. ويقال لهم: ما تقولون في رجل ادعى حقا فأقام عليه شاهدين عند قاض، هل يلزم الحكم قبل أن يقول القاضي: قد حكمت بذلك. فإن قالوا: لا يلزم الحكم حتى يقول: قد حكمت، فيقال: ما منع أن اللعان [أن يكون] مثله؟[10]

ويقال لهم أيضا: ما تقولون في العِنّين[11] أجّله الحاكم سنة،[12] هل تقع الفُرقة بينه وبين امرأته بمضيّ الأجل أو تقع الفرقة حتى تُخيّر المرأة ويفرق الحاكم بينهما؟[13] فإن قالوا:

---

[1] ورد الحديث بعبارات مختلفة، انظر: صحيح *البخاري*، تفسير القرآن ٣، الطلاق ٢٩، ٣٣-٣٥؛ وسنن *أبي داود*، اللعان ٢٧؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٢٤/٢٥.

[2] انظر: صحيح *البخاري*، الطلاق ٥٤؛ وصحيح *مسلم*، اللعان ١.

[3] ر ع م: بينهما النبي.

[4] ن - بينهما.

[5] جميع النسخ: وطلاقها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.

[6] ن: بينهما.

[7] ن: من.

[8] ن: هو.

[9] ن: فلا يقع.

[10] ر ع م: لمثله؛ ن: بمثله. الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.

[11] العِنّين: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن (*لسان العرب*، «عنن»).

[12] جميع النسخ: بينهما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.

[13] ر م - هل تقع الفرقة بينه وبين امرأته بمضي الأجل أو تقع الفرقة حتى تخير المرأة ويفرق الحاكم بينهما.

لا تقع حتى يفرّق الحاكم بينهما. قيل: ما منع في فرقة اللعان أنه كذلك. فإن قالوا: إنما[١] صارت الفرقة لا تقع في العِنّين والمُولِي حتى يوقعها الحاكم لأن الحاكم[٢] يقول للزوج:[٣] طلقها أو فِئْ إليها، ويقول لامرأة[٤] العِنّين: اختاري[٥] في الفرقة أو المُقام معه. فلما كان الحاكم[٦] ينظر ما يقول المُولِي[٧] وامرأة العِنّين لم يقع الفرقة حتى يوقعها، وليس في اللعان شيء ينتظره الحاكم، لذلك افترقا. فقيل: بل ينتظر الحاكم تكذيب المرأة نفسها فيَحُدّها وتكون امرأته، وكذلك إن أكذب الزوج نفسه حَدَّه وترك[٨] عنده امرأتَه.

وأصله أنه لا تقع[٩] الفرقة إلا بعد التعانهما[١٠] جميعا وتفريق الحاكم بينهما، لأنهما[١١] إذا التعنا جميعا عند ذلك يكون أحدهما ملعونا، أيُّهما كَذَب. والانتفاع بالملعون حرام، ألا ترى[١٢] أنه روي في الخبر أنهما لما التعنا قال لهما: «إنها موجبة»،[١٣] أي اللعنة التي ذكرتُ، فإنما يلحق اللعنُ أحدهما إذا التعنا جميعا، فأما بالتعان الزوج خاصة فلا يقع. فإذا كان كذلك فيُحتاج إلى أن يفرّق الحاكم بينهما ويَطْرُدَ أحدهما من صاحبه، إذ[١٤] اللعن هو الطرد في اللغة. وهو عندنا كالعقود التي تُفسَخ، لا تكون[١٥] إلا بالحاكم، نحوَ ما ذكرنا من العِنّين والذي يأبى الإسلام وغيرها من العقود، فإنه لا يقع بينهما الفرقة إلا بالحاكم، فعلى ذلك هذا. وروي[١٦] عن عمر أنه قال: «المتلاعنان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا».[١٧]

---

[١] ع: إذا.
[٢] ر م – لأن الحاكم.
[٣] ر م – للزوج.
[٤] ع: لان مرأة.
[٥] ع: اختياري.
[٦] ر ع: الحكم.
[٧] ع: المرء.
[٨] ع: وتركها.
[٩] جميع النسخ: لا يقع.
[١٠] م: التعانها.
[١١] ن: لأنه.
[١٢] ن: يرى.
[١٣] انظر: *صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٢٤/٣؛ وسنن *أبي داود*، اللعان ٢٧؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن ٢٤/٢٥.
[١٤] ر: إذا.
[١٥] جميع النسخ: لا يكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.
[١٦] م: هذا ما روي.
[١٧] انظر: *تفسير القرطبي*، ١٢/١٩٤.

ثم مسألة أخرى، إنه إذا فرّق بينهما باللعان فأكذب الملاعن نفسه يجوز له أن يتزوجها أم لا؟ فعند بعض أهل العلم ليس له أن يتزوجها. احتجوا بما روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما: «المتلاعنان لا يجتمعان أبدا»،[1] وعن عبد الله كذلك. وعند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله له أن يتزوجها إذا أكذب نفسه. وليس في الخبر لا يجتمعان أبدا وإن تاب وأكذب نفسه. فجائز أن يكون قوله: «لا يجتمعان أبدا» ما داما في تلاعنهما وما أقام على قوله و لم يُكذب نفسه، وإنما[2] كان فيه حجة لمن قال إذا قال: «لا يجتمعان قبل التوبة وبعدها.» يدل على ما ذكرنا قوله: إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا،[3] قوله: وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا، ما داموا في ملتهم، فأما إذا انقلعوا منها فقد أفلحوا، فعلى ذلك قوله:[4] «لا يجتمعان أبدا» [أي] ما داموا في تلاعنهما وما أقام الزوج على قوله. فأما إذا رجع عن ذلك لهما الاجتماع. وأجمعوا أنه إذا أكذب نفسه وادّعى الولدَ أُلحق به، فعلى ذلك هي. والثاني لو أكذب الزوج نفسه بعد اللعان قبل الفُرقة وجب أن يُحد ويكونان على نكاحهما.[5]

ثم فُرقة اللعان عندنا طلاق وهي تطليقة بائنة، لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين عويمر وامرأته[6] قال [عويمر]: كذبتُ عليها إن أمسكتُها [يا رسول الله] هي طالق ثلاثا، فصارت سنة في المتلاعنين.[7] فإذا كانت / سنة[8] الفرقة بين المتلاعنين الطلاقَ الذي أوقعه [٥١٧ظ] عويمر فواجب أن يكون كل فرقة تقع[9] باللعان طلاقا. ومن الدليل على ذلك أنَ قذف الزوج كان سبب هذه الفرقة، وكل فرقة تكون[10] من الزوج أو أن يكون الزوج سببها وتقع[11] بقوله فإنها[12] طلاق كالعِنّين والخلع والإيلاء ونحوه، فعلى ذلك فرقة اللعان تطليقة بائنة،

---

[1] المرجع السابق.
[2] ر ع م: وإن.
[3] سورة الكهف ١٨/٢٠.
[4] ر ع – قوله.
[5] جميع النسخ + فيجب إذا أكذب نفسه بعد اللعان فجلد فله أن يتزوجها.
[6] ع: امرأته.
[7] انظر: صحيح *البخاري*، تفسير القرآن ٢٤/١، الطلاق ٤، ٣٠؛ وصحيح *مسلم*، اللعان ١.
[8] ر ع م: منه.
[9] ن: يقع.
[10] ر ع م: يكون.
[11] ن: ويقع.
[12] م – فإنها.

لأن الزوج سببها وتقع به. وعلى ذلك جاءت الآثار عن السلف أن[1] كل فرقة وقعت من قِبل الرجال بقول[2] فهي طلاق من نحو إبراهيم والحسن وسعيد وقتادة وهؤلاء، وكذلك يقول أصحابنا: إن كل فرقة[3] جاءت من الرجال بقول فهي تطليقة. فإن عُورض بأفعال تكون[4] من الرجال فيقع به الفرقةُ والحرمةُ من نحو الجماع ونحوه، فذلك ليس بمعارِضة لما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[١٠]

ثم قوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته**، هذا الحرف مما يقتضي الجواب. ثم يحتمل أن يكون جوابه: ولولا فضل الله عليكم ورحمته، لأظهر الكاذب منهما مِن الصادق[5] والمذنبَ[6] من غيره. ويحتمل: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لأظهر الملعون منهما مِن غيره لكن لا يُنتفع به، إذ أحدهما مما لحقه اللعن الذي ذُكر ولا يحل الانتفاع بالملعون. ألا ترى أنه روي في الخبر أن امرأة ركبت ناقتها فلعنتها[7] فاستُجِيبت[8] فأمرت أن ترفع ثيابها وتُخلِّيَ سبيلها.[9] لكن بفضله ورحمته ستر على الملعون حتى يجوزَ لغيره أن ينتفع به، وإن كان لا يجوز لواحد منهما أن ينتفع بصاحبه[10] ما دامت اللعنة فيهما قائمة. وجائز أن يكون فيه[11] وجه آخر، وهو أن يقال: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** لأظهر الملعون منهما[12] وإلا[13] لجعل العقوبة بين الزوجين كهي في الأجنبيين، وهي الحد ولأظهر الزاني منهما، لكن بفضله لم يجعل. *والله أعلم*.

---

[1] م – أن.
[2] ع – بقول.
[3] ع – فرقة.
[4] جميع النسخ: يكون.
[5] ر ع م: ومن الصادق.
[6] ن: والمذنبين.
[7] جميع النسخ: فلعنت.
[8] جميع النسخ: فاستجيب.
[9] ورد في *المعجم الكبير* للطبراني (١٨/١٨٩، ١٩٩) عن عمران بن حصين: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع امرأة لعنت ناقة فقال: «خذوا متاعكم فقد وجبت عليها». قال عمران: كأني أنظر إليها ناقة ورقاء.
[10] ن + ما.
[11] ر ع م – فيه.
[12] ر م: بينهما؛ ن – لأظهر الملعون منهما.
[13] ع: ولا.

وقوله: **وأن الله تواب حكيم**، جائز أن يكون قوله:[1] **تواب** يقبل التوبة إذا تاب وأكذب نفسه فيرفع اللعن منهما بالتوبة، فإذا رفع اللعن جاز لهما الانتفاع[2] والاجتماع بينهما. ففيه حجة لقول أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله في جواز نكاحهما إذا أكذب[3] نفسه. **حكيم** حيث حكم بما حكم بين المتلاعنَين، أو **حكيم**، وَضَع كل شيء موضعه.

وفيه نقض قول المعتزلة في قولهم: إن الله لا يفعل بأحد إلا ما هو أصلح له في الدين وأخيَر، إذ لو لم يكن له أن يفعل غير الذي فعل لم يكن لتسمية[4] ما فعل فضلا ورحمة معنى، فدل أن له أن يفعل غير الأصلح في الدين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١١]

وقوله: **إن الذين جاءوا بالإفك**، أي بالكذب[5] **عصبة منكم**، أي جماعة منكم. ثم اختلف في قوله: **منكم**. قال قائلون: كانوا من أصحاب عائشة رمَوها بما ذكر في الآية. وقال بعضهم: كانوا منافقين من نحو عبد الله بن أُبَيّ رأس المنافقين وحسّان بن ثابت وهؤلاء. وقال بعضهم: كان ذلك من الفريقين جميعا من أصحاب أبي بكر وأقربائه والمنافقين أيضا. فإن كان ذلك من أصحاب عائشة رضي الله عنها وأقربائها[6] فذلك يخرج منهم على الغفلة والعَثْرة ليس على الانتقام والحِقد، لأن القرابات والمتصلين بالرجل لا يقصد بعضهم ببعض الانتقامَ والحقد بمثله. فإذا كان[7] كذلك فيخرج ذلك منهم -إن كان- مخرج الغفلة والزلّة[8] لا مخرج[9] الانتقام، وإن كان ذلك من المنافقين فهو على الانتقام وطلب الشَّين منهم لها.

---

[1] ر ع م – قوله.
[2] ر ع م: والانتفاع.
[3] ع – إذا كذب.
[4] ع: بسميته.
[5] ع – أي بالكذب.
[6] ع ن: وقراباتها.
[7] ع – كان.
[8] ر ع م: والذلة.
[9] ر: يخرج.

وكان في ظاهر الآية دلالةُ أنّ ابتداء ذلك الإفك من المنافقين، ثم تَسامعَ المؤمنون[١] بعد ذلك وتلقّى[٢] بعضهم من بعض حيث قال:[٣] لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا.[٤] فإن كان ذلك فهو على ما وصفْنا أن ذلك من المؤمنين غفلة وزلة[٥] وعثرة ومن المنافقين انتقام وطلب شَين. ***والله أعلم.***

وقوله:[٦] **لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم.** قال[٧] بعضهم: **لا تحسبوه شرا لكم،** لأنكم تؤجرون في الآخرة على ما قيل فيكم من الفحش والقذف بما قُرفوا[٨] به، **بل هو خير لكم** في الآخرة على ما ذكرنا من الأجر. ويحتمل قوله: **بل هو خير لكم** في الدنيا لما برّأهم[٩] الله مما قُرفوا به ودفع عنهم تمكين ما قُرفوا به ووعد لهم الجنة بقوله: أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.[١٠] وكان قبل نزول هذه الآية موهوم عند الناس فيها مُتَمَكِّنُ احتمال ذلك الفعل. ألا ترى[١١] أنه قال في آية أخرى: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، وقال: وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ،[١٢] الآية. كان الأمران جميعا موهومين عنهن[١٣] عند الناس محتملُ ذلك. فلما قُرفت بما قرفت[١٤] رفع الله ما كان موهوما عند الناس قبل ذلك ووعد لهم الثواب الكريم والرزق الحسن بقوله: أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.[١٥] فلا شك أن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة

---

١ ع: المؤمنين.
٢ جميع النسخ: ويتلقى.
٣ ر م: قالوا.
٤ سورة النور ١٢/٢٤.
٥ ر ع م: وذلة.
٦ ن: ثم قوله.
٧ ر ن م: وقال.
٨ ن: كسبوا.
٩ ر ع م: برأه.
١٠ سورة النور، ٢٦/٢٤.
١١ ن: يرى.
١٢ ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما﴾ (سورة الأحزاب، ٣٠/٣٣-٣١).
١٣ ر ع م: موهوم عنهن؛ ن: موهوما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٣ظ.
١٤ ر ع م - بما قرفت.
١٥ سورة النور، ٢٦/٢٤.

وشر لأولئك الذين رمَوها حتى لم يتجاسر أحد بعد ذلك ولا اجترأ[1] أن يظن فيها ظن السَّوء فضلا عن أن يقول / فيها شيئا. وقصة عائشة رضي الله عنها طويلة، لكنا نذكر منها[2] ما كان [٥١٨و] بنا إلى ذلك حاجة. أو أن يقال: **بل هو خير لكم**، لِما أنزل الله تعالى بشأنهم[3] آيات فيها براءتهم[4] عما قُرِفوا به، تتلى تلك الآيات إلى يوم القيامة، وذلك خير لهم.[5] ***والله أعلم***.

وقوله:[6] **لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم**، أي إثم ما قرفها به. **والذي تَوَلَّى كِبْرَه منهم له عذاب عظيم**، هو ذلك المنافق الذي ألقى ذلك في الناس. **وله**[7] **عذاب عظيم**، فيه دلالة أنه يموت على نفاقه، وكذلك مات[8] على نفاقه فلحقه ذلك الوعيد. قيل: هو عبد الله بن أبيّ بن سلول. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: **والذي تولى كبره**، أي عِظَمه من المعصية، يعني به[9] عبد الله بن أبيّ بن سلول. **له عذاب عظيم** لأنه كان منافقا.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [١٢]

وقوله:[10] **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا**، قال بعضهم: هلا إذ سمعتم[11] قذَف عائشة رضي الله عنها بِصَفْوَانَ كذّبتم به أولئك القَذَفة؟ يقول: ألا ظنّ[12] بعضهم ببعض خيرا، وهلّا قالوا: **هذا إفك مبين**. يقول الله: هلا قالوا: القذف كذب مبين؟ وعلى هذا يخرج أيضا قوله: لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، أي هلا قالوا لهم: جيئوا بأربعة شهداء على قذفكم إياهم؟ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولٰئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ.[13]

---

[1] ر ع م: اجتراء.
[2] ر م – منها.
[3] ر ع م: لشأنهم.
[4] ر م: برأتهم.
[5] م: لكم.
[6] ن: قوله.
[7] ع: له.
[8] ن: كان ما.
[9] ر م – به.
[10] ن: قوله.
[11] جميع النسخ: سمعتموه.
[12] ع – ظن.
[13] الآية التالية.

ويحتمل أن يكون قوله: **لولا إذ سمعتموه،** ظننتم بهم[١] ظنا مما[٢] يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا دون أن يقولوا:[٣] إفك مبين. أو أن يكون التأويل: إن لم يظن أحد منكم بنفسه إذا كان مع أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ظن بصفوانَ ذلك إذا كان هو مع أزواجه؟ أو أن يقال: إذا لم يكن يظن أحد منكم بأمهاته ومحارمه ذلك الظن[٤] فكيف ظن بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن[٥] أمهاتكم وأمهات جميع المؤمنين. ***والله أعلم.***

*وقال بعضهم في قوله: **بأنفسهم خيرا،** أي بأمثالهم خيرا،[٦] تأويله: لولا ظن المؤمنون [٥١٨و س٢٦
والمؤمنات[٧] بأمثالهم خيرا دون أن يظنوا بهم شرا.* ٥١٨و س٢٧]

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[١٣]

وقوله:[٩] **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء،** أي لم يكن لهم بما قذفوا شهداءُ ولا يجدون[١٠] على ذلك شهداءَ. وجائز أن يكون قوله: **لولا،** أي لم يكن، كقوله: فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ،[١١] أي لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا، وإلا على تأويل هلا يبعد، لأنه لم يكن لهم شهداء[١٢] على ذلك فكيف يأتون؟

وقوله:[١٣] **فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون،** وإن أتوا بالشهداء على أمر عائشة كانوا كاذبين أيضا، فدل أن تأويل قوله: **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء،** أي لم يكن لهم شهداء فكيف قذفوها؟ ***والله أعلم.***

---

[١] ر م: به.
[٢] جميع النسخ: ما.
[٣] جميع النسخ: قالوا.
[٤] ر ع م - الظن.
[٥] جميع النسخ: وهي.
[٦] ع + أي بأمثالهم خيرا.
[٧] ر م - والمؤمنات.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥١٨و/سطر ٢٦-٢٧.
[٩] ر ن: قوله.
[١٠] ن: لا يجدون.
[١١] ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾ (سورة هود، ١١٦/١١).
[١٢] م + على.
[١٣] ن: قوله.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١٤]

وقوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما[١] **ولولا فضل الله عليكم ورحمته**، حيث أنزل في قذفكم عائشة بصفوان آيات في براءتهما حتى تُبتم عن ذلك وإلا لمسكم[٢] العذاب في الآخرة بذلك. والثاني **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** لمسكم العذاب ولعاقبَكم بما قلتم في عائشة في الدنيا. على هذا التأويل العذاب الموعود [يكون] في الدنيا، وعلى التأويل الأول الوعيد [يكون] في الآخرة، لكن بفضله ورحمته دفع عنكم. ***والله أعلم***. وقوله:[٣] **فيما أفضتم فيه**، أي خضتم فيه.*

وفيما عظَم الله عز وجل أمر القذف وشدّد فيه ما لم يُشدّد في غيره ولم يعظِم وجوه. أحدها قطع طمَعِ أهل الفجور والرِّيبة فيهن لئلا يطمع أحد منهم في المحصنات وأولاد الكرام ذلك الفعلَ،[٥] فقطع طمعهم بما شدد فيه لئلا يُقرَفن بذلك ولا يُطمَع فيهن ذلك. والثاني يترك الناس الرغبة في مناكحة المحصنات وأولاد الكرام ويرغبون فيمن دونهن و[الثالث] تَحدُث[٦] أيضا الضغائن والعداوة بين القذفة وبين المتصلين بالمقذوفات.

وقوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** لكان كذا. هذا من الله على الإيجاب، أي قد كان منه ذلك. وإذا كان[٧] مضافا إلى الخَلق فهو على أنه لم يكن ذلك، ولذلك تأولوه: هَلَّا. وعن ابن عباس أنه قال في قوله: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ،[٨] يقول: قال للمؤمنين: وَلَوْلَا [إِذْ سَمِعْتُمُوهُ]، هلا إذ بلغكم عن عائشة وصفوان ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا، يقول: فظننتم بعائشة ظنّكم بأنفسكم وعلمتم أن أمّكم لا تفعل ذلك، وكذلك المؤمنة لا تفعل ذلك وقلتم: هذا إفك مبين. لَوْلَا، هلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ على قولهم

[١] ر ع م - أحدهما.
[٢] م: وإلا مسكم.
[٣] ن: قوله.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٢ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥١٨و/سطر ٢٦-٢٧.
[٥] ر ع م: الفضل.
[٦] جميع النسخ: يحدث.
[٧] أي «لولا».
[٨] سورة النور، ١٢/٢٤.

ويُصدّقوهم[١] على مقالتهم؟ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ كذبتموه، فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ.[٢] وهو قريب مما ذكرنا فيما تقدم.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾[١٥]

وقوله: **إذ تَلَقَّونه**، بالتشديد، أي تقبلونه. وتَلِقُونه بالتخفيف،[٣] أي تأخذونه، من الوَلْق وهو الكذِب. وكذلك قرأت[٤] عائشة.[٥] وقال أبو عَوْسَجة: إذ تلقونه، أي تقولونه. قال: / تلقيت [٥١٨ظ] الكلام ولقِنت وتَلَقَّنت واحد. ثم قوله: **إذ تلقونه بألسنتكم**، من غيركم **وتقولون بأفواهكم** فيما بينكم. وجائز أن يكونا جميعا واحدا، أي تتكلمون[٦] بألسنتكم، **وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم**، أي من غير أن تعلموا أن الذي[٧] قلتم من القذف قد كان. **والله أعلم**.

وقوله: **وتحسبونه هينا**، قال بعضهم: تحسبون القذف ذنبا هينا، **وهو عند الله عظيم** في الوزر. وجائز أن يكون قوله: **وتحسبونه هينا** في الدين، لأن القذف يُحدِث نقصانا في الدين، والنقصان في الدين عظيم عند الله، وتحسبونه أنتم هينا.

[٥١٨ظ س١٧] *ثم ما ذكر من قذف عائشة أنه بهتان عظيم. وقوله: **وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** ونحوه، فجائز أن يكون ذلك في قذف كل محصنة بريئة دون أن يكون ذلك خصوصا لعائشة، وهو كما ذكر في قذف المحصنات: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ،[٨] الآية.* [٥١٨ظ س١٩]

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[١٦]

ثم[١٠] وعظ الذين خاضوا في أمر عائشة فقال: **ولولا**، يقول: هلا **إذ سمعتموه**، أي القذف،[١١]

---

[١] ع: ويصدقوا.
[٢] الآية السابقة.
[٣] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٤٩.
[٤] ن: قراءة.
[٥] قال الفراء: روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قرأت: إذ تَلِقُونه بألسنتكم (*لسان العرب*، «ولق»).
[٦] ر ع م: تتكلموا.
[٧] ع: الذين.
[٨] سورة النور، ٢٤/٤.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥١٨ظ/سطر ١٧-١٩.
[١٠] ع – ثم.
[١١] ع – أي القذف.

قلتم ما يكون لنا، أي ما ينبغي لنا، **أن نتكلم بهذا** الأمر، وهلا قلتم: **سبحانك هذا بهتان عظيم** لعِظَم ما قالوا فيها. والبهتان الذي يُبهَت[1] فيقول [صاحبه] ما لم يكن من قذف أو غيره. وقال أبو عَوْسَجَة: البهتان الكذب، يقال: بَهَت، أي كذَب.

﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٧] ﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١٨]

وقوله: **يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا**، أي القذف أبدا، **إن كنتم مؤمنين**، **ويبين الله لكم الآيات** في بيان ذلك وبراءتهم. أو يبين أوامره[2] ونواهيه. **والله عليم حكيم**، أي **عليم** بكل شيء من قول أو فعل، **حكيم** يضع كل شيء موضعه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٩]

وقوله: **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا**، كان أهل النفاق هم الذين أحبوا أن تشيع الفاحشة، وإلا أهل الإسلام لا يحبون ذلك. ثم يحتمل قوله: **أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا** في عائشة رضي الله عنها وعن أبيه[ا] وصفوان، أو أحبوا قذف عائشة وصفوان من المؤمنين. وأهل النفاق هم الذين ألقوا ذلك،[3] في المؤمنين، **لهم عذاب أليم** في الآخرة لنفاقهم وقذف عائشة.

وأما في المؤمنين فهو ما قال: يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.[4] وروي عن عَمْرةَ عن عائشة قالت: لما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضُرِبوا حدَّهم.[5] وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبد الله بن أُبَيّ وحسّان ومِسطَح بن أُثاثة الحدَّ. وفي بعض الأخبار: وامرأةً أيضا وهي حَمْنة، لكل واحد ثمانين جلدة.[6]

---

[1] ن - الذي يبهت + الكذب؛ ع: الذي يهبت.

[2] ن: أموره.

[3] ر ع م - ثم يحتمل قوله أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا في عائشة رضي الله عنها وعن أبيه[ا] وصفوان أو أحبوا قذف عائشة وصفوان من المؤمنين وأهل النفاق هم الذين ألقوا ذلك.

[4] الآية السابقة.

[5] ع: بواحدهم. انظر: *سنن ابن ماجة*، الحدود ١٥؛ و*سنن أبي داود*، الحدود ٣٥؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٢٥/٢٤.

[6] انظر: *صحيح البخاري*، المغازي ٣٦، تفسير القرآن، ١٢/٢٤؛ و *صحيح مسلم*، التوبة، ١٠. وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٢ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥١٨ظ/سطر ١٧-١٩.

وقوله: **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما يشيعون الفاحشة ويُذيعونها في الذين آمنوا، هم الذين تولوا إشاعتها[١] وإذاعتها فيهم، لهم ما ذُكر من العذاب الأليم. والثاني يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ليكون[٢] ذلك ذريعة لهم في المؤمنين فيقولون: إن دينكم لم يمنعكم عن الفواحش والمنكر، **لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة**، لأنهم كانوا منافقين، بهم[٣] كان أولُ بَدءٍ[٤] القذف وبهم شاعَ، لذلك كان لهم هذا الوعيد.

وقوله: **والله يعلم وأنتم لا تعلمون**، أي والله يعلم حقائق الأشياء وأنتم لا تعلمون حقائقها. وفيه دلالة تعليق الحكم بالظواهر[٥] دون تعليقه بالحقائق.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢٠]

وقوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم**، لم يذكر جواب قوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته**،[٦] فجوابه ما ذكر في قوله: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا،[٧] بفضله يزكو من زكا وبرحمته[٨] يصلُح من صلَح، لا بصنعٍ من نفسه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢١]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**، نهى المؤمنين أن يتبعوا خطوات[٩] الشيطان، ولم يبين ما خطوات الشيطان لكنه قال: **ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**، فجوابه أن يقول:

---

[١] ر ع م: إشاعتهم.
[٢] ر ع م: ليكونوا.
[٣] ر ع م: منهم.
[٤] جميع النسخ: بدأ.
[٥] ع + دون.
[٦] ن – ورحمته.
[٧] الآية التالية.
[٨] ر م: ورحمته.
[٩] ن: بخطوات.

فإن خُطُواتِه كذا و لم يقل أيضا: **ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه** يفعل الفاحشة ولكنه قال: **فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر**. لكن جوابه ما قال في آية أخرى:[1] يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ،[2] الآية، أخبر أن من اتبعه أمَر بالفحشاء والمنكر. [وال]خُطُوات من الخَطوة والخُطوة وهما[3] رفع القدم ووضعه. وأصله نهى عن ابتاع آثاره.

وقوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يُزكِّي من يشاء**. التزكية تحتمل[4] التوفيق والعصمة، يَزكُون بما أعطَى لهم من التوفيق والعصمة، أو يَزْكُون[5] بما أرسل إليهم من الرسل والكتب؛[6] والتوفيق[7] والعصمة أشبه.

وفيه نقض قول المعتزلة، لأنه أخبر أن من[8] زكّا إنما يزكو[9] بفضله ورحمته، وهم يقولون: لو فعل بهم غير الذي فعل كان جائرا[10] عندهم. فعلى قولهم: ليس بمُفضِل ولكن عادِل، لأنه فعل ما عليه أن يفعل، فعلى قولهم: لا يكون مُفضِلا ولكن عادلا، إذ لم يسمَّ في الشاهد من فعل ما عليه أن يفعل مُفضِلا. وعلى قولهم: إنه قد أعطى كلًّا ما به يزكون ويصلحون، لكنهم/ لم يزْكوا هم، [باختيارهم]،[11] [٥١٩و] فعلى قولهم: لم يَزكُ من زكا به، ولكنه إنما زكا بما أعطاه له. فقد أخبر أن من زكا إنما زكا به، وأنه قد أبقى عنده ما لو أعطاهم ذلك لزكَوا، وقد أعطى ذلك من زكا وصلَح، و لم يعط من لم يَزكُ.

وقوله:[12] **والله سميع عليم**، أي **سميع** لأقوالهم و**عليم** لأفعالهم. وأصله ما ذكر: يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ.[13]

---

[1] ر ن ع + وما قال في آية أخرى.
[2] ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٦٨-١٦٩).
[3] ر ع م + من.
[4] جميع النسخ: يحتمل.
[5] ن + بما.
[6] ر ع م: من الكتب والرسل.
[7] ر ع م - والتوفيق.
[8] ع - من.
[9] ر م: يزكوا.
[10] ر ع م: جائزا.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٤و.
[12] ن: قوله.
[13] سورة البقرة، ٢/٧٧.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢٢]

وقوله:[١] **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة**. قال بعضهم: قوله: **ولا يأتل**، أي ولا يَحْلِف، وهو يفتعل من الإيلاء. وقال أبو عَوْسَجَة: **لا يأتل**، أي لا يعجز ولا يُقصِّر، يقال: ائتَلَى يأتَلِي وأَلَا يَأْلُو أَلْوًا[٢] وهو التقصير وترك المبالغة. ثم يحتمل قوله: **أولوا الفضل منكم**، أي من له الفضل والسعة. ويحتمل **أولوا الفضل منكم**،[٣] من له الإفضال والمعروف وبرّ[٤] أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله.

ذكر أهل التأويل أن أبا بكر كان حلَف أن لا ينفع مِسطحا بنافعة -وكان قريبَه- بما تكلم في عائشة، فأنزل الله النهي عن ذلك فقال: **ولا يَأْتَلِ أولوا الفضل منكم**. لكن الآية -وإن نزلت في أمر ومعنى كان من أبي بكر- فإن غيره من الناس يشترك في معنى ذلك. وفي ذلك[٥] النهي، وكذلك ما قال في آية أخرى وهو قوله: وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ،[٦] الآية. ذُكر أن قوما كانوا يحلفون أن لا يَبَرّوا الناس[٧] ولا يصلحوا [فيما بين الناس]؛[٨] يريدون[٩] بذلك أن يكون حَلْفُهم في ذلك عذرا لهم في ترك الإنفاق عليهم والتعاون[١٠] والإصلاح بين الناس، فنهوا عن ذلك. وذلك النهي[١١] لهم ولمن كان في معناهم، ليس لهم خاصة. فعلى ذلك قوله: **ولا يَأْتَلِ أولوا الفضل منكم والسعة**، الآية، وإن كان في أبي بكر فهو فيه وفي الذين في معناه وإن كان حَلَف هذا بترك الإنفاق لإساءة كانت[١٢] منهم إليه،[١٣] والأول على الابتداء [لا] لإساءة كانت منهم إليه.[١٤]

---

[١] ن: قوله.
[٢] م: ألوءا.
[٣] ر ع م- منكم.
[٤] ع + أولو.
[٥] ر: أو في ذلك.
[٦] ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرّوا وتتقوا وتُصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٤).
[٧] ع: يبروالناس.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٤ظ.
[٩] ر ع م- يريدون.
[١٠] ن: والتعون.
[١١] ر ع م: اليمين.
[١٢] ر ع م: وكانت.
[١٣] جميع النسخ: إليهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٤ظ.
[١٤] جميع النسخ: إليهم.

وكذلك هذه الآيات نزلت لنازلة كانت في عائشة وصفوان، فإنما نزلت لتلك النازلة لمعنى، لا نزلت لأنها كانت عائشة أو أبا بكر[١] ولكن لمعنى. فكل[٢] من وجد ذلك المعنى فيه شَرِك في ذلك، ويجعل كأن هذه الآيات كلّها نزلت فيه، وهو ما قال: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ.[٣] فكلُّ رامي[٤] مُحْصَنَةٍ مؤمنة غافلة بريئةٍ مما رُميت به دخلت في الآية، وكل رامي محصنٍ مؤمن غافل بريءٍ مما رُمي به دخل[٥] في الآية لوجود المعنى الذي به[٦] نزلت الآية.[٧] وعلى ذلك جميع[٨] القرآن إذا نزل لسبب[٩] بالمرء أو نازلةٍ[١٠] لمعنى يشترك من وجد فيه ذلك المعنى[١١] في[١٢] ذلك الحكم. فعلى ذلك ما نزل في أبي بكر من النهي بترك الإنفاق وما عوّده من اصطناع المعروف إليه لما كان منه إليه من الإساءة.

ثم أمره بالعفو والصفح وهو قوله: **وليعفوا وليصفحوا**، أي اعفوا عن إساءته واصفحوا، أي لا تَذْكروا عفوكم إياه عن إساءته،[١٣] ولا تذكروا[١٤] زلّته أيضا، لأن ذكر العفو يخرج مخرج الامتنان كقوله: لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى،[١٥] أخبر أن المنّ يُبطل الصدقة؛ وذكر الزلة يخرج مخرج التعيير والتوبيخ، فأمره[١٦] بالعفو، وهو ظاهر. والصفح ما ذكرنا من ترك ذكر العفو والزلة والإساءة جميعا. *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: أو أبو بكر.
[٢] ر م: بكل؛ ن: وكل؛ ع: لكل.
[٣] الآية التالية.
[٤] ر ع م- رامي.
[٥] ر ع ن - دخل.
[٦] ر ع م- به.
[٧] ن: الآيات.
[٨] ر ع م- جميع.
[٩] ر ع م: بسبب.
[١٠] ر ع م: بالمرء أمر نازلة.
[١١] ر ع م + فيه شرك.
[١٢] ع + ويجعل كأن هذه الآيات كلها نزلت فيه وهو ما قال إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات فكل رامي هو محصنة مؤمنة غافلة بريئة مما رميت به دخلت في الآية وكل رامي محصن مؤمن غافل برئ مما رمي به.
[١٣] ر م: إساءة.
[١٤] جميع النسخ: ولا يذكروا.
[١٥] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ (سورة البقرة: ٢/٢٦٤).
[١٦] ن: وأمره.

وقوله: **ألا تحبون أن يغفر الله لكم**، أي قد تحبون أن يغفر الله لكم ما كان منكم إليه من الإساءة، فإن أحببتم ذلك فاعفوا عمن أساء إليكم. **والله غفور رحيم**.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢٣]

وقوله: **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات**، قد ذكرنا أن **المحصنات** ههنا هن الحرائر، و**الغافلات** هن[١] البريئات[٢] من الفاحشة، [و]**المؤمنات** ظاهر.

وقوله: **لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم**، كأن الآية نزلت في المنافقين الذين كان[٣] منهم ابتداء القذف وإشاعته في الناس، لذلك ذكر فيهم اللعن والعذاب العظيم، فهو كما قال: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[٤] والمؤمن لا يحب شياع الفواحش في المؤمنين، إنما ذلك عادة المنافقين. ثم اللعن في الدنيا هو الحد الذي ضُرِب، وفي الآخرة العذاب الأليم.[٥] كأنه ذكر اللعن والعذاب الأليم إذا لم يتوبوا وماتوا على النفاق، فعند ذلك يكون لهم ما ذكر. ويدل لما ذكرنا [من] أن الآية في المنافقين.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢٤]

قوله: **يوم تشهد عليهم ألسنتهم**، الآية، وإنما تشهد هذه الجوارح على الكافر لإنكاره باللسان. وأما المؤمن فإنه مقِرٌّ بذلك كله لا يحتاج إلى أن يشهد عليه الجوارح، وهو ما قال: اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ،[٦] الآية،[٧] ونحوه، كأنهم ينكرون ذلك[٨] في الآخرة كما أنكروا في الدنيا، كقوله: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ،[٩] أخبر أنهم يحلفون لله في الآخرة

---

[١] ر ع م: من.
[٢] جميع النسخ: برئيات.
[٣] جميع النسخ: كانت.
[٤] سورة النور، ١٩/٢٤.
[٥] ر م + في الدنيا والآخرة؛ ر ع ن + وعظيم.
[٦] ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يس، ٦٥/٣٦).
[٧] ن ع - الآية.
[٨] ن - ذلك.
[٩] ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ١٨/٥٨).

كما كانوا يحلفون لرسول الله في الدنيا. فجائز أن[1] [تكون][2] ألسنتهم تشهد[3] عليهم بعد ما أنكروا، ويشهد عليهم سائر[4] الجوارح إذا أنكروا، وهو ما قال في آية أخرى: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ، الآية، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا،[5] الآية. تكون[6] شهادة الألسن بعد ما أنكروا[7] ذلك وحلفوا، فعند ذلك تشهد عليهم ألسنتهم. *والله أعلم*.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[٢٥]

[٥١٩ظ] / وقوله: عز وجل: **يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق**، يؤمنون به[8] جميعا يومئذ ويُقرّون بالحق، لكن لا ينفعهم إيمانهم يومئذ، كقوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا.[9]

ويعلمون أن الله هو الحق المبين، أي يعلمون أن ما دعاهم الرسول إليه من توحيد الله والإقرار بالربوبيّة له والألوهية، **هو الحق المبين**، أي بَيِّنٌ ذلك. أو **الحق**[10] **المبين** ما يبيّن ما يؤتَى مما يُتّقى وما يَحِلّ مما يَحْرم.

﴿اَلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٢٦]

وقوله: **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات**، اختلف فيه. قال[11] بعضهم: **الخبيثات** من الكلمات والأقوال **للخبيثين** من الرجال **والخبيثون** من الناس **للخبيثات** من الكلمات.[12]

---

[1] ر ع م – أن.
[2] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٤ظ.
[3] ن: يشهد.
[4] م – سائر.
[5] ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١).
[6] جميع النسخ: يكون.
[7] ر ع م + منهم.
[8] م – به.
[9] ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام ١٥٨/٦).
[10] ر م: والحق.
[11] ن: وقال.
[12] ر ع م – والأقوال للخبيثين من الرجال والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلمات؛ جميع النسخ + والقول.

والطيبات من الكلمات **للطيبين** من الناس **والطيبون** من الناس **للطيبات** من الكلمات. وقال مجاهد: هو القول السيّء والقول الحسن؛ فالحسن للمؤمنين والسيّء للكافرين؛ وذلك ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين، وما قال[1] المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين، كلٌّ بريءٌ مما ليس له نحوٌ من الكلام.[2] وابن عباس يقول: نزل هذا في الذين قذفوا عائشة بصفوانَ: حسّانِ بن ثابت وأصحابِه. يقول: **الخبيثات** من الكلام **للخبيثين** من الرجال أحقُّ أن يليق بهم بما قيل لهم. والخبيثات من الكلام يخرج من الخبيثين من الرجال، يعني به حسانا وأصحابه الذين تكلموا بالفِرية.[3] ثم قال: **والخبيثون** من الرجال **للخبيثات** من الكلام، يعني ما تكلم به حسان وأصحابه من الفِرية، فلو كانوا هم صالحين طيبين تكلموا الحسن من الكلام والطيب ولكن كانوا خبيثا فتكلموا بالخبيث من الكلام.[4]

ثم قال: **أولئك** يعني عائشة وصفوان مبرءون مما يقول[5] أولئك القذفة.[6] **لهم مغفرة ورزق كريم**، أي حسن. فابن عباس صرف الآية إلى عائشة وصفوان وإلى قذَفَتهم وذلك محتمل، وهو قريب من الأول.

وقال بعضهم: **الخبيثات** من النساء **للخبيثين** من الرجال **والخبيثون** من الرجال[7] **للخبيثات**[8] من النساء. **والطيبات** من النساء **للطيبين** من الرجال، لكن هذا يتوجه إلى النكاح شرعا ووجودا. أما الشرع [فهو][9] نهيه المؤمنين عن نكاح المشركات بقوله:

---

[1] ع: وقال.

[2] روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختاره ابن جرير ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس. انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢٦٩/٣؛ والدر المنثور *للسيوطي*، ١٦٧/٦.

[3] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢٦٩/٣؛ والدر المنثور *للسيوطي*، ١٥٤/٦.

[4] ر ع م – وابن عباس يقول نزل هذا في الذين قذفوا عائشة بصفوان حسان بن ثابت وأصحابه يقول الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال أحق أن يليق بهم بما قيل لهم والخبيثات من الكلام يخرج من الخبيثين من الرجال يعني به حسانا وأصحابه الذين تكلموا بالفرية ثم قال والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلام يعني ما تكلم به حسان وأصحابه من الفرية فلو كانوا هم صالحين طيبين تكلموا الحسن من الكلام والطيب ولكن كانوا خبيثا فتكلموا بالخبيث من الكلام.

[5] م: يقو.

[6] ن + ثم قال أولئك يعني عائشة وصفوان مبرءون مما يقول أولئك القذفة.

[7] ع – والخبيثون من الرجال.

[8] ع: الخبيثات.

[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٥و.

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ.. وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا،[1] وقوله: ٱلزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً،[2] فالمشركات هن[3] الخبيثات فهن للخبيثين منهم وهم المشركون، وكذلك الزانيات للزناة منهم. والمؤمنات هن الطيبات فهن للمؤمنين، وكذلك المحصنات الغافلات هن الطيبات فهن للمحصنين من أهل العفاف والصلاح، هذا هو الشرع.[4] وأما الوجود فهو ما صبر أزواج المنافقين والكفرة على كفر أزواجهن والسب لرسول الله والأذى له، وذلك لخبثهن وكفرهن[5] وموافقة أزواجهن. فلو كن طيبات لَكُنَّ لا يصبرن على ذلك كما لا تصبر المؤمنة بكفر زوجها والزوج بكفر امرأته. ومن صبر على ذلك إنما صبر لخبثه، فبعضهم لبعض أكفاء: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، وكذلك الطيبات والطيبون. **والله أعلم.**

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنّ الكلمة الخبيثة لَتكون في جوف الرجل الصالح فلا يكون لها في قلبه مستقرّ حتى يَلفِظها فيسمعها الرجل الخبيث فيضمَها إلى ما عنده من الشر، وإن الكلمة الصالحة لَتكون[6] في جوف الرجل الخبيث فلا يكون لها في قلبه مستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الصالح فيضمها إلى ما عنده من الخير، ثم تلا عبد الله: **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين**، الآية.[7]

وجائز أن يكون: **الخبيثات** هي[8] الدركات التي تكون في النار **للخبيثين**[9] الذين[10] عملوا أعمالا خبيثة في الدنيا؛ **والطيبات**[11] هي الدرجات التي تكون في الجنة **للطيبين** الذين عملوا

[1] ﴿ولا تَنكحوا المشركات حتى يؤمن ولَأمَةٌ مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ (سورة البقرة، ٢/ ٢٢١).

[2] ﴿...والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ (سورة النور، ٢٤/٣).

[3] جميع النسخ: من؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٥و.

[4] جميع النسخ: شرع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٥و.

[5] ع - وكفرهن.

[6] ر ع م: ليكون.

[7] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢٦٩/٣؛ *والدر المنثور للسيوطي*، ١٦٨/٦.

[8] ن: هن.

[9] ر م - للخبيثين.

[10] ر م: للذين.

[11] ع - للطيبين الآية وجائز أن يكون الخبيثات الدركات التي تكون في النار للخبيثين الذين عملوا أعمالا خبيثة في الدنيا والطيبات.

في الدنيا أعمالا طيبة. فالدرجات في الجنة للطيبين الذين عملوا الطيبات في الدنيا، والدركات في النار للذين[١] عملوا[٢] الخبائث والمعاصي في الدنيا.

وقال بعضهم: قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ، إلى قوله: وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ،[٣] أنزلت في المنافقين الذين قذفوا عائشة: [وهم] عبد الله بن أبيّ وأصحابه، وكان قذفها منافقون ومؤمنون، وهو ما ذكرنا أن المؤمنين لم يقصدوا به قذفها ولكن كان ذلك[٤] زلة منهم أو غفلة. وأما المنافقون فقد قصدوا به القذف والفِرية[٥] فأوجب للمنافقين الحدّ واللعن والعذاب العظيم على ما ذكر:[٦] لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ،[٧] و لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.[٨] وأما المؤمنون فقال لهم: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.[٩] وقال بعضهم: فضله الإسلام، ورحمته القرآن، أي لولا[١٠] ذلك لعذبكم كما عذب أولئك. ثم قال: **الخبيثات** من القول **للخبيثين**[١١] من الناس[١٢] كما ذكر أولئك إلا أنه زاد فيه من القول والعمل. وذلك كله قريب بعضه من بعض.[١٣] والله أعلم بذلك.

وقال بعضهم:[١٤] إن الرجل الصالح يتكلم بالكلمة العوراء فيقول القائل: قال فلان كذا وكذا، فيقول الآخر: ما هذا مِن كلام فلانٍ. وروي عن كعب [أنه قال] بمثل قِيلِ عبد الله فقال: إن الكلمة الخبيثة تخرج من لسان العبد فتصعد إلى السماء فلا تفتح[١٥] لها أبواب السماء

---

[١] ر: الذين.
[٢] ع – في الدنيا أعمالا طيبة فالدرجات في الجنة للطيبين الذين عملوا الطيبات في الدنيا والدركات في النار للذين عملوا.
[٣] سورة النور، ٢٤/٢٣–٢٥.
[٤] ن – ذلك.
[٥] ع: والقربة.
[٦] ن: ذكروا.
[٧] سورة النور ٢٤/٢٣–٢٥.
[٨] سورة النور ٢٤/١٩.
[٩] سورة النور ٢٤/١٤.
[١٠] م: ولولا.
[١١] ع: الخبيثين.
[١٢] ر ع م + نحو.
[١٣] جميع النسخ: وبين ما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٥ظ.
[١٤] ر م – بعضهم.
[١٥] جميع النسخ: فلا يفتح.

وترجع إلى الأرض فلا تجد لها مستقرا وتذهب إلى البحور فلا تجد لها فيها مكانا فتقول: ما أجد لي موضعا أَسْكُنه غيرَ الموضع الذي خرجت منه فترجع إلى صاحبها، ثم تلا كعب هذه الآية: **الخبيثات للخبيثين**، الآية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢٧]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**، روي عن عبد الله بن عباس أنه كان يقرأها: حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها.[١] وقال: تستأنسوا وَهْمٌ من الكاتب. وقال بعضهم: الاستئناس الاستئذان. وقال بعضهم: الاستئناس
[٥٢٠و] الاستعلام، وهو أن يطلب من أهل البيت الإذن بالدخول. والاستئذان / هو طلب الإذن منهم للدخول. وروي عن أبي أيوب قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام قد عرفناه، فما الاستئذان؟[٢] قال: «أن يرفع صوته بالتحميد أو بالتسبيح أو بالتكبير ليؤذن للدخول.»[٣] فإن ثبت هذا فهو إلى الاستعلام أقرب، وهو من[٤] قوله: فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا،[٥] أي علمتم. ثم قال بعضهم: قوله: **حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**،[٦] على التقديم والتأخير، أي حتى تُسلِّموا وتستأنسوا، وهو أن يبدأ فيقول: السلام عليكم ورحمة الله، أأدخل؟[٧] يسلم أولا ثم يستأذن،[٨] وهو ما روي: «السلام قبل الكلام».[٩] ولكن عندنا أن الاستئذان للدخول، فإذا أذن بالدخول فدخل فعند ذلك يسلِّم عليهم، كقوله: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً.[١٠]

---

[١] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٢٠٢.
[٢] ن: الاستئناس.
[٣] ورد في سنن *ابن ماجة* (الأدب ١٧) عن أبي أيوب: قلت: يا رسول الله هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس؟ قال: «يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح فيؤذن أهل البيت.» وانظر أيضا: *الموطأ* لمالك ٣/٣٧٥؛ ومسند *أحمد بن حنبل* ٥/١٨٤.
[٤] ر م – من.
[٥] ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (سورة النساء، ٤/٦).
[٦] ن – على أهلها.
[٧] ن ع: أدخل.
[٨] ن: تستأذن.
[٩] عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «السلام قبل الكلام» وبهذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَدْعوا أحدا إلى الطعام حتى يُسَلِّم.» (*سنن الترمذي*، الاستئذان ١١).
[١٠] ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ (سورة النور، ٢٤/٦١).

فإنما أمر بالسلام بعد الدخول، فعلى ذلك[1] هذا يستأذن للدخول، فإذا أذن له فدخل، فبعد الدخول يسلّم عليهم، لأنه لو سلم[2] أولا ثم استأذن احتاج إلى أن يسلّم ثانيا إذا[3] دخل. فهذا الذي ذكرنا أشبه بعمل الناس وظاهر الآية. *والله أعلم*.

ثم قوله: **لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم**، لم يرجع إلى المساجد ونحوها[4] بل يرجع ذلك إلى بيوت مسكونة، فذلك يدل لقولنا:[5] إن من حلف أن لا يدخل بيتا فدخل المسجد لم يَحنَث.[6]

وقوله: **ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون**، أي ذلك الاستئذان والتسليم خير لكم من ترك الاستئذان، لأنه تَرَك التأدب بما أدّبه الله وعلّمه. **لعلكم تذكرون**، أي تتعظون بأدب الله. وروي في بعض الأخبار أن من دخل بيتا بغير إذن قال له الملك الموكّل به: عصيت وآذيت! فيسمع صوته الخلق كله غير الثقلين ويَصعَد صوته إلى السماء الدنيا فيقول ملائكة السماء: أُفٍّ لفلان، عصى ربه وآذى.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٢٨]

وقوله: **فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم**، هذا يدل على أن الاستئذان وطلب الإذن لا لحيثُ أنفسُهم خاصة ولكن لأنفسهم ولِمَا لهم في البيوت من الأموال، لأنه قال: **فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها**، لم[7] يأذن لهم بالدخول فيها وإن لم يكن فيها أحد حتى يأذن أرباب الأموال والمنازل بالدخول فيها ليعلم أن النهي عن الدخول للأنفس والأموال جميعا، لأن الناس يتخذون البيوت والمنازل صونا[8] للأنفس والأموال جميعا،

---

[1] ع + يسلم عليهم كقوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية فإنما أمر بالسلام بالدخول فعلى ذلك يسلم عليهم كقوله.
[2] ر ع: لأنهم لو سلم؛ م: لأنهم لو سلموا.
[3] ع: فإذا.
[4] ر ع م: ونحوه.
[5] ع: كقولنا.
[6] ر م: لم تحنث.
[7] ع: حتى.
[8] ع: صوتها.

فكما يكرهون اطلاع غيرهم على أنفسهم وعيالاتهم فلا تطيب[1] أنفسهم أيضا على أموالهم وأمتعتهم، فلا يَدخل إلا بإذن من أهلها. *والله أعلم*.

وقوله: **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم**، ذكر في بعض الأخبار أن الاستئذان ثلاث،[2] من[3] لم يؤذن[4] له فيهن فليرجع. أما الأولى[5] فيستمع الحي، وأما الثانية فيأخذون حِذرَهم، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا. وقيل: لا تَقعدَنَّ على باب قوم ردوك عن بابهم، فإن للناس حاجات ولهم أشغالٌ، والله أعذر بالعذر.[6] وفي بعضها: وما تُنقَم من شيء يا ابن[7] آدم هو أزكى لك.[8]

وقوله: **هو أزكى لكم**، لأنه إذا لم يؤذن بالدخول فقعد على بابهم ولم يرجع[9] أوْرث ذلك معاني تُكره. أحدها تهمةٌ على أهل الدار على ما يقعد على أبواب أهل التُهَم من الشُرَطِي وغيره، فذلك مكروه عند الناس. والثاني يكون للناس أشغال وحاجات في منازلهم وخارج المنازل، فإن انتظر وقعد على بابهم ضاق بذلك ذرعُهم وشَغل قلوبَهم ذلك، فلعلّ حاجاتهم لا تلتئم لشغلهم به، لذلك كان الرجوع أزكى له وخيرا له[10] من القعود على الباب والانتظار. *والله أعلم*. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الاستئذان ثلاث، فإن أُذِن لك فيهن، وإلا فارجع».[11] وقال بعضهم: معناه: **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا** يقول: إن سُكت عنكم فلم يؤذن لكم فقد قيل لكم: ارجعوا، وإن لم يقولوا بألسنتهم:[12] ارجعوا.

وقوله: **والله بما تعملون عليم**، وعيد كقوله: وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ.[13]

[1] جميع النسخ: يطيب.
[2] ن: ثلث.
[3] ع: ما.
[4] ر ع م: يأذن.
[5] جميع النسخ: الأول.
[6] أي أقبل للعذر.
[7] ر م: يا بن؛ ع: يابن.
[8] جميع النسخ: لكم. لعل المؤلف رحمه الله يريد أنه إذا ما تُرَدّ في طلبك فلا تتبع إثره فاعلم أنه خير لك في العاقبة.
[9] جميع النسخ: فقعدوا على بابهم ولم يرجعوا.
[10] جميع النسخ: أزكى لهم وخيرا لهم.
[11] انظر: *الموطأ* لمالك، الاستئذان، ٢-٣؛ وصحيح *مسلم*، الآداب ٧؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ١٧؛ وسنن *الترمذي*، الاستئذان ٣.
[12] ع: بألسنتكم.
[13] سورة النحل، ١٦/١٩.

ثم الاستئذان على محارمه لازم وإن كان يجوز له أن ينظر إلى شَعر ذاتِ مَحرَمه ووجهها، فإنه منهيّ عن النظر إلى ما سوى ذلك من عورتها، لما تُخشَى أن يبدو[1] من عورة المرأة إن دخل عليها بغير إذن. روي أن رجلا سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنا أخدم أمي[2] وأَفْرِشها[3] أأستأذن[4] عليها؟ قال: «نعم»، فسأله ثلاثا[5] فقال له: «أيسرُّك أن تراها[6] عُريانة؟» قال: لا، قال:[7] «فاستأذِن عليها.»[8] وكذلك روي عن حذيفة أن رجلا سأله فقال: أأستأذن[9] على أختي؟ فقال: «إن لم تستأذن عليها رأيت ما يسوءك.»[10] وكذلك قال ابن مسعود وابن عباس، عن أحدهما في الأم وعن الآخر في الأخت. لكن أمره في الاستئذان على هؤلاء أسهل وأيسر من أمر الأجنبي، إذ[11] كان مُطلَقًا له أن ينظر إلى شعر محرَمه ووجهها. **والله أعلم**.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[٢٩]

وقوله: **ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة**، يحتمل قوله: **بيوتا غير مسكونة** وجهين. أحدهما بيوتا غيرَ محتمِلة للسُّكنى وهي الخرابات والمواضع[12] التي يقضى فيها الحوائج. وكذلك ذكر في حرف حفصة: بيوتا غير معمورة لكم فيها منافع. والثاني بيوتا غير[13] مسكونة محتملة للسكنى،

---

[1] ن ع م: يبدؤ.
[2] م: أمه.
[3] ر م: وأفرشتها.
[4] ر ع م: أستأذن.
[5] ن: ثلثا.
[6] جميع النسخ: تريها.
[7] ر ع م – قال.
[8] عن عطاء بن يسار أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله رجلٌ فقال: يا رسولَ الله أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فقال: «نعم». قال الرجلُ: إنّي معها في البيت. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَأْذِنْ عليها». فقال الرجلُ إنّي خادمها. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَأْذِنْ عليها، أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟». قال: لا. قال: «فَاسْتَأْذِنْ عليها» *الموطأ* لمالك، الاستئذان ١؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي ٩٧/٧.
[9] ر ع م: أستأذن.
[10] جميع النسخ: يسوك. انظر: *الأدب المفرد للبخاري*، ٣٧٤/١.
[11] ن: إذا.
[12] ر ع م: الخربات والموضع.
[13] ر م – غير.

[٥٢٠ظ] / إلا أن أهلها لم يَسكنوها[١] وتركوها[٢] لنزول الناس فيها، وهي نحو الخانات والرباطات[٣] التي تكون للمارّة. وعلى ذلك روي في الخبر أنه لما[٤] نزلت[٥] آية الاستئذان قال أبو بكر: يا رسول الله فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة وبين المدينة والشام[٦] ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله تعالى: **ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم.**[٧] وذكر في حرف ابن مسعود: ليس عليكم جناح في بيت ليس فيه ساكن أن تدخلوه.

وقوله:[٨] **فيها متاع لكم**، إن كان ذلك البيوت الخانات والبيوت التي ينزل فيها أهل السفر فيكون قوله: **فيها متاع لكم**، أي فيها منفعة لكم من الدِّفْء[٩] في الشتاء والظل في الصيف[١٠] ودفع الحر في أيام الحر ودفع البرد في أيام البرد. وإن[١١] كانت[١٢] البيوت هي الخَرِبات والأقباب والأمتعات[١٣] التي كانوا يصنعون في الطريق[١٤] لقضاء الحوائج، فيكون قوله: **فيها متاع لكم**، أي الخلاء والبول. ***والله أعلم.***[١٥]

وقوله: **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون**، قال ما تبدون من السلام[١٦] وما تخفون منه.[١٧] أو في كل شيء كقوله: وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ.[١٨] يذكر هذا ليكونوا[١٩] أبدا على حذر وخوف. ***والله أعلم.***

---

[١] ر ع م: تسكنوها.
[٢] ر م – وتركوها.
[٣] ر ع م: والرباط.
[٤] ع: إنما.
[٥] جميع النسخ: نزل.
[٦] ع: إلى الشام.
[٧] انظر: *تفسير القرطبي*، ٢١٣/١٢؛ و*تفسير روح المعاني* للآلوسي، ١٣٧/١٨.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر ع م: الدف.
[١٠] ع: بالضيف.
[١١] ع: فإن.
[١٢] جميع النسخ: كان.
[١٣] جميع النسخ: وأقباب وأمتعات؛ ن – والأمتعات.
[١٤] ر م: في الظهور؛ ع: في الطهر.
[١٥] ن – والله أعلم.
[١٦] ع: بالإسلام.
[١٧] ن – منه.
[١٨] سورة النحل، ١٩/١٦.
[١٩] ر م: ليكونن.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٣٠]

وقوله: **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم**، روي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عليّ إن لك[١] كنزا في الجنة وإنك ذو قَرْنَيها،[٢] فلا تُتبِع النظرةَ[٣] النظرةَ، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة.»[٤] وعن أنس[٥] رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ابن آدم لك أولُ نَظْرَةٍ، فإياك الثانيةَ!»[٦] وعن جرير قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أَصرِف بصري.[٧] وعن ابن عباس قال: يغضوا أبصارهم عن شهواتهم فيما يكره الله.[٨]

ثم يحتمل قوله: **يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم**، وجوها ثلاثة. أحدها يغُضُّوا[٩] أبصارهم لكي[١٠] يحفظوا فروجهم،[١١] فإنّ حفظ الفرج إنما يكون بِغضّ البصر وحفظه. والثاني يغضوا أبصارهم عن النظر إلى من لا يحلّ من الأجنبيات، لأن النظر إلى[١٢] المحارم يحل، ويحفظوا فروجهم عن الكل من المحارم والأجنبيات إلا الذين استثناهم في آية أخرى.[١٣]

---

[١] ع: ذلك.

[٢] «وقال [النبي عليه السلام] لِعَلي: «إن لك بَيْتًا في الجنة وإنك ذُو قرنَيها»، أي طَرَفي الجنة وجانبيها. قال أبو عبيد: وأنا أحْسبُ أنه أراد ذُو قرْنَيِ الأمَّة فأضْمر. وقيل: أراد الحسن والحُسين» (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «قرن»).

[٣] ع: النضرة.

[٤] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٥٩/١؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٤٤؛ وسنن *الترمذي*، الأدب ٢٨.

[٥] ر: وعن القيس.

[٦] انظر لنحوه: مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٥٢/٥.

[٧] انظر: سنن *أبي داود*، النكاح ٤٤؛ وسنن *الترمذي*، الأدب ٢٨.

[٨] *الدر المنثور* للسيوطي: ١٧٧/٦.

[٩] جميع النسخ: غضوا.

[١٠] ع: لكن.

[١١] ع – يحفظوا فروجهم.

[١٢] ع – من لا يحل من الأجنبيات لأن النظر إلى.

[١٣] قال الله تعالى في آخر آية التحريم: ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصِنين غير مسافِحين﴾ (سورة النساء، ٢٤/٤)؛ وقال: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ (سورة المعارج، ٢٩/٧٠-٣١).

والثالث يغُضُّوا[1] أبصارهم عما في أيدي الخلق ولا يفتحوها[2] إلى ما في أيديهم، كقوله: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ،[3] الآية.

وقوله: **ذلك أزكى لهم**، أي أطهر لهم وأدعى لهم إلى الصلاح من النظر. وعلى هذه الوجوه[4] يخرج قوله:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣١]

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن، وقوله:[5] **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**، روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:[6] **إلا ما ظهر منها**،[7] الرداء والثياب. وعن ابن عباس قال: **إلا ما ظهر**[8] **منها**،[9] الكُحْل والخاتم. وفي رواية أخرى: الكف والوجه. وعن عائشة قالت: **إلا ما ظهر منها**، القُلْب[10] والفَتْخة[11] وهي خاتم إصبع الرِّجْل.[12]

---

[1] جميع النسخ: غضوا.

[2] ر م: ولا تفتحوا لها؛ ن ع: ولا تفتحوها.

[3] ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زَهْرَة الحياة الدنيا لِنَفْتِنَهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٣١).

[4] ر م – الوجوه.

[5] ن: قوله.

[6] ن – قال.

[7] ر ع م – منها.

[8] ن – إلا ما ظهر.

[9] ر ن م – منها.

[10] القُلْبُ من الأَسْوِرَة: ما كان قَلْدًا واحدًا. وقيل: سِوارُ المرأة. والفَتْخَةُ بسكون التاء وفتحها: خاتم يكون في اليد والرِّجْل بفَصّ وغير فص. وكانت نساء الجاهلية يتخذنها في عَشْرِهنّ. وفي حديث عائشة في قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلَّا ما ظهر منها﴾، قال: القُلْبُ والفَتَخةُ. (*لسان العرب*، «قلب»)، «فتخ»).

[11] ن م: والفتحة.

[12] انظر حول جميع الآراء: *تفسير الطبري*، ١٨/١١٧-١٢٠؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٨/١٤٠-١٤١.

وعن عبد الله: الزينة زينتان زينة باطنة، لا يراها[١] إلا الزوج، فأما الزينة الظاهرة فالثياب، والباطنة [هي] الأكليل[٢] والسِوار والخاتَم.[٣] فإن كان التأويل ما روي عن ابن مسعود حيث خصّ من الثياب وغيره ففيه دلالة أن لا يحل النظر إلى وجه امرأة أجنبية. وإن كان ما قال ابن عباس ففيه دلالة حل النظر إلى وجه المرأة لا بشهوة. وإن كان ما قالت عائشة من القُلب والفتخة[٤] ففيه دلالة جواز النظر إلى الكفين والقدمين، لأنهما ظاهرتان باديتان. ألا يرى أنهما من الظواهر في فرض غسل الوضوء، وإن كان ذلك ففيه دلالة جواز صلاتها[٥] مع ظهور القدم.

وجائز أن يكون النظر إلى وجه المرأة حلالا إذا لم يكن بشهوة، لكن غضّ البصر وترك النظر أوفق وأزكى، كقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ، أنهن حرائر،[٦] فَلَا يُؤْذَيْنَ،[٧] كما تؤذَى الإماء. والذي يدل أن للمرأة أن لا تُغَطِيَ وجهها ولا ينبغي للرجل أن يتعمّد النظر إلى وجه المرأة إلا عند الحاجة إليه، قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «إنما لك الأولى وليست لك الآخرة.»[٨] وفي بعضها: الأولى لك والآخرة[٩] عليك. لأنه كأنه[١٠] إنما[١١] يتعمد النظر في الثانية لشهوة تحدث في قلبه. وإذنُه للذي يريد أن يتزوج امرأة أن ينظر إليها يدل على أن نظر الرجل إلى وجه المرأة غير حرام، لأنه لو كان حراما لم يأذن فيه النبي لأحد. ونرى -والله أعلم- أن النظر إلى وجه المرأة ليس بحرام إذا لم يقع في قلب الرجل من ذلك شهوة، فإذا وَجَد لذلك[١٢] شهوة ولم يأمن أن يؤدّيه ذلك إلى ما يُكره فمحظور عليه أن ينظر إليها، إلا أن يريد به معرفتها للنكاح[١٣] فإنه قد رخص في ذلك.

---

[١] جميع النسخ: لا يريها.
[٢] جميع النسخ: فالأكليل.
[٣] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/١١٧.
[٤] ن م: والفتحة.
[٥] جميع النسخ: صلوتها.
[٦] م – أنهن حرائر.
[٧] سورة الأحزاب، ٣٣/٥٩.
[٨] *انظر: سنن أبي داود*، النكاح ٤٤؛ *وسنن الترمذي*، الأدب ٢٨.
[٩] ع – وفي بعضها الأولى لك والآخرة.
[١٠] ن: كان.
[١١] ع: أن؛ م – إنما.
[١٢] ع: كذلك.
[١٣] ر م: والنكاح؛ ن ع: أو النكاح.

روي أن المغيرة أراد أن يتزوج امرأة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يُؤدَم[1] بينكما.»[2] وقال في بعض الأخبار: «إذا خطب أحدكم المرأة فلا بأس أن ينظر إليها»[3] إذا كان إنما ينظر إليها للخِطْبة، وإن كانت لا تعلم.

فالأحسنُ للشابة[4] والأفضل[5] لها أن تستر وجهها ويديها عن الرجال، ليس أن ذلك حرام[6] ولكن لما يخاف في ذلك من حدوث الشهوة ووقوع الفتنة بهن. فإذا لم يكن للناظر في ذلك شهوة بأن كان شيخا / كبيرا أو كانت المرأة دميمة[7] أو عجوزة فإنه لا يحظر النظر إلى وجوه [٥٢١و] أمثالهن، ولا يُنظر إلى ما سوى ذلك.

وأصله قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ.[8] ومما يدل على أن الوجه والكفين جائز أن لا يكونا[9] بعورة بأن المرأة لا تصلي وعورتها مكشوفةٌ، ويجوز أن تصلي ووجهها ويداها ورجلاها مكشوفةً. فإذا كان كذلك دل ذلك على أن النظر إلى ذلك جائز إذا لم يكن ذلك لشهوة. فإذا كان بشهوة[10] دخل في ذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العينان تَزْنِيان»،[11] لأن زناءَ[12] العين لا يكون إلا بالنظر[13] للشهوة، فإذا كان لشهوة دخل في ذلك معنى قول رسول الله.[14]

---

[1] «أي تكون بينكما المحبّة والاتفاق. يقال: أدَمَ الله بينهما يأدِم أدمًا بالسُّكون، أي ألَّفَ ووفّق. وكذلك آدم يُؤْدِم بالمدِ» (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «أدم»).

[2] *سنن ابن ماجة*، النكاح ٩؛ و*سنن الترمذي*، النكاح ٥؛ و*سنن النسائي*، النكاح ١٧.

[3] عن محمد بن سلمة قال: خطبت امرأة فجعلت أتخبّأ لها حتى نظرت إليها في نخل لها. فقيل له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا ألقى الله في قلب امرئ خِطْبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها.» *سنن ابن ماجة*، النكاح ٩؛ وانظر أيضا: *سنن أبي داود*، الحدود ١٩؛ و*سنن الترمذي*، النكاح ٥.

[4] ر ن م: وأحسن للشبابة؛ ع: فأحسن للشبابة.

[5] جميع النسخ: وأفضل.

[6] ر ع م + وإليها للخطبة؛ ع + وإن كانت لا تعلم.

[7] ن ع: ذميمة. رجل دميم: قبيح، وقيل: حقير، وقوم دِمام، والأنثى دميمة (*لسان العرب*، «دمم»).

[8] سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣.

[9] ر م: أن لا يكون؛ ع: أن يكون.

[10] ر ع م - فإذا كان بشهوة.

[11] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُتِبَ على ابن آدم نصيبه من الزنى مُدرِكٌ ذلك لَا مَحالةَ، فالعينان زناهما النظَر، وَالأُذُنان زناهما الاستماعُ، واللسانُ زِنَاهُ الكلامُ، واليدُ زناها البطشُ، والرِّجْلُ زناها الخُطَا، وَالْقَلبُ يَهْوَى ويتمنَّ ويصدِّق ذلك الفَرجُ ويكذِّبه» (*صحيح مسلم*، القدر ٢١؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٨٩/٧).

[12] ن: زنا.

[13] جميع النسخ: إلا النظر.

[14] ن - فإذا كان لشهوة دخل في ذلك معنى قول رسول الله.

وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن الوجه والكفين ليسا بعورة، [وهو] ما روي عن عائشة قالت: دخلت عليّ أختي أسماء وعليها ثياب شاميّة رقاق وهي اليوم عندكم صِفاق.[١] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه ثياب لا تُحبها سورة النور» فأَمَر بها فأُخرجت، فقلت: يا رسول الله زارتني أختي فقلت لها ما قلتَ، فقال: «يا عائشُ[٢] إن الحرة إذا حاضت لا ينبغي أن يُرى منها[٣] إلا وجهها وكفاها.»[٤] فإن ثبت هذا عنه فهو يبين ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله: **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**، قد ذكرنا أن المرأة يُكرَه لها النظر إلى الرجال من غير محرمها، كما يكره للرجل [النظر] إلى المرأة الأجنبية. ألا ترى أنه روى أن أعمَيَيْنِ دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أزواجه عنده: عائشة وأخرى، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قوما»، فقالتا:[٥] إنهما أعميان يا رسول الله، فقال لهما: «هما وإن كان أعميين فأنتما لستما بأعميين»،[٦] أو كلام نحو هذا، فدل أنه ما ذكرنا. وعلى[٧] ذلك أخبار. روي عن خالد بن مَعَدان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحِلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تَبيت في مكان تسمع فيه نَفَس رجل ليس بمَحرم، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَبيت في مكان يسمع نفس امرأة ليست له بمحرم».[٨] وفي بعض الأخبار أنه لم يُرخِص للمرأة

---

[١] ثوب صفيق: متين بيّن الصَّفاقة. وقد صَفُق صَفاقة كثف نسجه (*لسان العرب*، «صفق»).

[٢] ن: قال يا عائشة.

[٣] ر م - منها.

[٤] عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفيه (سنن *أبي داود*، اللباس ٣٣؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٢٢٦/٢، ٨٦/٧).

[٥] ع ن: فقالت.

[٦] روي نحوه في سنن *أبي داود* (اللباس ٣٦) عن أم سلمة قالت: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أُمِرنا بالحجاب [فدخل علينا] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «احتجبا منه». فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفَعَمْيَاوَانِ أنتما، ألستما تبصرانه؟» وانظر أيضا: سنن *الترمذي*، الأدب ٢٩.

[٧] ن: وهي.

[٨] انظر لنحوه: صحيح *البخاري*، جزاء الصيد ٢٦، الجهاد ١٤٠.

أن يَرَى غيرُ ذي محرم منها إلا الوجه والكفّ وما ظهر.[1] وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على كُوع[2] عائشة وقال هذا.[3]

وعن الحسن أنه قال في قوله: **إلا ما ظهر منها**، الوجه وما ظهر من الثياب. فإن ثبت ما ذكرنا من المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث رخص النظر إلى الوجه والكف بقوله:[4] «إلا الوجه والكف»، استثنى[5] الوجه والكف من بين سائر الجوارح، كان ذلك تفسيرا لقوله: **إلا ما ظهر منها**؛ كأنه قال: **ولا يبدين زينتهن**، للأجنبيين **إلا ما ظهر منها** وهو الكحل والخاتم. ثم الكحل يكون في الوجه والخاتم في اليد، فذِكر الزينة يكون كناية عن مواضعها، لأن النظر إلى الزينة حلال لكل أحد إذا كان المراد بالزينة الحُلِيّ وما ذكره القوم، فدل أن المراد بذكر الزينة مواضع الزينة لا نَفْس الزينة والحلي. ثم رَخص للأجنبيين النظر إلى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر منها من الوجه والكف[6] ولم يرخص ما خفي منها وما بطن.

ثم استثنى المحارم منها ورخص [لـ]هم [الـ]نظر إلى ذلك بقوله: **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن**، إلى آخر ما ذكر. ثم مواضع الزينة الخفية منها الصدر ومنها الأذنان وهما في الرأس، ومنها الساق. ثم جمع بين الأب ومن سَمَّى معه وبين الزوج في النظر إلى زينة المرأة، ولا خلاف في أن الأب لا يجوز له أن ينظر من عورة[7] ابنته إلا إلى رأسها. وفي الرأس الأذنان وقد يكون فيهما القُرط ونحوه. وإذا جاز له أن ينظر إلى رأسها ولا خمار عليها فله أن ينظر إلى صدرها وهو موضع الزينة، لأنه مما يغطّيه الخمار، وينظر إلى ذراعيها وموضع الخلخال من قدميها ورجليها، وهي[8] مواضع الزينة الباطنة التي لا يجوز للأجنبي النظر إليها.

---

[1] ن – وما ظهر.

[2] الكاعُ والكُوعُ: طرَفُ الزَّنْد الذي يلي أَصلَ الإِبْهامِ. وقيل: هو من أَصل الإبهام إلى الزَّنْد. وقيل: هما طرفا الزندين في الذراع (*لسان العرب*، «كوع»).

[3] روي نحوه في *سنن أبي داود*، اللباس ٣٣.

[4] ر ع م: لقوله.

[5] ر ع م: استثناء.

[6] ع – من بين سائر الجوارح كان ذلك تفسيرا لقوله إلا ما ظهر منها كأنه قال ولا يبدين زينتهن للأجنبيين إلا ما ظهر منها وهو الكحل والخاتم ثم الكحل يكون في الوجه والخاتم في اليد فذكر الزينة يكون كناية عن مواضعها لأن النظر إلى الزينة حلال لكل أحد إذا كان المراد بالزينة الحلي وما ذكره القوم فدل أن المراد بذكر الزينة مواضع الزينة لا نفس الزينة والحلي ثم رخص للأجنبيين النظر إلى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر منها من الوجه والكف.

[7] ع: أن ينظر عورت.

[8] جميع النسخ: وهو.

ثم النظر إلى الوجه أحق أن يَحْرُم النظر إليه للأجنبي[1] من الرأس وغيره من مواضع الزينة، لأن الوجه يُجمَع فيه جميع[2] المحاسن. وغيره من مواضع الزينة ليس فيها محاسن، لكن إنما حَرُمَ النظر إلى هذه المواضع لأنها عورة في نفسها. فالنظر إلى العورة حرام للأجنبي، ولأن النظر إليه -أعني مواضع الزينة- لا يكون إلا للشهوة، والنظر بالشهوة[3] حرام.[4] فأما المحارم منها فإنهم لا ينظرون إلى هذه المواضع منها لشهوة ولا يقصدون به ذلك ألبتة فأبيح لهم النظر إليها لحاجة. وكل من يخشى[5] من المحارم النظر إليها لشهوة لا ينظر إليها، وكذلك الأجنبي حيث أبيح النظر إلى الزينة الظاهرة فإن خشي به الشهوة لم ينظر إليها.[6]

ثم غيرها من العورة[7] لا يحل لأحد النظر إليها: الأب[8] وغيره إلا للزوج خاصة وللمولى / إلى مملوكته، وهو ما قال: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ،[9] استثنى الأزواج والموالي[10] من بين غيرهم لأن النظر إلى ذلك لا يكون إلا للشهوة، لا يقع فيه حاجة، فلا يباح ذلك إلا لمن له قضاء الشهوة والوطر[11] وهو الزوج والمولى. فانقسمت[12] العورة إلى جهتين. جهة يحل[13] للمحارم منها النظر إليها لحاجة وضرورة تقع لهم، وجهة لا تحل[14] لهم -إلا للأزواج -لِما لا يقع لهم حاجة ولا ضرورة بالنظر إلى ذلك. ألا ترى[15] أن الأَمَة[16] يَنظر [الأجنبيُ] إلى شَعرها وذراعيها[17] وساقيها وصدرها إذا أراد شراءها، [٥٢١ظ]

---

[1] ن – للأجنبي.
[2] م – جميع.
[3] ر ن م: والنظر إلى الشهوة؛ ر: – والنظر بالشهوة.
[4] جميع النسخ + إليها.
[5] ن: خشي.
[6] ع – وكذلك الأجنبي حيث أبيح النظر إلى الزينة الظاهرة فإن خشي به الشهوة لم ينظر إليها.
[7] ر ع م: من العجزة.
[8] م: إلا أب.
[9] سورة المؤمنين، ٢٣/٥-٦.
[10] ر م: والمولى.
[11] ر ع م: والوطئ.
[12] جميع النسخ: فانقسم.
[13] ر م: محل.
[14] ن: لا يحل.
[15] ن: أولا يرى؛ ع – ألا ترى.
[16] ع: الاية.
[17] ع: وذراعها.

ولا ينظر[١] إلى ما سوى ذلك، فإذ جاز للأجنبي أن ينظر إليه من الأمة جاز لمحرمها النظر إلى ذلك من المرأة للحاجة التي ذكرنا.

ثم ذكر في الآية المحارم جميعا إلا الأعمام والأخوال. قال بعضهم: إنما لم تذكرا[٢] في هذه الآية لأنها تَحِل لبنيهما بالنكاح فكُره أن تصفاها لبنيهما. ولهذا كَرِه مَن كره للمرأة المسلمة إبداء الزينة الخفية للكافرة[٣] من اليهودية والنصرانية لِما لعلها تصف ذلك للمشركين فيرغبون فيها ويتكلفون ذلك، وصُرف قوله: **أو نِسَائِهِنّ**، إلى[٤] المسلمات. لكن جائز عندنا أن العمّ[٥] والخال إنما لم يَذكرهما للكثرة والتطويل لما يكثر ذلك، أو لما[٦] ذَكر مِن[٧] أجناسهم وأمثالهم فذِكْر الرخصة في أمثالهم كافية.[٨]

وقوله:[٩] **أو نسائهن**، يحتمل وجوها. يحتمل النساء اللاتي[١٠] يختلِطن بهن، أو نساء قرابتهن[١١] وأرحامهن، أو النساءَ اللاتي[١٢] يوافقن[١٣] في دينهن وهن المسلمات على ما قاله أولئك.[١٤]

وقوله:[١٥] **أو ما ملكت أيمانهن**، قال قائلون: **أو ما ملكت أيمانهن** كقوله: إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ،[١٦] ونحوه، وقال قائلون: الإماء والعبيد جميعا. فإن كان المراد به[١٧] الإماء فهو ظاهر،

---

١ ر ع م: فلا ينظر.
٢ ر م: لم يذكرا؛ ع: لم يذكر.
٣ ن – الخفية للكافرة.
٤ جميع النسخ: أي.
٥ ر: العلم.
٦ ع: ذلك وإنما.
٧ ر – من.
٨ ن + والله أعلم؛ ع + كافية.
٩ ن: قوله.
١٠ ر ع م – اللاتي؛ ن: التي.
١١ ن: قراباتهن.
١٢ جميع النسخ: التي.
١٣ ر ع م: توافقن.
١٤ ن + والله أعلم.
١٥ ن: قوله.
١٦ ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٥-٦).
١٧ م – به.

وإن كان المراد به[١] الأَمَةَ والعبيدَ[٢] ففيه[٣] إباحة نظر العبد إلى شَعر مولاته على ما يقوله[٤] بعض الناس. والأشبه أن يكون المراد به -والله أعلم- الإماءَ دون العبيد [على][٥] ما ذكر في آخر الآية: **أو التابعين غيرِ أُولي الإِرْبَة من الرجال**، والعبد من الرجال. أو ذكر التابعين،[٦] والتابع -وإن كان خَصِيًا أو عِنّينا[٧] أو معتوها على ما قالوا- فإنه لا يحل لهؤلاء[٨] النظر إلى تلك المواضع على حال، فعلى ذلك العبد، فيكون الدخول عليهن مضمَرا[٩] في الآية، وتكُون[١٠] النساء متأهباتٍ وقت دخول العبيد والتابعين عليهن،[١١] لأنه ذكر التابعين وهم تابعوا الأزواج، ووقت دخول هؤلاء يكون معلوما عندهن[١٢] فيتأهَّبْن[١٣] لهم ويستترن.[١٤] والله أعلم بذلك. ألا ترى[١٥] أنه[١٦] لا يحل للمرأة أن تسافر بعبدها[١٧] دل أنه ليس بمحرم لها، لذلك لم يحل له[١٨] النظر إلى شعر مولاته.

فإن قيل: ما معنى ذكر إمائهن ونسائهن، وكلُّ النساء يجوز لهن النظر إلى المرأة وإلى هذه[١٩] المواضع[٢٠] التي ذكرنا؟

---

[١] م - به.
[٢] ن ع: والعبد.
[٣] ع - ففيه.
[٤] ع: يقول له.
[٥] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢٦ظ.
[٦] جميع النسخ: التابع.
[٧] ر: عنيا؛ ع: غنيا.
[٨] ع: هؤلاء.
[٩] ر ع م: مضمر.
[١٠] جميع النسخ: وكن.
[١١] ن: عليهم.
[١٢] ع: عنده.
[١٣] ن: فيتابهن؛ ع: فيتأهبون.
[١٤] جميع النسخ: ويسترن.
[١٥] ن: يرى.
[١٦] ر م - أنه.
[١٧] ر م: بعبيدها؛ ع: بعيدها.
[١٨] ن - له.
[١٩] ع: وإلى هذا.
[٢٠] ع - المواضع.

قيل: خص الله تعالى بالذكر إماءهن ونساءهن دون نساء الأجنبيات تأديبا لا حَظْرًا. وذلك أن المرأة قد يَضيق عليها أن تستتِر[1] من أَمَتِها ونساء أهل بيتها لكثرة[2] رؤيتهن لها، وقد تقدر[3] أن تَستُر من الأجنبية محاسنها وزينتها لقلة رؤيتها لها. ألا ترى[4] أنه قد نَهَى المرأة أن تضرب برجلها ليُعلَم ما تُخفي من زينتها، وفي ذلك صيانة للرجل والمرأة وإبعاد لهما ما يُحذَر عليها ويُخافُ. فليس ببعيد أن يجعل نهيَه المرأة[5] أن تُظهِر زينتها ومحاسنها للأجنبية لِما يُخاف على الأجنبية من فسادِ قلبها وحدوث الشهوة لها صيانةً للنساء والرجال جميعا وابعادًا لهم من الزينة ولئلا تصِفها لرجل يفتتِن بها ويتكلّف الوصول إليها. ***والله أعلم.***

وقوله:[6] **وَلْيَضْرِبن بِخُمُرهن على جيوبهن**، روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما نزلت هذه الآية أخذ النساء أُزُرَهن فشقَّقْنها[7] من قِبل الحواشي فاختمَرْن[8] به.[9] وعن ابن عباس: **وليضربن**[10] **بخمرهن على جيوبهن** يقول: وليَشدُدْن بخمرهن على جيوبهن، يقول:[11] ليُرخِين بخمرهن على[12] الصدر والنحر فلا يُرِين منها شيئا. [و]قال: وكنّ النساء قبل هذه الآية إنما يَسْدُلْنَ خُمُرَهن سَدْلاً من ورائهن كما يصنع النَبَط،[13] فلما نزلت هذه الآية شدَدن الخُمُر على النحر والصدر.[14]

وفي الآية دلالة [على] أن دروع النساء كانت ذات جَيب، لأن الجيب إنما يكون[15] للدروع وذلك كان لباس النساء. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى الرجال

---

[1] ر ع ن: تستر.
[2] ع: للكثرة.
[3] ن + أن.
[4] ن: يرى.
[5] ع: والمرأة.
[6] ن: قوله.
[7] ر م: فيشققنها.
[8] ع: فاختمن.
[9] انظر: صحيح *البخاري*، تفسير القرآن، ١٣/٢٤؛ وسنن *أبي داود*، اللباس ٣٢.
[10] ع – وليضربن.
[11] ع: لقول.
[12] ن – جيوبهن يقول وليشددن بخمرهن على جيوبهن يقول ليرخين بخمرهن على.
[13] النَّبِيطُ والنَبطُ كالحَبِيشِ والحَبَشِ في التقدير: جِيلٌ يَنْزِلُون السواد، وفي *المحكم*: ينزلون سواد العراق، وهم الأَنْباطُ، والنَّسَبُ إليهم نَبَطِيٌّ (*لسان العرب*، «نبط»).
[14] انظر: تفسير *ابن كثير* ٢٧٤/٣.
[15] ر ع م: تكون.

عن لِبْسَة[1] النساء وأنه لعن المتشبِّهين من الرجال بالنساء. وروي أنه لعن الرجل [الذي] يلبس لِبْسَة المرأة، والمرأة [التي] تلبس لِبْسَة الرجل.[2] وعن ابن عباس قال:[3] لَعَن النبي المؤنَّثِين من الرجال والمذكَّرات من النساء،[4] وكأنه مكروه للرجل -والله أعلم- أن يلبس دُرّاعةً[5] وَحْدَها لا قميص تحتها، لأن ذلك لباس النساء، إلا أن يكون لها شَقُّ ذَيل فخرجت من لِبس النساء ولم يُكرَه للرجال. **والله أعلم.**

[٥٢٢و] وقوله: **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**، جائز أن يكون قوله:[6] **إلا ما / ظهر منها**، إنما يباح النظر إلى الوجه للحاجة، وأما على غير الحاجة فلا يباح لما ذكرنا من قوله: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ،[7] الآية، وقولِه: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ.[8] فعلى ذلك ترك النظر إلى وجه[9] المرأة أطهر[10] للنساء وللناس[11] جميعا فلا يباح ذلك إلا عند الحاجة إليه وهو معرفتها لتُقيم به[12] الشهادة.[13]

فإن قيل: أليس النظر يسع إلى مواضع الزينة الخفية للأجنبي للتداوي بها؟

قيل: يسع ذلك للضرورة وأما للحاجة فلا. ومسألتنا في الحاجة ليست في الضرورة.

ثم قوله: **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن**، إلى آخر ما ذكر، جائز أن يكون المراد برخصة النظر إلى الزينة لهؤلاء[14] المسمَّيْنَ في الآية رخصةَ النظر إلى نفس الزينة في موضع الزينة،

---

[1] نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لِبْسَتَيْن، هي بكسر اللام الهيئة والحالة؛ وروي بالضم على المصدر، والأول أوجه (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «لبس»).

[2] انظر: *صحيح البخاري*، اللباس، ٦١؛ و*سنن النسائي*، النكاح ٢٢.

[3] ر ع م – قال.

[4] انظر: *المعجم الأوسط* للطبراني، ١٧٦/٢؛ و*مصنف عبد الرزاق*، ٣١٩/٤.

[5] ر ع: فراعة؛ م: فراغة. والدُّرّاعةُ والمِدْرَعُ: ضرب من الثياب التي تُلبس، وقيل: جُبّة مشقوقة المُقدَّم (*لسان العرب*، «درع»).

[6] ر ع م – قوله.

[7] ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن﴾ (سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣).

[8] سورة الأحزاب، ٥٣/٣٣.

[9] ع: إلى الوجه.

[10] ع: أظهر.

[11] ع: وللنساء.

[12] ع – به.

[13] جميع النسخ: للشهادة.

[14] ع: هؤلاء.

لا موضع الزينة فيدخل في هذه الرخصة مَن ذَكَر مِن التابعين غير أولي الإربة من الرجال ونحوه، لأن الزينة في الصدر، وما ذكر إنما يكون[1] من وراء ثياب تكون على الصدر.[2]

ثم رخص النظر للمحارم إلى مواضع الزينة الخفية بغير[3] هذه الآية. أو أن يكون رخصة النظر للمحارم إلى مواضع الزينة ولغير المحارم من المماليك والتابعين غير أولي الإربة ومن ذكر رخصة الدخول عليهن، فيكون في الآية إضمارُ الدخول كأنه قال: **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ومن ذكر من المحارم، ولا يدخلُ عليهن إلا العبيد والتابعون ومن ذَكَر من غير أولي الإربة فيتكُنَّ في وقت دخول هؤلاء متأهِبات، لأن وقت دخول هؤلاء يكون معلوما يعرِفنَه[4] فيتأهبن لهم، لأن العبيد إنما يدخلون على سيداتهم ومولَياتهم[5] عند حاجتهن إليهم، "والتابعين" ومن ذَكَر إنما يدخلون إذا دخل أزواجهن عليهن فيتأهبن لذلك. ومثل هذا[6] الإضمار جائز في الكلام، يتبين ذلك بالثُّنيا، كقوله: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ،[7] دل قوله: غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ، على[8] أنه قد كان الصيد[9] مذكورا فيه مرارا، إذ لو لم يكن مذكورا لم يكن[10] استثنى منه. فعلى ذلك جائز أن يكون في الأول إضمارُ الدخول فيه لهؤلاء الذين لا يحل لهم النظر إلى مواضع الزينة منهن ورخصةُ الإبداء[11] للمحارم،[12] أو أن يكون ما ذكرنا فيما تقدم. *والله أعلم.*

وقوله:[13] **أو التابعين غيرِ أولي الإرْبَة من الرجال**، قال بعضهم: [هو] الشيخ الكبير الذي لا حاجة له في النساء. وقال بعضهم: المعتوه الأحمق الذي لا تشتهيه[14] النساء ولا يَغار عليه الأزواج.

---

[1] ر م: تكون.
[2] ع – وما ذكر إنما يكون من وراء ثياب تكون على الصدر.
[3] ر م: لغير.
[4] جميع النسخ: يعرفن.
[5] جميع النسخ: ساداتهم ومواليهم.
[6] ر م: هذه.
[7] سورة المائدة، ١/٥).
[8] ر ع م – على.
[9] م – الصيد.
[10] ع – مذكورا لم يكن.
[11] ر ع م: الابتداء.
[12] ع + ان.
[13] ن: قوله.
[14] جميع النسخ: لا يشتهيه.

وقال بعضهم: العِنِّين والخَصِيّ وهؤلاء الذين لا يطيقون الجماع. لكن عندنا لا يسَع للعِنّين ولا للخَصِيّ أن يخلو[١] بامرأة أجنبية. وقال الحسن: **غير أول الإربة من الرجال**، هم المُخَنَّثون. روي عن عائشة قالت: كان[٢] يدخل[٣] على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مُخَنَّثٌ وكانوا يَعُدّونه من غير أولي الإربة، قالت: فدخل النبيّ ذات يوم وهو يَنعَت امرأةً فقال: «لا أَرَى هذا يعلم ما ههنا، لا يَدخُلَنّ عليكم»، فحَجَبوه.[٤] وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مُخَنَّث،[٥] فأقبل[٦] على أخ[٧] أم سلمة فقال: يا عبد الله إنْ فتَح الله لكم غدا الطائف دللتك على بنت غَيلان فإنها تُقبِل بأربع وتُدبِر بثمانٍ. فقال:[٨] «لَا أَرَى [هذا] يَعْرِفُ مَا ههنا، لا يَدْخُلَنَّ عليكم.»[٩]

وقال بعضهم: **غير أولي الإربة** الذين لا تَهُمُّهم إلا بطونهم ولا يُخافون على النساء. وكله واحد وهم الذين ليست لهم الحاجة إلى النساء.

قال أبو عَوْسَجَة: **الإربة** الحاجة، والإرب جميع، وكذلك قال القُتَيبي.[١٠] وقال ابن عباس: هو الذي لا يستحيي منه النساء.[١١]

وقوله: **أو الطفلِ الذين لم يظهروا على عَوْرات النساء**، قال بعضهم: هو من[١٢] الاطّلاع، أي لم يطّلعوا ولم يعلموا ولم يدرُوا ما هو من الصِغَر. وقال بعضهم: **لم يظهروا على عورات النساء**، أي لم يبلغوا الحُلُم. والأول أشبه عندنا، وذلك أن الطفل الذي لم يحتلم قد أمر[١٣] بالاستئذان في بعض الأوقات، لقوله: لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ،[١٤]

---

[١] ر: يخلوا.
[٢] ر ع م: كانت؛ ن + برجل.
[٣] ن – يدخل.
[٤] صحيح *مسلم*، السلام ٣٣؛ وسنن *أبي داود*، اللباس ٣٥.
[٥] ع + وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة قالت فدخل النبي ذات يوم وهو ينعت امرأة فقال لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم فحجبوه وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث.
[٦] أي المخنث.
[٧] جميع النسخ: أخي.
[٨] أي النبي عليه السلام.
[٩] انظر: صحيح *البخاري*، المغازي ٥٨، النكاح ١١٤، اللباس ٦٢؛ وصحيح *مسلم*، السلام ٣٣؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ٦١.
[١٠] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٣.
[١١] انظر: *تفسير ابن كثير* ٣/٢٧٥.
[١٢] ر ع م – من.
[١٣] ر + هو الطفل الذي لم يحتلم وقد يطلع على عورات النساء والذي لا يؤمر.
[١٤] سورة النور، ٢٤/٥٨.

فالذي يؤمر[1] بالاستئذان هو الطفل الذي لم يحتلم، وقد يطّلع على عورات النساء، والذي لا يؤمر بالاستئذان هو[2] أصغر من ذلك وهو الذي لا يطلع على عورات النساء لصغره. *والله أعلم*.

وقوله: **ولا يضربن بأرجلهن لِيُعْلَمَ ما يخفين من زينتهن**، أي لا يضربن إحدى رجليها على الأخرى ليتقرّع[3] الخلخال بالخلخال، **ليُعلَم ما يخفين من زينتهن**،[4] أي ما تُوارِي[5] الثياب من الزينة وهو الخلخال الذي[6] قد أخفَته[7] الثياب. نُهِيت المرأة عن ضرب رجليها[8] ليعلم الرجال ما تُخفي[9] من زينتها. وذلك محظور عليها، لِما[10] يخرج ذلك مخرج ترغيب الناس وحثّهم عليها، إذ الزينة في الأصل ما جعلت إلا للترغيب والتحريض على أنفسهم وهي الداعية إلى النظر والشهوة، وفي ترك ذلك وترك إبداء الزينة صيانتُها وصيانة الرجال وإبعادهم جميعا من الزينة والرغبة، فكشْف الشابة عن وجهها ونظر الرجل لشهوة إليها أحرى أن يكون محظورا عليه مَنهيا عنه. *والله أعلم بالصواب*.[11]

[٥٢٢ظ] /وقوله عز وجل: **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**، هذا يحتمل[12] وجهين. يحتمل قوله: **توبوا إلى الله**، أي ارجعوا إلى الله بالطاعة له والخضوع لتكونوا مفلحين. أو أن يكون قوله: **وتوبوا إلى الله**،[13] أي ارجعوا عما قدّمتم من المعاصي والمساوئ واجعلوا مكان ذلك طاعةً[14] له ليعفُوَ[15] عنكم ما قدّمتم من المعاصي. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: فالذي لا يؤمر.
[2] ع – الطفل الذي لم يحتلم وقد يطلع على عورات النساء والذي لا يؤمر بالاستئذان هو.
[3] ن + على.
[4] ن – من زينتهن.
[5] ر م + من.
[6] ر ع م –الذي.
[7] جميع النسخ: أخفاه.
[8] جميع النسخ: رجلها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[9] ر م: ما يخفي.
[10] ر م: لم.
[11] ن – بالصواب.
[12] ر – يحتمل.
[13] ع – أي ارجعوا إلى الله بالطاعة له والخضوع لتكونوا مفلحين أو أن يكون قوله وتوبوا إلى الله.
[14] م: طاعته.
[15] ر م: ليعفوا.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣٢]

وقوله: **وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم**، الأمر بالإنكاح وإن خرج مخرج أمر واحد في الظاهر فهو في الحقيقة على أقسام. الأمر في تزويج الإماء والعبيد يخرج مخرج الترغيب والتحريض فيه، وفي الأحرار يخرج مخرج[١] المعونة[٢] والتقوية، لأن من بلغ ولدُه النكاح ذكرا أو أنثى استشار أقرباءه وأهل أنسابه والمتصلين به في ذلك واستعانهم[٣] على ذلك، ولا كذلك السادات في المماليك. دل أن الأمر في أحدهما يخرج على المعونة، وفي الآخر على الترغيب.

ثم تزويج العبد يخرج كأنه فعل المعروف، إذ في ذلك إلزام مؤنٍ بلا عِوض يحصل له. ألا ترى[٤] أنه لا يملك [هذا الأمر][٥] إلا من يملك المعروف من نحو الوصي والأب والمكاتَب والعبد المأذون له في التجارة، ولا كذلك تزويج الإماء، إذ يملك هؤلاء ذلك. وكل مكتسبِ خيرٍ[٦] لنفسه أو لغيره. ثم جرى الوفاق[٧] بينهم أن للمولى أن يزوج أمَته شاءت هي أو أبَت. واختلفوا في تزويج العبد امرأة، قال بعضهم: ليس[٨] له ذلك إلا برضاء العبد. وقال بعضهم: له ذلك[٩] شاء أو أبى.

ثم الناس اختلفوا في قوله: **وأنكحوا الأيامى منكم**. قال بعضهم:[١٠] **الأيامى** هن[١١] الإناث من الأحرار دون الذكور، واستدلوا[١٢] ببطلان النكاح وفساده إذا كان بغير إذن الولي بهذه الآية، لأن الله تعالى أمر الأولياء وخاطبهم أن يزوجوهن[١٣] كما أمر المولى بتزويج أمَته، فأوجب للولي الولاية كما أوجبها للمولى وإن كانا مختلفين في الولاية.

---

[١] ع – الترغيب والتحريض فيه وفي الأحرار يخرج مخرج.
[٢] ر م: المؤنة.
[٣] ع: واستعانتهم.
[٤] ن: يرى.
[٥] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٢٧ ٥و.
[٦] جميع النسخ + له.
[٧] ن: الوفات.
[٨] ر ع م – ليس.
[٩] ع – ذلك.
[١٠] ن + ليس.
[١١] ر ع م: منهن.
[١٢] ر: واستدللوا.
[١٣] ع: يزوجوا هن.

لكن عندنا لو كانت الآية خرجت على الذي قاله[1] خصومنا: **وأنكحوا الأيامى منكم،** [هن] الإناث، لم يكن فيه دليل على ما قالوا هم، ويخرج ذلك على وجوه. أحدها على الترغيب في إنكاحهن لما [لا][2] تتولّى[3] النساءُ[4] النكاحَ بأنفسهن حياء، ويستحيين[5] التكلم بذلك، حتى من فعلت[6] ذلك منهن بنفسها صارت مطعونة عندهن. أو أن يخرج ذلك مخرج المعونة لهن على ما ذكرنا. ألا ترى[7] إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:[8] «من بلغ ولدُه[9] النكاح وعنده ما يُنكحه فأحدث فالإثم بينهما.»[10] فهذا يدل -والله أعلم- على وجه المعونة في تزويج الأب الابنَ البالغ، فإذا كان الأب مأمورا من جهة التأديب على المعونة بتزويج ابنه، ولا يُوجَب ذلك عليه ولايةً إذا كره ذلك، فكذلك يكون مأمورا بتزويج ابنته عن طريق[11] المعونة أو جهة الحياء.[12] أو أن يخرج ذلك على ما قاله[13] خصومنا من إيجاب الولاية له عليها.

ثم رأينا أنها إذا رغِبت في النكاح ورضِيت[14] به وكره وليّها ذلك أُجبر[15] الولي على الإنكاح. وإن هي كرهت النكاح وأبَت ورغب الولي ذلك وشاء لم تُجبَر هي على ذلك. دل ذلك على أن الحق لها عليه دون أن يكون الحق في ذلك له عليها. فإذا كان الحق لها عليه جاز ذلك إذا تولّت بنفسها لما ذكرنا أن الخطاب للأولياء يخرج على الوجوه التي[16] ذكرنا. *والله أعلم.*

---

[1] ر ع م: على التفسير على ما يقول؛ ن: على اليقين على ما يقول. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[2] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[3] ن: يتولى؛ ر ع م: تولى.
[4] جميع النسخ: هن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[5] ن: حيا وتخيير.
[6] جميع النسخ: من فعل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[7] ن: يرى.
[8] ر ع م - قال.
[9] ن: ولد.
[10] انظر: *كنز العمال* للهندي ٥٩٧/١٦ (٤٥٣٣٧).
[11] ر ع م: من طريق.
[12] ن: العيا.
[13] ر ع م: قال.
[14] ن: ولا رضيت.
[15] جميع النسخ: جبر؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[16] جميع النسخ: الذي.

هذا إذا كان في الآية ذكر الإناث دون الذكور، فكيف أنْ ليس في الآية ذكر[١] تخصيص الإناث دون الذكور، واسم الأيّم يقع على الإناث والذكور جميعا.[٢] ألا ترى[٣] أنه روي عن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية: ما رأيت من يَحبِس[٤] بعد هذه الآية أيِّمًا[٥] التمسوا الغنى[٦] في الباءة.[٧] وما روي عن نَجدة أن عمر دعانا إلى أن ننكح[٨] من أيائمنا.[٩] وفي الشعر:

لِلّهِ دَرُّ بَنِي عَلِيٍّ أَيِّمٍ مِنهُمُ وَناكِحِ[١٠]

وفي بعضها:

وأيِّمٍ تَأبَى من القوم [الكرام] أيِّمَا.

جمع فيه[١١] اسم الأيم للرجال[١٢] والنساء. ومن الدليل[١٣] أيضا على ذلك قوله: **والصالحين من عبادكم وإمائكم**، فدل ذلك على أنه حثَّ[١٤] على تزويج البالغين من الأحرار رجالِهم ونسائهم.

فإن قيل: فما وجه أمره بتزويج الرجال والأمرُ إليهم؟ فجواب ذلك ما ذكرنا من المعونة والترغيب فيه.

---

١ ع - ذكر.
٢ الأيامى: الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء. ورجل أيِّمٌ سواء كان تزوّج قبل أو لم يتزوج. قال ابن سيده: الأيِّمُ من النساء التي لا زَوْج لها، بِكْرًا كانت أو ثَيِّبًا، ومن الرجال الذي لا امرأة له. وفي التنزيل العزيز: ﴿وأَنْكِحُوا الأيامى منكم﴾ دخل فيه الذَّكَر والأُنثى والبِكْر والثَّيِّب (*لسان العرب*، «أيم»).
٣ ن: يرى.
٤ جميع النسخ: ما رأيت مثل ما يلتمس؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
٥ جميع النسخ: إثما.
٦ ر ع م: الغناء؛ ن: الغنا.
٧ ع: في الباة. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣/٣٢٠.
٨ ن ع م: ينكح.
٩ جميع النسخ: من أيما.
١٠ والبيت لأمية بن أبي الصلت، انظر: *ديوان أمية بن أبي الصلت*، ٣٥٠. وعبارة السمرقندي هكذا: «وهو المشهور في كلام العرب وأشعارهم. فقال قائل في حث قريش على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر: «لله درّ بني عليّ أيم منهم وناكح» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٢٧ظ).
١١ ر ع م: فيها.
١٢ جميع النسخ: الرجال.
١٣ ع: من الدليل.
١٤ ع: خص.

ثم قوله: **والصالحين من عبادكم**، جائز أن يكون قوله: **والصالحين**، أي المؤمنين، وجائز أن يكون **والصالحين** مَن طلب منكم الصلاح والعفة. أو ذكَر الصالحين لما كانت[1] العادة في الملوك[2] أنهم يخاطبون أهل الصلاح منهم والأخيار لا على إخراج غيرهم من حكم ذلك الخطاب. *والله أعلم*.

وقوله: **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**، من الناس من استدل بهذه الآية أن العبد يُملَّك، لأنه ذكر العبيد والأحرار جميعا ثم ذكر في آخره الإغناء،[3] دل[4] أنه يملَّك. ويَستدلّ بقوله: فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ،[5] [إذ] أضاف الأجور والإيتاء إليهن، دل أنهن يُمَلَّكن.

لكنْ عندنا أن المماليك يُمَلَّكون ملك التوسّع[6] وملكَ التصرف ويقع لهم غَناء التوسيع وغَناء التصرف، ولا يقع لهم التمليك ولا حقيقة الملك. والدلالة على ذلك قوله: وَاللَّهُ فَضَّلَ [٥٢٣و] بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي / رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ،[7] لو كان ما ملكت أيمانهم يُمَلَّكون ما يُمَلَّك الموالي والسادات لكان[8] المماليك يُفَضَّلون على السادات في الملك، إذ هم الذين يتصرفون ويكتسبون الأموال دون السادات، فدل ذكر تفضيل بعض على بعض أنهم لا يُمَلَّكون ما يُمَلَّك الموالي. والثاني قوله: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ،[9] الآية، ولو كانوا يُمَلَّكون[10] على ما يُمَلَّك[11] السادات لكانوا لهم فيه شركاء، دل أنهم لا يُمَلَّكون حقيقة الملك ولكن يُمَلَّكون ملك التوسع[12] والتصرف. أو أن يكون قوله: **يغنهم الله من فضله**، راجعا إلى الأحرار منهم دون المماليك،

---

[1] ن – كانت.
[2] ر: في الملك.
[3] جميع النسخ: الغناء.
[4] ر: يدل.
[5] سورة النساء، ٢٥/٤.
[6] ر ع م: التوسيع.
[7] سورة النحل، ٧١/١٦.
[8] م: كان
[9] ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سَلَمًا لرجل هل يستويان مثلا﴾ (سورة الزمر، ٢٩/٣٩).
[10] ع: ولو كان يملك.
[11] ع – على ما يملك.
[12] ر ع م: التوسيع.

وذلك جائز في اللسان.[١] ثم روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة حق على الله تعالى عونُهم:[٢] المجاهد في سبيل الله، والناكح يريد العَفاف، والمكاتَب يريد الأداء».[٣] وعن عمر قال: ما رأيت مثل الرجل لا يلتمس الغنى[٤] في الباءة[٥] والله تعالى يقول: **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**.[٦] وروي في الخبر[٧] أنه[٨] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[٩] «يا معشر الشباب،[١٠] من استطاع منكم الباءَةَ[١١] فليتزوج فإنه أغَضّ[١٢] للبصر وأحصن للفرج[١٣] ومن لم يستطع فعليه الصوم فإنه له وِجاء.»[١٤] وروي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن[١٥] الخطاب: «ما فعلت بناتك؟» قال: هن عندي يا رسول الله، قال: «وقد حِضنَ؟» قال: نعم، قال: «إنك لم[١٦] تحبِس واحدة منهن عن كُفء[١٧] إلا نقَص[١٨] من أجرك كل يوم قِيراط.» وفي بعض الأخبار: «من[١٩] بلغ ولدُه النكاح وعنده ما يُنكحه فأحدث فالإثم بينهما».[٢٠]

---

[١] ر ن ع + كقوله.

[٢] جميع النسخ: أن يغنيهم.

[٣] ر ع م: الأدا. سنن ابن ماجة، العتق ٣؛ وسنن الترمذي، فضائل الجهاد ٢٠، وسنن النسائي، الجهاد ١٢، النكاح ٥.

[٤] ر ن م: الغناء؛ ع – الغنى.

[٥] ر ع م: في الباة.

[٦] انظر: *كنز العمال* للهندي ٦٨٧/١٦ (٤٥٥٨٧)؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٤٩/١٨. ولفظ *الكنز*: «عمر بن الخطاب قال: ما رأيت كرجل لم يلتمس الغنى في الباءة وقد وعد الله فيما وعده فقال: إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله».

[٧] ن: في خبر.

[٨] ر ن – أنه.

[٩] ر م + للفرج.

[١٠] م: الشات.

[١١] ر ع م: الباة

[١٢] ن: يغض.

[١٣] ر م: بالفرج.

[١٤] انظر: صحيح البخاري، الصوم ١٠، النكاح ٢؛ وصحيح مسلم، النكاح ١، ٣.

[١٥] ع – ابن.

[١٦] ن: لن.

[١٧] جميع النسخ: كفو.

[١٨] نقض.

[١٩] ن: ومن.

[٢٠] انظر: *كنز العمال* للهندي، ٥٩٧/١٦ (٤٥٣٣٧).

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣٣]

وقوله: **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله**، الاستعفاف هو طلب العَفاف كأنه قال: [لِ]يَطلب الأسباب التي تمنعه عن الزنى وتصبّره عفيفا حتى يغنيه الله من فضله. وأسباب العفة تكون[١] [بـ]أشياء. أحدها ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:[٢] «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[٣] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج،[٤] ومن لم يستطع فعليه بالصوم[٥] فإنه له وِجاء.»[٦] ونحوه. يكتسب أسباب العفة إن لم يكن عنده ما ينكح حتى لا يقع في الزنى إلى أن يغنيه[٧] الله، كقوله عليه السلام: «من استعفّ[٨] أعفّه الله.»[٩] وجائز أن يكون قوله: **وليستعفف**، أي يتعفف **الذين لا يجدون نكاحا**.

لم يجعل الله عز وجل للذي عجز عن النكاح استباحة الفروج والاستمتاع بها[١٠] إذا لم يكن عنده ما ينكح كما جعل في الأموال وغيرها رخصة[١١] التناول من مُلْك[١٢] غيره[١٣] عند الحاجة

---

[١] جميع النسخ: يكون.
[٢] ر ع م - قال.
[٣] ر م: الباة.
[٤] جميع النسخ: بالفرج.
[٥] ع: الصوم.
[٦] سبق تخريجه قريبا.
[٧] جميع النسخ: أغناه.
[٨] ع: استعفف.
[٩] ورد عن عُمارة بن غَزِيَّة عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: سرحتني أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وقعدت فاستقبلني وقال: «من استغنى أغناه الله عز وجل، ومن استعفّ أعفه الله عز وجل، ومن استكفى كفاه الله عز وجل، ومن سأل وله قيمةُ أُوقيّة فقد أَلْحَفَ.» فقلت: ناقتي الياقوتة خير من أُوقيّة فرجعت ولم أسأله (*سنن النسائي*، الزكاة ٨٩؛ وانظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٣).
[١٠] جميع النسخ + زنى.
[١١] ر م: برخصة.
[١٢] جميع النسخ: في ملك.
[١٣] ر ع م: غير.

والضرورة ببدل[١] لوجوه. أحدها[٢] أن رخصة التناول من مُلْك[٣] غير إنما تكون[٤] عند الضرورة، والضرورات لا تقع في الفروج وفي الاستمتاع بها بحال،[٥] لذلك لم تُبح. والثاني أن[٦] الاستمتاع بالنساء في الأصل كأنه إنما[٧] جعل وأُبيح لبقاء النسل والتوالد، لا لحاجة أنفسهم وقضاء الشهوة، فإذا لم يكن عنده ما يَنكح ارتفع عنه إبقاء النسل والتوالد. والثالث أن السعة والغناء وأنواع النعم هي الداعية إلى الحاجة وقضاء الشهوة، فإذا كان فقيرا لا يجد ما ينكح زال[ت] عنه الأسباب التي تدعوه[٨] إلى ذلك، لذلك لم يُبح. وأما الحاجات والضرورات وما ذكرنا كلُّها تقع في الأموال، وإنما الحاجة في التناول منها لأنفسهم ولإبقائها، لذلك افترقا. ***والله أعلم***.

ثم في قوله: **حتى يغنيهم الله من فضله**، وقوله: إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ،[٩] وجهان من المعتَبَر على نقض قول المعتزلة. أحدهما أنه أضاف الإغناء إلى نفسه، وهو ليس يعطي أحدا شيئا يَطْرحه ويُلقيه في يده بلا سبب منه،[١٠] ولكن إنما يغنيه ويعطيه[١١] بأسباب يجعلها له.[١٢] فدل إضافة الإغناء إلى نفسه على أن له في تلك الأسباب التي بها[١٣] لهم غنى[١٤] صنعا وفعلا، ليس على ما يقول[١٥] المعتزلة أنْ لا صنع لله في أفعال العباد.[١٦] والثاني فيه دلالة[١٧] [على] أن غناهم وسعتهم فضل منه[١٨] ورحمة، لا شيءٌ يستوجبون هم بأنفسهم ذلك قبله،

---

[١] ع: يدل.
[٢] ر ع م - أحدها.
[٣] جميع النسخ: في ملك.
[٤] جميع النسخ: يكون.
[٥] ر ع م: لحال.
[٦] ر ع م - أن.
[٧] ن - إنما.
[٨] ن: يدعوه.
[٩] الآية السابقة.
[١٠] ر ع م - منه.
[١١] م: ويعطيها.
[١٢] جميع النسخ: يجعل لهم.
[١٣] ر م: ما.
[١٤] ر ع م: غناء.
[١٥] ن ع: يقوله.
[١٦] ر ع ن: عباده.
[١٧] م - دلالة.
[١٨] م: منهم.

لكن إفضالا منه[1] لهم وإحسانا، إذ لو لكان[2] عليه ذلك لكان[3] منه عدلا لا فضلا. فدل تسمية الفضل ذلك على أن من أعطاه الله تعالى:[4] ذلك أعطاه فضلا منه وإنعاما[5] لا استيجابا واستحقاقا، وذلك رد عليهم في الأصلح في الدين.

ثم من الناس من استدل بهذه الآية بقوله: يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ[6] **وحتى يُغْنِيَهُمُ الله من فضله** على تفضيل الغناء على الفقر، قالوا: لأنه سماه فضلا بقوله: **من فضله**، وسماه في غير آي من القرآن رحمة وحسنة، وسماه خيرا أيضا في غير موضع، وسَمَّى الفقر والضيق بلاءً مرة، وسيئةً ثانيا، وضُرا وشدة ثالثا، بقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[7] وقال: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[8] وقوله: هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ،[9] وغير ذلك من الآيات. وكان ما سمّى من البلاء والشدة والشر والضر والسيئة كلِّه عبارة وكناية عن الضيق والفقر، وما ذُكر من الخير والحسنة والرحمة ونحوه كله عبارة عن السعة [٥٢٣ظ] والغناء.[10] فدل تسميته[11] الغناء خيرا وحسنة ورحمة / على أنه أفضل، إذ لا شك أن الخير والحسنة والرحمة خيرٌ من الشر والسيئة والبلاء، لذلك كان الغناء أفضل من الفقر.

فيقال[12] لهم: هو[13] كما قلتم إنها خير مما ذكرتم، إلا أن هذه الأسباب التي ذكرتم هي الداعية إلى الفساد، الباعثةُ على قضاء الحاجات والشهوات وأنواع المعاصي والتعاطي في أنواع المحرمات، ولا كذلك الفقر والضيق والشدة، بل هن أسباب تمنع صاحبها عن التعاطي في أنواع المعاصي

---

[1] م: منهم.
[2] جميع النسخ: كان.
[3] جميع النسخ: كان.
[4] ر ع م: يقال.
[5] ر م: وإنعام.
[6] الآية السابقة.
[7] ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ١٦٨/٧).
[8] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[9] ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنِيَ اللهُ بضُر هل هن كاشفات ضره أو أرادَنِي برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ (سورة الزمر، ٢٩/٣٩).
[10] جميع النسخ: والغنى.
[11] ر ع م: تسمية.
[12] م: ويقال.
[13] ن – هو.

والمحرمات[١] فضلا أن تدعوه وتبعثه إلى ذلك. فقولنا: إنه أفضل للمعنى الذي ذكرنا، لا لمعنى فهمتموه أنتم. أو أن يكون ما ذكر وسمي خيرا -أعني السعة- عندَ الناس، وكذلك [يكون] ما ذكر من الضيق شرا وسيئة عندهم، لأنه كذلك عند الناس لا أنهما في الحقيقة كذلك، لما يحتمل أن يكون الغناء والسعة سبب الفساد، والضيق والفقر سبب منعه عن الفساد. أو أن لا يُتكلم في تفضيل أحدهما على الآخر، إذ هما مِحنتان يُمتحن بهما العباد: هؤلاء بالصبر على الفقر والضيق، وهؤلاء بالشكر على النعمة والسعة. فالتكلم في فضل أحدهما على الآخر فضول.[٢] *والله أعلم*.

وقوله: **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم**، ظاهر هذا ليس على الكتابة ولكن على الكتاب المعروف وهو كتاب الله تعالى، لأن الكتاب المطلق هو كتاب الله تعالى، يسألون ساداتهم تعليمَ الكتاب لهم. إلا أن الناس لم يفهموا من هذا هذا، ولكن فهموا كتابة العبيد والإماء حيث صرفوا الآية إليها. ثم قوله: **فكاتبوهم** ليس على الوجوب والإلزام ولكن على الترغيب فيها والحثّ. دليله ترك الأُمَّة المماليكَ بعد موتهم مواريثَ لورثتهم من لدن رسول الله إلى يومنا هذا. ولو كان على الوجوب واللزوم لم يكونوا يتركون لازما واجبا[٣] عليهم، فدل تركهم ذلك على أنه خرج مخرج الترغيب عليها والحثّ، لا على الوجوب. *والله أعلم*.

وقوله: **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا**، اختلف فيه، قال بعضهم: أي كاتبوهم إن علمتم أنهم يرغبون في أنواع الخير وإقامة الصلاة وأنواع الصلاح وفرّغوا أنفسهم لذلك. وقال بعضهم: **إن علمتم فيهم خيرا**، أي وفاء[٤] وأمانة وصلاحا، وهو قول الحسن. وتأويل هذا أي كاتبوهم إن علمتم أنهم يقدرون على وفاء ما كوتِبوا وأداء ذلك. وقال قائلون: **خيرا**، أي حِيلة، وقال قائلون:[٥] مالا، وقال قائلون: **خيرا**، أي حِرفة. ورَوَوا في ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسّرا عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن علمتم فيهم خيرا، أي حرفة، ولا ترسلوهم كلابا على الناس.»[٦]

---

[١] ع - ولا كذلك الفقر والضيق والشدة بل هن أسباب تمنع صاحبها عن التعاطي في أنواع المعاصي والمحرمات.
[٢] جميع النسخ: فضل؛ ع - أحدهما على الآخر فضول.
[٣] ع - واجبا.
[٤] ع: قاء.
[٥] ن: بعضهم.
[٦] ن: عن الناس. ورد في *السنن الكبرى* للبيهقي (١٠/٣١٧) عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله: ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾ قال: إن علمتم منهم حرفة ولا ترسلوهم كلابا على الناس. وانظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٨/١٥٤؛ *وأحكام القرآن* للجصاص، ٣/٣٢٢.

إن ثبت هذا [ف]لا يحتاج[1] إلى غيره من التفسير. ولو كان قال: **إن علمتم** لهم[2] **خيرا** جاز أن يقال: معنى ذلك مالا، ولكنه قال: **إن علمتم فيهم خيرا**،[3] والمال لا يكون فيهم وإنما يكون لهم، فَأَشْبَهُ ذلك -والله أعلم- أن يكون الخير حِرفة كما روي[4] في الخبر؛ أو وفاء وأمانةً.

ثم في الآية دلالة أن العبيد لا يُمَلَّكون شيئا، لأنهم لو[5] كانوا يُمَلَّكون لكان يرغبهم ويحثهم على العتاق دون الكتابة، فدل ترغيبه إياهم عليها أنهم لا يُمَلَّكون حتى تُجعل[6] الكتابةُ الكسبَ لهم والخدمة دون الموالي.[7] وفي الكتابة أيضا نظر للموالي، لأنهم إنْ قدروا على وفاء ما قَبِلوا أداءه[8] وإلا كان للموالي ردُّهم إلى منافع أنفسهم. ولو كان عتقا لم يُمَلَّكوا ردهم إلى منافع أنفسهم ويبطل حقهم بلا شيء يصل إليهم. ***والله أعلم***.

وفي قوله: **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا**، دلالة [على] القول بالعمل بعِلم ظاهرِ الأسباب[9] دون تحقيق العلم به حيث قال: **إن علمتم فيهم خيرا**، وإنما يوصَل إلى[10] ما ذكر من الخير بأسباب تكون لهم على نحو ما ذكروا فيه من الحِرفة والوفاء وأداء الأمانة وأمثاله، وتلك[11] أسباب توصل إلى الخير على أكبر الظن والعلم لا على الحقيقة. وفيه دلالة العمل بالاجتهاد على ما يُرَى بهم من ظاهر الأسباب. ***والله أعلم***.

وقوله: **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**، اختلف في خطابه. قال الحسن وغيره: هو شيء حث الناس عليه مولاه وغيرَه،[12] فيخرج ذلك على وجهين. أحدهما ما جعل الله من الحق للمكاتَبين في الصدقات،

---

[1] ع: هذا الاحتياج.
[2] ر ع م: فيهم.
[3] ع - جاز أن يقال معنى ذلك مالا ولكنه قال إن علمتم فيهم خيرا.
[4] ر: الجاء روي؛ م: الجا وروي.
[5] ع - لو.
[6] ن: يجعل.
[7] ر م: المولى.
[8] جميع النسخ: وأداءه.
[9] جميع النسخ: دلالة القول بعلم العمل على ظاهر الأسباب، والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٢٨و. وعبارته هكذا: «وفي قوله: ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾ دليل على أن العمل بعلم ظاهر الأسباب دون التيقن جائز».
[10] ر م - إلى.
[11] ر ن م: وذلك؛ ع: ذلك.
[12] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/١٣١-١٣٢.

لقوله:[١] إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ، إلى قوله: وَفِي الرِّقَابِ،[٢] وهم المكاتَبون. أمر أرباب الأموال بدفع الصدقات إلى المكاتَبين وجعلهم أهلا لها ليستعينوا بها على أداء[٣] ما عليهم من الكتابة، فإن كان ذلك فذلك حقٌّ لهم. والثاني جائز أن يأمر الناس بمعونة هؤلاء المكاتَبين على أداء ما عليهم من الكتابة بأموالهم سوى الصدقات ليفُكُّوا رقابهم عن ذُلِّ الرِّق والكسب.

وقال قائلون: إنما الخطاب للموالي خاصة لما أن أول الخطاب بالكتابة راجع إلى الموالي،[٤] فعلى ذلك هذا. ثم اختلفوا فيه، روي عن علي بن أبي طالب[٥] رضي الله عنه قال: يَترُك المولى[٦] الثلث من مكاتبته له. وروي عنه أنه قال: ربع المكاتبة.[٧] وروي عن عمر رضي الله عنه أنه كاتب غلاما له فحَطّ عنه أولَ نجومه[٨] وقال له: حُطَّ عني آخرَه، فقال عمر: لَعَلِّي لا أصِل إليه، أو كلامًا[٩] نحو هذا، ثم تلا هذه الآية / قوله: **والذين يبتغون الكتاب**، الآية.[١٠] وروي عن غلام لعثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كاتَبني عثمان ولم يَحُطَّ عني شيئا.[١١] دل ما روي عن عثمان أنه لم يَحُطَّ عنه شيئا، على أن الأمر بالإيتاء للمكاتبين من الأموال أو الحط[١٢] عنهم إنما هو على الاختيار والإفضال، ليس على الوجوب واللزوم، لأنه لو كان على الوجوب لكان عثمان بن عفان لا يحتمل أن لا يَحُطَّ عنه شيئا. ومن جعل ذلك واجبا على المولى أن يؤتيه من ماله ويعجّله له كان ذلك خارجا عما روي من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين [و]خلافا لهم، لأنه روي عن بعضهم[١٣] الحطّ عنهم [٥٢٤و]

[١] ع – لقوله.
[٢] ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة، ٦٠/٩).
[٣] ع: على داء.
[٤] ع – خاصة لما أن أول الخطاب بالكتابة راجع إلى الموالي.
[٥] م – بن أبي طالب.
[٦] ر م: الموالي.
[٧] انظر: تفسير *الطبري*، ١٨/١٢٩-١٣١.
[٨] جميع النسخ: نجمه. النَّجْم: الوقت المضروب. ونَجَّمْتُ المالَ: إذا أدَّيته نُجومًا. وتَنْجِيمُ الدَّيْنِ هو أن يُقَدَّر عطاؤه في أوقات معلومة متابعةٍ. ومنه تنجيم المُكاتَب ونُجومُ الكتابة (*لسان العرب*، «نجم»).
[٩] جميع النسخ: كلام.
[١٠] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي ١٩٢/٦.
[١١] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٢٢/٣. و*تفسير القرطبي*، ٢٥٢/١٢.
[١٢] ر م: والحط.
[١٣] ن: عن بعض.

والوضع[1] دون الإيتاء من ماله. وروي عن بعضهم الاستيفاء على الكمال، لا حطَّ فيه ولا إيتاء. دل أن قول من يأمرهم[2] بالإيتاء[3] من أموالهم دون الكتابة خارج من قولهم جملةً.

ثم يبطل ذلك من وجهين. أحدهما أن من قال لعبده: إذا أديت إليّ كذا فأنت حر، فحط عن بعض ذلك فأدى البقية لم يُعتق حتى يؤدَّى الكل، فدل أن قوله: **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**، ليس على الوجوب ولكن على الاختيار. والثاني أنه لا يسمى بعد الأداء مكاتَبا وإنما هو[4] حر، وهو إنما[5] ذكر الإيتاء إياهم وهم مكاتبون حيث قال: **فكاتبوهم**، ثم قال: **وآتوهم**، فلو كان على ما يقوله قوم لكان ذلك باطلا للوجهين اللذين ذكرناهما. *والله أعلم*.

وقوله: **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا**، ليس قوله: **إن أردن تحصنا**، بشرط فيه لأنهن لا يكرَهْنَ[6] على البغاء وإن لم يردن التحصن، دل أن ذلك ليس بشرط فيه ولا يتمكن[7] الإكراه فيه إذا كنّ أطَعْن فيه. لكنه خرج ذلك على ما ذكر في القصة بأن الموالي[8] كانوا[9] يكرهونهن على الزنى ابتغاء المال وهن كنّ يُرِدن التحصن، فخرج الخطاب والنهي على فعلِهم دون أن يكون ذلك شرطا فيه. أو أن يكون ذلك إكراها [أيضا] إذا كن مطاوعات في ذلك. وفيه دلالة بطلان المتعة وفسادها، لأنهم كانوا يُكرهون إماءهم على أن يؤاجروا أنفسهن للزنى ابتغاء الأجر وليست المتعة إلا كذلك. وقال أهل التأويل: إن الآية نزلت في نفر من المنافقين:[10] عبد الله بن أبيّ وفلان[11] وفلان، كانوا يُكرِهون فتياتِهم على الزنى ابتغاء عرض الدنيا.[12] فإن كان ما ذكروا ففيه دلالة أن الزنى حرام في الأديان كلها.

[1] ع: والموضع.
[2] ع: يأمر.
[3] ع: من الإيتاء.
[4] ن: هي.
[5] ر م: وإنما.
[6] ن: لا يكرههن.
[7] ر: يمكن.
[8] ر ع م – بأن الموالي.
[9] ع: كا.
[10] جميع النسخ: في المنافقين.
[11] ع: فلان.
[12] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي ١٩٢/٦.

وقوله عز وجل: **ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم.** هذا يحتمل وجهين. أحدهما يرجع إلى الإماء، يقول: **فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** لهن. وكذلك روي في بعض الحروف أنه قرئ: **فإن الله من بعد إكراههن** لهن **غفور رحيم.**[1] والثاني يرجع إلى السادات، فإن الله لهم[2] غفور رحيم إذا تابوا وأصلحوا. ***والله أعلم.***

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣٤]

وقوله: **ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات**، بخفض الياء ونصبها. ثم يحتمل أن يكون المراد بالآيات آياتِ القرآن جميعا. وقوله: **مبيِّنات** بالخفض، أي تبيّن للخلق ما لهم وما عليهم، وما لله عليهم،[3] وما لبعضهم على بعض. ومبيَّنات بالنصب، أي مبيَّنات أنها من عند الله. وجائز أن يكون المراد بالآيات الحججَ والبراهين. فإن كان هذا فقوله: مبيِّنات بالخفض، أي تبين وحدانية الله تعالى وعلْم رسالةِ رسوله. ومبيَّنات بالنصب، أي واضحات بينات أنها حجج وبراهين.

وقوله: **ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين**، أي أنزلنا إليكم أيضا مثل الذين خلوا من قبلكم، ما حل بهم ونزل بالمكذبين من العذاب. **وموعظةً**، ما يتّعظ[4] المتقون [به]. أو جعل لكم فيما أنزل من الآيات عليكم أمثالا من الذين خلوا من قبلكم لتتعظوا[5] به. ***والله أعلم.***

﴿اَللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ اَلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣٥]

١ – وقوله: عز وجل: **الله نور السماوات والأرض**، قال بعضهم: الله هادي السماوات والأرض. ثم انقطع الكلام فأخذ في نعت[6] محمد صلى الله عليه وسلم وما ضرب له من الأمثال فقال:

---

[1] وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وابن جبير، انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٥، ٢٠٢، ٢٤٩.
[2] م: لهن.
[3] ع – وما لله عليهم.
[4] ر: يتعض.
[5] جميع النسخ: ليتعظوا.
[6] ع: في بعث.

مثل نوره، يقول: **مثل**[1] نور محمد إذا كان في صلب أبيه **كمشكاة**، أي كُوَّة بلغة الحبَش، غير نافذة، **فيها مصباح**، أي سراج. **المصباح**، يقول -والله أعلم- ذلك[2] السراج المضيء ضوؤه[3] **في زجاجة**. الزجاجةُ نَعْتُها [أنها][4] الصافيةُ التامة الصفاءِ. والمشكاة صُلب أبيه عبد الله، والزجاجة وصفاؤها محمد رسول الله طَهَره[5] من الأدناس[6] والمعاصي، والمصباح ونوره هو صفاء قلب[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه من الإيمان والحكمة والنبوة. [**الزجاجة كأنها كوكب دُرِّيٌّ**، أي محمد صلى الله عليه وسلم، ذَكَره[8] مع أسماء الأنبياء والرسل في اللوح المحفوظ، [وهو] عند الله في الفضيلة على تلك الأنبياء والرسل[9] عليهم السلام كفضل الكوكب[10] الدري -أي المضيء وهو[11] الزهرة- على سائر الكواكب.

وقوله عز وجل: **يُوقَدُ مِن شجرة مباركة** يقول: -والله أعلم- استنارَ نور محمد من نور إبراهيم، لأن محمدًا على دين إبراهيم وعلى سننه ومنهاجه، فمثل إبراهيم مثل الشجرة المباركة، وأصل محمد من نسل إبراهيم صلوات الله عليهم.

|٥٢٤ظ| / وقوله[12] عز وجل: **زيتونةٍ لا شرقية ولا غربية**، [أراد] بالزيتونة[13] المحاسن وطاعة إبراهيم لربه؛ فنفعه الله بحسن طاعته يوم القيامة وفي غيره من المواطن كما نفعت[14] الزيتونة أهلها في الدنيا، فهي فاكهة وطعام وهي إدام وهي[15] الصِّباغ والدُّهن والدباغة. يعني **زيتونةٍ لا شرقية ولا غربيةٍ**، يقول: إن إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن نصرانيا لقول النصارى:

[1] ر ع م - مثل.
[2] م - ذلك.
[3] ع: ضوءه.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٨ظ.
[5] جميع النسخ: وطهره.
[6] م: من الأناس.
[7] جميع النسخ: والمصباح نوره وصفاؤه قلب.
[8] ن ع: وذكره.
[9] م - والرسل.
[10] ر: الكواكب.
[11] ر ع م: وهي.
[12] ن: قوله.
[13] جميع النسخ: والزيتونة، والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٨ظ.
[14] ر ع م: نفع؛ ن: يقع.
[15] جميع النسخ: وهو.

هو نصراني يصلي [إلى] قبلة النصارى من قِبَل المشرق، ولا يهوديا لقول اليهود: إنه كان على ديننا يصلي قِبَل المغرب ببيت[1] المقدس. يقول الله تعالى: لم يكن كما قال هؤلاء، وَلٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا[2] مصليا إلى الكعبة وهي قبلته وإليها حجّ.

وقوله: **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**، يقول: -والله أعلم- لو أن إبراهيم لم يكن نبيا لأصاب بحسن طاعة الله في الدنيا الفضلَ مع الأنبياء والرسل في الدنيا، والدرجاتِ العُلَى في الآخرة.

وقوله: **نور على نور**، لأن محمدا وما جاء به من الدين والكتاب أصل نوره[3] من قِبَل إبراهيم، لأنه على دينه وسنته وكتابه ومنهاجه. ثم قال:

يهدي الله لنوره من يشاء، [أي يهدي الله لنوره][4] الذي جاء به[5] محمد صلى الله عليه وسلم[6] وهو القرآن، **من يشاء** ممن سبق في علمه السعادة، ويُضل[7] عنه من يشاء ممن سبق له في علمه الشقاءُ. ثم قال:

ويضرب الله الأمثال للناس، يعني ويصف الله الأمثال للناس[8] ليؤمنوا بالله ويوحّدوه ويعرفوا ربوبيّته من صُنعه[9] ويصدقوا بإبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، أنهما رسولا[10] الرب. وهو تأويل مقاتل.

وقال أهل الكلام: قوله: **الله نور السماوات والأرض**، أي أنار الله لأهل السماوات والأرض. **مثل نوره** الذي به أنار ما ذَكَر مثل المشكاة التي ذَكَر إلى آخره.

٢- وجائز أن يكون قوله: **الله نور السماوات والأرض**، أي بالله نور أهل السماوات والأرض.[11] ألا ترى أنه قال: **مثل نوره** كذا و لم يقل: مِثله، ولو كان النور هو الله على ما قاله قوم

---

[1] ن: بيت.

[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٦٧/٣).

[3] م - نوره.

[4] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٨ظ.

[5] ع - به.

[6] جميع النسخ + وهو النور.

[7] ر م: وفضل.

[8] ع - يعني ويصف الله الأمثال للناس.

[9] جميع النسخ: نور نبيه من صنيعه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٩و.

[10] ن: رسول.

[11] ر ع م: وأهل الأرض.

وفهموه لقال: الله نور السماوات والأرض مَثَله كذا، و لم يكن يقول:[1] **مَثَل نوره**، فدل قوله: **مَثل نوره** كذا أنه[2] لم يرد بالنور نفسه ولكن ما ذكرنا أنه به نور أهل السماوات[3] والأرض. ألا ترى أنه قال في آخره: **يهدي الله لنوره من يشاء**، [دل][4] أنه[5] لم يُرد بالنور ما فهموا. [وكذا قال:][6] ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[7] دل أنه ليس على ما فهموه به أنه نور كسائر الأنوار التي عاينوها وشاهدوها[8] وهم المشبهة. وعلى هذا[9] يخرج تأويل ابن عباس حيث قال: الله هادي أهل السماوات والأرض.[10]

وقوله: **مَثَلُ نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري**، جائز أن يكون قوله: **مثل نوره**، أي مثل نور المؤمن الذي في قلبه مَثل مشكاة فيها مصباح، لأن المشكاة هي الكوّة التي لا منفذ لها تدخل[11] فيها الأنوار فتكون مظلمة، فإذا جُعِل فيها المصباح أضاء ذلك كله وأناره حتى لا يبقى فيها ناحية إلا وقد أصابها[12] الضياء والنور. فعلى ذلك القلب[13] وهو مظلم، إذ ليس له منفذ يدخل فيه النور من الخارج، فإذا آمن أنار الله قلبه بإيمانه حتى ظهر ذلك النور وأثره في جميع نواحيه وجوارحه، وهو ما قال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾،[14] أخبر أن من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه.[15] فهذا يدل أن قوله: **مَثَلُ نوره** إنما هو مثل نور المؤمن، وعلى ذلك روي في حرف أبيّ بن كعب أنه قرأ:

---

[1] ر ع م: ولم يقل.
[2] ع: أي.
[3] ن ع + وأهل.
[4] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٩و.
[5] م: وأنه.
[6] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٢٩و.
[7] سورة النور، ٤٠/٢٤.
[8] جميع النسخ: عاينوه وشاهدوه.
[9] ر م: على هذا.
[10] انظر: تفسير *القرطبي*، ٢٥٧/١٢.
[11] جميع النسخ: يدخل.
[12] جميع النسخ: أصاب.
[13] م – القلب.
[14] ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾ (سورة الزمر، ٢٢/٣٩).
[15] ن – أخبر أن من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه.

مَثَل نور المؤمن **كمشكاة**.[١] وفي حرف ابن مسعود: **مثل نوره** في قلب المؤمن.[٢] وقال الحسن: **مثل نوره**، قال: مَثل القرآن في قلب المؤمن **كمشكاة** كُوَة **فيها مصباح**.

٣- أو أن يكون قوله: **الله نور السماوات والأرض**، أي به تنجلي[٣] الظلمات وتنكشف الحُجُب والسواتر، إذ النور إنما سمي نورا لما به تنجلي[٤] المظالم وتنكشف السواتر والحُجُب، لا أنه نور. ألا ترى أنه سُمِّي القرآن نورا والرسول نورا لما بهما[٥] تنجلي[٦] الشبهة والظلمات وبهما[٧] ترتفع[٨] السواتر والحجب. وإن كانا في نَفسَيْهما[٩] ليسا بنور سُمِّيا[١٠] نورا لما ذكرنا من تجلي الأشياء بهما وارتفاع السواتر. فعلى ذلك جائز أن يُسَمَّى الله نورا لما به يكون تجلى الظلمات والشبه وانكشاف السواتر وارتفاع الحجب لا أنه نور.

وقوله: **مثل نوره**، قال بعضهم: مثل نور المؤمن على ما ذكرنا فيما تقدم. وقال بعضهم: **مثل نوره** في صدر المؤمن. وقال بعضهم: مثل نور محمد على ما ذكر مقاتل[١١] وغيره. وقال بعضهم: مثل نور القرآن.

وقوله: **كمشكاة** قال:[١٢] الكُوَة التي لا مَنفذ لها للنور على ما ذكرنا. وقال بعضهم: موضع الفَتيلة من القِنْديل، وقال بعضهم: الحدائد التي تعلّق بها القِنْديل.

وقوله: **لا شرقيّةٍ ولا غربيّةٍ**، قال بعضهم: هي شجرة مُصحِرة[١٣] تطلع عليها الشمس إذا طلعت وتغرب عليها إذا غربت وهي[١٤] أجود الزيت. وقال بعضهم: هي شجرة في كِنٍّ[١٥]

---

[١] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٤٩.
[٢] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٥.
[٣] ع م: ينجلي.
[٤] ع م: ينجلي.
[٥] جميع النسخ: به.
[٦] ع م: ينجلي.
[٧] جميع النسخ: به.
[٨] م: يرتفع.
[٩] جميع النسخ: أنفسهما.
[١٠] جميع النسخ: سمي.
[١١] *تفسير مقاتل*، ٣/١٩٩.
[١٢] ن: وقال.
[١٣] أَصْحَر المكانُ: أي اتّسع، وأَصْحَرَ القوم: إذا برزوا إلى فضاء لا يُواريهم شيء (*لسان العرب*، «صحر»).
[١٤] جميع النسخ: وهو.
[١٥] الكِنُّ والكِنَّةُ والكِنَانُ: وقاء كل شيء وسِتْره. والكِنُّ: البيت أيضًا، والجمع أَكْنانٌ وأَكِنةٌ (*لسان العرب*، «كنن»).

لا تطلع[1] عليها الشمس إذا طلعت ولا تغرب عليها[2] إذا غربت. وقال بعضهم: ليست شرقية[3]
[٥٢٥و] لا غرب لها، ولا غربية لا شرق لها / ولكنها شرقية غربية. فكيف ما كان فإنما ذكر الزيت لصفائه وخلوصه فيحب أن يُسأل أهلَه فيقالَ: أيّ الزيت أجود وأصفى، الذي تصيبه الشمس أو الذي لا تصيبه، أو الذي تصيبه في وقت ولا تصيبه في وقت؟

٤ – وقال بعضهم: **الله نور السماوات والأرض**، هو الله سبحانه هادي أهل السماوات وأهل الأرض[4] [يضيء] هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءًا[5] على ضوء. كذلك يكون قلب المؤمن يعمل الهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم[6] ازداد هدى على هدى ونورا على نور. –وعن أبيّ بن[7] كعب قال في قوله: **مثل نوره،** يقول: مثل نور المؤمن؛ وكذلك يقرأها: مثل نور المؤمن على ما ذكرنا من قبل–[8] قال فهو عبد قد جعل القرآنَ والإيمان في صدره. قال: **كمشكاة**، قال المشكاة صدره، **فيها مصباح**. قال: المصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره. قال: **المصباح في زجاجة**، فالزجاجة قلبه. قال: **الزجاجة كأنها كوكب دري**، يقول: كوكب مضيء. **يوقَد من شجرة مباركة**، قال: الشجرة المباركة أصله، فالمبارك الإخلاص لله وحده لا يُشرِك[9] به. قال: **لا شرقيةٍ ولا غربية** قال: فمَثله كمثل شجرة التفت بها الشجر[10] فهي خضراء ناعمة لا تصيبها[11] الشمس على أيّ حال كانت، لا إذا طلعت ولا إذا غربت. وكذلك هذا المؤمن قد أُجير من أن يصله شيء من الفِتَن وقد ابتُلي بها فثبّته الله[12] فيها[13] فهو بين أربع خلال: إنْ ابتُلي صبر، وإن أُعطِي شكر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل.

---

[1] ن: لا يطلع.
[2] ر ع م: عليه.
[3] ع: بشرقية.
[4] جميع النسخ + كما.
[5] ن: ضوء.
[6] ر م – فإذا جاءه العلم.
[7] ر: ابن.
[8] ع ن: عن قبل.
[9] ع: لا شريك.
[10] جميع النسخ: الشجرة؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٩و.
[11] ع: لا تصيبه.
[12] ع – الله.
[13] ع م: بها.

فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات. قال: **نور على نور**، قال: فهو يتقلب في خمسة من النور: كلامه نور، وعلمه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره[١] إلى النور يوم القيامة إلى الجنة. قال: ثم ضرب مثل الكافر فقال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ[٢] وهو يحسب[٣] أن له عند الله خيرا فلا يجده فيُدخله الله النار. وقال في آية أخرى له مثلاً[٤] فقال: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ،[٥] فهو يتقلب في ظلمات.

٥ – وقال بعضهم: في قوله: **الله نور السماوات والأرض**، أي بنوره يهتدي[٦] من في السماوات ومن في الأرض على ما ذكرنا. **مثل نوره** في قلب المؤمن **كمشكاة**، وهي الكُوّة غير النافذة على ما ذكرنا. **فيها مصباح**، أي سراج، **كوكب دري**، مضيء، أي منسوب إلى الدر، وهو قول القُتَيبي.[٧] وقال أبو عَوْسَجَة: **كمشكاة** الكوة التي تكون في الحائط، ومَشاكٍ[٨] جماعة، وكُوًى جماعة الكوة، **وكوكب دُرّيّ** شديد الضوء، ودري هو أيضا من الضوء، مأخذهما جميعا من الدر، وكواكب دَرارٍ[٩] مضيئة.

وعن كعب: **مثل نوره**، قال: ضَرَب مَثَل محمد **كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة**[١٠] **كأنها كوكب دري**، مثل لسانه وصدره وقلبه، **يكاد زيتها يضيء**. قال: يكاد محمد يبيّن للناس[١١] وإن لم ينطق.[١٢]

وعن الضحاك بن مزاحم: **كأنها كوكب دري**[١٣] قال: خُلقت الكواكب من نار يقال لها دري، فمن ثمة قال: **كوكب دري** وقد ذكرنا قولهم في المشكاة.

---

١ ع + نور.
٢ سورة النور، ٣٩/٢٤.
٣ جميع النسخ: يحسبه.
٤ ع: مثل.
٥ سورة نور، ٤٠/٢٤.
٦ ع: ويهتدي.
٧ *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٥.
٨ ر ع م: ومثال.
٩ م: مراري؛ ن ع م: دراري.
١٠ ع – الزجاجة.
١١ ر م: الناس.
١٢ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٩٩/٦.
١٣ ع – مثل لسانه وصدره وقلبه يكاد زيتها يضيء قال يكاد محمد يبين للناس وإن لم ينطق وعن الضحاك بن مزاحم كأنها كوكب دري.

قال بعضهم: الكُوَة التي لا منفذ لها، وقال بعضهم: الفتيلة، وقال بعضهم:[1] الفتيلة التي في جوف القِنديل، وقال بعضهم: القنديل[2] نفسه، وقال بعضهم: القائم في وسط القنديل وهو موضع الفَتيلة، وقال بعضهم: هي[3] الحدائد التي يعلق بها القنديل. وأما الزجاجة[4] فهي القنديل.

ثم إن كان قوله: **مثل نوره**، أي نور المؤمن، فليس ذلك وصَف كل مؤمن ونعتَه ولكن وصف المؤمن الذي يجتمع فيه جميع شرائط الإيمان وجميع الأخلاق الحسنة والآداب؛ لأنه وصفه بطهارة نفسه وجسده وقلبه وجميع أعماله وأفعاله، لأنه قال: **كمشكاة** وهي قلبه، **فيها مصباح** وهو صدره الذي فيه[5] قلبه، **المصباح في زجاجة** وهو الإيمان الذي في صدره. ثم نعت الزجاجة فقال: **كأنها كوكب دُرِيّ**، أي مضيء، وقال بعضهم: من الدر. فوصف الكل بالضياء والنور وطهارة الداخل منه والخارج ونقاوته، فهو المؤمن الذي يجتمع فيه جميع[6] الشرائط والخصال المحمودة. وأما كل مؤمن فلا يحتمل، وهذا أشبه. ألا ترى[7] أنه ذكر نعت الكافر من بعدُ وخبثَه حيث قال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ.[8] وإن كان وصفَ محمد ففيه جميع ما ذكر ونَعْتَه، وإن كان القرآن فهو كذلك أيضا.

وقوله: **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**، التي ذكرنا يحتمل المؤمن ويحتمل محمدا ويحتمل القرآن[9] ويحتمل إبراهيم في كله. **نور على نور**. وقوله: **يهدي الله لنوره من يشاء**، يحتمل يهدي الله لنور محمد، ويحتمل القرآن ويحتمل الإيمان والهدى. وقال بعضهم: **نور على نور**، قال: فالزيت نور، والمصباح نور، والقِنديل نور. وقال: المؤمن نور، وعمله نور، [٥٢٥ظ] وكلامه نور. ويحتمل قوله: **يهدي الله لنوره من يشاء**، / أي بنوره.

وقال[10] بعضهم: **الله نور السماوات والأرض**، يقول: بنوره أضاءت السماوات والأرضُ على ما ذكرنا. **مثل نوره**، يقول: في قلب المؤمن، وهو في حرف ابن مسعود رضي الله عنه:

---

[1] ن – الفتيلة وقال بعضهم.
[2] ر م – وقال بعضهم القنديل.
[3] ن – وقال بعضهم: هي.
[4] ع: الزجا.
[5] جميع النسخ: في.
[6] م – جميع.
[7] ن: يرى.
[8] سورة النور، ٢٤/٣٩.
[9] ر ع م – ويحتمل القرآن.
[10] ن: قال.

[مثل نوره] في قلب المؤمن.[١] وهذا مثل ضربه للإيمان والقرآن والقلب حين يدخله الإيمان. والقرآن **كمشكاة** يعني الكوة **فيها مصباح**، يعني الإيمان والقرآن، **[المصباح] في زجاجة** يعني القلب، والمشكاة الصدر. فكما دخل هذا المصباح في الزجاجة فأضاءه[٢] فكذلك أضاء القلب، ثم خرج من الزجاجة فأضاءت المشكاة فكذلك أضاء الصدر، ثم نزل الضوء من الكُوّة فأضاء البيت فكذلك نزل النور من الصدر فأضاء الجوف كله فلم يدخله حرام. *والله أعلم بذلك*.

وقوله: **ويضرب الله الأمثال للناس**، يحتمل ضرب الأمثال لهم وجهين. أحدهما ضرب لأفعالهم وأقوالهم مَثَلا ليعرفوا مقاديرها في الحُسن والجمال [و]ليعلموا قَدرها من الجزاء والثواب. أو ضرب الأمثال لهم للأنفس المكرَّمين المعظَّمين المستوجِبين كلَّ خير ليرغبوا في مثل ذلك فيستوجبوا ما استوجب[٣] أولئك. وكان ضَرْبُ مَثَلِ الإيمان أو القرآن أو محمد أو ما كان -على اختلاف ما قالوا- بالأنوار التي ضربها -والله أعلم- لما أنه قد أقام الحجج والبراهين على الإيمان والقرآن ومحمد حتى صاروا[٤] كالأنوار التي شبّههم بها من الحسن والجمال والضياء والبهاء[٥] حتى يعرِف حُسن هذه الأنوار وبهاءَها[٦] كلُّ أحد. فعلى ذلك المضروب بها المثل صار في الحسن والبهاء والضياء بالحجج والبراهين كالأنوار التي لا يخفي حسنها وبهاؤها على أحد ولا ينكرها إلا معاند ومكابر.

وكان مَثَلُ الكفر والعناد من القبح والفساد والبطلان كالظلمات التي ذكر بعضُها فوق بعض[٧] وكالسراب والزَّبَد الذي ذكر حيث قال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ،[٨] وكالظلمات التي ذكر حيث قال: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، الآية، [وقال:] وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ.[٩]

---

[١] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٥.
[٢] جميع النسخ: فأضاء.
[٣] ع – ما استوجب.
[٤] ر م: صار.
[٥] ر ع م: إليها.
[٦] ر ع م: وبهاؤها.
[٧] انظر: سورة النور، ٢٤/٤٠.
[٨] سورة النور، ٢٤/٣٩.
[٩] سورة النور، ٢٤/٤٠.

قال[1] ابن عباس رضي الله عنه:[2] **كأنها كوكب دري**، قال: الأنجم الخمسة كلهن دري: الزُهرة[3] وعُطارِدُ والمشتري وبَهرام[4] والزُّحل. قال قتادة: الدري الضخم المنير. قال الكسائي: مَن هَمَز دِرِّيءٌ[5] فهو حُسنه وظهوره وارتفاعه، يقول: درأ النجم، وهو فاشٍ ظاهر في كلام العرب. ومن رفع الدال و لم يهمز فهو ينسُبه إلى الدُّرّ، ومنهم من يرفع الدال ويهمز وأظنها لغة.[6] وقال أبو عمرو بن[7] العلاء: الدُّرِيّ النجم الذي تراه يتلألأ كأنه يجيء ويذهب. وقد روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل من أهل عِلِّيّين ليُشرف على أهل الجنة فتضيء الجنةُ لوجهه[8] كأنه كوكب دِرّيّ، وإنّ أبا بكر وعمر[9] لمنهم وَأَنْعَمَا.»[10] وأيضا روي دُرّي بالرفع. وفي خبر آخر عنه: «إن أول زُمرة تدخل الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر،[11] والذين يَلونهم على أضواء[12] كوكب دُرِّيّ في السماء. لكل امرئ منهم زوجان اثنتان آدميّتان يُرَى مُخّ سُوقهما من وراء اللحم. والذي نفس محمد بيده ما فيها أَعْزَبُ».[13]

---

[1] ر ع م: وقال.

[2] م: عنها.

[3] جميع النسخ: زهرة.

[4] أي المِرّيخ.

[5] جميع النسخ: دري.

[6] انظر: معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣٧٣/٣. وقوله تعالى: ﴿كأنها كَوْكَبٌ دُرِيٌّ﴾ روي عن عاصم أنه قرأها دُرِيٌّ، فضم الدال، وأنكره النحويون أجمعون، وقالوا: دِرِّيءٌ، بالكسر والهمز، جيّد على بناء فِعِّيلٍ، يكون من النجوم الدَّرارِئ التي تَدْرَأُ، أي تَنحطُّ وتَسير (*لسان العرب*، «درأ»). وكَوْكَبٌ دُرِيٌّ ودِرِيٌّ: ثاقِبٌ مُضِيءٌ. قال أبو إسحاق: من قرأه بغير همزة نسبه إلى الدُر في صفائه وحسنه وبياضه (*لسان العرب*، «درر»).

[7] ر: ابن.

[8] جميع النسخ: بوجهه.

[9] ر ع م + رضي الله عنهما.

[10] يقال: "أنعم النظر في الشيء" إذا أطال التفكير فيه. ومنه الحديث «وإنّ أبا بكر وعمر منهم وَأَنْعَمَا»، أي زادا وفَضَلا. يقال: أحسنتَ إليّ وأنعمت: أي زدت على الإنعام (*النهاية* لابن الأثير، «نعم»). *سنن أبي داود*، الحروف والقراءات ١؛ و*سنن الترمذي*، المناقب ١٤.

[11] ع + ما استوجب.

[12] ع: على أضوء.

[13] جميع النسخ: عزب. ورد الحديث في *صحيح مسلم*، (الجنة ١٤): حدثني عمرو الناقد ويعقوب بن إبراهيم الدَّوْرقي جميعا عن ابن عُلَيَّة -واللفظ ليعقوب- قالا: حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة أخبرنا أيوب عن محمد قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أوَ لم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضْوَاء كوكب دُرّي في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يُرى مُخ سُوقِهما من وراء اللحم، وما في الجنة أَعْزَبُ»؟؛ وانظر: *سنن الترمذي*، صفة الجنة ٥-٧. وأَعْزَبُ بالألف وهي لغة، والمشهور في اللغة عَزَب بغير ألف. والعَزَب: من لا زوجة له، رجلا كان أو امرأة.

وقوله: **يوقد من شجرة مباركة**، اختلف في قراءته. قرأ بعضهم يُوقَد بالياء ورفعها ونصب القاف،[١] يقول: المصباح يوقد. ومن قرأها بالتاء ورفع الدال ونصب التاء ردّه على الزجاجة أراد تَتَوقد ثم طرح إحدى التاءين.[٢] ومن قرأ: تُوقَد بالتاء ورفعهما يعني الزجاجة. وعن الحسن أنه قرأ: تُوقد[٣] يعني الزجاجة[٤] التي توقد، وأهل مكة: تَوقّد بنصب التاء وتشديد[٥] القاف يعنون[٦] المصباح توقد، فلذلك انتصب. ومن قرأ: يُوقَد يعني الكوكب[٧] أو المصباح.

وقوله: **لا شرقيةٍ ولا غربية**، قد ذكرنا بعض أقاويلهم فيما تقدم، لكنا نزيد فيها شيئا. قال قائل: هي شجرة ضاحية[٨] من حين تطلع[٩] الشمس إلى أن تغرب ليس لها ظل شرقي ولا غربي وزيتها أصفى الزيت وأعذبه وأطيبه. وقال قائل: ليست بشرقية يَحُوزها المشرق دون المغرب، وليست بغربية يحوزها المغرب دون المشرق ولكنها بارزة في صحراء أو في رأس[١٠] جبل تصيبها الشمس النهارَ كلَّه، وهو مثل الأول. وقال الكسائي: ليست بشرقية وحدها ولا بغربية وحدها ولكنها شرقية وغربية، كما تقول: لا آتيك ولا آتي فلانا، له معنيان: إن شئت كان معناه: لا تأتي واحدا منهما، وإن شئت كان معناه: إنك تأتيهما معا، ومِثله: واللهِ لا آكُل ولا يأكل زيد،[١١] له معنيان.[١٢] وكذلك[١٣] يقال: رجل[١٤] لا يرجو[١٥] الجنة ولا يخاف النار ويحب الفتنة، إنه رجل صالح.

---

[١] وهو قراءة نافع وابن عامر وحفص، انظر: *حجة القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٥٠٠.

[٢] ر: الطاءين. وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو، انظر: *حجة القراءات*، لابن زَنْجَلَة، ٥٠٠.

[٣] وهي قراءة حمزة والكسائي وأبو بكر، انظر: *حجة القراءات*، لابن زَنْجَلَة، ٥٠٠.

[٤] ر ع م – وعن الحسن أنه قرأ توقد يعني الزجاجة.

[٥] ع: بالنصب وتشديد.

[٦] ر ع م: يعني.

[٧] ر م: الكواكب.

[٨] والضاحية الظاهرة البارزة من النخيل الخارجة من العمارة التي لا حائلَ دونها، ويقال للبادية الضاحية، ومَفازة ضاحية الظِّلالِ: ليس فيها شجرٌ يُستَظَلُّ به (*لسان العرب*، «ضحا»).

[٩] جميع النسخ: يطلع.

[١٠] ر م: أو رأس؛ ع: ورأس.

[١١] م – زيد.

[١٢] ع – إن شئت كان معناه لا تأتي واحدا منهما وإن شئت كان معناه إنك تأتيهما معا ومثله والله لا آكل ولا يأكل زيد له معنيان.

[١٣] جميع النسخ: وكان؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥ظ.

[١٤] ر: رجلا.

[١٥] ر ع ن: يرجوا.

أما الفتنة فالمال والولد، قال الله تعالى: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ،[١] وهو يرجو[٢] الجنة ويخاف النار على ما فسرنا.

وقال بعضهم: **لا شرقية** يقول: لا تَضْحَى للشمس من أول النهار إلى آخره، **ولا غربية،** عليها ظلٌّ من أول النهار إلى آخره، ولكنها شرقية وغربية[٣] تصيبها[٤] الشمس والظل. والعرب تقول: لا خير في شجرة في مَضْواة[٥] ولا خير في شجرة في مَضْحاة.[٦] وقائل يقول: لا تطلع الشمس ولا تغرب. وقائل يقول: هي / شجرة بالشام ليست بالمشرق[٧] وليست[٨] بالمغرب. [٥٢٦و] والحسن يقول: واللهِ لو كانت هذه الزيتونة في الأرض لكانت شرقية أو غربية، والله ما هي في الأرض ولكن هذا مَثَل ضربه[٩] الله تعالى لنوره وهو هذا القرآن.[١٠]

وأما قوله: **نور على نور،** قال بعضهم: إيمان المؤمن نور وعلمه نور، فهو نور على نور. وقال[١١] بعضهم: نور النار على نور الزيت فذلك نور على نور، وهو بجودته يعني الزيت. وقال بعضهم: نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا،[١٢] ولا يضيء واحد بغير صاحبه. كذلك نور القرآن ونور الإيمان[١٣] إذا اجتمعا لا يكون أحدهما مضيئا إلا بصاحبه.

---

١ سورة التغابن، ٦٤/١٥.
٢ ر: يرجوا.
٣ ر م: شرقية غربية.
٤ ر ع م: يصيبها.
٥ ر م: مضئاة؛ ن: في شجرة مضياة؛ ع: في شجرة في مضيأة.
٦ لعله يريد بالمضواة: الموضع الذي تغيب الشمس عنه سريعا. يقول ابن منظور: «التَّضَوُّء: أن يقوم الإنسان في ظُلْمة حيث يَرى بضوء النار أهلها ولا يرونه» (*لسان العرب*، «ضوأ»). والمَضْحاةُ: الأرض البارزة التي لا تكاد الشمس تَغِيب عنها (*لسان العرب*، «ضحا»).
٧ ن – ليست بالمشرق.
٨ ن: ليست.
٩ ن: ضرب.
١٠ قال الفراء وغيره من أهل العربية في تفسير قوله تعالى: ﴿من شَجرةٍ مُبارَكة زَيْتونةٍ لا شَرْقِيَّة ولا غَرْبِيَّة﴾؛ يقول: هذه الشجرة ليست مما تطْلع عليها الشمسُ في وقت شُروقِها فقط أَو في وقت غروبها فقط، ولكنها شَرْقِيَّة غَرْبِيَّة تُصِيبها الشمس بالغداة والعشيّة، فهو أَنْضَر لها وأَجود لزيتونها وزيتها، وهو قول أَكثر أَهل التفسير. وقال الحسن: لا شَرْقِيَّة ولا غَرْبِيَّة إنها ليست من شجر أَهل الدنيا، أَي هي من شجر أَهل الجنة. قال الأَزهري: والقول الأَول أَولى (*لسان العرب*، «شرق»).
١١ ن ع: قال.
١٢ جميع النسخ: أضاء.
١٣ ن: نور الإيمان ونور القرآن.

وقال بعضهم ما ذكرنا من نور الإيمان والعمل. ثم معنى تشبيه ما ذكرنا بالزيت،[١] لأن الزيت أصفى شيء وأطهر[٢] وأطيب شيء وأضوأ للسراج، فيه[٣] كل المنافع[٤] من الإدام والدواء وغيره. **والله أعلم**.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **في بيوت أذن الله أن ترفع**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **أن ترفع**، أي تُعَظَّم ويُرفَع قَدْرها -وهي المساجد- على غيرها من البيوت المسكونة بذكر اسم الله فيها والتسبيح والتنزيه، [وبتطهيرها] من الأقذار والأنجاس ومن الأمور الدنيوية. وقال بعضهم: قوله: **أن ترفع**، أي تُبنَى وتُتخذَ. فإن كان التأويل هذا ففيه الأمر ببناء المساجد[٥] واتخاذها، وإن كان الأول ففيه الأمر بتعظيم المساجد ورفع قَدرها بما ذكر من ذكر الله والتسبيح فيها.

ثم الإذن في هذا الأمر لوجهين. أحدهما بحق إقامة الجماعات فيها في هذه الصلوات[٦] المعروفة، إذ الأرض كلها في الأصل جعلت مسجدا حيث قال رسول الله[٧] صلى الله عليه وسلم: «جُعِلتْ لي الأرض مسجدا وطَهورا.»[٨] فهي من حق جواز الصلاة مسجد فيخرج الأمر به مخرج الأمر ببنائها لإقامة الجماعات.

والثاني أَمَر بها خصوصا للمساجد، إذ غيرها من البيوت المسكونة إنما اتخذت وبنيت بالإذن والإباحة، فخص المساجد بالإذن ببنائها خصوصا لها، إذ لو كان إذنا على ظاهر ما ذكر لكان المساجد وغيرها من البيوت سواء. **والله أعلم**.

وقوله: **ويُذْكَرَ فيها اسْمُه**، فإن كان تأويل قوله: **أن ترفع**، أي تُعَظَّم ويرفع قدرها فيكون قوله:[٩] **ويذكر فيها اسمه يُسَبح له**، تفسيرا لذلك التعظيم والقدر الذي أَمَر، أي أَمَر أن تُعَظَّم ويُرْفَع قدرها بذكر اسم الله فيها وما ذكر من التسبيح. وإن كان التأويل هو الأمرَ بالبناء يكن[١٠] قوله:

---

[١] ر ع م: لزيت.
[٢] ن ع: وأطهره.
[٣] ر ع م - فيه.
[٤] ن: المانع.
[٥] ر ع م: المسجد.
[٦] ع: الصلاة.
[٧] ن - رسول الله.
[٨] انظر: *صحيح البخاري*، التيمم ١، والصلاة ٥٦؛ و*سنن الترمذي*، الصلاة ١٢٤، والسير ٥؛ و*سنن النسائي*، الغسل والتيمم ٢٦.
[٩] ع - قوله.
[١٠] جميع النسخ: يكون.

ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها، كذا على الابتداء، أي أمر أن تُبنى بيوتٌ[1] [أي] مساجدُ[2] وأمر أن يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال.

ثم اختلف في تلاوة[3] قوله: **يسبح له**، قرأ بعضهم: يُسبَّح،[4] بنصب الباء، وقرأ بعضهم: **يُسبّح** بخفض الباء.[5] فمن قرأها بالنصب صيّره على الأول: يُذْكَر فيها اسمه يسبَّح له بالغدو والآصال، ثم ابتدأ[6] فقال: رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ.[7] ومن قرأها[8] بالخفض، أعني خفضِ الباء صيّره مقطوعا من الأول مبتدَأً به، أي يسبح له فيها رجال بالغدو والآصال، ثم ابتدأ[9] من قوله: لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ.

ثم قوله: **ويُذْكَرَ فيها اسمُه**، جائز أن يراد بذكر اسمه الصلاةُ، وكذلك[10] بالتسبيح.[11] ويحتمل أن يراد[12] بذكر اسمه جميعُ أنواع الأذكار من الخير، ويراد بالتسبيح[13] بالغدو والآصال الصلواتِ[14] المعروفة[15] المفروضة.

ثم قال بعضهم: الغدو صلاة الغداة، والآصال صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فيجعل الأصيل عبارة[16] عن هذه الصلوات في أوقاتها. وقال بعضهم: الآصال صلاة العصر خاصة، وأما[17] غيرها من الصلوات فإنما[18] عرف لا بهذا ولكن بشيء آخر، والغدو هو[19] صلاة الفجر. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: بيوتا.
[2] ن ع: مساجدا.
[3] ر ع م: تلاوته.
[4] ن ع + له.
[5] انظر: *حجة القراءات*، لابن زَنْجَلَة، ٥٠١.
[6] ر ع م: ابتداء.
[7] الآية التالية.
[8] ن: قرأ.
[9] م: ابتداء.
[10] ن: كذلك.
[11] ع ن: التسيح.
[12] جميع النسخ: أن يريد.
[13] ن: التسبيح.
[14] ر ع م: الصلاة.
[15] ر م + المعروفة.
[16] ع: عبادة.
[17] ن ع – فأما.
[18] ر م: وإنما.
[19] ر ع م: وهو.

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[٣٧]

وقوله: **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع**، أي لا تَشغلهم تجارة ولا بيع. ذَكر التجارة والبيعَ[١] والبيعُ تجارة ولكن كان اسم التجارة يجمَع كلَّ أنواع التقلّب، واسم البيع يقع على خاص؛ وكذلك[٢] يقال[٣] للذي يجمع أنواع التقلب: تاجر، وللذي يبيع شيئا خاصا: بائع. أخبر أنه لا يَشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. ثم جائز أن يكون قوله: **رجال**[٤] **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**، أي لا يشتغلون[٥] بالتجارة والبيع ولكن فرَّغوا أنفسهم لذكر الله وإقامة الصلاة وما ذُكر. وجائز أن يكونوا[٦] يتَّجرون ويبيعون لكن تجارتهم وبيعهم لا تَشغلهم ولا تمنعهم عن ذكر الله، يكونون أبدا في ذكر الله.

ثم قوله: **عن ذكر الله**، يحتمل الصلاةَ، وقوله: **وإقامِ الصلاة**، أي إتمام الصلاة بركوعها وسجودها وقراءتها وجميع أسبابها وشرائطها. وجائز أن يكون قوله: **عن ذكر الله**، جميعَ[٧] أنواع الأذكار، **وإقامِ الصلاة**، إقامةَ الصلاة نفسها، **وإيتاء الزكاة**. وقال بعضهم: جائز أن يكون قوله: **عن ذكر الله**، الخطبة، **وإقامِ الصلاة** صلاة الجمعة، لأنه قال: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً،[٨] الآية، وقال: يَا أَيُّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ،[٩] وهي[١٠] الخطبة، غير مسموع من أهل التأويل ولكنه محتمل. *والله أعلم*.

وقوله: **يخافون / يوما تتقلَّب فيه القلوب والأبصار**، وهو يوم القيامة. يخبر عن شدة هول ذلك [٥٢٦ظ] اليوم وخوفه، لا تَثبت[١١] القلوب والأبصار فزَعا منه وخوفا، كقوله: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ،[١٢] الآية،

[١] ر م - والبيع.
[٢] ع - وكذلك.
[٣] ع: ويقال.
[٤] ر ع م - رجال.
[٥] ن م: لا يشغلون.
[٦] ر م: يكون.
[٧] ر م: جميعا.
[٨] ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انْفَضُّوا إليها وتركوك قائما﴾ (سورة الجمعة، ٦٢/١١).
[٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ (سورة الجمعة، ٦٢/٩).
[١٠] ر م: وهو.
[١١] ر م: لا يثبت؛ ع: لا يتثبت.
[١٢] ﴿مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتدّ إليهم طَرْفُهم وأفئدتهم هواء﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٤٣).

وكقوله: إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ.[1] وجائز أن يكون قوله: **يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**، يعرفون مرة ويجهلون تارة. أو يعتبرون[2] يومئذ بما لم يعتبروا في الدنيا ويُقرّون بما لم يقرّوا. وقال بعضهم: **يخافون يوما تتقلب فيه القلوب**، حين زالت عن أماكنها من الصدور فتَنْشِبت[3] في حلوقهم عند الحناجر. ثم قال: **والأبصارُ**، أي تتقلب أبصارهم فيكونون زُرقا وهو قول مقاتل.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣٨]

وقوله: **ليجزيهم الله أحسن ما عملوا**، يحتمل قوله: **ليجزيهم الله أحسن ما عملوا**، أي يجزيهم الله[4] جزاء إحسانهم ويكفّر عن مساويهم ولا يَجزيهم بها، كقوله: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا،[5] الآية، وكقوله: وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.[6]

وقوله: **ويزيدهم من فضله**، على قدر حسناتهم. **والله يرزق من يشاء بغير حساب**، قال بعضهم: ليس فوقه مَلِك يحاسبه فهو الملك يعطي من يشاء بغير حساب لا يخاف مِن أحد يحاسبه، كقوله: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.[7] ويحتمل قوله: **بغير حساب**، أي يعطيهم بلا حساب يحاسبهم ويدخلهم الجنة بلا محاسبة. وجائز أن يكون[8] **بغير حساب**، أي يعطيهم بلا حساب[9] أضعافا مضاعفة ما لا يُحصى، لا على قدر أعمالهم. *والله أعلم.*

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٣٩]

وقوله:[10] **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء**، جائز أن يكون[11] ضرَب مثلَ أعمالِ الكفَرة بالسراب الذي ذكر من وجهين. أحدهما أنهم قد عملوا في الظاهر

---

[1] ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع﴾ (سورة المؤمن، ١٨/٤٠).
[2] ر م: ويعتبرون.
[3] نَشِبَ الشيءُ في الشيء ينشَب نَشَبا: علق فيه و لم يَنْفُذ(*لسان العرب*، «نشب»).
[4] ر ع م + ويزيدهم.
[5] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة﴾ (سورة الأحقاف، ١٦/٤٦).
[6] ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ (سورة الزمر، ٣٥/٣٩).
[7] سورة الأنبياء، ٢٣/٢١.
[8] ن: وجائز قوله.
[9] ن – أي يعطيهم بلا حساب.
[10] ن: قوله.
[11] ع + في.

أعمالا طمِعوا أن يَصِلوا إليها في الآخرة وينتفعوا[1] بها من نحو الصدقات والنفقات وصِلة الأرحام ونحوه مما هي في الظاهر أعمال الخير، فإذا هم حُرِموا ذلك ولم يجدوا شيئا، كالذي يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فيسير[2] إليه فإذا هو لا شيء. فعلى ذلك الكفارُ عملوا تلك الأعمال على طمَع منهم أنهم ينتفعون بها، فإذا هم على لا شيء،[3] كالعَطْشان الذي يرى السراب فيحسب[4] أنه ماء فإذا هو سراب.

والثاني ضرب مثلَ أعمالهم بالسراب الذي ذَكَر، وذلك أنهم قد عبدوا الأصنام والأوثان رجاءَ أن ينتفعوا بشفاعتهم في الآخرة، كقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[5] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[6] وكانت[7] عبادتهم الأصنام لِما ذَكروا من شفاعتهم، فإذا هم لم ينتفعوا بها[8] فصاروا[9] كالعطشان الذي يرى السراب يحسب أنه ماء فإذا جاءه فوجد سرابا لم يجد[10] ما حسِبه، إلى هذا تمام المَثَل.

ثم ابتدأ[11] فقال: **ووجد الله عنده فوفاه حسابه**، أي وجد الله يوفّيه حساب عمله وجزاءه، أو يقول: قدِم على عمله يوم القيامة لم يجد عمله الذي عمل في الدنيا شيئا إلا كما وجد هذا العطشانُ[12] هذا السرابَ. **ووجد الله عنده فوفاه حسابه**، يقول: قدِم[13] على الله فوفاه حسابه، أي عمله.

وقال بعضهم: هذا المثل ضُرب للكفار،[14] وذلك أنهم يبعثون يوم القيامة وقد تقطّعت أعناقهم من العطش، فيُرفع لهم سرابٌ بِقِيعَةٍ من الأرض فإذا نظروا إليه حسِبوه ماء فأَمُّوه ليشربوا منه

---

[1] ن: ويشفعوا.
[2] جميع النسخ: فسار.
[3] ع + فعلى ذلك الكفار عملوا تلك الأعمال لا شيء.
[4] جميع النسخ: فحسبه.
[5] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[6] سورة يونس، ١٨/١٠.
[7] ن: فكانت.
[8] ر م ع – بها.
[9] ر ع م: فصار.
[10] ن ع: لم يجده.
[11] ر ع م: ابتداء.
[12] ع – هذا العطشان.
[13] ع – قدم.
[14] ر م: الكفار.

فلم يجدوا شيئا ويؤخذون[1] ثَمّة فيحاسبون. وكذلك أعمالهم تضمحِلّ يوم القيامة فلا يصيبون منها خيرا.

[٥٢٧و س٢ *قال القُتَبِي: السراب: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار، والآل: ما رأيته في أول النهار وآخِره الذي يَرفع كل شيء.[2] والقِيعة القاع. وقال أبو عَوْسَجَة: السراب الذي يثيره الحر فتراه كأنه ماء يجرى وهو الذي يكون نصف النهار إلى السماء، والآل في أول النهار إلى قريب من نصف النهار. والقيعة القاع وهي الأرض اليابسة الطيبة التي يَستنقع فيها الماء؛ وقاعٌ واحد، وقِيعان جمع،[3]

٥٢٧و س٧] والظمآن العطشان، وقوم ظِماء، وامرأة ظَمْأَى[4] ونسوة ظِماء. وأَظْمَأْتُه أعطشته، وظمَّأته أيضا.*

[٥٢٧و س٨ *وقال الكسائي: الظمآن والصَّديان والعطشان واحد، والسراب قبل الزوال والآل قبل

٥٢٧و س٩] الزوال،[6] وهو أرفع من السراب، والرَّقْراق[7] بعد العصر.*

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[٤٠]

وقوله: **أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج**، هذا مَثَل آخرُ ضرَبه[9] الله لأحوال الكافر، أو كظلماتِ[10] جسد مُشَبَّهَةٍ[11] بظلمات. وذلك أن البحر إذا كان عميقا كان أشد ظلمة[12] فقال:[13] **[في بحر لجي]**، والبحر اللجي قلب الكافر، **يغشاه موج** فوق الماء،[14]

---

[1] ع: يؤخذون.
[2] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٥.
[3] ن ع: جميع.
[4] ع: ظماء.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧و/سطر ٢-٧.
[6] ع - والآل قبل الزوال.
[7] ر: والرقاق. الرَّقراق: تَرَقرق السراب، وكل شيء له بَصيص وتلألُؤ فهو رقراق؛ وترَقْرق الشيءُ: تلألأ أي جاء وذهب (*لسان العرب*، «رقق»).
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧و/سطر ٨-٩.
[9] ر م: ضرب.
[10] ن: أو لظلمات.
[11] جميع النسخ: جسده شبهه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٠ظ.
[12] ر ن م: لظلمته؛ ع: كظلمته؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٠ظ.
[13] ع: وقال.
[14] ع - فوق الماء.

من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات، فهو ظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة السحاب، هذه **ظلمات بعضُها فوق بعض**. فكذا الكافر قلبه مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم لا يبصر[١] الإيمان، كما أن صاحب البحر إذا[٢] أخرج يده في تلك الظلمة لم يكَد يراها، أي لم يرَها ألبتة. أو أن يكون ضرب المثلَ بظلمات ثلاث لظلمات أحواله[٣] لا يزال تزداد[٤] ظلمة كفره في كل وقت وفي كل حال بعمله الذي يعمله،[٥] كالظلمات التي ذَكَر، فكان كضرب المثل الذي سبق لأنوار أحوال المؤمن[٦] حيث قال: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ،[٧] أو النور[٨] جسده وصدره وقلبه.

ثم قوله: **أو كظلمات**، ليس هو حرف شك ولكنه كأنه قال: إن ضربتَ مثل عمله بالسراب فمستقيم، وإن ضربته بالظلمات التي ذكر فمستقيم،[٩] بأيهما ضربتَ فمستقيم صحيح، لا أنه ذا أو ذا.

ثم ذَكَر في أعمال الكفرة مَثَلين، أحدهما السراب والثاني الظلمات. فجائز أن يكون في المؤمن أيضا مثلين: الظلمة التي ذَكَر مقابل النور الذي ذكر في المؤمن، والسراب الذي ذكر لأعمالهم مقابل ما ذكر من أعمال المؤمنين حيث قال: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، إلى قوله: وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.[١٠]

وقوله: **ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور**. قال بعضهم: من لم يجعل الله له إيمانا فما له من إيمان، وقيل: هدى فما له من هدى، وهما واحد.

والآية على المعتزلة لأنهم يقولون: لم يجعل الله للمؤمن من النور إلا وقد جعل مِثله للكافر. وفي الآية إخبار أنه لم يجعل للكافر النور، إذ لو كان جعل للكافر كما جعل للمؤمن لم يكن لقوله: **ومن / لم يجعل الله له نورا فما له من نور** معنى، دل أنه لم يجعل للكافر النور. [٥٢٧و]

---

[١] جميع النسخ: لا يبصرون.
[٢] ر م – إذا.
[٣] ر م: بظلمات أحوال؛ ع: كظلمات أحواله.
[٤] جميع النسخ: يزداد.
[٥] ع: يعلمه.
[٦] ن ع + من.
[٧] سورة النور، ٣٥/٢٤.
[٨] ر م: والنور؛ ع: أو لنور.
[٩] م – وإن ضربته بالظلمات التي ذكر فمستقيم.
[١٠] سورة النور، ٣٦/٢٤-٣٨.

وقوله: **فوفاه حسابه**، يقول: فجازاه بعمله فلم يظلمه. وقوله: **والله سريع الحساب**، قد ذكرناه[1] في غير موضع.*

[قال أبو عَوْسَجة في] **بحر لجي**، اللجي الكثير الماء، واللجة وسط البحر. **يغشاه موج**، أي يصير فوقه. قال: الموج طرائق في الماء تكون إذا هبّت الريح.* وقال بعضهم في قوله: **إذا أخرج يده لم يكد يراها**، يقول: لم يقاربه البصر، كقوله:[4] الرجل لم يُصب و لم يقارب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[٤١]

وقوله: **ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض**، قوله: **ألم تر** وألم تعلم[5] ونحوه في الظاهر حرف تعجيب واستفهام، يقول الرجل لآخر: ألم تر كذا، وألم تعلم كذا، على[6] التعجيب أو على الاستفهام،[7] لكنه يخرج من الله على وجهين. أحدهما، أي قد رأيت وعلمت، إذ الاستفهام لا يجوز عنه. والثاني على الأمر، أي اعلَم ورَ[8] على ما ذكرنا في غير موضع.

وقوله: **يسبح له من في السماوات والأرض**، يحتمل **يسبح** مَن ذكر، وجهين. أحدهما تسبيح خِلقة وصَنعة، إذ في خِلقة كل أحد دلالةُ وحدانيته[9] وتعاليه عن الأشباه وتنزيهه والشهادةُ له بالربوبية والتفردِ بالألوهية له. والثاني يجعل الله تعالى في هذه الخلائق من الطيور والدواب وغيرها معنىً يسبّحون له بذلك، يفهمون هم ذلك من أنفسهم ويعرفون أنه[10] تسبيح وإن لم يفهم غيرهم من الخلائق، نحو ما ذكر من تسبيح الجبال والطير في قصة سليمان في قوله: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ،[11] وقال في آية أخرى: يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ.[12]

---

[1] ع: قد ذكرنا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٢٧و/سطر ٢-٧.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٢٧و/سطر ٨-٩.

[4] ن ع: كقول.

[5] ن: يعلم.

[6] ن: حتى.

[7] ن: أو الاستفهام.

[8] ر: وارآ؛ ن ع: وره؛ م: واره.

[9] ر: وحدانية.

[10] ع - أنه.

[11] ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أَوِّبي معه والطير وألَنّا له الحديد﴾ (سورة سبأ، ١٠/٣٤).

[12] ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق...﴾ (سورة ص، ١٨/٣٨-١٩).

ولو كان التسبيح ممن ذكر تسبيح خِلقة لكان سليمان وغيره من الناس في ذلك شرعا سواء، والعَشِيّ وغيره من الأوقات سواءً. فدل تخصيص سليمان في ذلك وتخصيص الأوقات من بين غيرها[١] على أن تسبيح هذه الأشياء ليس بتسبيح خلقة ولكنه تسبيح عبادة بالمعني الذي جَعَل له فيه وإن لم يفهم غيره من الخلائق تسبيحهم. ألا يُرى أن الله تعالى أخبر عن قول[٢] النملة[٣] حيث قال: قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ،[٤] الآية. ثم معلوم أنه لم يكن من النملة[٥] حقيقةُ قولٍ[٦] كقول المميِّز والممتحَن ولكنه معنى فهموا هم[٧] منها ذلك، فعلى ذلك الأول. ألا ترى[٨] أنه أخبر[٩] عن نطق الجوارح وشهادتها عليه يومئذ حيث قال: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ،[١٠] الآية، وقال: شَهِدَ عَلَيْهِمْ،[١١] الآية، فيفهم هؤلاء من شهادة الجوارح عليهم ما لم يفهم غيرها حتى أنكروا عليها، دل ذلك أنه ما ذكرنا.[١٢] وذلك جائز أن يكون لمعنى فيهم فهموا هم[١٣] ولا يفهم غيرهم، ألا ترى[١٤] أن الله جعل في سِرّيَّة الماء معنى يحيى به كلُّ شيء إذا أصابه[١٥] ووصل إليه، وذلك المعنى لا يعلمه إلا الله أو من أطلَعه الله عليه وارتضاه لنفسه رسولا.[١٦] فعلى ذلك تسبيح من في السماوات والأرض والطير وغيره، جعل في سِرّيَّتهم معنى يعرفون هم من أنفسهم ذلك تسبيحا له وتنزيها وإن لم يفهم غيره -والله أعلم- كقوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ.[١٧]

---

[١] جميع النسخ: غيرهم.
[٢] م – قول.
[٣] ن ع: عن نملة القول.
[٤] ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يَحْطِمَنَّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ (سورة النمل، ١٨/٢٧).
[٥] ر ع م – من النملة.
[٦] ر م: قوله.
[٧] ر ع م: فهموه.
[٨] ن – ألا ترى.
[٩] ن: خبر.
[١٠] ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).
[١١] ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة فصلت، ٢٠/٤١).
[١٢] ع: ذكر.
[١٣] م: فهموهم.
[١٤] ن: يرى.
[١٥] ن: أضا.
[١٦] ن: وهؤلاء. انظر: سورة آل عمران، ١٧٩/٣؛ وسورة الجن، ٢٦/٧٢-٢٧.
[١٧] سورة الإسراء، ٤٤/١٧.

وقوله: **يسبح له من في السماوات**، حرف "مَن" إنما يُعبّر به عن المميّز،[1] وحرف "ما" يعبر به المميّز وغير المميّز.[2]

[٥٢٧و س٣٨ *وقوله: **والطير صافات**، أي قد صَفَت[3] أجنحتها في الطيران، وكذلك قال أبو عَوْسَجة:
٥٢٧و س٣٩] أي صفت أجنحتها في الهواء فلا تحركها.[4]*

وقوله:[6] **كلٌّ قد علم صلاته و تسبيحه**، قال بعضهم: كل من فيها قد علم صلاته وتسبيحه من الملائكة وغيره بلغته ولسانه غير[7] كفار الإنس والجن. وجائز أن يكون قوله: **كل قد علم صلاته وتسبيحه** ما ذكرنا أن كلا منهم يعرف ويفهم أنه يسبح له وإن لم يفهم غيره. كأنه يذكر سلطانه وملكه وغناه عن عبادة هؤلاء وتسبيحهم، لأن[8] من سبّح له كل شيء في السماوات والأرض فتَرْكُ عبادة هؤلاء له[9] وعبادتُه بمحلّ واحد لا ينفع ولا يضر. أو أن يقول: من له ملك السماوات والأرض لا يقع له الحاجة إلى عبادة أحد ولا طاعته،[10] وإنما الحاجة والمنفعة في الطاعة والعبادة لهم دون الله، ولذلك قال: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، على أثر ذلك.

وقوله: **والله عليم بما يفعلون**، جائز أن يكون هذا على الأول، أي عليم بما يفعل مَن ذكر مِن التسبيح وغيره. أو أن يكون على ابتداءِ وعيدٍ للخلق، أي عليم بجميع ما يفعلون.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾[٤٢]

وقوله:[11] **ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير**، قد ذكرنا[12] في غير موضع.

---

[1] جميع النسخ: عن التمييز؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣١و.
[2] ر ع م – وغير المميز.
[3] ر ع م: قد صف.
[4] ر م: فلا يحركها.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧و/سطر ٣٨-٣٩.
[6] ن: قوله.
[7] ع: عن.
[8] جميع النسخ: والتسبيح أن.
[9] ن ع – له.
[10] ر: ولا طاعة.
[11] ن: قوله.
[12] ر ع م: قد ذكر.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[٤٣]

وقوله: **ألم تر أن الله يزجي سحابا**، قيل: يسوق سحابا، / **ثم يؤلف بينه**، أي[1] يضمّ[2] بعضه [٥٢٧ظ] إلى بعض، **ثم يجعله ركاما**، قال [بعضهم]: فيها تقديم وتأخير. **ثم يجعله ركاما**، أي قِطعا يحمل بعضه على أثر بعض، **ثم يؤلف بينه**، أي يضم السحاب بعضه إلى بعض بعد الركام. وقال بعضهم: قوله: **يزجي [سحابا]**، أي يُخرجه من الأرض فيُسَخره بين السماء والأرض **ثم يجعله ركاما**.

وقوله: **فترى الوَدْق**، أي المطر **يخرج من خلاله**. وقيل: خَلَلِه،[3] أي من خلال السحاب.

ويُنزّل من السماء من جبال فيها من بَرَد، قال[4] بعضهم: جبالٌ من ثلج، يُنَزّل[5] الله على السحاب منها الثلج والبَرَد. وقال بعضهم: جبال خلقها الله من بَرَد في السماء ثم ينزّل. وليس في الآية بيان أن الجبال التي ذكر أنه ينزّل[6] من السماء أنها من ثلج أو برد سوى أنه أخبر أن فيها برَدا.[7] فالأشياء تُشَبّه بالجبال وتُنسَب إليها إما للكثرة مرة[8] وإما للشدة والغِلظ والعِظم ثانيا، كقوله: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً،[9] الآية. فجائز أن يكون الجبال المذكورة[10] في هذه الآية هي الجبالَ التي أخبر أنه يُنزل منها،[11] إذ لا يُدرَى أين هي: في السماء أو فيما بين السماء والأرض.

وقوله: **فيصيب به من يشاء**، في نفسه أو زرعه أو ثمره فيضرّه، **ويصرفه عن من يشاء** فلا يصيبه. فإن[12] كان على هذا فهو يخرج على[13] التعذيب، وكذلك عمَل البرَد يُفسِد في مكان ويترك مكانا،

---

[1] ع: إلى.
[2] ر ع م – يضم.
[3] انظر: معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣٨١/٣.
[4] ع: وقال.
[5] ع: وينزل.
[6] ر ع م – ينزل.
[7] ع – سوى أنه أخبر أن فيها بردا.
[8] ر ع م – مرة.
[9] ﴿وترَى الجبالَ تحسَبها جامدة وهي تمرّ مرَّ السحاب﴾ (سورة النمل، ٨٨/٢٧).
[10] ر م: المذكور.
[11] جميع النسخ: ينزلها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣١ظ.
[12] ر ع م: وإن.
[13] ر م: عن.

لا يعُمّ ولكن يصيب مكانا ويخطئ مكانا. وجائز أن يكون قوله: **فيصيب به من يشاء مِن** بركته، **ويصرفه عن من يشاء** من بركته.[1] **يكاد سنا برقه**، قيل: ضوءُ برقه كاد أن يقارب أن يَذهب ضوءُ البرق بالأبصار من شدة نوره.

[٥٢٧ظ س٢٣ *قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: **يُزْجِي**، أي يسوق. **رُكاما**: بعضه فوق بعض. **فترى الوَدْقَ**، أي المطر، **يخرج من خلاله** وخلله **سَنَا بَرْقِهِ**، ضوءه.[2] قال أبو عَوْسَجَة: والرُّكام هو[3] الكثير المتراكم الذي بعضه فوق بعض، يقال: ارتكم الشيء أي صار بعضه على بعض،[4] ويقال: رَكَمْت المتاع أَرْكُمُهُ رَكْما إذا جعلت بعضه فوق بعض. والوَدْق المطر، يقال: وَدَقَت السماءُ تَدِق وَدْقا، أي مَطَرت. **يخرج من خلاله**،[5] أي من بينه، وواحد الخلال خَلَل. **يكاد سنا برقه**،
٥٢٧ظ س٢٧] السَّنَا مقصور وهو الضوء، يقال:[6] السَّنَا النار، وهو واحد.*

﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[٤٤]

وقوله:[8] **يقلب الله الليل والنهار**، تقليبه الليلَ والنهار اختلافُهما:[9] يأتي بهذا ويذهب بالآخر. يذكر هذا -والله أعلم- صلة [ل]قوله: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[10] الآية، يخبر عن سلطانه وقدرته وتدبيره وعلمه وحكمته ووحدانيته. أما سلطانه وقدرته ما ذكر من سَوق السحاب بين السماء والأرض وتسخيره وضمّ بعضه إلى بعض. دل ذلك أنه قادر بذاته لا يعجزه شيء. ودل نزول المطر وإصابته في مكان دون مكان وتَخَطِّيه موضعا دون موضع مع اتصال السحاب وانضمام بعضه على بعض على السواء أنه على التدبير والعلم كان ذلك لا بطباع السحاب أو على الجُزاف.[11] ودل جريان الأمر واتساق التدبير فيما ذكرنا

---

[1] ع - ويصرفه عن من يشاء من بركته.
[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٦.
[3] ر م - هو.
[4] ع: بعضه.
[5] ع: جلاله.
[6] ع: ويقال.
* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧ظ/سطر ٢٣-٢٧.
[8] ر ن م - وقوله.
[9] م: واختلافهما.
[10] سورة النور، ٤٢/٢٤.
[11] ر م: جزاف.

وفي اختلاف الليل والنهار وتقليبهما من حال إلى حال[١] من النقصان إلى الزيادة ومن الزيادة إلى النقصان واتصال منافع السماء بمنافع الأرض -على بعد ما بينهما- أنه تدبير واحدٍ لا عددٍ، إذ لو كان تدبير عدد لمنَع بعضٌ بعضا عما يريد من التدبير والنفع. دل ذلك كله على أنه واحد عليم قادر مدبر لا يعجزه شيء. ولذلك قال: **إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**، لما ذكرنا فيه من وجوه الاستدلال والاعتبار.*

﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤٥]

وقوله: **والله خلق كل دابة من ماء**، هو -والله أعلم- صلة قوله: وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٣] الآية، ذكر السحاب وما فيه من التدبير والعلم والحكمة وذكر أيضا تقليبه الليل والنهار وما فيهما[٤] من التدبير والعلم والحكمة والقدرة، فعلى ذلك قوله: **والله خلق كل دابة من ماء**، يذكر قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره. أخبر أنه خلق الخلائق كلهم من هذا الماء على اختلاف أجناسهم وجواهرهم من شيء واحد. دل[٥] أنهم لم يكونوا بالطباع كذلك ولكن بتدبيرِ واحدٍ عالم بذاته لا بعلم[٦] وتدبير مستفاد ولكن [ب]علم ذاتي، إذ لو كانوا بالطباع لخرجوا على تقدير واحد وصفة واحدة. والثاني[٧] أنه لا أحدَ من حكماء البشر يدرك كيفية إنشاء هذا العالَم[٨] وخلق هذه الخلائق من هذه المياه. فإذ[٩] خلق ذلك وليس في تلك المياه معنى ولا شيء من جوهر الخلائق دل إنشاؤه إياهم أنه قادر بذاته[١٠] لا يعجزه شيء، يخلق بسبب وبغير سبب، وأنه خلق هذه[١١] الخلائق بحكمة ذاتية، إذ لم يدرك ذلك حكماء البشر. ودل خلق هذه الخلائق على هذه المعاني

---

[١] ع - حال.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٤٣، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٢٧ظ/سطر ٢٣-٢٧.
[٣] سورة النور، ٤٢/٢٤.
[٤] ر م: فيها.
[٥] ر م - دل.
[٦] ع: لا يعلم.
[٧] ع + والثاني.
[٨] ع: العلم.
[٩] ر ع م: فإنه.
[١٠] ع + أنه.
[١١] ر ع م - هذه.

والأسباب أنه لم يخلقهم عبثا ليتركهم سُدًى لا يأمرهم ولا ينهاهم. فإذ[1] ثبت الأمر والنهي ثبت الإحياء من بعد الممات للجزاء. ودل قدرته على خلق[2] هذه الخلائق من الماء أنه قادر على الإحياء وأنه لا يعجزه شيء،[3] لأن من قدر على هذا لقادر[4] على ما ذكرنا.

ثم قوله: **فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين**، يذكر هذا -والله أعلم- لأحد وجهين. إما تذكيرا إياهم[5] نعَمه ومِننه وفضله الذي أعطاهم وإحسانه الذي أحسن إليهم، لأنه أخبر أنه خلق هذا العالم معتدلا سويا من غير أن كان منهم اختبار لذلك أو يستوجبون ذلك
[٥٢٨و] قبله، وخلق / غيرهم من الدواب مُنْكَبِّين على وجوههم وماشِين على بطونهم، وذلك فضل منه ونعمة. أو ذكر مثالا بحال الكفرة في الآخرة، كقوله: أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى،[6] الآية، أخبر أن الكفرة يكونون منكبّين على وجوههم وأهلَ الإسلام يمشون مُنتَصبين مستوِين.

يخلق الله ما يشاء بسبب وبغير سبب. **إن الله على كل شيء قدير**، لأنه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة من غيره.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤٦]

وقوله: **ولقد أنزلنا آيات مبينات**، الآية، قد ذكرنا.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٧] **﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾**[٤٨] **﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾**[٤٩] **﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[٥٠]

وقوله: **ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم**، اختلف فيه. قال بعض[7] أهل التأويل: ابن عباس وغيره: إنه وقعت بين علي بن أبي طالب وبين عثمان رضي الله عنهما[8]

---

[1] ن: فإذا.
[2] م - خلق.
[3] ع - شيء.
[4] ع: القادر.
[5] ر ع م: إياه؛ ن: لإياه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣١ظ.
[6] ﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمَّن يمشي سَوِيًا على صراط مستقيم﴾ (سورة الملك، ٦٧/٢٢).
[7] ر: بعضهم.
[8] لم ترد هذه الرواية إلا في تفسير القرطبي وفيها أن الخصومة وقعت بين عليّ بن أبي طالب ومغيرة بن وائل من بني أمية. انظر: *تفسير القرطبي*، ١٢/٢٩٣.

خصومة في أرض اشتراها عثمان من علي فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك[١] فقضى لعلي على عثمان وألزمه الأرض، فقال قوم عثمان: إنه ابن عمّه وأكرمُ عليه منك[٢] فقضى عليك له، أو نحو هذا من الكلام، فنزل في قوم عثمان ذلك إلى آخر ما ذكر. لكن هذا بعيد لا يحتمل أن يكون عثمان أو قومه[٣] يخطر ببالهم في رسول الله ما ذكر. وقال بعضهم: نزل هذا في بِشرٍ المنافقِ، وذلك أن رجلا من اليهود كان بينه وبين بشر خصومة وأن اليهودي دعا بِشرا إلى رسول الله[٤] ودعاه بِشر إلى كعب بن الأشرف فقال: إن محمدا يَحيف علينا،[٥] ونحوه من الكلام فنزل هذا. لكنا لا نعلم أنه فيمن نزل،[٦] سوى أن فيه بيانا أنها إنما نزلت في المنافقين. وفي ظاهر[٧] الآية دلالة أنهم علموا أن رسول الله لا يقضي إلا بالحق، ألا ترى أنه ذكر في آخره: **وإن لم يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين**، أي[٨] مسرعين مطيعين، ولو كان عندهم أنه يقضي بالجَور لكانوا لا يأتونه للقضاء وإن كان الحق لهم مخافةَ الجور والظلم عليهم، لكن ما ذكر في سياق هذا يمنع هذا التأويل، وهو قوله:[٩] **أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله**، في هذا من الدلالة أن عندهم أنه لا يقضي بالحق لهم وأنه يَجور حيث قال: **أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله**، فمن كان على هذا الوصف فهو يَخاف جَوره وحيفه، إلا أن يجعل الآية في فِرَق من المنافقين: فرقة[١٠] منهم عرفوا أنه لا يقضي إلا بالحق، وفرقة منهم كان في قلوبهم مرض، وفرقة ارتابوا فيه،[١١] وفرقة خافوا جوره، وهم كانوا فرقا، ألا ترى أنه قال: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ،[١٢] ومنهم من قال كذا، ومنهم قال كذا. أو أن يكون[١٣] تأويل قوله:

---

[١] ر ع م: في تلك.
[٢] ر م - منك.
[٣] ر م: وقومه.
[٤] ن: إلى النبي عليه السلام.
[٥] انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٩٣/١٢.
[٦] ر: تنزل.
[٧] ع: في ظاهر.
[٨] ر م - أي.
[٩] ر ع م: وقوله.
[١٠] ر: فرق.
[١١] ر ع م - فيه.
[١٢] ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنّ ولنكونن من الصالحين﴾ (سورة التوبة، ٧٥/٩).
[١٣] ع: وأن يكون.

وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين، أي وإن[1] يكن لهم القضاء بالحق أتوه مذعنين، أي إذا عرفوا أنه يقضي لهم لا محالة أتوه وإلا لا يأتونه. فإن كان على هذا فما ذكر على[2] سياقه من المرض والارتياب والخوف في الحيف فمستقيم. على هذين الوجهين يحتمل أن يخرج تأويل الآية، وأما على غير ذلك فإنا لا نعلم. ***والله أعلم***.

وقوله: **وما أولئك بالمؤمنين**، لأن من ارتاب أو شكّ في رسالته أو خاف جوره وحيفه[3] فهو كافر ليس بمؤمن.

وقوله:[4] **أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون**، يخرج[5] على وجهين وإن كان ظاهره حرف شك. أحدهما على الإيجاب والتحقيق، أي في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا؛[6] على ما ذكرنا في حرف الاستفهام أنه في الظاهر وإن كان استفهاما فهو في التحقيق علم وإيجاب، أي قد علمت ورأيت ونحوه لما لا يجوز الاستفهام منه، فعلى ذلك هذا. والثاني ما ذكرنا أنه في فرق: فرقة عرفت أنه لا يقضي[7] إلا بالحق، وفرقة منهم ارتابت، وفرقة منهم خافت جوره وظلمه. قال القُتَيبي: قوله: **مذعنين**، أي [مقرّين] خاضعين.[8] وقال أبو عَوْسَجَة: مسرعين مطيعين، يقال: ناقة مِذعان، أي سريعة، ونُوق مَذاعين. والحيف[9] الجور، حاف يَحيف[10] حَيفا فهو حائف.[11]

وقوله: **وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم**، قوله: **دُعُوا إلى الله**، يحتمل إضافة الدعاء إلى الله وجهين. أحدهما دعوا إلى كتاب الله، وإلى رسوله إذا فريق منهم معرضون، كقوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا.[12]

---

[1] ع + م.
[2] ع: في.
[3] ن: وحيله.
[4] ر ع م: وفي قوله.
[5] ع – يخرج.
[6] ع: أو خافوا.
[7] ر م: لا يقتضي.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٦.
[9] ع: والخوف.
[10] ع: خاف يخيف.
[11] ع: خائف.
[12] سورة النساء، ٤/٦١.

والثاني إضافته[1] إلى الله هي إضافة[2] إلى رسوله، كقوله: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ،[3] جعل طاعة الرسول طاعة لله،[4] فعلى ذلك جائز أن يراد بإضافة الدعاء إلى الله دعاء إلى الرسول،[5] وعلى ذلك يخرج قوله: **أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله**، لا يحتمل أن يكونوا يخافون حيف الله وجوره[6] لكن إنما يخافون جور رسوله أو كتابه. والله أعلم.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥١]

وقوله: **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله**، قد ذكرنا إضافة الدعاء إلى الله في قصة المنافقين ونعتهم، فعلى ذلك[7] نعت المؤمنين.[8]

وقوله:[9] **أن يقولوا سمعنا وأطعنا**، يحتمل قوله: **سمعنا**، أي سمعنا الدعاء، وأطعنا الأمر. ويحتمل **سمعنا** أجبنا، وأطعنا الأمر. وجائز أن يكون قوله: **سمعنا وأطعنا** ليس على حقيقة القول منهم والنطق به ولكنْ / إخبار من الله تعالى عما هم عليه واعتقدوا به، إذ كل مؤمن[10] يعتقد [٥٢٨ظ] في أصل اعتقاده طاعة الله وطاعة رسوله، فيكون كما ذكر في آية أخرى: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا،[11] هذا إخبار عما أطعموا هم،[12] ليس أنهم قالوا باللسان: إنما نطعمكم لكذا، ولكن إخبار عما في قلوبهم، فعلى[13] ذلك الأول.

---

[1] ع: إضافة.
[2] ن: إضافته.
[3] سورة النساء، ٨٠/٤.
[4] ر ع م: الله.
[5] ر ن ع: إلى رسول الله.
[6] ع: جوره.
[7] ع +في؛ م + في جائز.
[8] ن – وقوله إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله قد ذكرنا إضافة الدعاء إلى الله في قصة المنافقين ونعتهم فعلى ذلك نعت المؤمنين.
[9] ن: قوله.
[10] ع: من.
[11] سورة الإنسان، ٩/٧٦.
[12] ر م: أطعموهم.
[13] ن: فعلى.

وقوله عز وجل: **وأولئك هم المفلحون**، المفلح هو الذي يظفَر بحاجته دنيوية[1] [كانت] أو أخروية؛[2] يقال: فلان أفلَحَ، أي ظفِر بحاجته. ***والله أعلم***.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٥٢]

وقوله:[3] **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه**، يحتمل قوله: **ويخش الله**، أي يخشى الله على ما مضى من ذنوبه، **وَيَتَّقْهِ** فيما بقي من عمره. أو **يخشى الله** على ما يكون منه من التقصير والتفريط، **وَيَتَّقْهِ** ذلك وكلَّ معصية الله ومخالفته. **فأولئك هم الفائزون**، وفي حرف ابن مسعود وأُبيّ وحفصة: فأولئك هم المؤمنون،[4] فهما[5] واحد.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٥٣]

وقوله:[6] **وأقسموا بالله جهد أيمانهم**، قال بعضهم: كل يمين بالله فهو[7] جَهْد اليمين، لأنهم مِن عادتهم أنهم كانوا لا يحلفون بالله إلا في العظيم من الأمر والخطير، فأما الأمر الدُّون فإنما يحلفون بغيره، فيكون على هذا كل يمين بالله فهو جهد اليمين. ويحتمل أن يكونوا حلفوا بأيمان[8] غليظة شديدة على ما يغلِّظ الناسُ في أيمانهم، ربما سُمّي[9] ذلك جهد اليمين. أو أن يكون جهد اليمين ما ذكر على إثره وهو قوله: **لئن أمرتهم لَيَخْرُجُنَّ**. قوله: **لئن أمرتهم ليخرجن**[10] هو جهد أيمانهم. ***والله أعلم***.

وقوله:[11] **لئن أمرتهم ليخرجن**،[12] يحتمل وجوها. [يحتمل] **لئن أمرتهم ليخرجن** من أرضهم التي تخاصموا إليه فيها، أي ليخرجن ويسلمونها إلى خصمهم. ويحتمل: **لئن أمرتهم ليخرجن**

---

[1] جميع النسخ: دنياوية.
[2] ر م: وأخروية.
[3] ن: قوله.
[4] ع + فأولئك هم المفلحون.
[5] ن: هما؛ ع: فيهما.
[6] ن: قوله.
[7] ع: فهي؛ م: فهم.
[8] جميع النسخ: بيمين.
[9] جميع النسخ: فسمي.
[10] ع – قوله لئن أمرتهم ليخرجن.
[11] ن: قوله.
[12] ر ن + قوله لئن أمرتهم.

من جميع أملاكهم وما تحويه أيديهم تعظيما لأمرك وإجلالا، فكيف لا يتبعون لقضائك وينقادون لحكمك. وجائز أن يكون قوله: **ليخرجن** من المدينة بعيالاتهم وجميع حواشيهم إلى بلدة[1] أخرى. وقال بعضهم: **لئن أمرتَهم لَيخرجُنَ**، أي [إن] أمرتهم أن يخرجوا في الجهاد ليخرجن، لأنهم كانوا يتخلّفون. ثم أمر رسوله أن ينهاهم عن القسَم الذي أقسموا فقال:[2]

قل لا تُقسموا طاعةٌ معروفة، اختلف فيه، قال بعضهم: **لا تقسموا** فإن الله لو بلغ منكم الجهد لم[3] تبلغوه.[4] ثم قال: **طاعة معروفة**[5] يقول: أطيعوه وقولوا له المعروف. وقال بعضهم: قوله: **لئن أمرتَهم لَيخرجُنَ قل لا تُقسموا**، تمّ الكلام ثم قال: **طاعة معروفة**. وفي هذا الكلام حذف الإيجاز[6] يُستدلّ بظاهره[7] عليه، كأن القوم[8] كانوا ينافقون ويحلفون[9] في الظاهر على ما يضمرون خلافه فقيل لهم: **لا تقسموا** هي **طاعة معروفة** صحيحة لا نفاقَ فيها، لا طاعةٌ فيها نفاقٌ. وقال بعضهم: لا تحلفوا ولتكن هذه منكم للنبي طاعة معروفة[10] حسنة. وقال بعضهم: **طاعة معروفة**، يقول: طاعة يعرف أنها طاعة بالقول والعمل، لا تكونوا كاذبين فيها بالقول دون العمل،. وبعضه قريب من بعض.

إن الله خبير بما تعملون، فلا تقسموا. وفيه دلالة إثبات رسالته لأنهم كانوا يُسِرّون ويُضمرون فيما بينهم التوليَ والإعراض عن حكمه، ثم أخبرهم بذلك فعلموا أنه بالله عرف ذلك.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٥٤]

وقوله: **قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا**، أي تولوا عن طاعة الله وطاعة رسوله **فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم**، قال: فإنما على النبي ما أُمر بتبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم

[1] ن – بلدة.
[2] ع: فقالوا.
[3] ن: ثم.
[4] أي إن الله لو طلب منكم أن تبلغوا أقصى جهدكم لن تبلغوه.
[5] ع – اختلف فيه قال بعضهم لا تقسموا فإن الله لو بلغ منكم الجهد لم تبلغوه ثم قال طاعة معروفة.
[6] ن ع م: للإيجاز.
[7] ع: ظاهره.
[8] جميع النسخ: القول.
[9] ن – ويحلفون.
[10] ع – معروفة.

وأمرتم من الطاعة لله[1] ورسوله. ويحتمل: فإنما عليه أداء ما حمل من الفرائض وعليكم أداء ما حملتم وأمرتم[2] من الفرائض. وجائز أن يكون قوله: **فإنما عليه ما حمل**، أي لا يُسأل هو ولا يؤاخذ[3] بما عليكم ولا تسألون[4] أنتم ولا تؤاخذون أيضا بما[5] عليه؛ إنما يسأل كلٌّ عما عليه، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[6] ***والله أعلم***.

وقوله:[7] **وإن تطيعوه تهتدوا**، لا شك أنهم إن أطاعوه اهتدوا. **وما على الرسول إلا البلاغ المبين**، ظاهر.[8]

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٥٥]

وقوله:[9] **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**، قال بعضهم: مكث رسول الله بمكة سنين من بعد ما أوحي إليه خائفا هو وأصحابه يدعون الناس إلى الله تعالى سرا وعلانية، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة فكانوا بها خائفين يصبحون في السلاح ويُمسون[10] في السلاح. فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله! أمَا يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح؟ فقال رسول الله: «لن تلبثوا[11] إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ[12] العظيم محتبيا[13] ليس فيهم حديدة»، فأنزل الله هذه الآية على إثر ما ذكر.[14]

[1] ع – لله.
[2] ن – وأمرتم.
[3] م: يؤخذ.
[4] ن: ولا يسألون.
[5] ن – بما.
[6] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[7] ن: قوله.
[8] ر: ظاهره.
[9] ن: قوله.
[10] ر م: ويمشون.
[11] ر م: لن تلبسوا؛ ن: لن يلبثوا؛ ع – تلبثوا.
[12] جميع النسخ: في البلاء.
[13] ر: مختبئا؛ م: مخبيا. احتبى: جلس على أليتيه وضمّ فخذيه وساقيه إلى بطنه بذراعيه ليستند (*المعجم الوسيط*، «حبا»؛ قارن: *لسان العرب*، «حبا»).
[14] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢٩١/٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢١٥/٦.

وقال بعضهم: لما صدّ المشركون رسول الله وأصحابه يوم الحديبية وعد الله المسلمين أن يُظهرهم وأن يفتح[١] لهم مكة؛ وقالوا:[٢] وتصديق ذلك ما ذُكر في سورة الفتح وهو قوله: هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ،[٣] الآية، حتى قال في آخر ذلك: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ،[٤] الآية. وعد رسوله في القرآن أنه يستخلفهم في الأرض ويُنزلهم[٥] فيها كما استخلف الذين من قبلهم فجعلهم خلفاء في الأرض.

وقال قائلون: كان وعده إياهم في التوراة[٦] / والإنجيل والزبور أنه يجعلهم[٧] خلفاء في الأرض [٥٢٩و] كما فعل بالذين من قبلهم. ولكن كيف ما كان ذلك الوعد لهم في القرآن أو في الكتب المتقدمة ففيه[٨] أمران اثنان.[٩] أحدهما البِشارة للمسلمين والحجة على الكافرين، لأنه وعد لهم الأمن[١٠] والنصر[١١] في وقت[١٢] لا يَرجون ولا يَطمعون النجاة، فضلا أن يطمعوا الاستخلاف والتمكن[١٣] في الأرض وإظهارَ الدين الذي ارتضى لهم -وهو الإسلام- على الأديان كلها. فإذا[١٤] كان مثل ذلك الوعد والبشارة لا يُطمع ولا يُرجى في مثل ذلك الوقت والخوف عُلِم أنه إنما[١٥] بشرهم بذلك بوحي[١٦] من الله ووعد منه فكان ما وعد. دل أنه بالله وعد ذلك وبشر، فذلك[١٧] حجة على أولئك وبشارة للمؤمنين. **والله أعلم.**

---

[١] ع: تفتح.
[٢] جميع النسخ: وقال.
[٣] ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وَالْهَدْيَ معكوفا أَنْ يبلُغ مَحِلَّه﴾ (سورة الفتح، ٢٥/٤٨).
[٤] ر م – كله. سورة الفتح، ٢٨/٤٨.
[٥] جميع النسخ: وينزل.
[٦] ع: بالتوراة.
[٧] م: يجعله.
[٨] ع: وفيه.
[٩] ع: اسلام.
[١٠] ر: الا.
[١١] جميع النسخ: في النصر.
[١٢] ع – في وقت.
[١٣] ر ع م: والتمكين.
[١٤] ع: إذا.
[١٥] م – ذلك.
[١٦] ع: وحي.
[١٧] ر م + على.

وقوله: **ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**، قوله: **ومن كفر بعد ذلك** ليس بشرط[1] فيه، لأنه لو كفر قبل ذلك أيضا فهو فاسق. ثم من الناس من قال:[2] **ومن كفر بعد**[3] هذه النِعم التي أنعمها عليهم ولم يشكره عليها فهو كذا. وجائز أن يكون قوله: **ومن كفر بعد ذلك** وليس له جواب.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥٦]

وقوله: **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول** فيما أمركم به[4] ونهاكم عنه، **لعلكم ترحمون**، أي ترحمون.[5] هو ظاهر، قد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع. ثم قال:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٥٧]

لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض، قال بعضهم: **معجزين**، أي فائتين في الأرض هرَبا من عذابه[6] فلا يدركهم. وقال بعضهم:[7] [**معجزين**] سابقين في الأرض هربا أيضا حتى لا يُجزَون[8] بكفرهم، وهو واحد. **ومأواهم النار ولبئس المصير**، قد ذكرنا أيضا.

وقوله:[9] **لا تحسبن**، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنهم ليسوا بفائتين ولا بسابقين[10] عنه، لكنه ذكر له هذا كما ذكر في قوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ،[11] هما واحد. وفي حرف ابن مسعود وأُبيّ وحفصة: إحسَب[12] الذين كفروا أن يُعجزوا[13] الله في السماوات والأرض. إنه وإن اختلفت[14] الحروف فالمعنى واحد. ***والله أعلم***.

---

[1] م: شرط.
[2] ع – من قال.
[3] ع: بعده.
[4] ع – به.
[5] م – أي ترحمون.
[6] ر م: من عذاب.
[7] ن – بعضهم.
[8] ع: لا يجزعوا.
[9] ن: قوله.
[10] ن ع: لا سابقين.
[11] سورة إبراهيم، ٤٢/١٤.
[12] جميع النسخ: حسب. وهي قراءة ابن مسعود فقط، انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٦.
[13] ر م: يعجزه.
[14] جميع النسخ: اختلف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٥٨]

وقوله[١] تعالى: **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم**، قال بعضهم: ذكر أن رجلا وامرأته تسمى أسماء بنت[٢] مَرثَد[٣] اتخذا[٤] طعاما للنبي، فجعل الناس يدخلون بغير إذن. فقالت[٥] أسماء: ما أقبَحَ[٦] هذا يا رسول الله أن يَدخل على الرجل وامرأته بغير إذن وهما في ثوب واحد غلامُهما[٧] المملوك فأنزل الله: **ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم**.[٨] وقال بعضهم: نزل هذا في شأن عمر بن[٩] الخطاب وهو مما قال: وافقت ربي في ثلاث. ذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث[١٠] غلاما من الأنصار يقال له مُدْلِج إلى عمر بن[١١] الخطاب ظهيرةً ليدعوه، فانطلق الغلام إليه ليدعوه[١٢] فوجده قائلا قد أَغلق عليه البابَ فسأل الغلام عنه فأُخبر أنه في هذا البيت. قال: فدفع[١٣] الغلام الباب إلى عمر وسلّم [عليه] فلم يستيقظ عمر، فرجع الغلام ورد الباب فقام[١٤] مِن خلفِه[١٥] وحركه فلم يستيقظ فقال الغلام: اللهم أيقِظه لي. قال: ودفع الباب ثم ناداه ودخل فاستيقظ عمر فجلس[١٦]

---

[١] ن: قوله.
[٢] جميع النسخ: ابنت.
[٣] ن ع: مرشد.
[٤] ع: اتخذوا.
[٥] ن: وقالت.
[٦] ن: ما أفتح.
[٧] م: غلامها.
[٨] انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٠٢/١٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٩٣/٣.
[٩] ر: ابن.
[١٠] ع – بعث.
[١١] ر: ابن.
[١٢] ع – فانطلق الغلام إليه ليدعوه.
[١٣] ع: فوقع.
[١٤] ع: فقال.
[١٥] جميع النسخ: من خلف.
[١٦] م – فجلس.

فانكشف منه شيء فرآه الغلام، وعرف عمر أن الغلام قد رأى ذلك منه فقال عمر: وددت والله أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدَمنا أن يدخلوا هذه الساعاتِ علينا إلا بإذن.[١] ثم انطلق[٢] معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد نزل عليه هذه الآية وأَمر بالاستئذان على دخولهم في هذه الساعات.[٣] لكن لا حاجة لنا[٤] إلى أن نتعرف أنها نزلت في شأن فلان أو فلان[٥] أو في أمر فلان وسببه سوى أن نتعرف المودَع[٦] فيها وما ذَكَر[٧] من أنواع الآداب والأحكام.

ثم خاطب[٨] بالاستئذان المستأذَنَ عليه لا المستأذِنَ والساداتِ والآباءَ ومن يَعُول[٩] الصغار حيث قال: **ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم**. وذلك الخطاب -والله أعلم- يخرج مخرج الأمر للآباء والسادات بتعليم أمور الدين والقيام بما يحتاجون إليه والتأديب على ذلك إنْ أبَت أنفسهم. وكذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا وفرّقوا بينهم في المضاجع»،[١٠] خاطب به الآباء والأولياء أن يأمروهم بأمور الدين أمرَ عادةٍ والتعليم لهم والتأديب إن امتنعوا عن ذلك و لم يخاطبهم في أنفسهم[١١] لجهلهم وقلة معرفتهم بأمرهم، وإذا بلغوا وعرفوا الأمر والآمر فعند ذلك خاطبهم بأنفسهم بالاستئذان، حيث قال: وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا،[١٢] خاطبهم إذا بلغوا وأمرهم بالاستئذان في أنفسهم.[١٣] وما داموا صغارا خاطب به الآباء والأولياء لما لا يجري عليهم القلم، وليس الخطاب والأمر والنهي إلا لجِرْيَة القلم عليهم،

[١] ر م: بإذنه؛ ن: بالإذن.
[٢] ع: فانطلق.
[٣] انظر: *تفسير القرطبي*، ١٢/٣٠٢، ٣٠٤.
[٤] ر م: لها.
[٥] ر م: وفلان.
[٦] م: الورع.
[٧] أي قول الله.
[٨] ع – ثم خاطب.
[٩] جميع النسخ + به؛ ع: ويعول.
[١٠] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/١٨٠؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ١.
[١١] ر م: في ذلك.
[١٢] الآية التالية.
[١٣] ع – حيث قال وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا خاطبهم إذا بلغوا وأمرهم بالاستئذان في أنفسهم.

وتركُ الأمر والخطاب لرفع[1] القلم عنهم. وأما[2] أمرُ الآباء لهم بذلك يخرج مخرج الشَّفَقة[3] عليهم[4] والقيام لبعض مصالحهم وذلك[5] جائز.

ثم اختلف فيما ملكت أيماننا. قال جماعة: هن النساء[6] دون الرجال. وأما الرجال فإنهم يستأذنون[7] / في جميع الأوقات. وقال بعضهم: هم النساء والرجال جميعا، فالنهي[8] عن الدخول [٥٢٩ظ] في هذه الأوقات الثلاث، إذ هي أوقات غِرَّة وساعاتُ غفلة للذكور والإناث جميعا. ومنهم من يقول:[9] هم الكبار منهم دون الصغار. والأشبه أن يكون في الصغار منهم، لأن الكبار منهم والأحرار سواء في حَظْر النظر إلى العورة وإباحته. ألا ترى[10] أنه قال: **والذين لم يبلغوا الحلم منكم** وهم الأحرار والصغار، فعلى ذلك قوله: **ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم** الصغار منهم، أَمَر السادات بتعليم ما ذكرنا من الأمور. ***والله أعلم.***

وقوله:[11] **والذين لم يبلغوا الحلم منكم**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل قوله:[12] **لم يبلغوا الحلم**، أي لم يحتلموا.[13] ويحتمل:[14] **والذين لم يبلغوا الحلم**، أي لم يبلغوا مبلغ الحلم بعد ما جعلهم في مراتب ثلاث أعني الصغار: في حالٍ لا يؤمرون ولا يُنهون وهي الحال التي لا يميزون بين العورة وبين غير العورة، وهو ما قال: أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ،[15] أي لا يعرفون العورة من غير العورة؛ وحالٍ يعرفون ذلك إلا أنه لا يقع لهم الحاجة إليها

---

[1] ر م: لدفع.
[2] م: وما.
[3] ر ن م + لهم.
[4] م - عليهم.
[5] ع: ذلك.
[6] ع: جماعتهن النساء.
[7] ع: يستأذون.
[8] ر ع م: والنهي.
[9] ن + منهم.
[10] ن: يرى.
[11] ن: قوله.
[12] ع + أي.
[13] ع: لم يحتمل.
[14] ع: أو يحتمل.
[15] سورة النور، ٣١/٢٤.

فيؤمرون بالستر[١] عنهم؛ وحالٍ[٢] تقع[٣] الحاجة إليها وقضاء الوَطَرِ فيؤمرون بالحجاب والتفريق في المضاجع. ***والله أعلم.***

وقوله: **ثلاثَ مرّاتٍ من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاثُ**[٤] **عَوْراتٍ لكم.** يحتمل قوله: **ثلاثُ عورات لكم** وجهين.[٥] أحدهما ثلاث أوقات لكم وساعاتها، ويحتمل **ثلاث عورات**، أي ثلاث حالات يظهر فيها العورة، كقوله: إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ،[٦] أي ليس مما يَمنع السُّرَّاقَ[٧] عن السرقة منها.[٨] وفيه أن العمل بالاجتهاد في الأغلب[٩] والأكبر من الرأي، والأمرَ ليس على الحقيقة جاريا،[١٠] لأنه قد سمَّى ثلاث[١١] عورات من الأمر، ونَهى عن الدخول[١٢] بلا استئذان وإن كان يجوز أن تكون[١٣] العورة مستورة، وأباح في غيرها من الأوقات الدخول بلا استئذان.

ويجوز أن يكون هنالك كشف العورة حيث قال: **ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن،** أي بعد ثلاث ساعات. **طَوّافون عليكم بعضُكم على بعض،** لكنه أباح وحظر بالأغلب والأكبر لا على الحقيقة. وهكذا العمل بالاجتهاد. ***والله***[١٤] ***أعلم.***

وقوله: **طَوّافون عليكم،** أي يخدمونكم بعد هذه الثلاث ساعات، يدخلون عليكم بغير إذن. **بعضكم على بعض** بالخدمة فلا إذنَ عليهم، لِما ذكرنا أن الأغلب أن تكون[١٥] العورات مستورة في غير هذه الثلاث ساعات وفي الثلاث لا.

---

[١] م: بالستـر.
[٢] م: رجال.
[٣] جميع النسخ: يقع.
[٤] ر ن ع + أوقات.
[٥] ع – وجهين.
[٦] ﴿ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة﴾ (سورة الأحزاب، ١٣/٣٣).
[٧] م: السرق.
[٨] ر ع م: فيها.
[٩] ع: وفي الأغلب.
[١٠] جميع النسخ: جائز.
[١١] ر م: بثلاث.
[١٢] ع: لدخول.
[١٣] جميع النسخ: يكون.
[١٤] م: الله.
[١٥] جميع النسخ: يكون.

قال القُتَبِي: **الذين ملكت أيمانكم**، أي يعني العبيد والإماء.[١] **ثلاثُ عَوْراتٍ لكم** يريد هذه الأوقات لأنها أوقات التجرد وظهور العورة. أما قبل صلاة الفجر فلِلخروج من ثياب النوم وليس ثياب النهار، وأما عند الظهيرة فلوضع الثياب للقيلولة، وأما بعد صلاة العشاء فلِوضع الثياب للنوم. **بعدهن**، أي بعد هذه الأوقات. ثم قال: **طوافون عليكم**، يريد أنهم خدَمكم فلا بأس بأن يدخلوا، قال الله تعالى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ،[٢] أي يطوف عليهم في الخدمة. وقال أبو عَوْسَجَة: **الظهيرة** نصف النهار وظهائر جمع،[٣] واظهَرتُ، أي دخلت في الظهيرة.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٥٩]

وقوله:[٤] **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا**، قد[٥] ذكرنا أنه خاطب به الأولياء في تعليم الآداب[٦] وأمور الدين الصغارَ ولم يخاطبهم هو[٧] حيث قال:[٨] لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ،[٩] وإذا بلغوا خاطبهم بأنفسهم حيث قال: **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا**. ثم[١٠] يحتمل قوله: **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم** وجهين. يحتمل إذا احتلموا، ويحتمل إذا بلغوا وقت الحُلُم. فالأول على حقيقة الاحتلام، والثاني على قرب بلوغ الاحتلام. فكان الأول أشبه، لأنه خاطبهم في أنفسهم وأمرهم بالاستئذان، فلو لم يكونوا بالغين لم يخاطبهم ولكن خاطب به الأولياء كما خاطبهم في الآية الأولى. وفيه دلالة أن الحد في بلوغ الصغير الاحتلام، وعلى ذلك اتفاق القول منهم، ألا ترى أنه قال:

---

[١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٦.
[٢] سورة الواقعة، ١٧/٥٦.
[٣] ن ع: جميع.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر ع م: فقد.
[٦] ع: الأدب.
[٧] ع + من.
[٨] ع - قال.
[٩] الآية السابقة.
[١٠] ر م: لم.

فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم يقول –والله أعلم– كما أمر[1] به قبل هذه الآية البالغين أن لا يدخلوا بيتا حتى يستأذنوا على أهله.[2] أو أن يكون قوله: **كما استأذن الذين من قبلهم**،[3] يعني الكبار، إذ[4] يكون الاستئذان[5] في الكبار معروفا ظاهرا وفي الصغار لا، فأمر إذا بلغوا أن يستأذنوا. كما يستأذن الكبار منهم. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق ظاهر الآية وهو ما قال: «رُفع القلم عن ثلاث، أحدهم الصبي حتى يحتلم.»[6] وأما إذا بلغ خمْسَ عشرةَ سنةً فمما اختلف[7] أصحابنا فيه. رآه أبو يوسف ومحمد بالغا لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أجازه في القتال وهو ابن خمسَ عشرةَ سنة ولم يُجز له وهو ابن أربع عشرة سنة.[8] لكن ليس فيه أنه أجازه[9] لبلوغه ولم يُجزه لأنه لم يبلغ. جائز إجازته في العام الثاني لقوته وطاقته[10] على القتال، ولم يجزه[11] في العام الأول لضعفه ووهنه وعجزه عن القتال. واحتج بعض مشايخنا رحمهم الله لقول[12] أبي حنيفة في تحديده بثمانيَ عشرة سنة لبلوغ الغلام إذا لم يحتلم، قال: لأن الوسط من احتلام [٥٣٠و] الغِلمان أن يبلغوا / خمس عشرة سنة، وربما احتلموا قبل ذلك وربما[13] تأخر احتلامهم عنه،

---

[1] جميع النسخ: ما أمر.
[2] ر م: على أصله.
[3] ع – يقول والله أعلم ما أمر به قبل هذه الآية البالغين أن لا يدخلوا بيتا حتى يستأذنوا على أهله أو أن يكون قوله كما استأذن الذين من قبلهم.
[4] جميع النسخ: أن.
[5] م + أن.
[6] الحديث ورد في سنن *أبي داود* (الحدود ١٦) ولفظه: «رُفِعَ الْقلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يُفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم». وانظر أيضا: سنن *ابن ماجة*، الطلاق ١٥؛ وسنن *الترمذي*، الحدود ١؛ وسنن *النسائي*، الطلاق ٢١.
[7] ن + فيه.
[8] والحديث ورد في صحيح *مسلم* (الإمارة ٩١) ولفظه: «عن ابن عمر قال عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ أُحُدٍ في القتال وأنا ابن أربعَ عشرة سنة فلم يُجزِني، وعَرَضَني يومَ الخَندَقِ وأنا ابن خمسَ عشرة سنة فأجازني». وانظر أيضا: سنن *ابن ماجة*، الحدود ٤؛ وسنن *أبي داود*، الحدود ١٧؛ وسنن *النسائي*، الطلاق ٢٠.
[9] ع: أجازة.
[10] ر: لقويته وطاقيته؛ م: لتقويته وطاقته.
[11] ر: ولم يجز.
[12] ر: لقوله؛ م: بقول.
[13] ر م: ربما.

ووجدوا[١] المعروف فيمن نقصت سِنُّه عن اثنتي[٢] عشرة سنة[٣] أن لا يحتلم، فإذا بلغها فربما احتلم. فجعل حد الزيادة على الخمسَ عشرةَ[٤] سنةً التي هي وسط[٥] بين المختلفين[٦] ثلاثَ سِنين كما كان[٧] مقدار النقصان عنها ثلاث سنين. وهذا القول من قوله استحسان. *والله أعلم*.

وقوله: **كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم**. قوله: **كذلك يبين الله لكم آياته**، أعلامَه، أي يبين لكم الأعلام التي تحتاجون[٨] إليها، وتعرفون[٩] ما يَسَع لكم مما لا يسع[١٠] وما يُؤتَى مما[١١] يُتَّقي. وقال بعضهم: آياته ههنا أمره ونهيه. *والله أعلم*.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦٠]

وقوله: **والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا**، قال أهل التأويل: قوله: **لا يرجون نكاحا**، أي[١٢] لا يريدون نكاحا. لكن الأشبه أن يكون قوله: **لا يرجون نكاحا**، أي لا يطمَعْن أن[١٣] يَرغب[١٤] فيهن الرجال لكِبَرهن، وإلا كنّ يردن النكاح وإن كَبِرْن وعَجِزْن.

وقوله: **فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة**، قال[١٥] بعضهم: **ثيابهن** الرداء، وكذلك وروي في حرف ابن مسعود أنه قرأ:[١٦] أن يضعن من ثيابهن،[١٧] وهو الرداء،

---

[١] ر: ووجدو.
[٢] ر: اثني.
[٣] ر م – سنة.
[٤] ر: عشر.
[٥] ع: الوسط.
[٦] ر م: المخلفين.
[٧] ر: يقال.
[٨] ر ع م: يحتاجون.
[٩] ر ع م: ويعرفون.
[١٠] ع – مما لا يسع.
[١١] ع: وما.
[١٢] ر م – أي.
[١٣] ع: لا.
[١٤] ع: يرغبن.
[١٥] ر ع م: وقال.
[١٦] م: قراء.
[١٧] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٦.

وقال بعضهم: هو الجلباب؛ يقال:[1] الجلباب[2] هو القناع الذي يكون فوق الخمار فلا بأس أن تضع ذلك عند أجنبيّ وغيره بعد أن يكون عليها خمار ضيّق؛ **غيرَ متبرِّجات بزينة**، يقول -والله أعلم- من غير أن يكون وضعت الرداء أو الجلباب[3] تريد بذلك إظهار الزينة والتبرج.

وقوله:[4] **وأن يستعففن خير لهن**، أي[5] وأن لا يضعن ما ذكرنا من الثياب خير لهن من أن يضعن. وقال بعضهم: [الثياب هي] الخمار، لكنه لا يحتمل لأنه معلوم أن المرأة وإن كبِرت وعجِزت لا تكشف عورتها لأحد.

ثم الزينة ربما تُكشف للمحارم ولا تكشف للغريب، وهي[6] الرأس والصدر ونحوه.[7] فإذا بلغت في السن مبلغا لا تَطمع أن يُرغَب في نكاحها لا تتزين. ومع ما[8] لا تفعل لا يحل للأجنبي أن ينظر إلى شعرها ولا إلى صدرها[9] ولا إلى ساقها، وإنها إن[10] صلت ورأسُها مكشوف فصلاتها[11] فاسدة. وإذا كان كذلك فليس يجوز أن يُجعَل تأويل وضع الثياب الخمارَ لما ذكرنا، ولكن الرداء أو الجلباب[12] الذي يلبسن إذا خرجْن من منازلهن.

فإن قيل: إنما أُطلِق لها بهذه الآية أن تضع خمارها عن رأسها إن[13] لم يرها أحد.

قيل: الشابة[14] أيضا يجوز لها أن تضع الخمار عن رأسها إذا خلت في البيت، فذلك يدل على أن العجوز أُذِن لها أن تضع ثوبها وهو الجلباب أو المُلاءة[15] التي[16] كانت تغطّي بها

---

[1] ع: هو.
[2] ر م - الجلباب.
[3] ر: والجلباب.
[4] ن: قوله.
[5] ع - أي.
[6] جميع النسخ: وهو.
[7] ع - ونحوه.
[8] جميع النسخ: ومعما.
[9] ع - ولا إلى صدرها.
[10] ر ع م: وإن.
[11] ر م - فصلاتها.
[12] ر ع م: والجلباب.
[13] جميع النسخ: إذ.
[14] ع م: الشبابة.
[15] ن: والملاءة.
[16] ر ع: الذي.

وجهها إذا خرجت. وإذا كان الْمُطْلَق لها[1] هذا[2] فالواجب على الشابة أن لا تُظهر وجهَها إذا كانت تُشتَهى ولا يَدَيْها. فإذا كان كذلك كان قوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا[3] وهو الزينة التي لا يمكن سترها بحال وهو الكحل. *والله أعلم*.

وقوله:[4] **غيرَ متبرِّجات بزينة**، قال بعضهم: أي غير مُظهرات محاسنهن. وقال بعضهم: **غير متبرجات**، أي غير متزيّنات بزينة. والمتبرِّجة المتزيِّنة لإظهار الزينة. والزينة هي الداعية المرغِّبة إلى النظر إليها وقضاء الشهوة. فكأنه أباح لها وضع الثياب إذا كانت غير متزيِّنة، وإذا كانت متزيِّنة فلا. وأباح لها أيضا إذا لم يكن بها محاسنُ يُرغَب[5] فيها، وإذا كان بها[6] ذلك لم يُبَح.

وقوله: **وأن يستعففن خير لهن**، يحتمل وجهين. يحتمل **وأن يستعففن** ولا يبدين محاسنهن **خير لهن** من أن يبدين. والثاني **وأن يستعففن** ولا يضعن ثيابهن حتى يكون ذلك علَما بين معرفة الحرّة من الأمة **خير لهن** من الوضع، كقوله: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ،[7] أَنْ يُعْرَفْنَ أنهن حرائر فَلَا يُؤْذَيْنَ كما تؤذى الإماء. *والله أعلم*.

وقوله:[8] **والله[9] سميع عليم**، كأن قوله: **والله سميع عليم** ههنا صلة قوله: لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ،[10] وإلا ليس في هذه الآية ما يوصل به، أو أن يكون جوابا له.

قال القُتَبِي: **القواعد من النساء**، هن العُجُز، واحدها قاعد، ويقال: إنما قيل لها[11] قاعد

---

[1] ن: له.
[2] م – هذا.
[3] ﴿ولا يُبدين زينتهن إلا ما ظَهَر منها﴾ (سورة النور، ٣١/٢٤).
[4] ن: قوله.
[5] ر م: يرغبه.
[6] م – بها.
[7] ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذَين﴾ (سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣).
[8] ن: قوله.
[9] ع – والله.
[10] سورة النور، ٥٨/٢٤.
[11] ر: لهما.

لقعودها عن المحيض[1] والولد، ومثلُها ترجو[2] النكاح، أي[3] تطمع فيه، ولا أُراها سمِيت قاعدا [إلا] بالقعود عما ذُكر[4] لأنها[5] إذا أسنَّت عَجِزت عن التصرف وكثرة الحركة وأطالت القعودَ فقيل لها: قاعد بلا هاء ليدل بحذف الهاء[6] على أنه قُعود[7] كِبَرٍ كما قالوا: امرأة حامل بلا هاء ليعرف على أنه حَمْل حَبَل، وقالوا في غير ذلك: قاعدة في بيتها وحاملة على[8] ظهرها.[9] وقال: العرب[10] تقول: وامرأة واضع إذا كَبِرت فوضعت الثياب، ولا يكون هذا إلا في الهَرِمة. وقال أبو عَوْسَجة: **غيرَ متبرجات**، أي غير مظهرات محاسنهن، والمتبرجة المتزينة بإظهار الزينة.

وحاصل قوله: **ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة** يخرج على وجهين، والله أعلم. أحدهما يكون معنى قوله: **لا يرجون نكاحا غير متبرجات بزينة**، كل واحد من الحرفين يكون معناه معنى الآخر، كقوله: مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ؛[11] إذا كن محصَنات كن غير مسافِحات وإذا كن غير[12] مسافحات / كن[13] محصنات. فعلى ذلك قوله: **لا يرجون نكاحا**، إذا كنّ لا يرجون [٥٣٠ظ] النكاح كن غير متبرجات –والله أعلم– لأن التزيين إنما يكون منهن طمعا في النكاح. والثاني مع ما لا يرجون النكاح يتزيّنّ ويتبرّجن فقال: **ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير** مُظهرات الزينة. على هذين الوجهين جائز أن يخرج تأويل الآية.

وقوله:[14] **وأن يستعففن** عن ذلك كله **خير لهن**. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: من الحيض.
[2] ر: ترجوا.
[3] ع: أن.
[4] ن – عما ذكر.
[5] جمع النسخ: إلا أنها.
[6] ع – الهاء.
[7] م: قعو.
[8] ر م: في.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٧-٣٠٨.
[10] ن م: والعرب.
[11] ﴿فانكِحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾ (سورة النساء، ٤/٢٥).
[12] ع – غير.
[13] ع + غير.
[14] ن: قوله.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٦١]

وقوله[١] عز وجل: **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**، الآية. اختلف في تأويله، قال بعضهم: إن الرجل الصحيح كان يتحرج مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض إشفاقا عليهم ورحمة، يقول: إنه لا يبصر طيّب الطعام فلعله يأكل الخبيث وأنا آكل الطيّب، ويقول: إن الأعرج لا يستوي جالسا إذا قعد فلا يقدر على[٢] أن يتناول مما[٣] أتناول[٤] أنا، وإن المريض لا يأكل مثل ما يأكل الصحيح. وكان الرجل لا يأكل من بيت أبيه ولا من بيت أمه إذا لم يكونا فيه، وكذلك من[٥] ذكر[٦] إلى آخره حتى يكونوا فيه، وكذلك الصديق وهؤلاء، فأنزل الله هذه الآية في رخصة ذلك كله.

وقال بعضهم: إن هؤلاء الزَّمْنَى[٧] والعُميان[٨] والعُرْج والمرضَى وأولى الحاجة[٩] منهم، يستتبعهم رجال إلى بيوتهم ويستضيفونهم، فإن لم يجدوا لهم طعاما أو شيئا يأكلونه ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم ومن عَدَّد[١٠] معهم،[١١] فكره ذلك المستتبَعون، [أي] التناول من غير بيوت أولئك بلا دعوة ولا إذنٍ سبق منهم، فأنزل الله في ذلك إباحةً لهم ورخصةً وأحل لهم الطعام حيث وجدوه. وقال بعضهم:[١٢] إن الأعمى والأعرج والمريض وهؤلاء الذين كانت بهم

[١] ن: قوله.
[٢] ر ع م – على.
[٣] ن ع: فيما.
[٤] ر: فيما تناول.
[٥] جميع النسخ: ما.
[٦] أي من ذكرهم الله في الآية الكريمة.
[٧] جمع الزَّمِن، وهو ذو العاهة (*القاموس المحيط*، «زمن»).
[٨] ع: وفي العميان.
[٩] ع: وأو في الحاجة.
[١٠] ن: ومن عند.
[١١] أي الذين عدّهم في الآية الكريمة.
[١٢] ر ع م – بعضهم.

زَمَانة كانوا يتحرّجون مؤاكلة الأصحاء مخافةَ أن يتقزّزوا[١] ويستقذروا. يقول الأعرج: لا أؤاكل الناس لأني آخُذُ من المجلس[٢] مكان الرجلين وأضيّق عليهم؛ وقال الأعمى: إني أُفسد عليهم طعامهم، وكذلك المريض منهم يقول مثل ذلك. فأنزل الله الرخصة في ذلك ورفع عنهم الْجُناح في مؤاكلتهم فيقول: إن الحق عليهم أن يترحموكم[٣] لما بكم من الزّمانة وأن يدعوا لكم بالرفع[٤] عنكم[٥] لا التقزُّز والاستقذار عنكم.

وقال بعضهم: إن[٦] الرجل الغني كان يدخل على الرجل الفقير والزَّمِن[٧] فيدعوه إلى طعامه فيقول: والله إني لَأَجْنَح[٨] وأحرَج[٩] أن آكُل من طعامك وأنا غني وأنت فقير،[١٠] فأنزل الله هذه الآية[١١] في ذلك: **ولا على أنفسكم**، إلى آخر الآية.

وقال بعضهم: كان هذا في أهل الجهاد، وإن[١٢] الرجل كان يخرج إلى الجهاد فيُخلِف آخرَ في منزله في حفظ ماله وأهله والقيام بكفايتهم، فكان يتحرّج ولا يأكل من ماله شيئا ولا من طعامه لِما لم يَسبِق منه الإذن في ذلك، فأنزل الله في ذلك[١٣] رخصةَ وأباحةَ التناول من ذلك. إلى هذا انتهت أقاويل أهل التأويل وتآويلهم.

والأشبه عندنا أن يكون تأويل الآية في غير ما ذهبوا هم إليه، وهو أن يكون قوله: **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**، أي ليس على هؤلاء حرج أن يأكلوا من بيوت آبائهم أو أمهاتهم[١٤] أو بيوت إخوانهم أو بيوت أخواتهم

---

[١] ع + منهم؛ م: يتقذروا. وتقَزَّز الرجلُ من الشيء: لم يَطْعَمْه ولم يَشْرَبْهُ بإرادة (*لسان العرب*، «قزز»).
[٢] ع: في المجلس.
[٣] ر: يرجموكم؛ م: يرحموكم.
[٤] ن: بالدفع.
[٥] ع: عنهم.
[٦] م – إن.
[٧] ر م: والزمني.
[٨] في حديث ابن عباس في مال اليتيم: إني لَأَجْنَحُ أن آكُل منه، أي أرى الأكل منه جُناحا، وهو الإثم (*لسان العرب*، «جنح»).
[٩] ر ع: وأخرج.
[١٠] انظر: تفسير *الطبري*، ١٨/١٧٢.
[١١] ر ع م – هذه الآية.
[١٢] ع: إن.
[١٣] ع – فأنزل الله في ذلك.
[١٤] ر ع م: وأمهاتهم.

أو بيوت أعمامهم إلى قوله: **أو بيوت خالاتكم،** لأنهم إنما يأكلون بالحق، لأن من كان به[١] زَمانة كان له التناول من أموال[٢] مَن[٣] ذَكَر من الآباء والأمهات والقرابات، إذ تفرض لهم النفقة في أموالهم. فيكون في ذلك دلالة وجوب النفقة لهم في أموالهم ويكون قوله:[٤] **ولا على أنفسكم** جناح **أن تأكلوا من بيوتكم... أو ما ملكتم مَفاتِحَه أو صَديقِكم،** أي لا بأس أن تأكلوا من بيوتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو من بيوت صديقكم، إذ ليس يباح[٥] للرجل[٦] التناول من مال نفسه ومن مال صديقه في حال عذر ولا يباح في حال الصحة والسلامة بل يباح في الأحوال كلها. دل أن التأويل الذي ذكرنا أشبه فيصرف تناول الزَّمِنَ في[٧] أموال القرابات بحق النفقة والحق، و[يصرف تناول] من ليس به زمانة في ماله ومال صديقه بحق المِلك والصداقة، لأن الزمانة ترفع الصداقة من بينهم. وكذلك وجوب النفقة في مال الصديق يرفع الصداقة[٨] ولا يرفع القرابة ولا تزول[٩] صلتُها.

ثم اختلف في قوله: **ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم،** قال بعضهم: من بيوت[١٠] أولادكم. وقال بعضهم: من بيوت أزواجهم ونسائهم، وقال بعضهم: من بيوت أنفسهم، وهو مما يجد الرجل في بيته من طعام فإنه لا بأس أن يأكله. وكذلك لا بأس للرجل أن يتناول من بيت زوجته، لأنه لم يذكر في الآية بيت الولد وبيت الزوجة على الإشارة والتفسير، فيصرفون تأويل قوله: **أن تأكلوا من بيوتكم** إلى هؤلاء.

وقوله: **أو ما ملكتم مفاتحه،** أي خزائنه، يحتمل العبيد لأن السيد يملك مال عبده. ويحتمل الوكيلَ والخازنَ: أن يأكل من طعامه وأُدْمِه بغير إذن السيد. ويحتمل قوله: **أو ما ملكتم مفاتحه،** السيد نفسه صاحب الخزانة ومالكها.

---

١ ر غ - به.
٢ غ: من الأموال.
٣ م: ما.
٤ ر م - قوله.
٥ غ: يباع.
٦ ر غ م: الرجل.
٧ م - في.
٨ غ - لأن الزمانة ترفع الصداقة من بينهم وكذلك وجوب النفقة في مال الصديق يرفع الصداقة.
٩ جمع النسخ: ولا يزول.
١٠ غ: أو بيوت.

ثم ذَكَر الأكل من بيوت من ذكر على التأويل الذي ذكرنا. واستدللنا[1] على إيجاب النفقة لهؤلاء الزَّمنَى في أموال من[2] ذكرنا مِن القرابات [فهو] يخرج على وجهين. أحدهما ذَكَر البيوت لأنهم إذا كانوا زمني يستوجبون[3] السُّكنى أيضا مع النفقة فذكر البيوت لكونهم فيها وسكناهم معهم. والثاني ذكر الأكل من بيوتهم لئلا يفهم من الأكل الأخذ منها،[4] لأنه ذكر في الآيات[5]
[٥٣١و] الأكلَ والمراد / المفهومِ منه الأخذُ كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ،[6] وقوله: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا،[7] وقوله: لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا،[8] مفهوم المراد من الأكل المذكور في هذه الآيات الأخذ لا الأكل نفسه. فذكَر ههنا الأكل من بيوتهم لئلا يفهم منه[9] الأخذ كما فهم من تلك. وعلى تأويل أهل التأويل مستقيمٌ ظاهر ذكر البيوت، إذ لا يجعلون ذلك الأكل والتناول منه أكلا وتناولا بحق.

وقوله: **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا**، قال بعضهم: ذكر هذا لأن قوما كانوا لا يأكلون وحدهم[10] ولا يرَون ذلك حسنا في الخُلق ويتحرّجون ذلك حتى يكون معهم غيرٌ، فرخص الله تعالى لهم ذلك ورفع عنهم الحرج فقال: **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا**. وعلى تأويل من يقول: إنهم استضافوا قوما فلم يجدوا في بيتهم شيئا يأكلون، ذهبوا بهم إلى بيوت هؤلاء فيتحرج أولئك الأضياف الأكلَ من بيوت مَن ذُكر وأرباب البيوت ليسوا فيها، فرخص لهم في ذلك. وعلى تأويل من يقول: إنهم كانوا يتحرّجون الأكل مع الأعمى ومَن ذَكَر[11] إشفاقا عليهم وترحُّما لما لا يبصرون طيّب الطعام ولا يأكلون ما يأكل الصحيح فرفع عنهم ذلك الحرج ورخص لهم في ذلك. وعلى تأويل من يقول:

---

[1] ع: واستدل لنا.
[2] ع: ما.
[3] م: ليستوجبون.
[4] ر: منهما.
[5] ر ن م: في آيات.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (سورة النساء، ٢٩/٤).
[7] ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا﴾ (سورة النساء، ١٠/٤).
[8] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ (سورة آل عمران، ١٣٠/٣).
[9] ع: من.
[10] جميع النسخ: وحده.
[11] جميع النسخ: ذلك.

إنهم كانوا يتحرجون الأكل[١] مع هؤلاء تقزّزا واستقذارا يرغّبهم في الأكل مع أولئك وترك التقزّز عن ذلك. ويدل للتأويل[٢] الأول ما روي عن أصحاب رسول الله، رُوي عن محمد بن علي قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى أحدهم أنه أحق بالدنانير[٣] والدراهم من أخيه المسلم.[٤] قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليأتِيَنّ على[٥] الناس زمان يكون الدينار والدرهم أحبّ إلى الرجل من أخيه المسلم.»[٦] وعن ابن عمر قال: لقد رأيتَني ومالُ الرجل المسلم[٧] أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم.[٨]

وقوله: **فإذا دخلتم بيوتا فسلّموا على أنفسكم**، يحتمل قوله: **فسلموا على أنفسكم**،[٩] أي يسلم بعضكم على بعض، فصيَّر المسلمين أجمعَ بعضهم لبعض كأنفسهم، كقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[١٠] أي لا يقتلْ[١١] بعضكم بعضا. وقوله ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ،[١٢] ونحو ذلك من الآيات، فصيّر بعضهم لبعض كأنفسهم لأنهم كشيء واحد يتألم بعضهم بألم بعض ويحزن بعضهم بحزن بعض ويُسَرّ بعضهم بسرور بعض ونحوه، فهم[١٣] جميعا كشيء واحد وأنفسهم جميعا كنفس واحدة، لذلك جعل سلام بعضهم على بعض في حق السلام واحدا.

ويحتمل وجها آخر وهو أن بعضهم إذا سلّم على بعض يردّ عليه مثله فيصِير[١٤] كأنه

---

[١] ع – مع الأعمى ومن ذلك إشفاقا عليهم وترحما لما لا يبصرون طيب الطعام ولا يأكلون ما يأكل الصحيح فرفع عنهم ذلك الحرج ورخص لهم في ذلك وعلى تأويل من يقول إنهم كانوا يتحرجون الأكل.

[٢] ع: التأويل.

[٣] م: بالدنانر.

[٤] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣/٣٣٦.

[٥] ر ع م: عن.

[٦] روى الإمام أحمد بنحوه، انظر: *المسند*، ٢/٨٤.

[٧] م – المسلم.

[٨] انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٨٤.

[٩] ع – يحتمل قوله فسلموا على أنفسكم.

[١٠] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم﴾ (سورة النساء، ٤/٢٩).

[١١] ن: لا تقتل.

[١٢] سورة البقرة، ٢/٨٥. وجميع النسخ: ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ وهي بداية الآية الأولى.

[١٣] ر م: منهم.

[١٤] ع: يصير.

هو يسلم على نفسه، وكذلك قوله: **ولا تقتلوا أنفسكم**، أي[1] لا[2] يقتل أحد آخرَ فيُقتَلَ به فيكون قاتلَ نفسه، إذ لولا قتله إياه لم يُقتَل به. وكذلك قوله: لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ،[3] أنه إذا أكل مال غيره بغير رضاه ضمِنه فإذا ضمنه فكأنه أكل مال نفسه بالباطل.

ويحتمل أنه[4] أراد به السلام على أنفسهم، أي يسلم كل[5] على نفسه وإن لم يكن فيه أحد. وكذلك روى عن ابن عباس قال: أراد المساجد، إذا دخلتها فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.[6] وعلى ذلك رويت الأخبار: من دخل بيتا أو مسجدا ليس فيه أحد فليقل: السلام علينا من ربنا والسلام على عباد الله الصالحين.[7] وعلى ذلك جائز أن يكون قوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[8] بترك الإنفاق عليها وغيره.[9] وجائز أن يراد بالأنفس أهلهم، أي سلموا على أهليكم وهو الأولى.

ثم اختلف في السلام. قال بعضهم: السلام من السلامة، أي عليك السلامة من جميع الآفات والنَّكَبات. وقال بعضهم: السلام هو اسم من أسماء الله، فتأويله: عليك اسم الله الذي لا يضرك معه[10] شيء ولا يلحقك به أذى، كقوله: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء».[11]

وقوله: **تحية من عند الله**، التحية كأنها الكرامة، كأنه قال: كرامة من عند الله لكم. وقوله: **مباركة**، المبارك هو الذي يُنال به كلَّ خير وبِر. أو أن يسمّى **مباركة** لما به ينمو الشيء ويزكو.[12] وقوله: **طيبة**، أي[13] ما يستطيبه[14] كل أحد. وقال بعضهم: **طيبة**، أي حسنة،

---

[1] ع – أي.
[2] ع: ولا يقتل.
[3] سورة النساء، ٤/٢٩.
[4] ع: إذا.
[5] ن – كل.
[6] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٣/٢٧٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦/٢٢٧-٢٢٨.
[7] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/١٧٣.
[8] سبق قريبا.
[9] جميع النسخ + وكذلك قوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فهو ابتداء الآية التي سبقت قريبا.
[10] ر ع م: لا يضر معك.
[11] انظر: سنن *ابن ماجة*، الدعاء ١٤؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ١١٠؛ وسنن *الترمذي*، الدعوات ١٣.
[12] ع: ويذكو.
[13] ع – أي.
[14] جمع النسخ: ما يستطيب به.

فتأويله ما يستحسنه[١] كل أحد. وقال بعضهم: قوله: **تحية من عند الله**، يقول: سلام من أمر الله لكم **مباركة** بالأجر **طيبة** بالمغفرة. ***والله أعلم***.

وقوله: **كذلك يبين الله**، أي مثل الذي[٢] يبين الله **لكم الآيات لعلكم تعقلون**، أي كي[٣] تعقلون ما لكم وما عليكم وما لله عليكم وما لبعضكم على بعض. وقوله: **بيوتا**،[٤] ما ذكرنا. قال بعضهم: المساجد، وقال بعضهم: البيوت المسكونة كقوله: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ.[٥]

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٦٢]

وقوله: **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه**، وقال[٦] في آية أخرى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا،[٧] الآية، وقال في آية أخرى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ / الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[٨] هذا -والله أعلم- ليس أن ما ذكر من الاستئذان وترك الارتياب وزيادة الإيمان بالتلاوة ونحوه من شرط الإيمان. ولكن -والله أعلم- أن الأولى بالمؤمنين هذا: أن لا يذهبوا حتى يستأذنوا رسوله وأن لا يرتابوا وأن يجاهدوا وأن يزداد لهم بالتلاوة[٩] ما ذكر، ليس على جعله شرطا للإيمان ولكن ما ذكرنا من الأولى بهم والاختيار لهم ما ذكر. ***والله أعلم***. [٥٣١ظ]

ثم ذكر في هذه الآية أن المؤمنين لا يذهبون عنه ولا يفارقونه[١٠] إلا بالاستئذان منهم من رسول الله، وذكر أن المنافقين يذهبون ويفارقونه تسللا ولواذا حيث قال: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا،[١١]

---

[١] جمع النسخ: ما يستحسن به.
[٢] ر م: الذين.
[٣] ر - كي.
[٤] جمع النسخ: بيوتكم.
[٥] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ (سورة النور، ٢٧/٢٤).
[٦] م: قال.
[٧] سورة الحجرات، ١٥/٤٩.
[٨] سورة الأنفال، ٢/٨.
[٩] ر ع م: التلاوة.
[١٠] ع م: ولا يفارقون.
[١١] الآية التالية.

وقال في آية أخرى: لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[1] ذكر أنهم لا يستأذنونك[2] وإنما يستأذنك المنافقون، بقوله: إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.[3] فهذه الآيات في ظاهر المخرج مختلفة وإن كانت في المعاني المُدرَجة فيها موافقة. فهذا يبطل قول من يحتج بظاهر المخرج، إذ للملحدة[4] أن تقول: هو مختلف في الظاهر وإنه من عند غير الله، بقوله: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.[5] فدل ما ذكرنا أن الاحتجاج بظاهر المخرج باطل والاعتقاد به فاسد خيال.

ثم جائز أن يكون ما ذكر من استئذان المؤمنين وترك استئذان أولئك للخروج[6] منه لما لا يستأذنه المؤمنون للخروج من عنده[7] إلا لعذر[8] وأولئك يستأذنونه للخروج لا للعذر، كقوله تعالى: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ،[9] ونحوه،[10] وأما المؤمنون فلا يستأذنونه إلا بعذر. أو أن يكون ذلك في نوازل مختلفة أو في فِرق. أو أن يكون المؤمنون يُظهرون له عذرهم ويفوّضون أمورهم إلى رسول الله على أن ينظر في ذلك؛ فإنْ رأى الصوابَ أن ينصرفوا صرفهم وإن رأى الصواب الكون والمُقامَ معه أقاموا معه، والمنافقون لا على ذلك كانوا يفعلون. وعلى[11] هذا -والله أعلم- جائز أن يخرج تأويل الآيات التي ذكرنا.

ثم قوله: **وإذا كانوا معه**، أي مع رسول الله، **على أمرٍ جامع**، اختلف فيه. قال بعضهم: يوم الجمعة ويوم العيد، وقال بعضهم: في الغزو والجهاد في سبيل الله. يخبر أن المؤمنين يكونون[12] معه لا يذهبون عنه إلا بإذن، والمنافقون يتسللون ويذهبون مُستخفِين منه أو يقعدون[13] ويخرجون من عنده.

---

[1] ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾ (سورة التوبة، ٤٤/٩).
[2] ن: لا يستأذنونه.
[3] سورة التوبة، ٤٥/٩.
[4] م: للملاحدة.
[5] سورة النساء، ٨٢/٤.
[6] ر: للمخرج.
[7] ع – من عنده.
[8] ع ن: بعذر.
[9] ﴿ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ (سورة الأحزاب، ١٣/٣٣).
[10] ع – ونحوه.
[11] ع ن: على.
[12] ن – يكونون.
[13] ر م: ويقعدون.

وأصله **وإذا كانوا معه على أمر جامع**، أي على أمرِ طاعةٍ[1] **لم يذهبوا حتى يستأذنوه**. وقال[2] بعض من أهل التأويل: هذه الآية نسخت الآية التي في سورة براءة حيث قال في ذاك: عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ،[3] الآية، وقال في سورة النور: فأْذَن لمن شئت منهم، أذِن له بالإذن لهم في هذه الآية وغيره في ذاك بالإذن لهم، لكن الوجه فيه ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله: **واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم**، الأمر بالاستغفار لهم يخرج مخرج الأمر بالتشفع لهم.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦٣]

وقوله: **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم إلى ما يدعوكم إليه كدعاء بعضكم بعضا، مرة تجيبونه[4] ومرة[5] لا تجيبونه، كما يجيب بعضكم بعضا إذا دعاه مرة ولا يجيبه تارة. بل أجيبوا رسول الله في جميع ما يدعوكم إليه وفي[6] كل حال تكونون.[7]

والثاني لا تجعلوا دعاءكم الرسولَ إذا دعوتموه[8] كما يدعو[9] بعضكم بعضا: يا فلان ويا فلان! ولكن ادعوه[10] باسم هو مخصوص به: يا رسول الله، ويا نبي الله، على ما أقررتم أنه مخصوص من بينكم ليس كمثلكم، فعلى ذلك في الدعاء والإجابة اجعلوه مخصوصا تعظيما له وإجلالا خصوصية له وفضيلة، وهو ما ذكر في آية أخرى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ.[11]

---

[1] ن ع + لله؛ ع: الله.
[2] ر م: قال.
[3] ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ (سورة التوبة، ٤٣/٩).
[4] ع - مرة تجيبونه.
[5] ع: مرة.
[6] ر م: في.
[7] ر ع م: يكونون.
[8] م: دعتموه.
[9] ر: يدعوا.
[10] ر م: ادعوا.
[11] سورة الحجرات، ٢/٤٩.

وقوله: **قد يعلم الله الذين يَتَسَلَّلُون منكم لِواذا**، قال بعضهم: إن المنافقين إذا كانوا في أمر جامع فيسمعون رسول الله يذكر مَثالِبهم ومساويهم[1] وعيوبهم فيتسللون كراهية لما سمعوا، يلوذ بعضهم ببعض. وقال بعضهم: نزل هذا[2] في المنافقين الذين كانوا يذهبون عنه ويخرجون من عنده بغير استئذان منهم إياه.[3] وقوله: **لِواذا**، أي يستترون بالشيء ويلوذ بعضهم ببعض[4] ويستتر[5] بعضهم ببعض ويخرجون.

وقوله: **فليحذر الذين يخالفون عن أمره**، يحتمل قوله: **يخالفون عن أمره**، أي يخالفون أمره. وحرف "عن" يكون صلة فيه. وجائز[6] أن يكون على ظاهر ما ذكر **يخالفون عن أمره**. فإن كان على هذا كأنه قال: **يخالفون عن أمره**، أي يعدِلون عن أمره[7] ويَزيغون عنه كقوله: وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ.[8]

[٥٣٢و] وقوله: **أن تصيبهم فتنة**، يحتمل الفتنة الكفر، ويحتمل الفتنة / القتال والتعذيب في الدنيا، **أو يُصيبَهم عذاب أليم** في الآخرة. ***والله أعلم.***

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦٤]

وقوله: **ألا إن لله ما في السماوات والأرض**، ليس ههنا ما يستقيم أن يُجعل قوله: **ألا إن لله ما في السماوات والأرض**، صلةً له، اللهمَ إلا أن يجعل ذلك صلة قول:[9] من يجعل له الولد والشريك، أو صلة قوله: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ.[10] فيقول: من له ما في السماوات والأرض

[1] جميع النسخ: ومساءاتهم.
[2] ر م: هذه.
[3] ر - إياه.
[4] ع - وقال بعضهم نزل هذا في المنافقين الذين كانوا يذهبون عنه ويخرجون من عنده بغير استئذان منهم إياه وقوله لواذا أي يستترون بالشيء ويلوذ بعضهم ببعض.
[5] جميع النسخ: ويستر.
[6] ع: جائز.
[7] ر م: من أمره.
[8] سورة سبأ، ١٢/٣٤.
[9] جميع النسخ: قوله.
[10] ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٤/٢٣).

لا يحتمل أن يقع له[١] الحاجة إلى الولد أو الشريك، أو من له ملك ما في السماوات والأرض يختار لرسالته من يشاء بشرا أو ملكا،[٢] ليس لأحد القول في ذلك.[٣] ***والله أعلم***.

وقوله: **قد يعلم ما أنتم عليه**، هذا وعيد منه وإعلام أنه مراقبهم مطّلع عليهم في جميع أحوالهم ليكونوا أبدا على حذَر، لأن من علِم أن عليه رقيبا وحافظا كان أنبَهَ وأيقظَ وأحذَر ممن لم يعلم ذلك. أو أن يكون على علم بأحوالكم وما أنتم عليه من الخلاف لأمره. خلقكم وأرسل[٤] إليكم[٥] رسولا لا على جهل بذلك وغفلة، أو يؤخر عنكم العذاب على علم[٦] بما أنتم عليه لليوم الموعود لا بسهو وغفلة، كقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ،[٧] الآية. فعلى ذلك قوله: **قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا**، أي إنما يؤخر ذلك عنهم إلى يوم الرجوع إليه فعند ذلك ينبئهم بما عملوا. **والله بكل شيء عليم**.

قال أبو عَوْسَجَة: **يتسللون**، أي[٨] يذهبون[٩] مستخفِين. ويقال: انسلّ الرجل، أي انسرق من الناس، أي فارَقهم ولا يعلمون به. والتسلل [إنما يستعمل إذا كان الاستخفاء][١٠] من الجماعة. وقوله: **لواذا**، يقال لاذَ مني، أي احتبأ[١١] مني[١٢] واختفى.[١٣] ويقال: لاذ بي، أي استتر بي. وقال القُتَيبي: قوله: **يتسللون منكم لواذا**، أي من يستتر بصاحبه في انسلاله ويخرج، يقال: لاذ[١٤] فلان [بفلان]، واللواذ مصدر.[١٥]

---

[١] ر ع م – له.
[٢] ع: ملك.
[٣] ر + القول في ذلك.
[٤] جمع النسخ: أو أرسل.
[٥] ع: إليهم.
[٦] ع: عمل.
[٧] ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تَشْخَصُ فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).
[٨] ع – أي.
[٩] ع: ويذهبون.
[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٣٥و.
[١١] ر ع م: اختبى.
[١٢] ع – أي احتبأ مني.
[١٣] ن: واختفا.
[١٤] ع: إذ لا.
[١٥] ع + والله تعالى أعلم. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٠٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

[1]سورة الفرقان كلها[2] مكية

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [١]

قوله[3] عز وجل: **تبارك**، قال أهل التأويل: **تبارك**، من التفاعُل وهو مِن تَعَالى، لأن البركة هي اسم كل رفعة وفضيلة وشرف فكان تأويله: تعالَى، مِن التعالِي والارتفاع. وقال أهل الأدب: **تبارك**، هو من البركة، والبركة هي اسم كل فضل وبِرّ وخير، أي به يُنال[4] كلَّ فضل وشرف وبِرّ. قال[5] أبو عَوْسَجَة: **تبارك**،[6] هو تنزيه مثل قولك: تعالى. وقال الكسائي والقُتَبِي: هو من البركة،[7] وهو ما ذكرنا.

وقوله:[8] **نزل الفرقان على عبده**، سماه فرقانا؛ قال بعضهم: لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الحلال الحرام، وبين ما يؤتى وما يُتَّقى. وعلى هذا جائز أن يسمى جميع كتب الله التي أنزلها على رسله فرقانا، لأنها كانت تفرق بين الحق والباطل، وبين ما يَحِلّ وما يَحْرُم، وبين ما يؤتى وما يتقى، ولذلك سُمي التوراة فرقانا بقوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ.[9] وأما القرآن [فـ]هو مِن قرَن بعضه إلى بعض؛ يقال: قرَنت الشيءَ إلى الشيء، إذا ضممتُه إليه؛ [و]قرَن يقرِن قَرْنا.

---

[1] ن + ذكر أن.

[2] ن ع + نزلت بمكة وهي.

[3] ن: وقوله.

[4] ر م: نيل.

[5] ر: وقال.

[6] ع – تبارك.

[7] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣١٠.

[8] ن: قوله.

[9] ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين﴾ (سورة الأنبياء، ٤٨/٢١).

وقال بعضهم: سُمّي القرآن فرقانا لأنه أُنزل بالتفاريق مفرقا، وسائرُ الكتب أُنزلت[1] مجموعة، لكن الوجه فيه ما ذكرنا بدءا، وهو أقرب وأشبه.

|٥٣٣و س٢٢ *وقال القُتَبِي: **تبارك**، مشتق من البركة،[2] وكذلك قال الكسائي وقد ذكرنا ذلك. وقال أبو عَوْسَجَة: **[تبارك]** تنزيه مثل قولك: تعالى على ما[3] ذكرنا. وقال: **الفرقان**، هو الحق فرق بين الحق والباطل، والقرآن هو مِن قرن بعض إلى بعض، والزبور هو اسم كتاب، والزُبُر جمع،[4] وزَبَرتُ كتبتُ، والزُبَر قِطعُ الحديد، كقوله: آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ،[5] أي قِطعَ الحديد،[6] الواحدة[7]

٥٣٣و س٢٦| زُبْرَة، والتوراة اسم كتاب لا أظنه بالعربية.*

وقوله: **ليكون للعالمين نذيرا**، جائز أن يكون قوله: **للعالمين نذيرا**، أي القرآن الذي أنزله على عبده[9] يكون نذيرا لمن ذُكر. ويحتمل قوله: **ليكون للعالمين نذيرا**،[10] أي ليكون[11] محمد بالقرآن الذي أُنزل عليه[12] نذيرا، كقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ،[13] وكقوله: وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ،[14] أي مَن بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذيره.

ثم قوله: **للعالمين**، جائز أن يراد به الإنس والجن. ثم ذكر النِذارة فيه و لم يذكر البِشارة، فإن كان على هذا فهو حجة لأبي حنيفة رحمه الله، أنْ[15] ليس للجن ثواب إذا أطاعوا سوى النجاة من العقاب ولهم عقاب بالأجرام، لأن الله تعالى لم يذكر لهم الثواب في الكتاب، وذكر لهم العقاب بالعصيان حيث قال: يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ،[16] الآية.

---

[1] ر ع م: أنزل.
[2] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٠.
[3] ع: عما.
[4] ر ن ع: جميع.
[5] ﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا﴾ (سورة الكهف، ٩٦/١٨).
[6] ر م – أي قطع الحديد.
[7] ر م: الواحد.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٣و/سطر ٢٢-٢٦.
[9] ع: عليه.
[10] ع + لمن ذكر.
[11] ع + للعالمين.
[12] ع – محمد بالقرآن الذي أنزل عليه.
[13] ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (سورة فاطر، ٢٤/٣٥).
[14] سورة الأنعام، ١٩/٦.
[15] م: أي.
[16] ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجِرْكم من عذاب أليم﴾ (سورة الأحقاف، ٣١/٤٦).

جعل ثوابهم نجاتهم من عذاب أليم. وجائز أن يكون في النذارة[١] بشارة أيضا، [بشارة] ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، لأنهم إذا اتقوا مخالفة الله ومعاصيه كانت لهم العاقبة، فلهم[٢] بشارة في ذلك ونِذارة، كقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا.[٣]

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[٢]

وقوله:[٤] **الذي له ملك السماوات والأرض**، جائز أن يكون قوله: **له ملك السماوات والأرض** صلة قوله: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ، ووجهه -والله أعلم- أي تعالى مِن أن يكون النذيرُ الذي بعثه إليهم إنما بعثه لحاجة نفسه: لجر منفعة إليه أو لدفع مضرة عنه على ما يبعثه[٥] ملوك الأرض من الرسل لحوائج أنفسهم إما لجر منفعة إليهم أو لدفع مضرة عنهم. ولكن إنما يبعث النذير والبشير إلى الخلق لمنافع أنفسهم، إذ لا يحتمل أن يكون من له / ملك السماوات والأرض أن يبعث النذيرَ [٥٣٢ظ] والبشير لمنافع نفسه ولحاجته، [وذلك] لغناه. وأما ملوك الأرض [فهم] لا يملكون ذلك فيما يرسلون ويبعثون من الرسل، إنما يبعثون ويرسلون لمنافع أنفسهم وحوائجهم لدفع مضرة أو جرّ منفعة.

وجائز أن يكون قوله: **تبارك**، أي تعالى مِن أن يتخذ ولدا أو شريكا في الملك، على ما نسبوا إليه من الولد والشريك فقال: تعالى من أن يكون له الولد أو الشريك، إذ له ملك السماوات والأرض، فالولد في الشاهد إنما يُتخذ لإحدى خلال ثلاث، وقد ذكرنا.[٦] وبعدُ فإن الولد في الشاهد إنما يكون من جنس الوالد ومن جوهره ويكون من أشكاله، وكل ذي شكل وجنس يكون فيه مَنْقَصَة وآفةٌ.[٧] وكذلك الشريك إنما يكون من جنسه ومن شكله، وإنما يقع الحاجة إلى الولد[٨] إما لعجز[٩] أو آفة،[١٠] فإذا كان الله سبحانه له ملك السماوات والأرض وهو خالقهما فأنَّى يقع له الحاجة إلى الولد والشريك؟

---

١ ع: في النذراة.
٢ ن: ولهم.
٣ سورة سبأ، ٢٨/٣٤.
٤ ن: قوله.
٥ ر: على يبعث؛ ع: على يبعثه.
٦ انظر مثلا: تفسير الآية ١١٦ من سورة البقرة.
٧ ر: منقضة أو آفة.
٨ ر ع - الولد؛ ن: الشريك.
٩ ع: لعجزة.
١٠ ع: وآفة.

وقوله:[1] **وخلق كل شيء**، فيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنه أخبر أنه[2] خلق كل شيء. وعلى قولهم: أكثر الأشياء لم يخلقها من الحركات والسكون والاجتماع والتفرق وجميع الأعراض، لأنهم يقولون: إنها ليست بمخلوقة لله ولا صنع له فيها.[3]

وقوله:[4] **فقدره تقديرا**، جائز أن يكون قوله: **فقدره تقديرا**، لحكمته، أو قدّره[5] تقديرا لوحدانية الله وألوهيته. أو قدّره تقديرا، أي جعل له حدا لو اجتمع الخلائق على ذلك ما[6] عرفوا قدره ولا حده من صلاح وغيره ما لو لم يقدّر ذلك لَفسد.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾[٣]

وقوله:[7] **﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾**، أي معبودا، ثم تسميته إياها -أعني الأصنام التي عبدوها- آلهة على ما عندهم وفي زعمهم أنها آلهة. والإله عند العرب المعبود، يسمون كل معبود إلها. وكذلك قوله: فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[8] عندهم وفي زعمهم، وقول[9] موسى: وَانْظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا.[10] في زعمهم وعندهم أن كل معبود إله،[11] وإلا قد عابهم بتسميتهم الأصنام آلهة.

ثم بين سفههم وقلة فهمهم في عبادتهم الأصنام وتسميتهم إياها آلهة حيث قال: **لا يخلقون شيئا وهم يخلقون**، أي يتركون عبادة من يعلمون أنه خالق كل شيء ويعبدون من يعلمون أنهم لا يخلقون وهم يخلقون، ويتركون عبادة من يعلمون أنه يملك النفع والضر ويعبدون من لا يملك النفع لهم ولا الضر.

---

[1] ن: قوله.
[2] ع – أنه.
[3] أي ما كانت منها من أفعال العباد.
[4] ن: قوله.
[5] ر: وقدره.
[6] ع: لما.
[7] ن: قوله.
[8] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/ ٩١).
[9] ع: وفي قول.
[10] ﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مِساس وإن لك موعدا لن تُخلَفَه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنُحَرِّقَنَّه ثم لننسِفَنَّه في اليَمّ نَسْفا﴾ (سورة طه، ٢٠/٩٧).
[11] ع: إلها.

ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا، أي يعبدون من يعلمون أنه لا يملك النفع لهم إنْ عبدوه[١] ولا الضر إن تركوا عبادته، ولا يملكون[٢] النفع والضر لأنفسهم أيضا وهو قوله: **ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا**، لغيرهم. فعلى هذا الظاهرِ يجيء أن يكونوا هم[٣] سَمَّوا أنفسهم آلهة، لا الأصنام، لأنهم يملكون ضرر الأصنام ونفعها، والأصنامُ لا تملك ذلك لهم ولا لأنفسها.

وقال بعضهم في قوله: **لا يملكون موتا**، أي الموت الذي كان قبل أن يُخْلَق الناس، كقوله تعالى:[٤] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا.﴾[٥] وأما قوله: **ولا حياة**، يقول: لا يملكون أن يزيدوا في هذا الأجل المؤجَّل. **ولا نشورا**، أي بعثا بعد الموت. وقال بعضهم: **لا يملكون** أن[٦] يُميتوا حيا قبل أجله، **ولا حياة**، ولا يُحيُون ميتا إذا جاء أجله، **ولا نشورا**، أي بعثا على ما ذكرنا. *وبالله العصمة.*

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[٤] ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٥]

وقوله: **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه**، يعنون هذا القرآن الذي أنزل على رسول الله وكان يقرأه عليهم، يقولون: ما هذا إلا إفك، أي كذِب افتراه من تلقاء نفسه ويخترعه[٧] من نفسه. إنّ أهل الشرك كانوا يكذّبون الأنباء والأخبار من غير أن كانت لهم الأسباب[٨] التي بها[٩] يوصل إلى معرفة صدق الأخبار وكذبها، وذلك كانت عادتهم وهمتهم. والأسباب التي يعرف بها صدق الأخبار وكذبها هي الكتب السماوية والرسل التي نطقوا عن وحي السماء. فكفار مكة لم يكن لهم واحد من هذين، فكيف ادّعَوا على رسول الله

---

[١] ن: اعبدوه.
[٢] ر م: ولا تملكون؛ ع: وهم تملكون.
[٣] م: يكونوهم.
[٤] ن: كقول الله تعالى.
[٥] سورة البقرة، ٢٨/٢.
[٦] ر: أي.
[٧] ر: ويخرغه؛ ن ع م: ويخترعه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٥ظ.
[٨] جميع النسخ: أسباب؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٦و.
[٩] ر م + ما.

اختلاق هذا القرآن واختراعه من نفسه وأنه مفترى على غير كون أسباب معرفة الكذب والصدق لهم في الأخبار. مع ما ظهرت لهم آيات رسالته وأعلام صدقه في الأخبار، حيث لم يؤخذ عليه كذب قطّ ولا رأوه اختلف إلى أحد من أهل الكتاب ولا كان يُحسن أن يخُطّ بيده كتابا، وما قرع أسماعَهم من أول الأمر إلى آخر الأبد [من التحدي والتقريع كما في][1] قوله: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ،[2] وقوله: فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ.[3] فدل عجزهم وترك تكلّفهم[4] ذلك على أنهم عرفوا أنه من عند الله وأنهم كذَبة في قولهم: إنه إفك مفترى.

وقوله: **وأعانه عليه قوم آخرون**، وقالوا: إنه إفك مفترى وأعانه على ذلك قوم آخرون في افترائه واختراعه. وهم قوم من أهل الكتاب أسلموا، وقد كانوا يجدون في التوراة والإنجيل

[٥٣٣و] نعْتَه وصِفته وما كان أنبأهم رسول الله وأخبرهم[5] من / الأنباء المتقدمة والأخبار الماضية فاخبروا[6] بذلك حين سألهم أولئك المشركون عما يخبرهم رسول الله وقالوا: إنه كما يقول وإنه صادق في ذلك كله وإنا نجد ذلك كله[7] في كتابنا. فلما سمعوا[8] من أهل الكتاب ما[9] سمعوا من تصديقهم إياه فعند ذلك[10] قالوا:[11] **وأعانه عليه قوم آخرون**.

ثم أخبر أنهم **جاءوا ظلما وزورا**. أما[12] قوله: **ظلما**، لأنهم كذبوه و[قالوا:] إنه مفترى من غير أن كان لهم أسباب معرفة[13] الكذب والصدق، فهو ظلم حيث وضعوا ذلك غير موضعه.

---

[1] التصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٣٦و.

[2] ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣).

[3] ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة هود، ١١/١٣).

[4] ن: كلفهم.

[5] جميع النسخ: ويخبرهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٦و.

[6] جميع النسخ: فاخبروهم

[7] ر م – كله.

[8] جميع النسخ +لك.

[9] ع: فما.

[10] جميع النسخ: عند ذلك.

[11] ع: وقالوا.

[12] ع: وأما.

[13] ر م – معرفة.

وأما قوله: **وزورا**، لأنهم قالوا: إنه مختلَق[١] وإنه سحر،[٢] وإنه إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[٣] وإنه أعانه عليه قوم آخرون وإنه: **أساطير الأولين اكتتبها فهي تُمْلَى عليه بكرة وأصيلا**، قد ظهر كذبهم بهذا فيما بينهم، لأنهم متى رأوه[٤] اختلف إلى أحد[٥] منهم يعلّمه ذلك أو متى رأوه[٦] كتب شيئا قط أو يُحسن الكتابة قط وقالوا:[٧] أساطير الأولين؟ فإذ[٨] عَرَف تلك الأنباء والأحاديثَ التي كانت من قبل -ولا شك أنها لم تكن بلسانه وإنما كانت بلسان أولئك- دل إخباره عما في كتبهم بلسانه أنه إنما عرف ذلك بالله.

وقوله:[٩] **فهي تملى عليه بكرة وأصيلا**، قال أهل التأويل: غدوّا وعشيا. فلو كان على ذلك لكانوا[١٠] يحضرونه في البكرة والعشي فيسمعونه ويشاهدون[١١] ما يُمْلَى عليه، إذ الوقت وقتُ الحضور. ولكن عندنا كأنهم أرادوا بالبكرة والعشي أولَ الليل وآخره: الأوقاتَ التي هي ليست بأوقات[١٢] الحضور والجلوس؛ يقولون: يأتونه سرا فتُمْلَى عليه وتُعَلَّم.[١٣] فلو كان ذلك أيضا لكانوا يراقبونه ويحافظونه سرا ليعرفوا ذلك ويشاهدوه، فإذ[١٤] لم يفعلوا ذلك دل أنهم كانوا يعرفون صدقه وأنهم كذَبَة في زعمهم، لكنهم كابروه وعاندوه في ذلك.

ثم أخبر أنه إنما أنزله[١٥] عليه الذي يعلم السر في السماوات والأرض حيث قال:

---

[١] ع م: مختلف. ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾(سورة ص، ٧/٣٨).
[٢] انظر: سورة الأنعام، ٦٧/٦؛ وسورة سبأ، ٤٣/٣٤؛ وسورة الصافات، ١٥/٣٧.
[٣] ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلّمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ (سورة النحل، ١٠٣/١٦).
[٤] ع: رواه.
[٥] ن: واحد.
[٦] ع: رواه.
[٧] جميع النسخ: وقولهم.
[٨] ع: فا.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر م: لكان.
[١١] جميع النسخ: ويشاهدونه.
[١٢] ن: أوقات.
[١٣] ر ن م: وتعلمه.
[١٤] ر م: فإذا.
[١٥] ر م: أنزل.

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٦]

قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، ليس بمختلَق منه ولا مفترى. ثم قوله: **يعلم السر في السماوات والأرض**، أي يعلم الأعمال الخفية والسِرِيّة من أهل السماوات والأرض، أي يعلم الكوامن التي في السماوات والأرض وخفِيّاتهما. وقال بعضهم: قوله: **قل أنزله الذي يعلم السر**،[١] أي **قل** لهم يا محمد:[٢] **أنزله**، أي[٣] هذا القرآن **الذي يعلم السر**، وذلك[٤] أنهم[٥] قالوا بمكة سرا: هَلْ هٰذَا[٦] إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[٧] بَلْ هُوَ شَاعِرٌ،[٨] أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ. ففي ذلك دلالة إثبات رسالته، لأنهم قالوا سرا فيما بينهم ثم أخبرهم بذلك، [فـ]دل أنه بالله عرف ذلك.

وقوله:[٩] **إنه كان غفورا رحيما**، في تأخير العذاب عنهم، **رحيما** حين لا يعجّل عليهم بالعقوبة إذا تابوا ورجعوا عن التكذيب إلى التصديق على[١٠] ما ذكرنا. وقوله: **إنه كان غفورا رحيما**،[١١] يحتمل قوله: **غفورا رحيما**، إذا تابوا عن ذلك وآمنوا به ورجعوا إلى الحق. أو غفور رحيم لا يعجل بالعقوبة، أي برحمته وفضله لا يعجل بعقوبتهم لعلهم يتوبون.*

قال أبو معاذ: الأساطير الأحاديث، واحدها أسطورة كأرجوزة وأراجيز وأحدوثة وأحاديث وأعجوبة وأعاجيب. وفي حرف حفصة: وهي تُمَلّ[١٣] عليه، وهما لغتان، وفي سورة البقرة: أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ.[١٤]

---

[١] م – في السماوات والأرض أي يعلم الأعمال الخفية والسرية من أهل السماوات والأرض أي يعلم الكوامن التي في السماوات والأرض وخفياتهما وقال بعضهم قوله قل أنزله الذي يعلم السر.

[٢] ع – يا محمد.

[٣] ع + في.

[٤] ن: ذلك.

[٥] ع: أنه.

[٦] جميع النسخ: ما هذا.

[٧] ﴿وأسرّوا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحرَ وأنتم تبصرون﴾ (سورة الأنبياء، ٣/٢١). هذا القول منسوب في القرآن إلى قوم نوح. وفي سورة المدثر (٢٣/٧٤-٢٥) ذُكر حكايةً عن الوليد بن المغيرة: «ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثَر إن هذا إلا قول البشر.» انظر: *تفسير الطبري*، ١٥٧/٢٩.

[٨] ر ن م: بل هو ساحر؛ ع – بل هو شاعر. ﴿بل قالوا أضغاثُ أحلامٍ بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ (سورة الأنبياء، ٥/٢١).

[٩] ن: قوله.

[١٠] ع: إلى.

[١١] ر ع م + في تأخير العذاب.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٣و/سطر ٢٢-٢٦.

[١٣] ر ع م: تملى. انظر: *معجم القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣٩٤/٣.

[١٤] سورة البقرة، ٢٨٢/٢.

﴿وَقَالُوا مَالِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [٧]

وقوله:[١] **وقالوا ماهٰذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.** كان الكفرة يطعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيئين. أحدهما أنه من البشر، بقولهم:[٢] هَلْ هٰذَا[٣] إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ [وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ]،[٤] و إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا.[٥] كانوا لا يرون أن يكون من البشر رسول، كقوله: وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ،[٦] الآية، وقولهم: **لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا**، ونحو ذلك. والثاني كانوا يطعنونه[٧] بالفقر والحاجة وصِفارة اليد حيث قالوا: أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ [يَأْكُلُ مِنْهَا]،[٨] وحيث قالوا: **يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.** كأنهم ينكرون الرسالة في الفقراء وذوي الحاجة ويرونها في ذوي الملك والأموال، ولذلك قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[٩] فعلى ذلك قولهم: **يأكل الطعام** كما يأكل الفقراء[١٠] **ويمشي في الأسواق** في حوائجه كما يمشي الفقراء، ولو كان رسولا لكان ملِكا غنيا يأكل طعام الملوك ولا يقع[١١] له الحاجة إلى أن يمشي في الأسواق في حوائجه.[١٢] فأجاب لهم في طعنهم فيه أنه بشر مثلهم وإنكارهم[١٣] الرسالة في البشر بوجوه. أحدها قوله: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ، قال: وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ،[١٤] الآية، معناه -والله أعلم- أنه لا يُنزل الملك إلا بالعذاب، فلو أُنزل لأنزل بالعذاب فأُهلكوا.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ر م: بقوله.

[٣] جميع النسخ: ما هذا.

[٤] سورة الأنبياء، ٣/٢١.

[٥] ﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدُّونا عما كان يعبد آباؤنا﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١٠). هذا القول منسوب في القرآن الكريم إلى الأقوام الماضية.

[٦] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٨).

[٧] ر م: يطعنون.

[٨] الآية التالية.

[٩] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.

[١٠] ع - كما يأكل الفقراء.

[١١] ر م: لا يقع.

[١٢] ن: في حوائجه في الأسواق.

[١٣] ع: وإنكار لهم.

[١٤] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٨).

والثاني ما قال: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا،[1] تأويله -والله أعلم- أنه لم يجعل في وسع [٥٣٣ظ] البشر رؤيةَ الملك على صورته وعلى ما هو عليه، / إذ جنس هذا غير جنس أولئك، وجوهرهم غير جوهر أولئك. ولو جعلناه[2] هكذا كنا لبَسنا عليهم[3] ما كان يلبس أولئك القادة على الأتباع، كقوله:[4] إنه ساحر،[5] وإنه كذاب،[6] وإنه مجنون،[7] فكان في ذلك تلبيس عليهم.

والثالث ما قال: قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ،[8] الآية، أي لو كان أهل الأرض ملائكة لكنا أنزلنا عليهم بالرسول ملَكا من جنسهم وجوهرهم، لأنهم أعرف به وأظهر صدقا عندهم ممن هو من غير جوهرهم وجنسهم. فإذا كان أهل الأرض بشرا فالرسول إذن[9] كان منهم، فهم[10] أعرف به، وصدقه[11] أظهر عندهم، وقلوبهم إليه أميَل إلى مَن هو مِن غير جنسهم.

وأجاب لطعنهم في أكله ومشيه في الأسواق حيث قال: وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ،[12] في حوائجهم، أي غيره من الرسل الذين تؤمنون أنتم بهم كانوا فقراء يأكلون الطعام ويمشون في حوائج أنفسهم، ثم لم يمنع ذلك عن أن يكونوا موضعا لرسالته، فعلى ذلك محمد. والفقير وذو[13] الحاجة أحق أن يكون موضعا لرسالته من الغني الْمُثْرِي، لأن الناس يتبعون الغني ومَن له الملك والثروة، فلو كان الرسول غنيا مُثريا ملَكا لكان لا يظهر متبع الحق من غيره، وإذا كان فقيرا محتاجا لظهر ذلك، اللهم إلا أن يكون مُلكا هو آية الرسالة نحو مُلك سليمان وداود، وذلك لنفسه آية لرسالته على ما قال: وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي.[14] **والله أعلم.**

---

[1] ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولَلَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٩).
[2] ن: جعلنا.
[3] ر ع م – عليهم.
[4] ر ع م: لقولهم.
[5] انظر: سورة يونس، ١٠/٢؛ وسورة ص، ٣٨/٤.
[6] الآيات المتعلقة بتكذيب المشركين رسول الله كثيرة، وفي هذه الآية تصريح به: سورة ص، ٣٨/٤.
[7] انظر مثلا: سورة الحجر، ١٥/٦؛ وسورة الصافات، ٣٧/٣٦.
[8] ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٩٥).
[9] جميع النسخ: إذا.
[10] م – فهم.
[11] ر ع: وأصدقه.
[12] سورة الفرقان ٢٥/٢٠.
[13] ع: والفقر وذي.
[14] ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ (سورة ص، ٣٨/٣٥).

وقوله: **لولا أُنزل إليه ملك فيكونَ معه نذيرا**، كأنهم قالوا ذلك لما نزل قوله: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا،[1] قالوا عند ذلك: **لولا أنزل إليه ملك**، الآية.

﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾[٨]

وقالوا: **أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها**، عند سماع قوله: اَلَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[2] أي قالوا: لو كان محمد رسول مَن له ملك السماوات والأرض ونذيرا للعالمين على ما يقول لكان أُنزل معه ملك[3] نذير، أو لكان أُعْطِي هو[4] كنزا، أي مالا، **أو تكونُ له جنة يأكل منها**، على ما يكون لرسل ملوك الأرض. لكن الجواب لهم ما ذكر:[5] تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،[6] الآية، أي لو شاء أعطاك خيرا مما يقولون من البستان والقصور على ما أعطى غيرك، لكن ليس فيما[7] منع مَنْقَصةٌ لك ولا فيما أعطاهم[8] فضيلة.

وقوله:[9] **وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا**، لا تزال عادتهم بنسبة الرسول إلى السحر والجنون والكذب.

﴿اُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[٩]

وقوله:[10] **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا**، فتأويله -والله أعلم- أي انظر إلى سفههم أن كيف ضربوا لك الأمثال وشبّهوك بها؛ نسبوك[11] مرة إلى السحر وقالوا: إنك ساحر،

---

[1] سورة الفرقان ١/٢٥.
[2] سورة الفرقان ٢/٢٥.
[3] ر ع م: ملكا.
[4] ع: به.
[5] ن: ذكرنا.
[6] سورة الفرقان ١٠/٢٥.
[7] ع: فيها.
[8] ع: أعطى هم.
[9] ن: قوله.
[10] ن: قوله.
[11] م: ونسبوك.

ومرة إلى الجنون وقالوا: إنك مجنون، ومرة إلى الشعر وقالوا:[١] إنك شاعر، ومرة إلى الكذب حيث قالوا: بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ،[٢] ونحو هذا مما كانوا ينسبونه إليه. فيقول -والله أعلم- انظر إلى سفههم أن **كيف ضربوا لك الأمثال**، ونسبوك إلى ما ذكروا، على[٣] علم منهم أنك لست كذلك ولا على ذلك، وأنك على الحق وهم على باطل وكذب. أو أن يكون قوله: **انظر كيف ضربوا لك الأمثال** ما قالوا: لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا،[٤] وأمثال ما سألوا.[٥] فيقولون: لو كان ما يقول إنه رسول لكان ذلك له أعلام الرسالة وأمارات صدقه؛ فيخبر أن الأعلام والآيات ليست تأتي على شهوات سؤال المعاندين وأمانيّهم، ولكن إنما تجيء على ما توجبه الحكمة مما يدل على صدق ما ادّعى ويظهر كَذِب من عاند وتولى. وقد آتاهم بحمد الله بحجج[٦] وبراهين ما أظهر لهم صدق ما ادّعى من الرسالة والنبوة لكنهم عاندوها وكابروا فلم يقروا بها خوفا أن يذهب عنهم رياستهم.

وقوله: **فضلّوا**، لا شك أنهم قد ضلوا عن[٧] الهدى، أو[٨] ضلوا، أي عدلوا[٩] بضربهم الأمثال له[١٠] ونسبتهم إياه إلى ما نسبوه إليه، **فلا يستطيعون سبيلا**، إلى الهدى[١١] أو إلى ما سألوا[١٢] من الأشياء. وفي حرف حفصة: فلا يهتدون[١٣] سبيلا.[١٤] وقال بعضهم: **فلا يستطيعون** مخرجا من الأمثال التي ضربوها لك.[١٥] *والله أعلم*.

---

١ ر ع م - وقالوا.
٢ ﴿أَأُلْقِيَ الذكرُ عليه من بيننا بل هو كذاب أشر﴾ (سورة القمر، ٢٥/٥٤).
٣ جميع النسخ: وعلى.
٤ سورة الفرقان ٧/٢٥-٨.
٥ ن ع: ما سألوه.
٦ ع: آتاهم محمد صلوات الله عليه وسلامه بحجج.
٧ ن: من؛ ع: على.
٨ ر ن ع: أي.
٩ ر: عدلو.
١٠ م - له.
١١ ع - الهدى.
١٢ ن: سألواه؛ ع: سألوه.
١٣ ع: يستطيعون.
١٤ لم أجد هذا الحرف في *كتاب المصاحف* لابن أبي داود.
١٥ وهو قول مجاهد، انظر: *تفسير الطبري*، ١٨٥/١٨.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾[١٠]

وقوله:[١] **تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك**، قد ذكرنا أنه خرج جواب ما سألوه من الأشياء من الملك والكنز والجنة وأنواع الطعن الذي طعنوه، أي لو شاء لأعطاك خيرا من ذلك. ثم أخبر أن الذي حملهم على ذلك السؤال وأنواع الطعن فيه هو تكذيبهم بالساعة حيث قال:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[١١]

بل كذبوا بالساعة، حيث[٢] لم يروا لأمورهم عاقبة ينتهون إليها [و] يثابون عليها[٣] أو يعاقبون. ثم أخبر ما أعد لهم بتكذيبهم الساعة فقال: **وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا**، ثم وصف ذلك السعير فقال:

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[١٢]

إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا، وقوله: **رأتهم من مكان بعيد**، يحتمل وجهين.
أحدهما يجعل لها[٤] أسبابا تراهم كما يرونها. و[الثاني] إذا[٥] صاروا في مكان بحيث / يرونها كأنها[٦] رأتهم. [٥٣٤و]
*وقال القُتَبِي: **تغيظا وزفيرا**، أي **تغيظا** عليهم، كذلك قال المفسرون. وقال بعضهم: [٥٣٤و س٢٧
بل يسمعون فيها تغيُّظ المعذَّبين وزفيرهم واعتبروا ذلك بقول الله تعالى: لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ،[٧] واعتبره الأولون بقوله: تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ،[٨] هذا أشبه التفسيرين[٩] إن شاء الله، لأنه قال: **سمعوا لها** و لم يقل: سمعوا فيها، ولا [سمعوا] منها، وقال: [دعوا هنالك] ثُبُورًا،[١٠] أي بالْهَلَكَة كما يقول القائل: وا هلاكاه![١١] *والله أعلم*.* ٥٣٤و س٣١]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ع - حيث.
[٣] ع: إليها.
[٤] ع: هما + لما.
[٥] ع: أو إذا.
[٦] ع: كأنهم.
[٧] سورة هود، ١٠٦/١١.
[٨] سورة الملك، ٨/٦٧.
[٩] ع: المفسرين.
[١٠] من الآية التالية.
[١١] م: وا هلاكا. تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٠.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٤و /سطر ٢٧-٣١.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[١٣]

وقوله: **وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا**، قيل: إن النار تَرفَع[1] وتُعلي[2] لهبَها ويَرِد[3] مَنْ كان في أعلاها[4] إلى أسفلها ويرِد من كان[5] في أسفلها إلى أعلاها فيجمعهم جميعا فيَضيق عليهم المكانُ ويشتدّ بهم العذاب، [و]كلما ضاق عليهم المكان كان العذاب لهم أشد.

وقوله:[6] **مُقَرَّنِين**، قال بعضهم: مُقيَّدين بعضهم ببعض، ثم قال بعضهم: الشيطان يُقَرَّن ويُقيد، كلٌ بشيطانه الذي دعاه إلى ما دعاه واتبعه، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا،[7] الآية. وقال بعضهم: يقرَّن العابد والمعبود من دون الله وهو الأصنام التي عبدوها، كقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا،[8] الآية.

[٥٣٤و س١٩ *وقال بعضهم في قوله: **وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مُقَرَّنين**، في السلاسل، وذلك أنهم إذا ألقوا فيها تضايَقُ عليهم كتضايق الزُّج[9] في الرمح، فالأسفَلون يرفعهم اللهب والأعلَون يُخفِضهم اللهب فيزدحمون في تلك الأبواب الضيقة فتضايَقُ[10] عليهم، فعند ذلك يدعون بالثبور يقولون: يا ثُبوراه ويا ويلاه! وروى مثله عن عبد الله بن عمر وكان[11] يقول: إن جهنم لتَضيق[12]
٥٣٤و س٢٣] على الكافر كضيق الزُّج[13] في الرمح.*

---

[1] ر ع م: يرفع.
[2] جميع النسخ: ويعلا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٦ظ.
[3] ر ع م: وترد.
[4] جميع النسخ: من مكان من أعلاها.
[5] ن: من مكان.
[6] ن: قوله.
[7] ﴿ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانا فهو له قرين﴾ (سورة الزخرف، ٣٦/٤٣).
[8] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣).
[9] ع: الزوج. الزج: الحديدة في أسفل الرمح.
[10] ر م: فضايق؛ ن ع: تضايق.
[11] ع: كان.
[12] ع: لجهنم لتضييق.
[13] ع: الزوج.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٤و /سطر ١٩-٢٣.

*وقوله: **دَعوا هنالك ثبورا**، يقول: ويلا وهلاكا! قال الله تعالى: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا [٥٣٤ظ س٢٣
وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا.[1] ثم قيل عند ذلك:[2] [قُلْ] أَذَٰلِكَ خَيْرٌ، يعني الذي ذكر، أَمْ جَنَّةُ
الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً، لأعمالهم، وَمَصِيرًا،[3] أي منزلا. قال أبو عَوْسَجَة:
التغيّظ من الغيظ، والزفير الشهيق يكون في الحلق؛[4] وشهَق يشهَق شهيقا وشَهْقا وهو نفَس
في الحلق شديد له صوت. وقال: **ثبورا**، أي هلاكا، وصَرْفُه ثَبَر يثبُر ثَبْرا وثُبورا فهو ثبور.* ٥٣٤ظ س٢٧]

وقوله: **دعوا هنالك ثبورا**، أي هلاكا، والثبور الهلاك، كقوله: وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا،[6] أي هالكا. والثبور والويل هما حرفان يدعو[7] بهما[8] كل من كان في الهَلَكة والشدة فقال:

﴿**لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا**﴾[١٤]

لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا، أي لا تدعوا هلاكا واحدا كما يكون في الدنيا أن مَن هلك مرة لا يَهلك ثانيا.[9] وأما في النار فإن لأهلها هلَكاتٍ لا تُحصى، كقوله: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، أي أسباب الموت تأتيهم[10] من كل مكان، وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ،[11] وكقوله: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ،[12] الآية. وإنما يَسألون ويَدعون بالهلاك لِما يرجون من الهلاك النجاة من ذلك العذاب، وهكذا كل مَن ابتُلي ببلاء[13] شديد يتمنى[14] الهلاك والموت.

---

[1] الآية التالية.

[2] ر ع م – عند ذلك.

[3] سورة الفرقان، ١٥/٢٥.

[4] ر م: في الحلق.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٤و /سطر ٢٣-٢٧.

[6] ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا ربُّ السماوات والأرض بصائرَ وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ (سورة الإسراء، ١٠٢/١٧).

[7] ع: يدعوا.

[8] م: بها.

[9] ر: ثابتا.

[10] ن: يأتيهم.

[11] ﴿يتجَرَّعُه ولا يكاد يُسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾ (سورة إبراهيم، ١٧/١٤).

[12] ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم نارا كلما نَضِجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ (سورة النساء، ٥٦/٤).

[13] ع – ببلاء.

[14] ع: ويتمنى.

﴿قُلْ أَذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾[١٥]

وقوله: **قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون**، يُشبه أن يكون قال هذا لقولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا،[١] فيقول: **أذلك** الذي سألتموه أنتم **خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون**: أو [قد] يكون قال ذلك لهم لَمَّا رأوا لأنفسهم الفضل والمنزلة في الدنيا لِمَا وُسّع عليهم الدنيا وأُعْطُوا من حُطامها فقال: **أذلك** الذي أُعطِيتُمْ في الدنيا من السعة خير أم جنة الخلد التي أُعطي[٢] المتقون. ***والله أعلم***.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾[١٦]

وقوله: **لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا**، يحتمل قوله: **وعدا مسئولا** مما[٣] سألَتْه لهم الملائكة، كقوله: رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ،[٤] الآية. أو [يحتمل] سؤالَ[٥] الرسل، كقوله: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ [وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ]،[٦] الآية. أو **وعدا مسئولا** مما سألوا هم[٧] ربّهم فوعد[٨] لهم ذلك. فهذا يدل أنهم إنما يدخلون الجنة بالسؤال والتشفع لهم والتضرع، لا أنهم[٩] يستوجبون ذلك بأعمالهم.*

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾[١٧]

وقوله: **ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل**، اختلف فيه. قال بعضهم: يَحشر أولئك الذين عبدوا دون الله والمعبودين وهم الملائكة،

---

[١] سورة الفرقان ٢٥/٧-٨.

[٢] ع: عطي.

[٣] ع: فما.

[٤] ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨.

[٥] ع: وسؤال.

[٦] سورة آل عمران، ٣/١٩٤.

[٧] جميع النسخ: سألوهم.

[٨] ر: ووعد.

[٩] ع: لأنهم.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٢ و ١٣ فنقلناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٣٤و /سطر ١٩-٣١.

لأن مِن العرب مَن قد عبدوا الملائكة، كقوله في آية أخرى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ،[1] الآية. وقال بعضهم: هو عيسى، يَحشر بينه وبين مَن عبدوه، لأنه قد عُبِد دون الله فيقول له ما ذَكَر، كقوله: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى[2] ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ،[3] الآية. وقال بعضهم: يَحشر الأصنام ومَن عبدها[4] ثم يأذن لها في الكلام فيقول: **أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل**، كقوله: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ[5] لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ، إلى قوله: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ.[6] ولو كان عيسى عليه السلام أو الملائكة لكانوا[7] عالمين بعبادتهم إياهم غير غافلين، دل[8] ذلك أنها الأصنام التي عبدوها / دون الله وإياها يسألون، [٥٣٤ظ] وكل ذلك محتمل، إذ قد كان منهم ذلك كله. *والله أعلم*.

وقوله: **فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل**، والله عز وجل: كان عالما بما[9] كان منهم، لكن السؤال إياهم -والله أعلم- يخرج مخرج توبيخ أولئك الكفرة وتعييرهم، لأنهم يعبدون مَن ذكر مِن دون الله ويقولون هم أمروهم بذلك، وكانوا مقبولي القول عندهم صادقين فيما[10] يخبرون ويقولون، فأراد أن يظهر كذبهم عند الخلائق لذلك سألهم؛[11] والله أعلم[12] بالكائن منهم من أنفسهم لكنه يخرج[13] على ما ذكرنا.

---

[1] ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٤٠-٤١).
[2] ع - يحشر بينه وبين من عبدوه لأنه قد عبد دون الله فيقول له ما ذكر كقوله وإذ قال الله يا عيسى.
[3] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ (سورة المائدة، ٥/١١٦).
[4] ع: عبدوها.
[5] ن - للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون [إلى قوله] كقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول، صح هـ.
[6] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٨-٢٩).
[7] ع: كانوا.
[8] ن - دل.
[9] ر م: لما.
[10] ن: فما.
[11] ع - سألهم.
[12] ن + وإلا كان أعلم.
[13] ع: مخرج.

ثم نزهوه عن جميع ما لا يليق به وبرءوا أنفسهم عن أن يكون[1] منهم أمر أو شيء مما نسبوا أولئك إليهم وهو أعلم بهم فقالوا:

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾[١٨]

سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء، قال أهل التأويل: أولياءَ، أي أربابا، وهم لم يتخذوا أربابا من دونه، لكنه عندنا يخرج على وجهين. أحدهما ما كان ينبغي لنا أن نتخذ[2] من دون[3] أوليائك[4] أولياء، وهم[5] المؤمنون. أو أن يكون: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دون ولايتك ولاية سواك. وفي بعض القراءات: أن نُتَّخذ من دونك أولياء برفع النون، لكن أهل الأدب يقولون: هو خطأ.[6]

وقوله: **ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن آباءهم قد أمهِلوا ومتِّعوا في هذه الدنيا حتى ماتوا على ذلك من غير أن أصابهم شيء مما أُوعِدوا في كتابهم أو ما أَوعدهم الرسل من العذاب والهلاك على ما اختاروا من الدين وصنيعهم، فظنوا أنهم على حق من ذلك حيث لم يصبهم من المواعيد المذكورة في كتابهم ما أَوعدهم رسلهم بشيء. فعلى هذا التأويل الذكر الذي إنهم نسوه هو كتابهم أو ما أوعدهم[7] رسلهم.[8] والله أعلم. فإن كان على هذا فالآية في أهل الكتاب منهم. ويحتمل أن تكون[9] الآية في الفراعنة والقادَة من هؤلاء الكفرة، مُتِّعوا في هذه الدنيا بأموال[10] ورياسة[11] ووُسِّع عليهم المعيشة

---

[1] ن: كان.

[2] ر م + من دونك من أولياء قال أهل التأويل أولياء أي أربابا وهم لم يتخذوا أربابا من دونه لكنه عندنا يخرج على وجهين أحدهما ما كان ينبغي لنا أن نتخذ.

[3] ر م: من دونه.

[4] ر ع م – أوليائك.

[5] ر م: أولياء هم؛ ع: أولياؤهم.

[6] ر ع م: خطاء.

[7] ن: ما ذكر لهم.

[8] ع + بشيء.

[9] جميع النسخ: أن يكون.

[10] ر ع م: بأحوال.

[11] ع: رياسة.

حتى دعوا[١] الناس وأتباعهم إلى ما هم عليه من التكذيب برسوله وما أنزل عليه، فأُجيبوا بالأموال التي[٢] عندهم فَنَسُوا ما في القرآن من الوعيد.

وكانوا قوما بورا، يحتمل قوله: **كانوا**، أي صاروا **قوما بورا**. ويحتمل أن كانوا عند الله **قوما بورا**،[٣] والبور قال بعضهم: الهلاك، وقال بعضهم:[٤] البور الفساد.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[١٩]

وقوله: **فقد كذبوكم**، أي فقد كذبكم أولئك المعبودون بما تقولون: إنهم أمرونا بذلك، وكانوا عندهم صدقة.

وقوله:[٥] **فما يستطيعون صرفا ولا نصرا**، هذا يحتمل وجوها. أحدها، أي[٦] ما[٧] يستطيع أولئك الكفرة صرفَ قول مَن عبدوهم[٨] وتكذيبِهم حين كذبوهم في[٩] قوله. **ولا نصرا**، أي ولا استطاعوا الانتصار منهم حين كذبوهم. وعلى ذلك يخرج قراءة من قرأ بالتاء: **فما تستطيعون صرفا ولا نصرا**. و[الثاني] يحتمل فما يستطيعون أولئك المعبودون صرفَ عذاب الله ونِقمتِه عنهم[١٠] ولا كانوا لهم نصراء[١١] لأنهم قالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[١٢] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[١٣] والثالث **فما يستطيعون صرفا**، أي فداء[١٤] **ولا نصرا**، أي ولا ناصرا،[١٥]

---

[١] ر: دعو.
[٢] ر ع م - التي.
[٣] ر ع م - يحتمل قوله كانوا أي صاروا قوما بورا ويحتمل أن كانوا عند الله قوما بورا.
[٤] ع - وقال بعضهم.
[٥] ن: قوله.
[٦] م - أي.
[٧] ر: فما.
[٨] جميع النسخ: عبدوه.
[٩] ر ع م - في.
[١٠] جميع النسخ: عنكم.
[١١] ر ع: نصرا.
[١٢] سورة يونس، ١٠/١٨.
[١٣] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[١٤] ع: فدا.
[١٥] ر م: ولا نصرا.

أي لا يقبل منهم الفداء ولا كان لهم ناصر ينصرهم في دفع العذاب عنهم، كقوله: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ.[1]

وقال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: قال بعضهم: الصرف الحيلة من قولهم: [إنه] لَيَتَصَرَّف[2] [أي يحتال].[3] وقال بعضهم: الصرف النافلة، سميت صرفا لأنها زيادة على الواجب، والعدل الفريضة. وقد روي في الخبر:[4] من طلب صرف الحديث ليبتغي به إقبال وجوه الناس لم يَرَح رائحة الجنة،[5] أي من طلب تحسينه بالزيادة فيه. وقال بعضهم: الصرف الدِّية، والعدل رجلٌ مثلُه؛ كأنه يريد لا يُقبل منه أن يفتدى برجل مثله وعدله ولا يصرف عن نفسه بدِيَة.[6] ومنه قيل: صَيرفي،[7] وصرفت[8] الدراهم بالدنانير، لأنك تصرف هذا إلى هذا، وأصله ما ذكرنا.

قال القُتَبِي وأبو عبيدة: **قوما بورا**، أي هَلكَى وهو من بارَ يبور إذا هلك وبطَل، يقال: بار الطعام إذا كسد، وبارت الأيم إذا لم يُرغب فيها.[9] وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من بوار الأيم.[10] قال أبو عبيدة: يقال:[11] رجل بُور وقوم بُور، لا يُثنَّى ولا يجمع.[12]

---

[1] ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ (سورة البقرة، ١٢٣/٢).

[2] جميع النسخ: لينصرف؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٧ظ. «والصرف: التقلّب والحيلة. يقال: فلان يصرف ويتصرف ويصطرف لعياله: أي يكتسب لهم» (*لسان العرب*، «صرف»).

[3] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣١١.

[4] م – في الخبر.

[5] لم أعثر على خبر بهذا اللفظ، إلا أنه ورد في سنن *ابن ماجة* (المقدمة ٤٥): «مَن طلب العلمَ ليُمَارِي به السفَهاءَ أو ليُبَاهِي به العلماءَ أو ليَصرِف وجوهَ الناس إليه فهو في النّار.» وفي حديث أبي إدريس الخَوْلانيّ «من طَلَب صَرْف الحديث يبتغي به إقْبال وجوه الناس إليه...». أراد بصرْف الحديث ما يَتَكلَّفُه الإنسان من الزيادة فيه على قَدْر الحاجة. وإنما كَره ذلك لما يدْخله من الرياء والتصنُّع ولما يُخالطه من الكَذب والتَّزيُّد. يقال: فلان لا يُحسِن صَرْفَ الكلام: أي فَضْلَ بعضه على بَعْض. وهو من صَرْفِ الدَّراهم وتفاضلها. هكذا جاء في *كتاب الغريب* عن أبي إدريس (*النهاية* لابن الأثير، «صرف»).

[6] ن ع: بديته.

[7] ر ن: صارفي؛ ع م – صيرفي، صح. هـ.

[8] ر ع م: وصرف.

[9] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣١١.

[10] «نعوذ بالله من بَوَارِ الأيِّم»، أي كسادها، من بارت السُّوق إذا كسَدت. والأيِّم التي لا زَوْج لها وهي مع ذلك لا يَرْغَب فيها أحد (*النهاية* لابن الأثير، «بور»).

[11] ر م: فقال.

[12] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣١١.

وقال أبو عَوْسَجَة: **قوما بورا** لا خير فيهم، ورجل باثر. وكذلك قال أبو زيد: **بورا**، أي ليس فيهم من الخير شيء. وقال قتادة: **بورا** فاسدين بلغة أهل عُمّان. وقال: ما نسي قوم ذكر الله قط إلا باروا وفسدوا.

وقوله: **ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا**. أما على قول بعض الخوارج كل ظلم ارتكبه فهو في ذلك الوعيد على أصل مذهبهم. وعلى قول المعتزلة كل صاحب كبيرة في ذلك الوعيد. وأما على قول المسلمين[١] فذلك الوعيد لمرتكبي الظلم ظلمِ كفر وشرك. وأما ما دون ذلك فهو في مشيئة الله تعالى، / إن شاء عذبه وإن شاء عفى عنه. [٥٣٥و]

﴿وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[٢٠]

وقوله: **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق**، قد ذكرنا فيما تقدم أن هذا إنما أُخرِج[٢] جوابا لقول أولئك: مَالِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ،[٣] فأخبر أن الرسل الذين[٤] كانوا من قبل محمد كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق على ما يأكل هو ويمشي في الأسواق.[٥]

ثم من الناس مَن كرِه الركوب في الأسواق لهذا[٦] وقال: إنه أخبر عن الأنبياء والرسل جملة أنهم كانوا يمشون في الأسواق، لم يذكر منهم الركوب، فدل ذلك منهم أنه مكروه منهي. فيشبه أن يكون ما قال هؤلاء بإنه[٧] يكون مكروها لأنه يخرج الركوب في الأسواق مخرج التعزز[٨] والمباهات. فالواجب على كل مسلم أن يكون تعززه بالإسلام وبدينه الذي[٩] اختاره الله تعالى، وخاصة على[١٠] العلماء يجب أن يكون تعززهم وتباهيهم[١١] بالعلم الذي

---

[١] أي أهل السنة.
[٢] ن: خرج.
[٣] سورة الفرقان، ٢٥/٧.
[٤] ر م: الذي.
[٥] ر ع م - في الأسواق.
[٦] ر م: بهذا.
[٧] جميع النسخ: وإنه.
[٨] م: التقزز.
[٩] ع: التي.
[١٠] م - على.
[١١] ر ع م: وتباهتهم.

أعطاه الله[1] لهم وأكرمهم [به] فإنه عِزّ لا يَعْقُبه ذُلّ ولا يورث[2] صَغارا ولا قهرا. وأما كل عز كان سوى ما ذكرنا فهو إلى ذُلّ مّا يصير سريعا كأنه ليس بعز في الحقيقة لو[3] تُؤمِّل.[4] *والله أعلم*.

وقوله: **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة**، الفتنة كأنها هي المحنة التي فيها شدة وبلاء. ثم قال بعض[5] أهل التأويل: إنه لما[6] أسلم عبد الله وأبو ذَرّ وعمّار وبلال وصُهَيب وأمثال هؤلاء قالت[7] الفراعنة من قريش نحو أبي جهل والوليد وأمثالهما: انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا، [الذين] اتبعوه [هم] من موالينا وأعرابنا: رُذالَة كل قوم؛ فازْدَرَوْهم وآذَوْهم واستهزءُوا بهم، فأنزل الله هذه الآية لهؤلاء الفقراء[8] الذين اتبعوا رسول الله ليُصبّرهم على أذاهم فقال: [**وجعلنا بعضكم لبعض**] **فتنة أتصبرون**، أي اصبروا، على [معنى] الأمر، هذا محتمل. وقال الحسن: قوله: **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة**، جعل أهلَ البلوى فتنةً لغيرهم وغير أهل البلوى فتنةً لأهل البلوى؛[9] يقول الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان، ويقول الفقير: لو شاء الله لجعلني غنيا مثل فلان، وكذلك يقول[10] السقيم: لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان. لكنه أعطى لأهل البلوى البلوى وأمرهم بالصبر عليه، وأعطى لأهل النعمة النعمةَ وأمرهم بالشكر عليها.

وجائز أن يكون غير هذا، وهو قريب من هذا، وذلك أنه أعطى بعضا النعمة والسعة وجعل بعضهم أهل ضِيق وشدة. ثم جعل كل فريق محتاجا إلى الفريق الآخر، جعل الغني والْمُثْرِي محتاجا إلى الفقير في بعض أموره، والفقير محتاجا إلى الغني لغناه، وجعل لبعض على بعض مؤنة ما لولا فقر الفقير لم يعرف الغني قدر غناه ولا الفقير قدر فقره ولا قام بعض بكفاية مؤنة بعض. ثم أمر كلا بالصبر على تحمل مؤنة الآخر بقوله: **أتصبرون**، أي اصبروا،[11] على الأمر يخرج وإن كان ظاهره استفهاما وسؤالا. *والله أعلم*.

---

[1] م – الله.
[2] جميع النسخ: ولا يورثه.
[3] ر ع م: ولو.
[4] جميع النسخ: تأمل.
[5] ر ع م – بعض.
[6] ع: إنما.
[7] ر ع م: قال.
[8] م – الفقراء.
[9] ر ع م – فتنة لأهل البلوى.
[10] ع + يقول.
[11] ع: إنما صبروا.

وقوله:[١] **وكان ربك بصيرا**، أي على بصر وعلم جعل بعضا فتنة لبعض ليس على سهو وغفلة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[٢١]

وقوله:[٢] **وقال الذين لا يرجون لقاءنا**، قال أهل التأويل: لا يرجون، أي لا يخافون ولا يخشون لقاءنا، أي البعث بعد الموت. وقال أهل الكلام: الرَّجاء هو الرجاء لا الخوف،[٣] لكنْ جائز أن يكون في الرجاء خوف وفي الخوف رجاء، لأن الرجاء الذي لا خوفَ فيه هو[٤] أمْن، والخوف الذي لا رجاء فيه إياس، فكلاهما مذمومان: الإياس والأمن جميعا.

وقوله: **لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا**، جائز أن يكون قولهم: **لو لا أنزل علينا الملائكة**، رسلا دون أن[٥] أُنزل البشر رسلا إلينا، لإنكارهم البشر رسولا، كقولهم: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ.[٦] ويحتمل قولهم: **لو لا أنزل علينا الملائكة**، بالوحي والرسالة لنا دونك، ونحن الرؤساء والملوك والقادة دونك. يقولون: لو كان ما تقول حقا وصدقا إنك رسول وإنه ينزل عليك الوحي والملك[٧] فنحن أولى بالرسالة منك، إذ نحن الملوك والرؤساء، كقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[٨] وأمثال هذا، لإنكارهم الرسالة لمن هو دونهم في الدنياوية. أو أن يكون ذلك كقولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا،[٩] ويكون له شاهدًا[١٠] أنه رسول. [وقوله:] **أو نرى ربنا**، عيانا ونكلمه[١١] ونسأله عن ذلك. ***والله أعلم***.

وقوله: **لقد استكبروا في أنفسهم**، الاستكبار هو أن لا يرى غيره مِثلا له[١٢] ولا عَدْلا

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن: قوله.
[٣] ع: لأن الخوف.
[٤] م – هو.
[٥] ع – أن.
[٦] ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٢٤).
[٧] ع: والملوك.
[٨] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.
[٩] سورة الفرقان، ٢٥/٧.
[١٠] ر ع م: ويكون له شاهد؛ ن: أو يكون له شاهد.
[١١] م: نكلمه.
[١٢] ع: لها.

ولا شَكْلا في نفسه وأمره.[1] فإن كان هذا فهو لما[2] لم يروا رسول الله أهلا للرسالة[3] وموضعا لها لِصَفَر[4] يدِه وحاجته ورأوا أنفسهم أهلا لها. فاستكبارهم هو ما لم يروا غيره مثلا ولا شكلا[5] لأنفسهم فاستكبروا. أو استكبروا[6] ولم يخضعوا لرسول[7] الله ولم يطيعوه ولم يتبعوه أنَفًا منه[8] بعد علمهم أنه محق لذلك وأنه رسول إليهم.

وقوله:[9] **وعَتَوْا عُتُوًّا كبيرا**، قال بعضهم: العُتوَ هو الجرأة، وهو[10] أشد من الاستكبار.

[٥٣٥ظ] وقال بعضهم: العُتوَ هو[11] الغلو في القول غلوا شديدا. وقال بعضهم: / هو من التكبر.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾[٢٢]

وقوله:[12] **يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا**، قال الحسن: **حجرا محجورا**، كلمة من كلام العرب، إذا كره أحدهم الشيء قال: حِجْرًا حَرَامٌ هذا. فإذا رأوا الملائكة كرهوهم[13] وقالوا:[14] حجرا محجورا، فعلى هذا القولِ الكفرةُ هم يقولون: حجرا محجورا، إذا رأوا الملائكة وما معهم[15] من المواعيد.[16]

---

[1] م – وأمره.

[2] جميع النسخ: ما.

[3] ع – له.

[4] ع: الصغر. يقال: صَفِر الإناء من الطعام والشراب يَصْفَر صَفِيرًا وصُفُورًا: أي خلا، فهو صَفِر. ورجل صِفْرُ اليدين، أي ليس عنده مال ولا متاع (*لسان العرب*، «صفر»).

[5] ر م: ولا أشكالا.

[6] ر ع م – أو استكبروا.

[7] ع: الرسول.

[8] أي كرها من النبي.

[9] ن: قوله.

[10] ن: وهي.

[11] ر ع م: هي.

[12] ن: قوله.

[13] جميع النسخ: كرهنهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٨و.

[14] ر ع م: وقال.

[15] ع – وما معهم.

[16] قال الأزهري: أما ما قاله الليث من تفسير قوله تعالى: ﴿ويقولون حجرًا محجورًا﴾، إنه من قول المشركين للملائكة يوم القيامة، فإن أهل التفسير الذين يُعتمدون مثل ابن عباس وأصحابه فسّروه على غير ما فسره الليث. قال ابن عباس: هذا كله من قول الملائكة، قالوا للمشركين: ﴿حجرًا محجورًا﴾، أي حُجِرَتْ عليكم البُشْرَى فلا تُبَشَّرُون بخير (*لسان العرب*، «حجر»).

وقال[1] بعضهم: إن الملائكة يتلقّون المؤمنين بالبشرى على أبواب الجنة ويقولون للكفرة: لا بشرى لكم **ويقولون حجرا محجورا**، أي تقول[2] الملائكة: حرامٌ البشري للمجرمين، أو حرام عليهم الجنة أن يدخلوها. والحِجْر على هذا القول هو الحرام. وقال بعضهم: الحجر ههنا هو[3] المنع والحَظْر يقولون:[4] إنهم يمنعون ويُحظَرون عما طمِعوا وقصدوا بعبادتهم الملائكة والأصنامَ التي عبدوها حيث قالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[5] و مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[6] فيقول: يُمنع عنهم ما قصدوا وطمِعوا بعبادتهم. أو يكون المنع ثواب الخيرات التي عملوها في هذه الدنيا من صلة الأرحام والصدقات ونحوها مما هي في الظاهر خيرات مُنعوا ثوابها في الآخرة، كقوله: وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا،[7] وقوله: وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى،[8] ونحو ذلك، فقال: يمنعون عن ذلك[9] كله. ***والله أعلم***.

[٥٣٥ظ س١٥ *وقال بعضهم: قوله: **حجرا محجورا**، أي عَوَذًا مُعَاذًا، يقول: المجرمون يستعيذون من الملائكة. قال أبو عَوْسَجة: وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا،[10] هو من التكبر،[11] ويقال من الخلاف: عتا عِتِيا إذا خالف، يقال في الكلام: لا تَعْتُ عليّ، أي لا تخالفني. وقال بعضهم: هو من الشدة واليُبس كقوله: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا،[12] أي يابسا. وقال: **حجرا محجورا**، أي حراما محرّما. وحجَرتُ عليه مالَه، أي منعته من ماله،[13] أحجُر حِجرا. ويقال حجَرت عينَه،[14] أي لطَخت أجفانها بشيء من الدواء.* ٥٣٥ظ س١٩]

---

[1] ر ع م: قال.
[2] ع: يقولون؛ ن: يقول.
[3] م – هو.
[4] جميع النسخ: يقولون.
[5] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[6] ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
[7] ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٣٦).
[8] ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضَرّاءَ مسته ليقولَنّ هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ (سورة فصلت، ٤١/٥٠).
[9] ر ع م – فقال يمنعون عن ذلك.
[10] من الآية السابقة.
[11] ع: من التكبير.
[12] م + وقوله. ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ (سورة مريم، ١٩/٨).
[13] ع – ماله.
[14] ع: عيشه.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٥ظ/سطر ١٥–١٩.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[٢٣]

وقوله: **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**، هو ما ذكرنا من الأعمال التي[١] عملوها في هذه الدنيا رجاءَ أن يَصِلوا إليها في الآخرة. **فجعلناه هباء منثورا**، قال أهل التأويل: **وقدمنا**، أي عَمِدنا وقصدنا إلى ما عملوا من عمل، لكن عندنا أي[٢] جعلنا أعمالهم تلك في الأصل. **هباء منثورا**، قال بعضهم: منبثا وهو رَهْج[٣] الدواب. وقال بعضهم: الهباء المنثور هو[٤] غبار الثياب. وقال بعضهم: هو الغبار الذي يكون في شعاع الشمس، وهو[٥] الذي يسمّى الذَّر.*

وقوله: **هباء منثورا**، أي لا شيء، والهباء هباء النار، أي رمادا يكون على أعلى النار إذا[٧] خَمَدت. ويقال: هبَت النار تهبُو هَبْوا إذا خمدت والجمرة على حالها، إلا أنه قد غطّاه ذلك الهباء، وكل شيء ليس بشيء[٨] فهو هباء. وتقول: هذا هباء، أي لا شيء. ومنثور: قد نُثِر.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾[٢٤]

وقوله:[٩] **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**. وصف عز وجل أعمال الكفرة مرة بالهباء المنثور،[١٠] ومرة بالرماد،[١١] ومرة بالسراب،[١٢] ومرة بالتراب الذي يكون على الصفوان وهو الحجر الأملس إذا أصابه الوابل.[١٣] ووصف أعمال المؤمنين بالثبات

---

[١] ر ع م – التي.
[٢] ر ع م – أي.
[٣] الرهج: الغبار.
[٤] ر م: وهو.
[٥] ر ع م: هو.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية التالية برقم ٢٠، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٥ظ/سطر ١٥-١٩.
[٧] ع: وإذا.
[٨] ر ع م: لشيء.
[٩] ن: قوله.
[١٠] انظر: الآية السابقة.
[١١] ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالُهم كرَمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١٨).
[١٢] ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٢٤/٣٩).
[١٣] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاءَ الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صَلْدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦٤).

والقرار ونحوه.[١] وعن ابن مسعود رضي الله عنه [قال:] لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يَقِيل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة ثم قرأ: **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**. وكذلك ذُكِر في حرفه في سورة الصافات: ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ،[٢] قرأ هو [ثم][٣] إن مقيلهم لَإلى الجحيم.[٤] ويشبه أن يكون ذَكَر هذا لقولهم: أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا،[٥] أي لنا أموال وجِنان وليس له من ذلك شيء، فقال جوابا لهم: **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾[٢٥]

وقوله:[٦] **ويوم تَشَقَّقُ السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا**، وَصَف السماء لهول[٧] ذلك اليوم بأوصاف، وذكر لها أحوالا فقال في آية أخرى: وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ،[٨] إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[٩] إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،[١٠] وقال: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ،[١١] و يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ،[١٢] ونحو ذلك. وذلك في اختلاف الأوقات، تكون[١٣] في كل وقت على الحال التي وصف. وكذلك ما وصف الجبال[١٤] مرة بالهباء المنبثّ[١٥] ومرة كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[١٦] ومرة كَثِيبًا مَهِيلًا،[١٧] ومرة قال:

---

[١] يقول الله تعالى أيضا: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويُضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ (سورة إبراهيم، ٢٧/١٤).

[٢] سورة الصافات، ٦٨/٣٧.

[٣] ر م – ثم.

[٤] ر ن م + أي إلى الجحيم. *كتاب المصاحف* لابن أبي داود ٨٠.

[٥] سورة الفرقان، ٨/٢٥.

[٦] ن: قوله.

[٧] ع: الهول.

[٨] سورة التكوير، ١١/٨١.

[٩] سورة الانشقاق، ١/٨٤.

[١٠] سورة الانفطار، ١/٨٢.

[١١] ﴿يوم نطوي السماء كَطَيِّ السجلِ للكتب﴾ (سورة الأنبياء، ١٠٤/٢١).

[١٢] ﴿يوم تُبدَّل الأرض غيرَ الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٨/١٤).

[١٣] ر: يكون.

[١٤] ر م – الجبال.

[١٥] ﴿إذا رُجَّت الأرض رَجًا وَبُسَّتِ الجبال بَسًا فكانت هباء منبثا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٤-٦). جميع النسخ: بالهباء المنثورة. ورد قوله: ﴿هباء منثورا﴾ في سورة الفرقان، ٢٣/٢٥، ولكنه متعلق بالأعمال، لا بالجبال.

[١٦] سورة القارعة، ٥/١٠١.

[١٧] ﴿يوم تَرْجُف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (سورة المزمل، ١٤/٧٣).

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً،[1] الآية، ونحوه من الأوصاف التي وصفها. وذلك في أوقات مختلفة، تكون في كل وقت على حال ووصف [ب]التي وصف. فعلى ذلك السماء لشدة هول ذلك اليوم وفزعه.

وقوله: **تَشَقَّقُ السماء بالغمام**، أي تنشق عن الغمام فتبقي بلا غمام، كقوله: وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ.[2] وجائز أن يكون قوله: **بالغمام**، أي تبقى الغمام فوق رءوس الخلائق يُظلّهم. وهذا يدل أن[3] قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ،[4] إنما معناه بظلل من الغمام، فإن كان على هذا فيرتفع الاشتباه فيه.[5] *والله أعلم*.

﴿اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾[٢٦]

وقوله: **الملك يومئذ الحق للرحمن**، يحتمل إضافة ملك ذلك اليوم[6] إليه -وإن كان الملك له في جميع الأيام في الدنيا والآخرة- وجوها. أحدها لِمَا أن ملك الآخرة ملك دائم باقٍ لا فناءَ[7] له، وملكُ الدنيا جعله فانيا لا دوامَ له[8] ولا بقاءَ.

[٥٣٦و] / والثاني يُقر له جميعُ الخلائق بالملك له في ذلك اليوم وإن لم يُقرّ له البعضُ بملك الدنيا.

والثالث لِما لا ينازعه أحد في ملك ذلك اليوم وإن كان له منازع في الدنيا.

أو أن يكون المقصود بخلق هذا العالم في ذلك اليوم[9] يظهر للخلق. ويومئذ[10] يعلم كلُّ أن خلقهم في الدنيا لذلك اليوم كان، لا للدنيا خاصة.

وقوله: **للرحمن**، ذكر هنا[11] الرحمن، وقال في آية أخرى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ،[12] لتعلم العرب أن الرحمن المذكور في[13] هذه الآية هو الله الذي[14] ذكر في تلك الآية،

---

[1] ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب﴾ (سورة النمل، ٨٨/٢٧).
[2] تقدم قريبا.
[3] ع – أن.
[4] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقُضِي الأمر وإلى الله تُرْجَع الأمور﴾ (سورة البقرة، ٢/ ٢١٠).
[5] ر ع م – فيه.
[6] ن + اليوم.
[7] ر ع م: بلا فناء.
[8] ر ع م – له.
[9] م – اليوم.
[10] جميع النسخ + يتم.
[11] ر م: هنا.
[12] ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/ ١٦).
[13] ر: وفي.
[14] ر م + لا إله إلا هو.

لأن العرب تُسَمِّي وتعرف كل معبود إلها ولا تعرف الرحمن معبودا ولا تسميةَ الرحمن، فعرَفهم[١] أن الله والرحمن الذي ذكرهما[٢] واحد.

وقوله عز وجل: **وكان يوما على الكافرين عسيرا**، ظاهر لا شك فيه فكذلك[٣] يكون.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[٢٧]

وقوله: **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا**، الآية. قال بعض أهل التأويل: نزلت الآية في عُقْبَة بن أبي مُعَيط،[٤] كان يؤاخي رسولَ الله ويُوادُّه، وكان رسول الله يجيبه إذا دعاه إلى طعامه. فدعا يوما رسول الله إلى طعامه فقال: لا حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فشهد بذلك فطعم من طعامه فبلغ ذلك أُبَيَّ بن خَلَف فأتاه فقال: صبَوتَ[٥] يا عقبةُ [إلى] محمد[٦] وأجبته إلى ما دعاك إليه، فعيّره[٧] على ذلك حتى رجع[٨] عُقبة عن ذلك وارتد عن دينه. وفي الحديث طول،[٩] فنزلت الآية في شأنه وصنيعه وندامته وحسرته[١٠] على ما فعل فقال: **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا**، إلى آخر ما ذكر. وذكر أن عُقبة وأبيّ بن خَلَف قُتِل[١١] أحدهما يوم بدر والآخر يوم أُحد. ولكن الآية في كل ظالم وكل كافر يكون على ما ذُكِر.

ثم يحتمل قوله: **يعض الظالم على يديه**، على التمثيل والكناية عن الندامة والحسرة، لأن من اشتدت[١٢] به الندامة والحسرة والغيظ على شيء كاد أن يَعَضَّ يديه غيظا منه على ذلك، كما كنّيَ بِغُلّ اليد عن ترك الإنفاق وبالبسط عن كثرة الإنفاق والمجاوزة فيه،[١٣]

---

[١] ر: نعرفهم.
[٢] ر م: ذكرها.
[٣] ن: وكذلك.
[٤] ر: معط.
[٥] ر: صبرت.
[٦] جميع النسخ: محمدا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٨ظ.
[٧] ع: فغيره.
[٨] ر ع م: يرجع.
[٩] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/٨؛ والدر *المنثور* للسيوطي، ٦/٢٥١-٢٥٢، ٧/٣١٠؛ و*تفسير القرطبي*، ١٥/٢٩٦.
[١٠] ر ع م: وحيرته.
[١١] جميع النسخ: قتلا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٨ظ.
[١٢] جميع النسخ: اشتد؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٨ظ.
[١٣] ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعُدَ ملوما محسورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٢٩).

وكما كنّى بالنبذ وراء الظهر عن ترك الانتفاع وقلة النظر فيه والاكتراث إليه،[1] وكقوله:[2] نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ،[3] عن الرجوع ونحوه، وقولِه يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[4] وقوله: فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا،[5] وأمثال هذا. كل هذا[6] على التمثيل والكناية عن الرجوع والثبات والأخذ والترك. فعلى ذلك جائز أن يكون عضّ الأيدي كناية عن شدة الندامة والغيظ على ما حل به. ويشبه أن يكون على التحقيق، تحقيق عض[7] اليد [حيث] يجعل الله عقوبته بِعضّ اليد كما جعل عقوبة أنفسهم بأنفسهم حيث جعل أنفسهم حطبا للنار، بها[8] يعذّبون[9] ويعاقبون. *والله أعلم*.

وقوله: **يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا**، السبيلَ الذي دعاه الرسول[10] إليه:

﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً﴾[٢٨]

يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا، يحتمل الإنسانَ ويحتمل الشيطانَ، أي لم اتخذ الشيطان خليلا ولم أُطعه فيما دعاني[11] أو الإنسانَ الذي قلّده فيما قلده.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾[٢٩]

وقوله: **لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني**، يحتمل قوله: **عن الذكر**، أي الشرف الذي يُذكَر به المرء، **أضلني** عن ذلك الشرف. **أو أضلني** عما يذكرني هذا. **وأضلني** عن الذكر، أي عن القرآن وما فيه من الذكر.[12] *والله أعلم*.

---

[1] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتُبَيِّنُنَّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).

[2] ر ن م: كقوله.

[3] ﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالَهم وقال لا غالب لكم اليومَ من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عَقِبَيْه وقال إني بريءٌ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٤٨/٨).

[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ (سورة آل عمران، ١٤٩/٣).

[5] ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دَخَلاً بينكم فتزل قَدَمٌ بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾ (سورة النحل، ٩٤/١٦).

[6] ر م – كل هذا.

[7] ع: غض.

[8] ر ع م – بها.

[9] م: ويعذبون.

[10] ر م – الرسول.

[11] جميع النسخ: دعاه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٨ظ.

[12] ر ع م: من الذكرى.

وقوله:[١] **وكان الشيطان للإنسان خذولا**، أي تاركا له متبرئا[٢] منه، يقول كما قال في آية أخرى حكاية عنه: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ،[٣] ويقول كما قال: وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ،[٤] الآية. أو أن يكون كما ذكر: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ،[٥] الآية. أو أن يكون ذلك الخذلان منه له[٦] في الدنيا، يُمنّيه[٧] بأَمَانِيَّ ويزيّن له[٨] أشياءَ ثم لا يوصله إليها.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[٣٠]

وقوله: **وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**، قال بعضهم: المهجور هو الذي لا يُنتفع به[٩] ولا يُعمل [به]. وقال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي: **مهجورا**، أي تركوه مهجورا، أي متروكا. ويقال: **مهجورا**، أي جعلوه[١٠] كالهذيان، والْهُجْر الاسم؛ يقال: فلان يهجُر في منامه، أي يَهذي.[١١] وهو بالفارسية: بلايه كفتن.[١٢]

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[٣١]

وقوله:[١٣] **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين**، أي مِثْلَ الذي جعلنا لك من العدو من الكفرة[١٤] جعلنا لكل نبي من قبلك عدوا. ثم العداوة تكون[١٥] في الدين مرة، ومرة في الأنفس وأحوالها.

---

١ ن: قوله.

٢ ر: تبرأ.

٣ ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ (سورة الحشر، ١٦/٥٩).

٤ ﴿وقال الشيطان لما قُضي الأمر إن الله وعدكم وعدَ الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).

٥ ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودةَ بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).

٦ ع – له.

٧ م – يمنيه.

٨ جميع النسخ: ويزينه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٨ظ.

٩ ر ع م – به.

١٠ ر م – جعلوه.

١١ *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٣.

١٢ ر ع م: كفتي. ومعنى الجملة: التكلم بغير معقول وبغير مشروع.

١٣ ن: قوله.

١٤ م: ومن الكفرة.

١٥ ر ع م: يكون.

فإن كان العدو عدوا في الدين فجميع[1] الكفرة له أعداء لخلافهم له في الدين ويكون حرف "مِن" صلة، أي جعلنا لكل نبيٍ المجرمين أعداءً. وإن كان على تحقيق "مِن" وإثباتها فالعداوة عداوة في الدين والأحوال، وذلك راجع[2] إلى الفراعنة وأضداد الرسل. ما[3] من رسول إلا وله فَراعِنة وأضداد[4] ينازعونه ويقاتلونه ويَهُمَون[5] قتلَه. ثم بشر رسوله بالحفظ له والنصر والظفر على أعدائه وهو قوله: **وكفى بربك هاديا ونصيرا.**

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٣٢]

[٥٣٦ظ] وقوله: **وقال الذين كفروا / لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**، ذكر بعض[6] أهل التأويل أن أهل مكة كانوا يأتون رسول الله فيَتَعَنَّتُونه ويسألونه ويقولون: يا محمد! أتزعم أنك رسول من عند الله؟ أفلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أُنزلت التوراة جملة واحدة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود؟ فقال: **كذلك لنثبت به فؤادك**، أي بمثل الذي نثبت به فؤادك.[7]

ثم يحتمل قوله: **لنثبت به فؤادك**، وجهين. أحدهما أنزلناه متفرقا لنثبته في فؤادك، [فـ]تحفظه وتذكره، لأن حفظ الشيء إذا كان سماعُه بالتفاريق كان حفظه أهونَ وأيسر من حفظه إذا سُمع جملة واحدة، وخاصة إذا كان الكلام من أجناس وأنواع.

والثاني **لنثبت به فؤادك**، أي لنثبت بما في القرآن من الحكمة والمعاني فؤادك. ثم يحتمل قوله: **فؤادك** أنه يراد به فؤاد من يستمع إليه ويسمعه، فإن كان هذا فهو كقوله: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ،[8] الآية، على ما ذكرنا أنه يكون أسرع حفظا وأهون ثباتا من سماعه جملة. وجائز أن يكون أراد فؤاده، كقوله: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ،[9]

---

[1] ر م: جميع.
[2] م - راجع.
[3] ع - ما.
[4] ر ع: وأضداده.
[5] ر م: ويهمونه.
[6] ر م - بعض.
[7] م + أي بمثل الذي نثبت به فؤادك.
[8] سورة الإسراء، ١٧/١٠٦.
[9] سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٧.

وقوله: سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ،[1] كان يعجل بحفظه إذا قرئ عليه خوفا أن يذهب فأخبره أنه [يـ]ثبّت[2] فؤاده ويُنزله بالتفاريق لكي يحفظه ويذكره.[3]

ثم إن كان المراد بتثبيته[4] في الفؤاد هو ما فيه من الحكمة والمعاني وقراءتَه على الناس على مكث كذلك فهو -والله أعلم- يُنزله على قدر النوازل والحوائج ليكونوا أحفظ لتلك المعاني وأعرف بمواضعها وتقدير غيرها من النوازل به من أن نزل جملة في دفعة واحدة. ***والله أعلم.***

*قال أبو عَوْسَجَة: **ورتلناه ترتيلا**، أي أنزلنا[5] بعضه بعد بعض وعلى إثر بعض، لم ننزله في مرة واحدة. وكذلك قال في قوله: وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً.[6] وقال بعضهم: قوله:[7] **ورتلناه ترتيلا**، أي بيّناه تبيانا.* [٥٣٦ظ س١٨ - ٥٣٦ظ س٢٠]

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٣٣]

وقوله: **ولا يأتونك بمثل**، أي بصفة يُشبّهون بها على الخلق **إلا جئناك** بصفة هي[9] أحق مما أتوها هم فترفع تلك الشُّبَهَ عنهم، أعني عن الخلق. أو أن يقال: **ولا يأتونك** بصفة هي باطلة[10] **إلا جئناك بالحق**، أي بصفة هي حق فتَبْطُل تلك وتضمحلّ. **وأحسنَ تفسيرا**، أي بيانا من الأول على التأويل الأول. وعلى التأويل الثاني ظاهر لا شك أنه أحسن وأحق.*

وقال بعضهم في قوله: **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**، قال: لا يخاصمونك بشيء ولا يجادلونك **إلا جئناك بالحق**، يعني القرآن، **وأحسن تفسيرا**، يقول: **جئناك** بالقرآن بأحسن مما جاءوا به تفسيرا، وهو قريب مما ذكرنا بدءا. وفي حرف حفصة: إلا جئناك بأحق منه وأحسن تفسيرا، وهو شبيه ببعض التأويلات التي ذكرنا.

---

[1] سورة الأعلى، ٨٧/٦-٧.
[2] ن: نثبت.
[3] ن: وتذكره.
[4] ر: تثبية؛ م: تثبيته.
[5] ع: أنزلناه.
[6] سورة الإسراء، ١٧/١٠٦.
[7] ع - قوله.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٦ظ/سطر ١٨-٢٠.
[9] م ع: هو.
[10] ر م: باطل.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٦ظ/سطر ١٨-٢٠.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٣٤]

وقوله:[١] **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا**، يشبه أن يكون ذكر هذا على مقابلةٍ سبقت، وإلا على الابتداء لا يستقيم ذكره. فجائز أن يكون ذكره على مقابلةِ قوله: أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا،[٢] الآية. هذا ذكر مقامِ أهل الجنة، فذكَر مقابلَ[٣] ذلك مكان أهل النار فقال: **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا**، أي شر مكانا في الآخرة وأضل سبيلا في الدنيا. أو يكون مقابلَ قوله: قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا،[٤] فقال: **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا**، من الذين آمنوا، بل مُقامهم الجنة، أعني المؤمنين، ومُقام الكفرة النار، فهم شرّ مكانا[٥] منهم. وفي بعض الأخبار أن رجلا قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال: «إن الذي أمشاه[٦] على رجليه قادر على أن يُمشيه على وجهه».[٧]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾[٣٥]

وقوله:[٨] **ولقد آتينا موسى الكتاب**، أي التوراة، **وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا**. ذكر[٩] هاهنا أنه كان وزيرا له، وذكر في آية أخرى: فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ،[١٠] وفي آية أخرى:[١١] إِنَّهُ كَانَ [مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا] نَبِيًّا،[١٢] حيث قال: وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا،[١٣]

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة الفرقان، ٢٤/٢٥.
[٣] ر: مقاتل؛ ر: مقاتل + قوله.
[٤] ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ (سورة مريم، ٧٣/١٩).
[٥] ع: فهم شركاءنا.
[٦] ن ع: أنشأه.
[٧] *انظر: صحيح البخاري*، التفسير ١/٢٥، الرقاق ٤٥.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر: ذكرها.
[١٠] ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾ (سورة طه، ٤٧/٢٠).
[١١] ن – فأتياه فقولا إنا رسولا ربك وفي آية أخرى.
[١٢] ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا﴾ (سورة مريم، ٥١/١٩).
[١٣] ن + وقال في آية أخرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك. سورة مريم، ٥٣/١٩.

فكان [في] ما ذكر ذلك كله نبيا ورسولا وكان له وزيرا. والوزير هو العون والعضُد، كأنه قال: **وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا**، أي عونا وعضُدا، كقوله: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي،[١] الآية. سأل[٢] ربه المعونة له والإشراك في أمره وقال: فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي.[٣] وقال الزجاج: الوزير هو الذي يلجأ[٤] إليه في النوائب[٥] ويُعتصم بأمره. وهو واحد.

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾[٣٦]

وقوله:[٦] **فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا**، كأنه قال: **فقلنا اذهبا إلى القوم** فادعوهم[٧] إلى توحيد الله، فذهبا إليهم فدعَوا فكذبوا بآياتنا ثم **دمرناهم تدميرا**[٨] أي أهلكناهم إهلاكا.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣٧]

وقوله:[٩] **وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقنا هم**، جائز أن يكون قوله: **لما كذبوا الرسل**، / نوحا خاصة، لأنه ذكر قوم نوح. فإن كان ذلك ففيه دلالة جواز تسمية الواحد باسم الجماعة. [٥٣٧و] وجائز أن يكون نوح دعاهم إلى الإيمان به[١٠] وبجميع الرسل فكذبوه وكذبوا الرسل جميعا. ***والله أعلم***. وقوله:[١١] **أغرقناهم**، لم يغرقهم على إثر تكذيبهم إياه ولكن إنما أغرقهم بعد[١٢] ما دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاما.[١٣]

---

[١] سورة طه، ٢٠/٢٩-٣١.
[٢] ر: سئل.
[٣] ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبونِ﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٤).
[٤] ر ع: يلتجأ.
[٥] ع: في التراب.
[٦] ن: قوله.
[٧] ن: فادعوا هم.
[٨] ر ع م - كأنه قال فقلنا اذهبا إلى القوم فادعوهم إلى توحيد الله فذهبا إليهم فدعوا فكذبوا بآياتنا ثم دمرناهم تدميرا.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر م - به.
[١١] ن: قوله.
[١٢] ع - بعد.
[١٣] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/١٤).

وقوله:[1] **وجعلنا هم للناس آية**، يحتمل قوله: **وجعلناهم للناس آية**،[2] أي آية للمكذبين والمصدقين لما بيّن حكمَه في المكذبين منهم الإهلاك والإستئصال، وفي المصدقين منهم النجاة والخلاص منه. فذلك آية لكل مكذِّب ومصدِّق لِما إليه تئول[3] عاقبة أمرهم؛ عاقبة المكذبين الإهلاك وعاقبة المصدقين النجاة.

فإن قيل: إنهم جميعا قد هلكوا:[4] المصدقون منهم والمكذبون؟

قيل: أُهلكَ المكذبون منهم إهلاكَ عقوبة وتعذيب، وهلاك المصدقين[5] بانقضاء آجالهم لا هلاك عقوبة.

ثم ذكر: **وجعلناهم للناس آية**، فمعنى جعلِ أنفسهم آية[6] ما ذكرنا. وقال في آية أخرى: وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ،[7] أي السفينة. قال بعضهم: جعل السفينة آية، لأن من طبعِ السفن أنها إذا امتدت[8] الأوقات وطال الزمان أنها تفسُد وتتلاشى، فهي بعدُ باقية كما هي، أعني سفينة نوح. لكن ذلك لا يُعلم أنه كما ذكر أولا، فالوجه فيه ما ذكرنا.

وقوله:[9] **واعتدنا للظالمين عذابا أليما**، هكذا جزاء كل ظالمٍ ظلمَ كفر وشرك أن يُعدَ له[10] العذاب الأليم.[11]

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾[٣٨]

وقوله: **وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا**، أخبر أنه أهلك هؤلاء كلهم بالتكذيب: عادا وهم قوم هود، وثمود[12] وهم قوم صالح، وأصحاب الرس. قال بعضهم:

---

[1] ن: قوله.

[2] ع – يحتمل قوله وجعلناهم للناس آية.

[3] جميع النسخ: يؤل.

[4] ع: هلك.

[5] جميع النسخ: والمصدقين هلاك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٣٩ظ.

[6] ر – آية.

[7] ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾ (سورة العنكبوت، ١٥/٢٩).

[8] ر م: أمتد.

[9] ن: قوله.

[10] ن: لهم.

[11] ع – وقوله واعتدنا للظالمين عذابا أليما هكذا جزاء كل ظالم ظلم كفر وشرك أن يعد له العذاب الأليم.

[12] جميع النسخ: وثمودا.

سمُّوا أصحاب الرسّ لأنهم رسُّوا[١] نبيهم في بئر، أي رسُّوه[٢] فيها. وقال[٣] بعضهم: الرسّ هو اسم البئر كانوا نُزُولاً عليها فبعث [الله] إليهم شعيبا فكذبوه فسموا بذلك ونُسبوا إلى تلك البئر. وعن ابن عباس أنه سأل كعبا عن أصحاب الرس فقال: إنكم معاشرَ العرب تدعون البئرَ رسّا والقبر رسّا وتدعون الخدّ رسّا، فخدُّوا أُخدودا[٤] في الأرض فأوقدوا فيها النِّيران للرسولَين اللذَين ذكر الله في يس: إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ.[٥] *والله أعلم*.[٦]

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[٣٩]

وقوله:[٧] **وكلا ضربنا له الأمثال**، أي ذكرنا لأهل مكة أمثال من تقدّم منهم من الأمم من المكذبين والمصدقين وما حلّ بهم وما إليه آلَ عاقبة أمورهم بالتكذيب حيث قال: **وكلا تبرنا تتبيرا**، أي أهلكنا إهلاكا. وقال بعضهم: **تبرنا**، أي كسّرنا بالنبطية، يقول أحدهم للشيء إذا أراد أن يكسِره:[٨] أُتبره.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾[٤٠]

وقوله:[٩] **ولقد أتوا**، يعني -والله أعلم- أهل مكة، **على القرية التي أمطرت مطر السوء**، وهي الحجارة، يعني -والله أعلم- قَريَاتِ لوط، أي يمر عليهم أهل مكة في تجارتهم ويأتونها، وهو كما قال في الصافات: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ،[١٠] الآية. **أفلم يكونوا يرونها**، ما حلّ بهم بالتكذيب فيعتبروا. **بل كانوا لا يرجون نشورا**، أي بعثا[١١] بعد الموت وإحياء، أي إنما كذبوا الرسل لأنهم لا يؤمنون بالبعث ولا يخافون نشورا.

---

[١] ع: رسو.
[٢] ر: رسوة.
[٣] ع: قال.
[٤] ر ن م: خدودا؛ ع: خذدا.
[٥] ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾ (سورة يس، ٣٦/١٤). انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٥١.
[٦] ر + بذلك.
[٧] ن: قوله.
[٨] ر: أن يكره.
[٩] ن: قوله.
[١٠] سورة الصافات، ٣٧/١٣٧).
[١١] جميع النسخ: بعثنا.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللّٰهُ رَسُولًا﴾[٤١]

وقوله:[١] **وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي**[٢] **بعث الله رسولا**، كانوا إذا رأوه هَزِءوا[٣] به وإذا خلا بعضهم إلى بعض يقولون فيما بينهم: أَبَعَثَ اللّٰهُ بَشَرًا رَسُولًا،[٤] هكذا كانت عادة الكفرة يهزءون به إذا حضروه وإذا غابوا عنه قالوا ما ذكر.[٥]

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٤٢]

وقوله:[٦] **إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها**، وفي قوله: **[إن] كاد ليضلنا عن**، عبادة **آلهتنا**، دلالة أنه إنما أراد أن يضلهم عن عبادتهم الأصنام بالحجج والآيات، إذ ليس في وُسع النبي صرفُهم ومنعهم عن ذلك إلا من وجه لزوم الآيات والحجج، إلا أنهم عاندوا[٧] تلك الآيات والحجج وكابروها وثبتوا على عبادة الأصنام والأوثان، وإلا علموا من جهة الآيات والحجج التي أقامها عليهم أنه على الحق وأنهم على باطل.

ثم قوله عز وجل: **وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا**، أي يعلمون حين لا يقدرون على[٨] الجحود والإنكار إذا نزل[٩] بهم العذاب ووقع من أضل سبيلا: هم أو[١٠] المؤمنون، لأنهم وإن علموا بالآيات والحجج أنه على الحق وأنهم على باطل وعلموا الموعود من العذاب فأخبر أنهم يعلمون عند وقوعه بهم علما لا يقدرون على جحوده ولا إنكاره، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ،[١١] الآية، وقوله: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[١٢]

---

[١] ن: قوله.
[٢] م + يذكر.
[٣] ر ع م: هزؤه.
[٤] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[٥] ن: ذكرنا.
[٦] ن: قوله.
[٧] ر ع م - عاندوا.
[٨] ع: عن.
[٩] ر م: أنزل.
[١٠] ر - أو.
[١١] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠-٨٥).
[١٢] ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).

وقوله: رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا،[١] وأمثال ذلك. إذا عاينوا الموعود في الدنيا يقرّون به ولا يقدرون[٢] على الجحود فكذلك قوله: **وسوف يعلمون** علما لا يقدرون على الإنكار والجحود **حين يرون العذاب من أضل سبيلا**.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[٤٣]

وقوله: **أرأيت من اتخذ إلهه هواه**، قال بعضهم: إنهم كانوا يعبدون أشياء حجرا أو غيره، فإذا / رأوا أحسن منه في رأي العين والمنظر[٣] تركوا عبادة ذاك وعبدوا ما هو أحسن منه. وقال [٥٣٧ظ] بعضهم: كلما هوت أنفسهم شيئا عبدوه وكلما اشتهوا شيئا أتوه، لا يَحْجِزهم عن ذلك ورع ولا تقوى الله.[٤] ويحتمل وجهين آخرين سوى ما ذكر[٥] هؤلاء. أحدهما أنهم[٦] تركوا عبادة الإله الذي قامت الحجج والآيات بألوهيته وربوبيته[٧] ولزِموا عبادة من لم يقُم له الآيات والحجج بذلك بهواهم.

والثاني أنهم عبدوا ما عبدوا من الأصنام بلا أمر كان لهم[٨] بالعبادة، [إذ] لا بد من أمر يؤتمر بها، بل عبدوا بهواهم أو كلام نحو هذا.

وقوله: **أفأنت تكون عليه وكيلا**، أي لست أنت بوكيل[٩] ولا مسلط عليهم ولا حافظ، أي لا تسأل أنت عن أعمالهم ولا تحاسب عليها، بل هم المسئولون عنها وهم محاسبون عليها، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[١٠] وكقوله:[١١] فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ،[١٢] الآية. ***والله أعلم***.

---

[١] ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون﴾ (سورة السجدة، ١٢/٣٢).
[٢] ر ع م: لا يقدرون.
[٣] ر: او المنظر.
[٤] ر ع م: لله.
[٥] ر ع م: سوى ذكر.
[٦] ر م ع – أنهم.
[٧] ر ع م: بألوهية وربوبية.
[٨] ع م: منهم.
[٩] ن + عليهم.
[١٠] ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٥٢/٦).
[١١] ع: وقوله.
[١٢] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٤٤]

وقوله: **أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون**، قوله: **أم تحسب**، وإن كان في الظاهر استفهاما فهو في الحقيقة على الإيجاب. وهكذا كل استفهام من الله يخرج على الإيجاب أو على النهي، كأنه قال: قد حسبت[١] أن[٢] أكثرهم يسمعون أو يعقلون. أو أن يكون على النهي، أي لا تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون،[٣] أي لا ينتفعون[٤] بما يعقلون.

إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل، قال بعضهم: هم[٥] كالأنعام لأن همتهم ليست إلا كهمة الأنعام وهو الأكل والشرب، ليست لهم همة سواه، ليس للأنعام همة العاقبة. فعلى ذلك الكفرة فهم كالأنعام من هذه الجهة. وقوله: **بل هم أضل**، قال قائلون قوله: **أضل**، لأن الأنعام تعرف ربها وخالقها وتذكره وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرون. أو **هم أضل**،[٦] لأنهم[٧] ينسبون إلى الله ما لا يليق به من الولد والشريك ويشركون غيره في العبادة،[٨] والأنعام لا [تفعل شيئا من ذلك] فهم أضل.[٩] وقال بعضهم: **هم أضل**، لأن الأنعام إذا هُديت الطريقَ اهتدت وهم يُهدَون ويُدعَون إلى الطريق فلا يهتدون ولا يجيبونه فهم أضل. أو أن يقال: **هم أضل**، لأنهم يَضلّون ويُضلّون غيرهم ويمنعونهم[١٠] عن الهدى، والأنعام لا[١١] [تفعل شيئا من ذلك]. ***والله أعلم***.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾[٤٥]

وقوله: **ألم تر**، قد ذكرنا في غير موضع أن حرف "ألم تر"[١٢] هو[١٣] حرف تعجب[١٤] واستفهام،

---

[١] م: حسب.
[٢] ر م ع - أن.
[٣] ر م ع - أو أن يكون على النهي أي لا تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون.
[٤] ن + ولا ينتفعون.
[٥] ر م - هم.
[٦] ع + لأن.
[٧] ع: إلا أنهم.
[٨] ع: في العبادات؛ م: ويمنعوهم.
[٩] م: والأنعام لأنهم أضل.
[١٠] ر: ويمنعون.
[١١] ع - لا.
[١٢] ن - تر.
[١٣] م - هو.
[١٤] ن: تعجيب.

لكن في الحقيقة على الإيجاب، أي قد رأيت. وقوله: **ألم تر إلى ربك**، أي إلى تدبير ربك ولطفه أنْ **كيف مد الظل** وهو لا يؤذي ولا يضر ولا يمسّ ولا يَشعر به أحد بكونه فيه ولا يَثقُل ولا يَخِفّ ولا يَستر ولا يَكشف عن وجوه الأشياء -إنما النور هو الكاشف عن وجوه الأشياء، والظلمة هي الساترة لذلك- ونحو ذلك مما يكثر ذكره مما يحيط[١] بالخلائق كلها ليُعلم أن مِن[٢] المحسوسات التي تقع[٣] عليها الحواس ما[٤] لا تدرك[٧] حقيقته،[٥] من نحو الظل الذي ذكرنا، هو ما[٦] لا تدرك[٧] حقيقته،[٨] ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق باللسان ونحو ذلك من المحسوسات وهو لا يدرك حقيقته.[٩] ليُعلم أن الذي سبيل معرفته[١٠] الاستدلال -وهو منشئ هذه الأشياء- أحق أن لا يدرك ولا يحاط بتدبيره ولطفه، [و]ليعلم أن مَن بلغ تدبيره ولطفه هذا المبلغَ لا يحتمل أن يعجزه شيء أو يخفى عليه شيء. يخبر عن قدرته وتدبيره ولطفه ليُعلم أنه قادر ومدبّر بذاته [و]لطيف.

وقوله:[١١] **ولو شاء لجعله ساكنا**، أي دائما[١٢] لا يذهب أبدا ولا تصيبه[١٣] الشمس ولا يزول. وقال بعضهم: **ساكنا**، أي مستقرا دائما لا تنسخه الشمس كظل الجنة.

وقوله:[١٤] **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا**، قال بعضهم: أي تتلوه وتَتْبعه[١٥] حتى تأتي على كله.[١٦]

---

[١] ر ع م: يخلط؛ ن: يحاط؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٠و.
[٢] ع - من.
[٣] ر ع م: يقع.
[٤] ر ن ع: مما.
[٥] ر م: حقيقة.
[٦] ع - ما.
[٧] جميع النسخ: لا يدرك.
[٨] ر م: حقيقة؛ ع + من نحو الظل الذي ذكرنا هو ما لا يدرك حقيقته.
[٩] ر م: حقيقة؛ ر ع م + ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق.
[١٠] ع: معرفة.
[١١] ن: قوله.
[١٢] ن ع: دايما.
[١٣] جميع النسخ: ولا يصيبه.
[١٤] ن: قوله.
[١٥] م - وتتبعه.
[١٦] ن: على كل.

وقال بعضهم: قوله: [ثم] **جعلنا الشمس عليه دليلا**، يقول: حيث ما تكن الشمس يكن الظل.[1] وأصله أنه بالشمس يعرف الظل أنه ظل، ولولا الشمس ما عُرف الظل، فهي[2] دليل معرفته وكونه أنه ظل.

*وقال[3] أبو معاذ: قال مقاتل: **مد الظل**، يعني الفَيء من أول وقت صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، و[قد] أخطأ، [إذ] لا يسمى ذلك الظلُّ فيئا. وقال الكسائي: العرب تقول "الظل" من حين يصبح إلى انتصاف النهار، فإذا زالت الشمس عن كَبِد السماء فما[4] خرج من ظل فذلك الفيء. ويقال للفيء الظل، ولا يقال للظل فَيْءٌ قبلَ الزوال.* [٥٣٧ظ س٣٦ - ٥٣٧ظ س٣٩]

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[٤٦]

وقوله:[6] **ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا**، قال بعضهم: هينا خفيّا. وأصله أنه يقبض بالشمس الظلّ وينسخه[7] شيئا فشيئا حتى تأتي على كله.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾[٤٧]

وقوله: **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا**، قيل: سَكَنًا يسكن فيه الخلائق. وقيل: **لباسا**، أي سِترا. **والنومَ سُباتا**، قال بعضهم: أي راحة، يقال: سبَت الرجل يسبُت سُباتا فهو مسبوت. وقال بعضهم: أصل السبت التمدد، وقال بعضهم: سبَت الرجل إذا نعَس. وقيل: رجل مسبوت لا يعقل كأنه ميّت. **وجعل النهار نشورا**، فمن جعل السبات النوم جعل قولَه: **والنهار نشورا**، أي حياة يَحْيَون فيه. ومن يقول: السبات راحة يجعل النهار نشورا، ينتشرون[8] فيه للمعاش والكسب وابتغاء الرزق. وقال بعضهم: يذكر نِعمه ومِننه على عباده يستأدِي به شكره.[9]*

---

[1] جميع النسخ: حيث ما يكون الشمس يكون.

[2] ر ع م: فهو.

[3] ن: قال.

[4] م: مما.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٧ظ/سطر ٣٦-٣٩.

[6] ن: قوله.

[7] ن: وبنسخه.

[8] ر م: ينشر.

[9] ر م: لتأدي شكره.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٤٥، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٧ظ/سطر ٣٦-٣٩.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[٤٨]

وقوله:[١] **وهو الذي أرسل الرياح بشرا**، قال بعضهم: نَشْرًا، أي حياة.[٢] وقال / بعضهم: [٥٣٨و] نَشْرا للسحاب، تنشر [السحاب]، أي تبسطه. وعلى التأويل الأول تنشر، أي تحييها.

وقوله: **بين يدي رحمته**، أي بين يدي المطر، سَمّى المطر رحمة لما برحمته يكون. وكذلك ما سَمّى الجنة رحمةً لأنه[٣] برحمته[٤] يدخل من دخل فيها. وقوله: **بين يدي رحمته**، هذا يدل أنه لا يُفهم باليد اليد المعروفة التي هي الجارحة[٥] حيث ذكر للمطر ذلك[٦] ولا يُعرف[٧] [له جارحة][٨] أعني اليد، ليعلم أنه لا يفهم من قوله: "بيد الله"،[٩] أو: "بين[١٠] يدي الله"[١١] ذلك. *وبالله العصمة.*

وقرأ بعضهم: **بُشْرًا**، بالباء وهو من البِشارة، كقوله: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ،[١٢] أي تبشرهم بالرحمة والسعة. *والله أعلم.*

وقوله: **وأنزلنا من السماء ماء طهورا**، أي ما يُطَهَّر به الأنجاس والأقذار الظاهرة منها والباطن[ة]، وكذا[١٣] الطهور أنه يطهّر حيث ما أصابه.

---

[١] ن: قوله.

[٢] وقوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يَدَيْ رَحمتِه﴾. وقرئ: نُشْرًا ونَشْرًا. والنَّشْر: الحياة. وأنشر اللهُ الريحَ: أحياها بعد موت وأرسلها نُشْرًا ونَشْرًا. فأمّا من قرأ: نُشُرًا، فهو جمع نَشُور، مثل رسول ورسُل. ومن قرأ: نُشْرًا، أسكن الشينَ استخفافًا. ومن قرأ: نَشْرًا، فمعناه إحياءً بنَشْر السحاب الذي فيه المطر الذي هو حياة كل شيء. وقال الزجاج: من قرأ: نَشْرًا، فالمعنى: وهو الذي يُرسِل الرياح مُنْتَشِرة نَشْرًا، ومن قرأ: نُشُرًا فهو جمع نَشور. قال: وقرئ: بُشْرًا، بالباء، جمع بَشِيرة، كقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن يُرسِل الرياح مُبَشِّرات﴾ (*لسان العرب*، «نشر»). قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿يرسل الريح﴾ بغير ألف. وقرأ الباقون بالألف. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿نُشُرا بين﴾ بضم النون والشين، جمع نَشور. وقرأ الباقون: نُشْرا بضم النون وسكون الشين. وقرأ حمزة والكسائي: نَشْرا بفتح النون وسكون الشين. انظر: *حجة القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٢٨٥، ٥٣١، ٥٣٤.

[٣] جميع النسخ: لأنها.

[٤] جميع النسخ + ما.

[٥] ع: الخارجة.

[٦] أي اليد.

[٧] ن + ذلك.

[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٤٠و.

[٩] سورة آل عمران، ٧٣/٣.

[١٠] ر ع م: وبين.

[١١] م – الله. سورة الحجرات، ١/٤٩.

[١٢] سورة الروم، ٤٦/٣٠.

[١٣] ن: هكذا.

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾[٤٩]

وقوله: **ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا**، فيه لغتان: أسقَى وسَقَى بالألف وبغير الألف.[١] يقال: سقَى به حرثَه وماشِيتَه، وسقيته، أي ناولته ما يشرب، وهو قول القُتَبِي[٢] وأبي[٣] عَوْسَجَة.

وقوله: **وأناسي كثيرا**، قال بعضهم: الأناسيّ هي[٤] جمع إنسيّ، وقال بعضهم: هي جمع[٥] إنسان. وأصله بالنون: أناسين لكن أبدلت النون ياءً. وقال أبو عوسجة والقُتَبِي:[٦] أناسيّ مشددة يعني أناس، وأناسي جماعة الإنسان على ما ذكرنا.

ثم يحتمل قوله: **ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا**، أي نسقيه من الماء الطهور المنزل من السماء كثيرا من الأنعام وكثيرا من الأناس وكثيرا مما يسقى من المياه المنتزعة من الأرض.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[٥٠]

وقوله: **ولقد صرفناه بينهم ليذكروا**، أي صرفنا المطر والسحاب بينهم، يُمطر في مكان ولا يمطر في مكان،[٧] ويسوق السحاب إلى مكان ولا يسوق[ه] إلى مكان آخر، كقوله: وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،[٨] الآية، وكقوله: فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ،[٩] الآية. يذكّرهم في هذه الآيات من قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ،[١٠] إلى قوله: **ولقد صرفناه بينهم ليذكروا**، تدبيرَه وقدرته وحكمته ونِعمَه.

---

[١] قال الخليل: سقيته كقولك: ناولته فشرب. وأسقيته: جعلت له سُقْيًا. وقال الفراء: العرب تقول: كل ما كان من بطون الأنعام ومن ماء السماء أو نهر أسقيت. وفي (سورة) الفرقان: ﴿ونسقيه مما خلقنا أنعاما﴾. وتقول: سقيتُه إذا ناولتَه ماء يشربه، لا يقولون غيره. انظر: *حجة القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٣٩١.

[٢] لم أجده في *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة.

[٣] ر م: و أبو.

[٤] ر ع م – هي.

[٥] ع: جميع.

[٦] لم أجده في *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة.

[٧] ر ع م – ولا يمطر في مكان.

[٨] ﴿...وتصريفِ الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون﴾ (سورة البقرة، ١٦٤/٢).

[٩] ﴿واللهُ الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ (سورة فاطر، ٩/٣٥).

[١٠] سورة الفرقان، ٤٥/٢٥.

أما تدبيره حيث ترى السحاب في موضع ولا تراه في موضع، وتراه منبسطا في الآفاق كلها،[١] ثم يُمطر في موضع ولا يمطر في موضع[٢] آخر ولا يرسل في مكان ويرسل في مكان آخر، ليُعلَم أنه عن تدبير كان هكذا، لا[٣] بالطبع؛ لأنه لو كان بالطبع[٤] كان ذلك لكان لا جائز أن[٥] يمطر في مكان ويترك في مكان آخر، دل أنه بالتدبير كان ما كان وبالأمر.

وأما قدرته ما ذُكر من إحياء الأرض الميتة بعد موتها وإماتتها بعد حياتها مما يعلم كل أحد حياتها وموتها ويقرّ بذلك. فمن قدر على هذا [فهو] قادر على إحياء الموتى بعد الموت ولا يُعجزه شيء.

وأما حكمته أن ما خلق مما[٦] ذَكَر وأنشأه[٧] لم ينشئه عبثا: يُمهلهم لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بشيء، ولا يجعل لهم عاقبة يثابون [بها] ويعاقبون ولا يستأدي منهم شكر ما أنعم عليهم من أنواع النعم مما تَعجَز[٨] عقولهم عن إدراكه وتَقصُر[٩] أفهامهم عن تقدير مثله، ليُعلم أنه قادر بذاته لا يُعجزه شيء.

ثم قال: **فأبى أكثر الناس إلا كُفورا**، قال الكسائي: الكُفور برفع الكاف الكفر، والكَفور بفتح الكاف الكافر؛ والشُّكور بضم الشين الشُّكر، والشَّكور بفتح الشين الشاكر وهو المؤمن. فيكون تأويله: **فأبى أكثر الناس إلا** كفرا بالله وتكذيبا لنعمه بصرفهم العبادة إلى غيره ولتفاؤلهم[١٠] وتطيرهم أن هذا من نَوْء كذا أو نوء كذا.[١١] *والله أعلم*.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾[٥١]

وقوله:[١٢] **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما: لو شئنا لرفعنا عنك

---

[١] ر ع م – كلها.
[٢] ر م – ولا يمطر في موضع.
[٣] ع: إلا.
[٤] ع – لأنه لو كان بالطبع.
[٥] ر: لكان لجائز؛ ع: لا جائزا أي.
[٦] ع: ما.
[٧] ر م: ذكروا انشاه.
[٨] جميع النسخ: مما يعجز
[٩] جميع النسخ: ويقصر.
[١٠] ن: أو لتفاؤلهم.
[١١] ر م – أو نوء كذا.
[١٢] ن: قوله.

بعض[1] ما حملنا عليك من الْمُؤَنِ: من مئونة التبليغ والقيام بذلك وحملناها[2] غيرك، فيكون عليك أيسر وأهون من القيام بالكل.

والثاني: **لو شئنا لجعلنا** غيرك أيضا أهلا للرسالة وموضعا لها في زمانك وحينك فبعثناه في بعض القرى والمدن، لكِنّا لم نجعل غيرك أهلا لها وخصصناك لها من بين غيرهم من الناس. فهو على الامتنان يخرج والاختصاص له. ثم لا يخلو ذلك من أن يكون فيهم من يصلح للرسالة ويَصلُح أن يكون أهلا لها وموضعا فلم يرسل. أو كان لم يكن فيهم من يصلح لذلك فيكون تأويله: لو شئنا لجعلنا فيه من يصلح للرسالة ويصلح أن يكون أهلا لها وموضعا.

فأيّ الوجهين كان فهو ينقض على المعتزلة قولهم [في الأصلح]، لأنه إن كان فيهم من يصلح لها فأَرسل[3] كان أصلح له، فلم يُرسل فقد ترك ما هو أصلح له وأخير. أو أن يكون لا[4] ويَصلُح فيهم أحد لذلك لكنه يملك أن يُصلحه ويجعله أهلا لها فهو أصلح له وأخيَر، ثم لم يفعل. دل أن له أن يترك الأصلح والأخير في الدين.

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[٥٢]

وقوله: **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا**، فيه وجهان. أحدهما أنه لا يجوز للرسل التقيَة والامتناع عن التبليغ إليهم والقيامِ بمجاهدتهم وإن خافوا على أنفسهم الهلاك، حيث قال: **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا**، ولم يكن معهم يومئذ إلا قليل[5] ممن اتبعه، إذ[6] كان ذلك بمكة لأن سورة الفرقان فيها نزلت. والثاني فيه دلالة إثبات رسالته،[7]
[٥٣٨ظ] لأنه أمر بالخلاف لهم والقيام / بمجاهدتهم بالحجج والآيات، وهم يعلمون أن لا يكونُ في وسع واحد القيامُ لذلك لأمثالهم، وكانت همتهم القتل والإهلاك لمن خالفهم، فعلموا أنه إنما قام لذلك بالله لا بنفسه، إذ لا يملك[8] واحد القيام لذلك. *والله أعلم*.

---

[1] ر ع م: يعني.
[2] ر م: وحملنا.
[3] ر ع م: وأرسل.
[4] ع: فلا.
[5] ع: قليلا.
[6] ع: إذا.
[7] ر م: لرسالته.
[8] ع: إذا يملك.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[٥٣]

وقوله: **وهو الذي مرج البحرين**، قال بعضهم: **مرج**، أي خلع ماء المالح على ماء العَذب. وقال بعضهم: **مرج**، أي[1] أرسل البحرين؛ أحدهما عذب والآخر أُجاج. وقال بعضهم: **مرج**، أي أفاض أحدهما على الآخر. قال أبو معاذ: العرب تقول: مَرَجتُ الدابةَ إذا خلعتُها وتركتها تذهب حيث شاءت. و[تقول:] مرج الوالي الناسَ من السجون إذا أرسلهم، فإذا أرعيتَ دابة في المروج قلتَ: أمرجتُ دابتي أُمْرِجُها إمراجا. وإنما سُمّي المَرَج[2] مرجا لأنه متروك للسباع غير معمور. والمُمرِج[3] الذي يرعى دابته في المَرْج، والدابة المُمرَجة. وقال أبو عَوْسَجَة: **مرج البحرين**، مرَجهما، أي خلطهما فهو مارج. وقال: فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ،[4] أي مختلط. ويقال: مرجتُ عن كل شيء إذا خلطتَ. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في البحرين، قال بعضهم: أحدهما بحر الأرض والآخر بحر السماء. **وجعل بينهما برزخا**، أي[5] حاجزا عن أن يختلط أحدهما بالآخر وهو[6] الهواء.[7] وقال بعضهم: أحدهما بحر السماء والآخر بحر تحت الأرض. **وجعل بينهما برزخا**، وهو الأرض. وقال بعضهم: بحران على وجه الأرض، أحدهما بحر الروم والآخر بحر الهند. وقال بعضهم: بحران أحدهما بحر الشام والآخر بحر العراق، أحدهما مالح أُجَاجٌ والآخر عَذْب. وكان الأجاج هو الذي بلغ في المُلوحة غايته، والفرات هو الذي بلغ في العذوبة والحلاوة[8] غايتَه. ذَكَر مننه وفضله ولطفه حيث لم يَخلِط أحدهما بالآخر،[9] بل حفظ كلا على ما هو عليه إلى أن تقوم الساعة، فعند ذلك يصير الكل واحدا، كقوله: وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ.[10]

---

[1] ر ع م – أي.
[2] م – المرج.
[3] ر: الممرج.
[4] ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج﴾ (سورة ق، ٥/٥٠).
[5] ع – أي.
[6] م – وهو.
[7] ر ع م – الهواء.
[8] ر ع م – والحلاوة.
[9] ع: الآخر.
[10] سورة التكوير، ٦/٨١.

ثم إن كان أحدهما بحر السماء والآخر بحرَ الأرض فالحاجز بينهما الأرض.[١] وإن كان بحرين في الهواء فالحاجز بينهما ليس إلا اللطف، وكذلك إن كان الثالث، ليعلم أن من قدر على حفظ هذا من هذا بلا حجاب ولا حاجز باللطف لَقادر على إحياء الموتى وبعثهم، ولا يعجزه شيء وله الحول والقوة. وقال أبو عَوْسَجَة: ماء[٢] أجاج شديد الملوحة، ويقال: أجّ الماء يأُجّ أجّا فهو أُجاج. ويقال: ماء[٣] ثجّاج،[٤] أي ماء[٥] رِوًى.[٦]

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[٥٤]

وقوله:[٧] **وهو الذي خلق من الماء بشرا**، أي من النطفة. يخبر عن فضله ومنته وقدرته ولطفه. أما لطفه وقدرته حيث خلق البشر من النطفة. ولو اجتمع جميع حكماء البشر على أن يعرفوا أو يدركوا البشر [خُلق] من النطفة أو يدركوا كيفيته لم يقدروا على ذلك. دل أنه قادر بذاته لطيف لا يعجزه شيء. وأما فضله ومنته ما أخبر أنه جعل لهم نسبا وصهرا. أما النسب [ﻓـ]ـفيه يتعارفون ويتواصلون ما لولا ذلك ما تعارفوا ولا تواصلوا. وأما الصهر فلِما به يتزاوجون ويُوادّون[٨] ويتوالدون، كقوله: وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً،[٩] وقال: وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً.[١٠] يذكر فضله ومنته ليستأدى[١١] به شكره، ليُعلَم أن خَلْق مثل هذا لا يخرج عبثا باطلا بلا محنة ولا عاقبة. وكان النسب مما لا يجري بينهم التناكح والتزاوج. والصهر هو[١٢] ما يُحلّ ويُجري بينهم التناكحَ والتزاوج. وفي حرف حفصة: وهو الذي خلق من الماء نسبا وصهرا.

---

[١] ر ع م – فالحاجز بينهما الأرض.
[٢] ع: اماء.
[٣] ر ع م – ماء.
[٤] ر ع م: عاج؛ ن: عاجا.
[٥] ماء رِوًى وماء رَواءٌ: الكثير المُرْوِي.
[٦] ر م + به.
[٧] ن: قوله.
[٨] ع: ولا يوادون.
[٩] ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾ (سورة النحل، ١٦/٧٢).
[١٠] ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢١).
[١١] ر ع م: لتأدى.
[١٢] ر ع م – هو.

قال أبو معاذ: الصهر الفتى وآله، والخَتَن[١] أبو[٢] المرأة، والختَنة أم المرأة، والأَختان آل المرأة وأهلها، والأصهار آل الفتى وأهله. وقال أبو عَوْسَجَة: **وصهرا**، من المصاهرة وكلهم أصهار من الجانبين جميعا. والمعروف عندنا أنه إنما يسمى[٣] قرابة الزوج أَختانا، وقرابة المرأة أصهارا. وذلك لسان فهو على ما تعارفوه بينهم. *والله أعلم*.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾[٥٥]

وقوله: **ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم**، أي يعبدون من دون الله ما يعلمون أنه لا ينفعهم في الآخرة إن عبدوه ولا يضرهم في الدنيا إن تركوا عبادته. يذكر سفههم بعبادتهم مَن يعلمون أنه لا ينفع ولا يضر وتَرْكَهم العبادة لمن ينفعهم إن عبدوه ويضرهم إن تركوا عبادته.[٤] وهو كما ذكر: هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ،[٥] الآية وأمثال ما ذكر في غير آي من القرآن سَفَهَ أولئك الكفرة[٦] بعبادتهم للأصنام وتركهم عبادة الله تعالى.

وقوله:[٧] **وكان الكافر على ربه ظهيرا**،[٨] تأويله -والله أعلم- وكان الكافر للكافر ولوليه ظهيرا على من أطاع ربه. يكون بعضهم ببعض عونا وظهيرا على أولياء الله، وإلا لا يكون الكافر على الله ظهيرا ولكن على أوليائه. ويكون ذكر الرب[٩] على إرادة وليه ومَن أطاعه، كقوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[١٠] وكقوله: يُخَادِعُونَ اللهَ،[١١] ونحو ذلك مما يراد به أولياؤه لا نفسه.

---

[١] ع: الختن.

[٢] ر ع: أبوا.

[٣] ن: سمي.

[٤] ع - يذكر سفههم بعبادتهم من يعلمون أنه لا ينفع ولا يضر وتركهم العبادة لمن ينفعهم أن عبدوه ويضرهم إن تركوا عبادته.

[٥] ﴿قل أفرأيتم ما تَدْعون من دون الله إن أَرَادَنِيَ الله بضُرٍ هل هن كاشفاتُ ضُرِه أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ (سورة الزمر، ٣٨/٣٩).

[٦] ر ع م - الكفرة.

[٧] ن: قوله.

[٨] جميع النسخ + أي.

[٩] ر ع م: الذي.

[١٠] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٧).

[١١] ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (سورة البقرة، ٢/٨-٩).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٥٦]

وقوله:[١] **وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا**، **مبشرا** لمن أطاعه **ونذيرا** لمن عصاه. والبِشارة هي الإعلام لما يلحق من السرور والفرح في العاقبة بالأعمال الصالحة. والنذارة هي الإعلام لما يلحق من المكروه والمحذور في العاقبة بالأعمال السيئة القبيحة.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[٥٧]

[٥٣٩ر] وقوله: **قل ما أسألكم عليه من أجر**، أي ما أسألكم / على الدين الذي أدعوكم إليه من أجر، كقوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ،[٢] أي لا أسألكم أجرا على ذلك حتى يمنعَكم ثِقَل الْمَغْرَم[٣] عن إجابتي. فعلى ذلك قوله: **قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا**، كأن فيه إضمارا،[٤] أي لا أسألكم عليه أجرا إلا من شاء،[٥] ولكن إنما أسألكم أن تتخذوا[٦] إلى ربكم[٧] سبيلا. أو أن يكون[٨] قوله: **إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا**، أي[٩] ولكن من أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا أطاعني وأجابني.

ويحتمل قوله: **قل ما أسألكم**، على تبليغ الرسالة إليكم وما[١٠] أدعوكم إليه **من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا**، فيَبَرّني. أو أن يكون قوله: **إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا** فيُوادُّني، كقوله: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى.[١١]

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾[٥٨]

وقوله:[١٢] **وتوكل على الحي الذي لا يموت**، أي توكل على الله. والتوكل هو الاعتماد عليه بكل أمر.

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة الطور، ٥٢/٤٠.
[٣] جميع النسخ: الغرم.
[٤] ر ع: إضمار.
[٥] ن ع + أي.
[٦] ر ع: وما.
[٧] جميع النسخ: إلى ربه.
[٨] جميع النسخ: أو أن يقول؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤١و.
[٩] ر – أي.
[١٠] ر م: أو ما.
[١١] سورة الشورى، ٤٢/٢٣.
[١٢] ن: قوله.

وقوله: **وسبح بحمده**، أي نزّه ربك وبرِّئهُ عن الآفات كلها والعيوب بثناءٍ تُثني عليه، وهو التسبيح بحمده. وقال أهل التأويل: أي صلِّ بأمر ربك، لكن التأويل ما ذكرنا.

وقوله:[١] **وكفى به بذنوب عباده خبيرا**، أي كفى به عِلما بذنوب عباده، أي لا أحدَ أعلمَ بها منه.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[٥٩] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[٦٠]

وقوله: **الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما**، قد ذكرنا هذا.

وقوله:[٢] **فاسأل به خبيرا**،[٣] قال قائلون:[٤] فاسأل بالله خبيرا، لما يُسأل عنه محمد. وذلك أن بعض كفار مكة قالوا: يا محمد! إن كنت تَعَلّمُ الشعر فنحن لك. فقال النبي: أفشعر[٥] هذا؟ إن هذا [إلا] كلام الرحمن. فقالوا: أجَل، لَعمر الله إنه لكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلّمك. فقال النبي: الرحمن هو الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، مِن عنده يأتيني ذلك. فقالوا: أيزعم[٦] أن الله واحد، وهو يقول: الله يعلمني، والرحمن[٧] يعلمني،[٨] ألستم تعلمون أن هذين[٩] إلهان، أو كلام نحو هذا.[١٠]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن: قوله.
[٣] ن + أي.
[٤] جميع النسخ + قوله.
[٥] ر ع م: الشعر.
[٦] جميع النسخ: أتزعم.
[٧] ر م: الرحمن.
[٨] ع - الرحمن.
[٩] جميع النسخ: هذا.
[١٠] أورد السيوطي في *الدر المنثور* (٣٣٩/٥) خلال تفسير آية الإسراء (٩٠/١٧): ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفجُر لنا من الأرض ينبوعا﴾: فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك إلى الله، إن شاء فعل بكم ذلك. قالوا: يا محمد قد علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك ونطلب منك ما نطلب. فيتقدم إليك ويعلمك ما تُراجعنا به ويخبرك بما صانعٌ في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به. فقد بَلَغَنا أنه إنما يعلّمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا واللهِ لا نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أَعْذَرْنا إليك يا محمد. أمَا واللهِ لا نتركك وما فعلتَ بنا حتى نَهلِكك أو تُهلكنا.

وجائز أن يكون قولهم: **وما الرحمن**، لِما لا يعرفون الرحمن وعرفوا الله، فأنكروا ذلك لِما لم يكونوا يسمعون ذلك، فعرّفهم بقوله: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ،[1] الآية. أو أن يكونوا يعرفون كل معبود إلها، وكذلك يسمّون الأصنام التي عبدوها آلهة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى عبادة الرحمن فظنوا أنه غيرٌ فقالوا: فلئن جاز أن يُعبَد غير الله فنحن نعبد الأصنام، فلِمَ تمنعنا عن ذلك؟ فأخبر أن[2] الرحمن والإله واحد ليس هو غيرا،[3] حيث قال: تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا[4] -إلى آخر ما ذكر-[5] [من] أن يكون[6] الرحمن غير الإله، بل الرحمن هو الذي جعل في السماء بروجا. وقد كانوا يعلمون أن الذي جعل في السماء البروج[7] وهي النجوم وجعل فيها السُّرُج وهي الشمس والقمر هو الله. فأخبر أن الرحمن هو ذلك لا غير.

وفي قول بعضهم: إن قوله: **الذي خلق السماوات والأرض**، الآية من المكتوم.[8] وفي الآية دلالة أنه ليس من المكتوم ولكنه مما يُعلم ويُفسر حيث قال: **فاسأل به خبيرا**، ولو كان مما لا يعلم لكان لا يأمره أن يسأل به خبيرا. أو لو[9] أمره بالسؤال لكان لا يحتمل أن لا يخبره. دل ذلك أنه ليس من المكتوم ولكنه مما يعلم، لكن لا يعلمه إلا الخبير، والخبير هو العالم.[10] ثم يحتمل الله أو جبريلَ أو من يعلِّمه. *والله أعلم*.

وقوله: **فاسأل به**،[11] قال بعضهم: بالله، وقال بعضهم: بالذي سبق ذكره من قوله: **ثم استوى على العرش**.

وقوله:[12] **وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن**، قد ذكرنا. **أنسجد لما تأمرنا**، بالياء والتاء جميعا.[13]

---

[1] ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١١٠).
[2] ر م – أن.
[3] م: غير.
[4] الآية التالية.
[5] جميع النسخ + يقول الله تعالى.
[6] م: يكن.
[7] ع: بروجا.
[8] ع: من مكتوم.
[9] جميع النسخ: أن.
[10] ن: القائل.
[11] م + خبيرا.
[12] ن: قوله.
[13] انظر: حجة *القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٥١١-٥١٢.

وقوله:[١] **وزادهم نفورا**، زادهم دعاؤه إلى عبادة[٢] الرحمن نفورا عن رسول الله. وقال بعضهم في قوله: **فاسأل به خبيرا**، يقول: ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك لا شك فيه. ***والله أعلم***.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾[٦١]

وقوله:[٣] **تبارك الذي جعل في السماء بروجا**، قوله: **تبارك** قد ذكرنا أن بعضهم يقولون: هو من البركة، وقال بعضهم: هو[٤] مِن التعالي. **جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا**، هو ما ذكرنا أنه خرج جوابا لقولهم: وَمَا الرَّحْمٰنُ.[٥] وكذلك قوله:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[٦٢]

وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة، أي جعل أحدهما خلْف الآخر، إذا ذهب هذا جاء هذا. **لمن أراد أن يَذَّكَّر أو أراد شكورا**، أي يُذكِّر الليلَ والنهار لمن أراد أن يتذكر لمواعظه[٦] أو يشكرَ لنعمه، لأنهما يُذكِّران قدرته وسلطانه حيث يَقْهَران[٧] الجبابرة والفراعنة ويغلبانهم حيث يُظلّانهم ويأتيانهم شاءوا أو كرهوا، لا يقدرون دفعهما عن أنفسهم.[٨] وفيهما دلالة البعث والإحياء[٩] بعد الفناء والهلاك، حيث ذهب بهذا [و]أتى بآخر بعد أن لم يبق من أثره شيء. فمن قدر على هذا قدر على البعث والإحياء بعد الموت وذهاب أثره. ويذكّران أيضا نعمه وآلاءه، لأنه جعل النهار متقلَّبا / لمعاشهم ومَطلبا لرزقهم وما به قوام أنفسهم، وجعل [٥٣٩ظ] الليل مُستراحا لأبدانهم وسكونهم، لا قوامَ للأبدان بأحدهما[١٠] دون الآخر. ألا ترى أنه كيف ذكر نِعمه فيهما حيث قال: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،[١١] الآية،

---

[١] ن: قوله.
[٢] ع: عادة.
[٣] ن: قوله.
[٤] ر م – هو.
[٥] الآية السابقة.
[٦] ع: لموعظة.
[٧] ر م: يقهر.   أي الليل والنهار.
[٨] ن – عن أنفسهم.
[٩] ر ع م: الإحياء والبعث.
[١٠] ر ن م: لأحد؛ ع: لأحدهما؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤١ظ.
[١١] ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة مَن إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾ (سورة القصص، ٧١/٢٨).

وقال: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ،[1] الآية. يذكّرهم[2] عظيم نِعمه فيهما -أعني في الليل والنهار- ليستأدى[3] به شكره. فعلى ذلك[4] قوله: **جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ن يذكر أو أراد شكورا**، النعمةَ التي جعل فيهما.

وقال بعضهم: قوله: **خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا**، أي يكون كل واحد منهما خَلَفًا للآخر فيما يفوت فيه من التذكر والتشكر له، أي ما فات في أحدهما من التذكر والتشكر[5] يُقضَى في الآخر. وقال الحسن قريبا مما ذكرنا، وقال: من فاته شيء بالليل أدركه بالنهار ومن فاته شيء بالنهار[6] أدركه بالليل. وعلى مثل ذلك روي عن عمر أن رجلا قال له: يا أمير المؤمنين إني فاتتني الصلاةُ الليلةَ، فقال عمر: أَدْرِكْ[7] ما فاتك من ليلك في نهارك وما فاتك في نهارك من ليلك، ثم قرأ: **وهو الذي جعل الليل والنهار خِلفة**. وقال بعضهم: **خِلفة** من الاختلاف، أي يخالف[8] أحدهما الآخر.

ثم يحتمل الاختلاف وجهين. أحدهما مجيء هذا وذهاب الآخر على ما ذكرنا، كقوله: وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.[9] والثاني هو اختلاف اللون من السواد والبياض، أحدهما أسود والآخر أبيض. ***والله أعلم***.

وقوله: **جعل في السماء بروجا**، قال بعضهم: البروج هي النجوم العِظام، والواحد برج، وهو قول أبي عَوْسَجَة الأعرابي. وقال بعضهم: البروج القصور في السماء فيها تنزل الشمس في[10] كل ليلة.

وروي مثل قول[11] عمر عن سلمان أن رجلا أتاه فقال: يا سَلمان إني لا أستطيع قيام الليل، قال: إن كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تَعجزْ[12] [عنه] بالنهار.[13] وذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] سورة القصص، ٢٨/٧٢.
[2] ر ع م: يتذكرهم.
[3] ر ع م: ليتأدى.
[4] جميع النسخ + هذا؛ ر ع م + ما ذكرنا.
[5] ن + له.
[6] ع - بالنهار.
[7] ع: درك.
[8] ر ع م: مخالف.
[9] سورة البقرة، ٢/١٦٤.
[10] م - في.
[11] ع - قول.
[12] ر م: تعجزه.
[13] عن قتادة أن سلمان جاءه رجل فقال: لا أستطيع قيام الليل: قال: إن كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز بالنهار (*الدر المنثور* للسيوطي، ٦/٢٧١).

كان يقول: «أَصيبوا من هذا الليل ولو ركعتين أو[١] أربعا.»[٢] وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده إن في كل ليلة ساعةً لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أُعطِي له في هذا الليل والنهار، فإنهما مَطيّتان تحملان[٣] الناس إلى آجالهم، تُقرّبان كل بعيد وتُبلِيان كل جديد وتَجيئان بكل موعود حتى يؤدي ذلك إلى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يصير الناس بأعمالهم إلى[٤] الجنة وإلى النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت.»[٥]

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٦٣]

وقوله: **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا**، وصف عز وجل أهل الصفوة والإخلاص من عباده أنهم يمشون على الأرض هَونا إلى آخر ما ذكر، وإلا كانوا كلهم عباد الرحمن، لكن وصَف أهل الصفوة منهم والإخلاص والتُّقَى. وقوله: **يمشون على الأرض هونا**، قال بعضهم: حُلَماء أتقياءَ بغير مَرَح ولا بَطَر. وقال بعضهم: **هونا**، أي متواضعين لا خُيَلاء ولا كبرياء ولا مَرَحا. وعن[٦] الحسن قال: هم المؤمنون قوم ذُلُل، ذلَّت[٧] الأسماع والأبصار والجوارح [منهم] حتى يحسبهم الجاهل مرضى، واللهِ ما بالقوم من مرض وإنهم لَأَصحّةُ القلوب، ولكن[٨] دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم. وفي بعض الأخبار مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الأنِف[٩] إنْ قِيد انقاد

---

[١] جميع النسخ: ولو؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤١ظ.

[٢] عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلوا من الليل أربعا، صلوا ولو ركعتين. ما من أهل بيت تُعرَف لهم صلاة من الليل إلا ناداهم منادٍ: يا أهل البيت قوموا لصلاتكم» (شعب *الإيمان* للبيهقي، ١٦٢/٣؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٧٢/٢).

[٣] جميع النسخ: تقحمان؛ والتصحيح مستفاد من رواية الحديث.

[٤] ع - إلى.

[٥] عن قتادة أن سلمان جاءه رجل فقال: لا أستطيع قيام الليل: قال: إن كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز بالنهار. قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده إن في كل ليلة ساعة لا يوافقها رجل مسلم يصلي فيها يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه اياه» قال قتادة: فأرُوا الله من أعمالكم خيرا في هذا الليل والنهار فانهما مطيّتان تحملان الناس إلى آجالهم تقربان كل بعيد وتبليان كل جديد وتجيئان بكل موعود إلى يوم القيامة (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٧١/٦).

[٦] ع: وقال.

[٧] ر ع م + والله.

[٨] ع: لكن.

[٩] أي الذي جعل الزمام في أنفه.

وإنْ أُنيخ على صخرة استناخ.»[١] وأصله أنهم يمشون هونا من غير أن يتأذى بهم أحد أو يلحق بأحد منهم ضرر.[٢] *والله أعلم.*

وقوله:[٣] **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**، قال بعضهم: إذا جاهلهم الجاهلون وسافههم[٤] السفهاء لا يجاهلون أهل الجهل والسفه ولكن قالوا: السلام عليكم. وقال بعضهم: وإذا سمعوا الشتم والأذى **قالوا: سلاما**، أي سدادا وصوابا من القول وردا معروفا. أعرَضوا[٥] عن سفههم وجهلهم بهم ولم يكافئوهم، كقوله: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ،[٦] الآية. يخبر عز وجل عن صحبتهم أهل السفه والجهل وحُسن معاشرتهم إياهم ورِفقهم بهم.[٧] فكيف يعاملون أهل الخير والعقل منهم ويصاحبونهم[٨] فهذه معاملتهم الخلائق على الوصف الذي وصفه. ثم أخبر عن صنيعهم لله وركونهم إليه فقال:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[٦٤]

والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما. عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله الذين يبيتون الليل وأيديهم على رُكَبهم». ثم قال: «من صلى ركعتين بعد العشاء فقد بات لله تعالى ساجدا قائما».[٩] وقال[١٠] الحسن: كانوا يَبيتون لله على أقدامهم ويفترشون وجوههم سُجّدا لربهم، تجري[١١] دموعهم على خدودهم فَرَقا[١٢] من ربهم.[١٣] وقال: لِأمرٍ ما سهِر له ليلهم ولِأمرٍ ما خشَع له نهارهم.

---

[١] عن ابن المبارك قال: أخبرنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الأنف الذي إن قِيد انقاد وإذا أُنيخ على صخرة استناخ.» انظر: *كتاب الزهد* لابن مبارك، ١٣٠/١ (٣٨٧)؛ و*حلية الأولياء* لأبي نعيم، ١٨٠/٥.

[٢] جميع النسخ + أو معنى.

[٣] ن: قوله.

[٤] ن م: وشافههم.

[٥] ر ع م: عرضوا.

[٦] ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ (سورة القصص، ٥٥/٢٨).

[٧] ر م – بهم.

[٨] ر م: ويصاحبون.

[٩] ن ع: وقائما.

[١٠] ع: قال.

[١١] ر ع م: يجيء، ن: يجهر.

[١٢] ن: خوفا.

[١٣] انظر: *تفسير الطبري*، ٣٥/١٩.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[٦٥] ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[٦٦]

وقوله: **والذين يقولون** / **ربنا اصرف عنا عذاب جهنم**، يحتمل أن يكون هذا إخبارا [٥٤٠ر] من الله تعالى عما في ضميرهم، ليس على حقيقة القول منهم[1] والدعاء، لأن من بلغ في العبادة والورع المبلغَ الذي وصفهم لا يَشغلون أنفسهم بالسؤال عن دفع المضار أو جرّ النفع. ويحتمل على الدعاء والقول على ما أخبر. ***والله أعلم.***

ثم أخبر عن عذابها فقال: **إن عذابها كان غراما**، قال الحسن: الغرام اللازم الذي لا يفارق صاحبه، وكل غريم[2] يفارق غريمه غير[3] عذاب جهنم. وقال بعضهم: الغرام الهلاك.

وقال: **إنها ساءت مستقرا ومقاما**، أي جهنم بئس المستقر وبئس المُقام لأهلها. هو مقابل ما ذكر لأهل الطاعة الجنة حيث قال: حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا.[4] وقال بعضهم: **غراما** غَرِموا في الآخرة ما تَعِموا في الدنيا. وفي حرف ابن مسعود: كان غراما إنا أُنبِئنا أنها ساءت مستقرا ومقاما.[5]

وقال أبو عَوْسَجَة: **هَوْنًا**[6] هو[7] من الرفق، يقال: هان يهون هَونا فهو هائن. ومنه يقال:[8] إذا عزّ أخوك فهُن، أي إذا اشتد فارفُق به. والغرام الهلاك. وكذلك[9] قال[10] القُتَبِي: **غراما**، أي هلَكَة. وقال مشيا هونا: رويدا.[11] سلاما، أي سدادا من القول لا رفَث فيه ولا هُجر.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٦٧]

وقوله:[12] **إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا**، قال بعضهم: **لم يسرفوا** في غير حق،

---

[1] ر ع م – منهم.
[2] ع: غريمه.
[3] ع: غيره.
[4] سورة الفرقان ٧٦/٢٥.
[5] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود ٦٧.
[6] من الآية السابقة برقم ٦٣.
[7] ر م – منهم.
[8] جميع النسخ: وقوله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٢و.
[9] ر – وكذلك.
[10] ر: وقال.
[11] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٥.
[12] ن: قوله.

كسبوا طيبا وأنفقوا قَصدا وأعطَوا فضلا وأَنْجَحوا[1] واستبشروا. **ولم يقتروا**، أي ولم يمسكوا عن الحق.[2] وقوله: **وكان بين ذلك قواما**، أي بين الإسراف والتقتير مقتصدا[3] وهو تأويل مقاتل. وقال بعضهم: الإسراف هو الإنفاق في معصية الله. **لم يسرفوا**، أي لم ينفقوا في معصية الله،[4] **ولم يَقْتُروا**، أي لم يمنعوا عن طاعة الله. **وكان بين ذلك قَواما**، أي عدلا لا يمسك عن حق ولا ينفق[5] في باطل ولكن نفقةٌ في طاعة الله. وقال بعضهم: الإسراف في النفقة هو الإنفاق فيما لا ينتفع من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة التي كانوا يتركونها سدى ولا ينتفعون بها.[6] والإقتار هو الإمساك عن الإنفاق فيما ينتفع به. وقال بعضهم: الإسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له في الإنفاق في الإكثار، والإقتار هو المنع عن[7] الحد الذي جعل له.

وكان بين ذلك قَواما، أي وسطا، كقوله: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ،[8] ولكن بين ذلك. وأصله **لم يُسرفوا**، أي لم ينفقوا[9] ولم يضعوا إلا في ما أمروا أن يضعوا أموالهم[10] فيه. **ولم يَقتُروا**، أي ولم يمنعوا عما أمروا أن يضعوا فيه.[11] **وكان بين ذلك قواما**، أي قائما في ذلك. أخبر[12] أن ما يفعلون لا يفعلون إلا بأمر وأخبر أنهم لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ.[13]

[٥٤٠ظ س٤] *وقال أبو عَوْسَجَة: الإسراف الفساد، والتقتير التضييق. **ولم يقتروا**، أي لم ينفقوا قليلا لا يكفي عيالهم. قال: والقِوام الوسط، ويقال: لا قوام لي في هذا الأمر، أي لا طاقة لي فيه،

---

[1] ر م: والجمود؛ ع: والجمد. أنجح الرجل: صار ذا نجح وظفر (*لسان العرب*، «نجح»).
[2] ن + والله أعلم.
[3] ر ع م: مقصدا.
[4] ر ع م – لم يسرفوا أي لم ينفقوا في معصية الله.
[5] ر ع م: ولا ينفقون.
[6] انظر: سورة المائدة، ١٠٣/٥.
[7] ن: من.
[8] سورة الإسراء، ٢٩/١٧.
[9] ر م: لم ينتفعوا.
[10] ر ع م – أموالهم.
[11] ر ع م – ولم يقتروا أي ولم يمنعوا عما أمروا أن يضعوا فيه.
[12] ع ن: يخبر.
[13] من الآية التالية.

ولا أقاوم هذا الأمر، أي لا أطيقه. والقوام القصد. قال أبو معاذ في قوله: **ولم يقتروا**، لغات أربع: لم يُقتِروا برفع الياء وبخفض التاء غير مثقَّل، ويُقتِّروا مثقّل،[1] ويَقتِروا بنصب الياء وخفض التاء، **ويقتُروا** برفع التاء، والمعنى كله واحد.* [٥٤٠ظ س٨]

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[٦٨]

ثم يحتمل هذا وجهين. **لا يدعون [مع الله إلها آخر]**، أي لا يعبدون دون الله غيره، أو لا يسمّون[3] غير الله إلها.[4] **ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون**، أخبر في الآية الأولى في قوله: [وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ] يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا،[5] عن معاملتهم الخلق[6] وصنيعهم بينهم وبين العباد حيث أخبر أنهم يمشون هَوْنًا لا يؤذون[7] أحدا ولا يضرونه، وإذا آذاهم أهل الجهل والسفه لا[8] يكافئوهم[9] لأذاهم ولكن احتملوا ذلك عنهم وتجاوزوا وقالوا[10] لهم قولا سديدا. هذه معاملتهم فيما بينهم وبين الخلق بالنهار. وأخبر عن معاملتهم ودعائهم ربهم بالليل حيث قال: وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ،[11] الآية. ثم أخبر عن صنيعهم في أموالهم التي في أيديهم أنهم لا يضعونها إلا فيما أمروا بالوضع فيها، وأخبر عن صفوتهم[12] وإخلاصهم لله في العبادة وكفّهم عن محارم الله حيث قال:[13] [وَالَّذِينَ] إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا.[14]

---

[1] ر م – ويقتروا مثقل.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٠ظ/سطر ٤-٨.
[3] ع: أو يسمون.
[4] ر ع م – إلها.
[5] الآية ٦٣ من هذه السورة.
[6] ع: الحق.
[7] ر م: ولا يؤذون.
[8] ر م: لم.
[9] ع: يكافوا هم.
[10] م: وقولوا.
[11] الآية ٦٤-٦٥ من هذه السورة.
[12] ر: عن صفتهم.
[13] ر: قالوا.
[14] الآية السابقة.

وقوله: **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون**، وقوله: وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ،[1] موصول بهذا أيضا ومقدم عن قوله: **ومن يفعل ذلك يلق أثاما**. كأنه قال: ولا يزنون ولا يشهدون الزور **ومن يفعل ذلك**، أي ما ذكر مِن قتل النفس المحرمة والزنى وشهادة الزور والشرك **يلقَ أثاما**. قال بعضهم: **أثاما**، أي واديا في جهنم. وقال بعضهم: **أثاما** عذابا في النار.[2]

وفي قوله: **ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون**، دلالة نقض قول الخوارج بإكفارهم أصحاب الكبائر، لأنه أخبر أنها محرمة بعد ارتكابها[3] / كالزنى[4] والقتل كما هي قبل ارتكابها، **إلا بالحق** حيث قال: **ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق**، دل أنها[5] محرمة بعدُ غير كافرة. **إلا بالحق**: إما بحق القصاص وإما بحق الزنى وإما بحق الارتداد، على[6] ما ذكر في الخبر: «لا يحل قتل امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاثِ خصالٍ: زنىً بعد إحصان، وكفرٌ بعد إيمان، وقتلُ نفس بغير حق.»[7] ولو كانت كافرة بارتكاب ما ذكر لكانت غير محرمة، فدل أنه ما ذكرنا.*

|٥٤٠ظ|

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[٦٩]

وقوله:[9] **يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا**. فإن قيل: أخبر ههنا أنه يضاعف له العذاب، وقال في آية أخرى: مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا،[10] فما معنى الضِّعْف ههنا؟

---

[1] الآية ٧٢ من هذه السورة.

[2] انظر تأويل أبي عوسجة لكلمة "أثاما" عند تفسير الآية ٧٢ من هذه السورة. وقع هنا مقطع متقدما على موضعه من تفسير الآية رقم ٧٢، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٠و/سطر ٣٤-٣٨.

[3] أي الكبائر.

[4] جميع النسخ: الزنا.

[5] ر: أنهما.

[6] ر م: وعلى.

[7] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٦١؛ و*صحيح البخاري*، الديات ٢٢؛ و*سنن ابن ماجة*، الحدود ١؛ و*سنن النسائي*، القسامة ١٣.

* وقع هنا مقطعان: مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ ومقطع متقدما على موضعه من تفسير الآية رقم ٧٣، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٠ظ/سطر ٤-١٣.

[9] ن: قوله.

[10] سورة المؤمن، ٤٠/٤٠.

قيل: يحتمل هذا وجهين. أحدهما أنه يضاعف العذاب للذين تقدم ذكرهم إذا كفروا بالله بعد ما بلغوا المبلغ الذي وصفهم والرتبة التي[١] ذكر، وهو قوله: وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ،[٢] الآية. إن واحدا منهم إذا كفر يضاعف له العذاب، يتضاعف عذابه على قدر منزلته ومرتبته عند الله وعلى قدر نعم الله عليه إذا كان منه عصيان وكفران لذلك، وهو كما قال لرسول[٣] الله صلى الله عليه وسلم: وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ،[٤] أي ضِعف عذاب الحياة وضِعف عذاب الممات؛ وما ذكر أيضا لأزواجه حيث قال: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ.[٥] كل من كان أعظم قدرا وأكثر نِعَما عليه فعقوبته إذا عصى ربه أكثر وأشد من الذي لم يبلغ ذلك المبلغ[٦] ولا تلك الرتبة، فيكون ضِعفَ غيرِه وجزاءَ مثلِه.

والثاني أن يكون ذلك للأئمة، أعني الكفرة والرؤساء دون الأتباع، لأنهم عملوا هم بأنفسهم ودعَوا[٧] غيرهم إلى ذلك، كقوله: وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ.[٨] أو أن يكون ذلك لهم للعناد[٩] الذي كان منهم والمكابرة، ثم استثنى من تاب منهم فقال:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٧٠]

إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا، الآية، فإن كانت[١٠] الآية[١١] في الذين قال: وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا،[١٢] فكان فيه دلالة قبول توبة المرتدّ إذا تاب ورجع إلى الإسلام حيث استثنى من تاب منهم.

---

[١] ع - التي.
[٢] الآية ٦٣ من هذه السورة.
[٣] م: رسول.
[٤] سورة الإسراء، ١٧/٧٤-٧٥.
[٥] سورة الأحزاب ٣٣/٣٠.
[٦] ر م - المبلغ.
[٧] ع: داعوا.
[٨] ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/١٣).
[٩] ر م: العناد.
[١٠] ع ن: فإن كان.
[١١] ر م - فإن كانت الآية.
[١٢] سورة الفرقان ٢٥/٦٣.

وقوله:[1] **فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما يوفقهم[2] الله إذا تابوا وندِموا على ما فعلوا من السيئات في الدنيا حتى يعملوا مكان كل[3] سيئة عملوها حسنةً،[4] فذلك معنى تبديل[5] الله سيئاتهم[6] حسنات، أي يوفقهم على ذلك. والثاني يبدل الله سيئاتهم حسنات في الآخرة لما كان منهم الندامة والحسرة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا. وعلى ذلك روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ليأتين أقوام يوم القيامة ودُّوا أنهم استكثروا من السيئات. فقيل له: يا أبا هريرة ومن هم؟ قال: هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات؛[7] وكأنه روي مثله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾[٧١]

وقوله: **ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما أن يكون على الأمر[8] كأنه قال: ومن تاب فليتُب إلى الله متابا[9] لا يرجع عنها أبدا. وعلى ذلك يخرج قوله: إِن يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ،[10] أي إن يكن منكم عشرون فيَثبُتوا[11] يغلبوا مائتين على الأمر، دليله قوله حيث قال: اَلْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ،[12] الآية. والثاني أن يكون ذلك لقوم خاص علِم الله أنهم إذا تابوا توبة لا يرجعون عنها أبدا، وإلا ليس كل من تاب يكون على توبته أبدا.[13]

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٧٢]

[٥٤٠و س٣٤] *وقوله: **[والذين] لا يشهدون الزُّور**، قال بعضهم: لا يشهدون مكان الزور وهو الغِناء، أي لا يشهدون المكان الذي يُتَغنّىَ فيه. وقال بعضهم: لا يشهدون بشهادة الزور وهو الكذب.

---

[1] ن: قوله.
[2] جميع النسخ: يوفق؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٢ظ.
[3] ر م – كل.
[4] ر ع م – حسنة.
[5] ع: تبدل.
[6] ر ع م – سيئاتهم.
[7] *تفسير القرآن* لابن كثير، ٣/٣١٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦/٢٨١.
[8] ن: أن يكون إلا من؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٢ظ.
[9] ر ع م – يحتمل هذا وجهين أحدهما أن يكون على الأمر كأنه قال ومن تاب فليتب إلى الله متابا.
[10] سورة الأنفال، ٨/٦٥.
[11] ع ن: فليثبتوا.
[12] ﴿الآنَ خفّف الله عنكم وعلم أن فيكم ضَعْفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٦٦.
[13] ر ع م + وقوله: ن + قوله.

وقوله:[١] **وإذا مروا باللغو مروا كراما**، مرور الكرام، أي إنْ قدروا على تغيير ما عاينوا من اللغو والمنكر غيّروه ومضَوا على وجههم من غير أن دخل في ذلك فساد، وإنْ لم يقدروا مضَوا و لم يعبئوا به ولا اشتغلوا به، كقوله: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ.[٢]* [٥٤٠و س٣٨]

والذين لا يشهدون الزور،[٤] **وإذا مروا باللغو مروا كراما.**[٥] وقال[٦] بعضهم: إذا أُوذُوا صفَحوا. وقال بعضهم: إنهم كانوا إذا أتوا على ذكر النكاح أو غيره كنَّوا عنه. وقال[٧] أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: يَلْقَ أَثَامًا،[٨] أي عقوبة الأثام.[٩]

وقوله: **مروا كراما**، أي لم يخوضوا فيه وأكرموا أنفسهم عنه.[١٠]

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[٧٣]

*وقوله: **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا**، قال بعضهم: [٥٤٠ظ س٨ يقول: إذا ذكروا بآيات ربهم لم يَصَمّوا عن الحق و لم يَعمَوا. قال: هم واللهِ قوم عقَلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتاب الله. وقال الحسن: من يقرأها بلسانه يخرّ عليها أصمَّ وأعمى، كأنه يخبر أن أولئك -أعني أهل صفوة الله وإخلاصه- لم يخرّوا على تلك الآيات صُمًا ولا عُميانا كالكفرة العَنَدَة ولكن خرّوا عليها متذكرين متفقهين[١١] متيقظين عالمين بما فيها عاملين، كقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ،[١٢] الآية.* ٥٤٠ظ س١٣]

---

[١] ن: قوله.

[٢] ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ (سورة القصص، ٥٥/٢٨).

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٠و/سطر ٣٤-٣٨.

[٤] جميع النسخ + قد ذكرناه.

[٥] جميع النسخ + قد ذكرناه أيضا. ونحن قد نقلنا إلى هنا ما ذكر في الآية السابقة برقم ٦٨ في كلا الموضعين.

[٦] ر م – وقال.

[٧] ع: قال.

[٨] من الآية ٦٨ من هذه السورة.

[٩] جميع النسخ + العقوبة. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٥.

[١٠] جميع النسخ: عنهم.

[١١] ر م: ومتفقهين.

[١٢] ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٢/٨).

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٠ظ/سطر ٨-١٣.

صما وعميانا، أي لم يتغافلوا عنها. وقال[1] بعضهم: إنهم إذا وُعِظوا بالقرآن **لم يخروا عليها صما وعميانا**، عند تلاوة القرآن فلا يسمعون ولا يبصرون، ولكن يخرّون عليها سُمَعَاءَ وبُصَرَاءَ، وهو واحد.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٧٤]

[٥٤١و] وقوله:[2] **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا**، / **قرة أعين**، قد نعَتهم عز وجل في معاملتهم ربهم[3] أنْ كيف عاملوا ربهم بالليل والنهار، ونعتهم[4] أيضا في معاملتهم عبادَه أنْ كيف عاملوا عباده. ثم نعتهم في معاملتهم أهلِيهم ودعائهم لهم فقال: **يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**، فهو –والله أعلم– لَمّا أمرهم أن يَقُوا[5] أنفسهم وأهليهم النار بقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[6] الآية، فعند ذلك دعَوا ربهم وسألوه أن يهَب[7] لهم من أزواجهم وذرياتهم ما تَقَرّ به أعينهم في الدنيا والآخرة. وقال بعضهم: اجعَلْهم صالحين مطيعين لك[8] فإن ذلك يُقِرّ أعيننا. قال الحسن: واللهِ ما شيء أحبّ إلى العبد المسلم من[9] أنْ يرى ولده أو ولد ولده[10] أو حميمه يطيع الله. وقال: نراهم يعملون بطاعة الله فتَقَرّ بذلك أعيننا. *والله أعلم*.

وقوله: **واجعلنا للمتقين إماما**، قال بعضهم: أي اجعلنا أئمةَ هُدى وتقوى يُقتدى بنا. وقال بعضهم: واجعلنا بحال يقتدِي بنا المتقون. وأصله –والله أعلم– كأنهم[11] سألوا ربهم أن يجعلهم بحال من اقتدى بهم صار متقيا، لا من اقتدى بهم[12] صار ضالا فاسقا. هذا –والله أعلم– تأويله،

---

[1] ع: قال.
[2] ن: قوله.
[3] ر ع م – ربهم.
[4] ر م: نعتهم.
[5] ر م: يتوبوا؛ ع: يقول.
[6] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[7] ع: يهيب.
[8] ر ع م – لك.
[9] ع – من.
[10] ر ع م – أو ولد ولده.
[11] ر ع م: فإنهم.
[12] ر ع م – بهم.

وإلا سؤالهم[١] أن اجعلنا إماما للمتقين لا معنى له أن يطلبوا لأنفسهم الإمامة، ولكن على الوجه الذي ذكرنا. *والله أعلم*.

ثم أخبر عن جزائهم في الآخرة بصنيعهم في الدنيا وصبرهم على ما أمروا فقال:

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾[٧٥]

أولئك يجزون الغرفة بما صبروا، والغرفة[٢] هي أعلى المنازل وأشرفها. أخبر أنهم يجزون ذلك ويكونون فيها. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: أولئك يجزون الجنة بما عملوا.[٣] فجائز أن يكون الغرفة المذكورة في الآية كناية عن الجنة، يدله حرف ابن مسعود. وجائز أن يراد به نفس الغرفة وهو لارتفاعها وعلوها على غيرها من المنازل، وذلك مما يُختار الكون فيها في بعض الأوقات في الدنيا. والناس يرغبون فيها لإشرافها وارتفاعها على غيرها، فرغبهم بذلك في الآخرة.

وقوله: **ويلقون فيها**، بالتخفيف والتشديد، ويَلقَون[٤] **تحية وسلاما**، أي تتلقاهم[٥] الملائكة بالتحية والسلام، كقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ،[٦] وقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ،[٧] أو يَلقَى بعضهم بعضا بالتحية والسلام ويحيي بعضهم بعضا ويسلّم بعضهم على بعض.[٨]

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[٧٦]

وقوله: **خالدين فيها** دائمين، **حسنت مستقرا ومقاما**، تأويله -والله أعلم- أي حسنت لهم الجنة مستقرا ومقاما حتى لا يَملّوا فيها ولا يَسأموا ولا تأخذهم الوحشة والكآبة كنعيم الدنيا يُمَلّ عنها[٩] ويُسأم عند الكثرة وطول المُقام فيها.

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[٧٧]

وقوله: **قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم**، قال بعضهم: **ما يعبأ بكم ربي**، أي ما يعتَدّ بكم ربي

---

[١] ع: ولا سؤالهم.
[٢] ع - والغرفة.
[٣] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود ٦٧.
[٤] انظر: *حجة القراءات* لابن زَنْجلة، ٥١٥-٥١٦.
[٥] جميع النسخ: يلقيهم.
[٦] ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ (سورة الرعد، ١٣/ ٢٣-٢٤).
[٧] ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٧٣).
[٨] ع: بعضهم بعضا.
[٩] ر م - عنها.

لولا دعاؤه إياكم إلى التوحيد لتوحِّدوه وتطيعوه. وقال بعضهم: **ما يعبأ**، أي ما يصنع بكم ربي، وتأويله -والله أعلم- أي ما يصنع ربي بعذابكم إن وحدتموه وأطعتموه، بقوله: مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ[1] إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ.[2]

وقوله:[3] **فقد كذبتم فسوف يكون لزاما**، اختلف فيه، قال بعضهم: هو عذاب يوم بدر، يعني ألزم بعضَهم بعضا. وكذلك قال ابن مسعود قال: مضت آية الدخان والبطشة، واللزامُ يوم بدر.[4] وقال بعضهم:[5] **لزاما**، أي عذابا ملازما غير مفارق، وهو عذاب الآخرة. وقال أبو عَوْسَجَة: **ما يعبأ بكم ربي**، أي ما يصنع، يقال: عَبَأَ يَعْبَأُ عِبْئًا،[6] فهو عابئ إذا احتاج إليكم. ويقال: ما أَعْبَأُ بهذا الأمر، أي ما أصنع به. ويقال: عبأت بفلان، أي احتجت إليه، وكذلك قول القُتَبِي.[7]

---

[1] ر ع م - وحدتموه وأطعتموه بقوله ما يفعل الله بعذابكم.

[2] سورة النساء، ١٤٧/٤.

[3] ن: قوله.

[4] وهما: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾، و﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ (سورة الدخان، ١٠/٤٤، ١٦). انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ٥/٢٥، وتفسير الطبري، ٥٦/١٩، ١٧/٢١، ١١٢/٢٥، ٨٥/٢٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧٠/٦.

[5] ر ع م - بعضهم.

[6] ر ع م: عباء.

[7] ر + والله أعلم بالصواب؛ ن ع + والله أعلم. انظر: *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٨. «ومنه قوله تعالى: ﴿قل ما يَعْبَأُ بكُمْ رَبِّي لولا دُعاؤكم فقد كَذَّبتم فسوفَ يكُون لِزامًا﴾. قال: وهذه الآية مشكلة. روى ابن نجيح عن مجاهد أنه قال في قوله: ﴿قل ما يَعْبَأُ بكم ربي﴾، أي ما يَفْعَل بكم ربي لولا دُعاؤه إياكم لتَعْبُدوه وتُطِيعوه، ونحو ذلك. قال الكلبي: وروى سلمة عن الفراء: أي ما يَصْنَعُ بكم ربي لولا دُعاؤكم، ابتلاكم لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام. وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿قل ما يَعْبَأُ بكم ربي﴾، أي ما يفعل بكم لولا دُعاؤكم: معناه لولا تَوْحِيدُكم. قال: تأويله: أيُّ وزنٍ لكم عنده لولا تَوحِيدُكم، كما تقول: ما عَبَأْتُ بفلان، أي ما كان له عندي وَزْنٌ ولا قَدْرٌ» (*لسان العرب*، «عبأ»).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعراء قيل مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿طسٓمٓ﴾[١] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٢]

قوله عز وجل: **طسم**، قد ذكرنا تأويل الحروف المعجمة فيما تقدم.[2] وكذلك قوله: **تلك آيات الكتاب المبين**،[3] قد ذكرنا تأويله أيضا.

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٣]

وقوله:[4] **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين**، كان يشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم تركُهم الإيمان وتكذيبهم إياه إشفاقا وخوفا عليهم وتعظيما لله وإجلالا لحقه، حتى كادت نفسه تَهْلِك حزنا على ذلك، وكقوله: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا؛[5] والأسف هو النهاية في الحزن، كقول يعقوب: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ.[6] وقال بعضهم: الأسف هو النهاية في الغضب، كقوله: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ،[7] قيل: أغضبونا. وقد ذكرنا في[8] ما [تقدم][9] ذكر الله رسوله[10] ووصَفه [بأنه] كان مطبوعا بحزن وتأسف لمكان كفرهم وتكذيبهم،

---

[1] ر – سورة الشعراء قيل مكية؛ ن ع: قيل سورة الشعراء مكية.

[2] انظر: المصطلحات والأفكار الرئيسية أواخر المجلدات السابقة، «الحروف المعجمة أو المقطعة».

[3] انظر: أوائل سورة البقرة، ويونس، ويوسف.

[4] ن م: قوله.

[5] سورة الكهف، ٦/١٨.

[6] ﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيَضّت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (سورة يوسف، ٨٤/١٢).

[7] سورة الزخرف، ٥٥/٤٣.

[8] جميع النسخ + سورة يوسف على.

[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٤٣و.

[10] ر م: ورسوله.

كقوله: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ،[1] الآية. يَحْزَن عليهم إشفاقا عليهم ويغضب عليهم لله تعظيما له وإجلالا لأمره لما ضيعوا أمره ونهيه. وهكذا الواجب على كل من رأى آخر في فاحشة أو كبيرة أن يحزن ويترحم عليه ويغضب لله لما ارتكب من الفاحشة.

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[٤]

وقوله:[2] **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين**، قالت[3] المعتزلة: قوله: **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية**، مشيئة قسر وقهر حتى يضطروا لها فيؤمنوا. لكن عندنا مشيئة الإيمان والاختيار، أي إن نشأ[4] إيمانهم ننزل عليهم آية فيؤمنوا،
[٥٤١ظ] لأن الآية لا تضطر أحدًا ولا تقهر على الإيمان، / دليله قوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى،[5] الآية. أخبر أنهم لا يؤمنون وإنْ فعل ما ذكر ولا يضطرهم ذلك على الإيمان. وكذلك ما أخبر عنهم في الآخرة حيث[6] قال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ،[7] الآية، وقوله:[8] ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ[9] الآية، أخبر عن حَلْفهم وإنكارهم في الآخرة أنهم لم يكونوا على ما كانوا. ولا تكون[10] آية أعظم مما عاينوا من أنواع العذاب. ثم لم يمنعهم ذلك عن التكذيب ولا اضطرهم على الإقرار والتصديق. دل أن الآية وإن كانت عظيمة لا تضطر أهلها على الإيمان والتصديق. وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم ما يغنينا عن ذكرها في هذا الموضع.

---

[1] ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ (سورة التوبة، ١٢٨/٩).

[2] ن: قوله.

[3] ن: قال.

[4] ر ع م: أي إنشاء.

[5] ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٦).

[6] ر ع م – حيث.

[7] ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ١٨/٥٨).

[8] ن: وقولهم.

[9] ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦).

[10] ن: ولا يكون.

وقوله:[١] **فظلت أعناقهم لها خاضعين**، أي مالت وخضعت لها أعناقهم،[٢] والأعناق كأنها كناية عن أنفسهم. وعن ابن عباس قال: **فظلت أعناقهم لها خاضعين**، قال: سيكون لنا دولة على بني أمية فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة وهَوانا بعد عزة، فقد كان ذلك. وقال بعضهم: الأعناق السادة والقادة، والواحد عُنُق، أي إذا أسلم القادة أسلم الأتباع اتباعا لهم. ***والله أعلم***. *قال القتبي وأبو [٥٤١ظ س١٤
عوسجة: **فظلت أعناقهم**، كما تقول: ظَلَلْت اليوم. قالا: والأعناق السادة، والواحد منه عُنُق.* ٥٤١ظ س١٥]

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾[٥]

وقوله:[٤] **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث**، قال بعضهم: يقول: كلما نزل شيء بعد شيء[٥] من الموعظة والذكر فهو مُحدَث من الأول. وجائز أن يكون قوله: **وما يأتيهم من ذكر**، أي ما يأتيهم من ذكر[٦] مما[٧] فيه ذكرهم في الآخرين وشرفهم في الخلق **إلا كانوا عنه معرضين**، لأنهم لو آمنوا لَذُكِروا[٨] في الناس وبقي لهم ذكر وشرف كذكر الأنبياء والرسل فيهم إلى آخر الدهر.

وقوله: **محدَث** هو محدَث على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما.*

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٦]

وقوله:[١٠] **فقد كذبوا**، الآية، هي ظاهرة قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[١١]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[٧]

وقوله: **أولم يروا إلى الأرض**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما قد رأوا ما[١٢] أنبتنا وأخرجنا منها.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن – أعناقهم.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤١ظ/سطر ١٤-١٥.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر م – بعد شيء.
[٦] ر ع م – أي ما يأتيهم من ذكر.
[٧] جميع النسخ + به.
[٨] ر: الذكور؛ ع: الذكروا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٤، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤١ظ/سطر ١٤-١٥.
[١٠] ن: قوله.
[١١] انظر مثلا: تفسير الآية ٥ من سورة الأنعام.
[١٢] ع: أما.

والثاني على الأمر، أي رُوا[1] ما أنبتنا في الأرض وأخرجنا منها من كل زوج كريم. قال الحسن: الكريم الحسن كالبهيج.[2]

وقوله:[3] **من كل زوج [كريم]**، أي جنس حسن.

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٨]

وقوله: **إن في ذلك لآية**، يحتمل قوله: **لآية** لوحدانية الله وألوهيته وآية لسلطانه وقدرته وآيةً لعلمه وتدبيره، لأن من قدر على إحياء النبات والأرض بعد ما يَبِسَ وجفّ لَقادر على إحياء الموتى وبعثهم. ودل إخراج النبات من الأرض في كل عام على حدّ واحد وعلى قدر وميزان واحد على أنه إنما خرج ذلك عن تدبير وعلم ذاتي وقدرة ذاتية، ليست بمستفادة. فدل ذلك كله أنه فعل واحدٍ قادر مدبر عالم لا يُعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء. ***والله الموفق.***

وقوله: **وما كان أكثرهم مؤمنين**، يحتمل قوله: **وما كان** أكثر[4] الذين بُعث إليهم **محمد مؤمنين**، وهم الذين كانوا وقت مبعثه. وجائز أن يكون: [**وما كان أكثرهم**، أي] وما يكون أكثرهم[5] مؤمنين [في المستقبل].[6]

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٩]

وقوله:[7] **وإن ربك لهو العزيز الرحيم**. جائز أن يقال: **العزيز** المنتقم من أعدائه، **الرحيم** بأوليائه. ويحتمل: **العزيز** على الخلائق كلهم وهم أذلاء دونه، به[8] يَعِزّ مَن عزّ.

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١٠] ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾[١١]

وقوله:[9] **وإذ نادى ربك موسى**، أي أمر ربك موسى وأوحى، **أن ائت القوم الظالمين قومَ فرعون ألا يتقون**، فيه دلالة أن موسى صلوات الله عليه كان مبعوثا مرسلا إلى فرعون وقومه،

---

[1] جميع النسخ: رأوا.
[2] انظر: تفسير *الطبري*، ٦٣/١٩.
[3] ن: قوله.
[4] ع م: أكثرهم.
[5] جميع النسخ: وما أكثر ما يكونون.
[6] الزيادتان والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٣ظ.
[7] ن: قوله.
[8] م: وبه.
[9] ن: قوله.

وإن كان لم يذكر في بعض الآيات قومه حيث قال: إذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى،[١] وقال في بعضها: إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ،[٢] فهذا لأنهم[٣] كانوا الرؤساء والقادة، فإذا آمنوا هم[٤] اتّبعهم الأتْباع في ذلك، وإلا كان مبعوثا في الحقيقة رسولا إليه وإلى قومه جميعا: الأتباع والمتبوعين كما ذكر[٥] في الآية.[٦]

وقوله:[٧] **قومَ فرعون ألا يتقون**، كأنه على الإضمار: **أن ائت القوم الظالمين [قوم فرعون]** وقل لهم: **ألا يتقون**. ثم قوله: **ألا يتقون** يحتمل وجهين. أحدهما ألا يتقون مخالفة أمر الله ونهيه. أو يقول:[٨] ألا يتقون نقمة الله وعقوبته. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[١٢]

وقوله:[٩] **قال رب إني أخاف أن يكذبون**، لم يقطع موسى القول في التكذيب ولكنه على الرجاء قال ذلك، وذلك -والله أعلم- كقوله: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى.[١٠] فكأنه رجا ذلك منه لهذا. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون على القطع والعلم منه بالتكذيب، كأنه قال: إني أعلم أن يكذبوني،[١١] وذلك جائز في اللغة.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾[١٣] ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾[١٤]

وقوله:[١٢] **ويضيق صدري ولا ينطلق لساني**، لأنَّ عليه أن يغضب لله[١٣] إذا كذبوه، فإذا اشتد بالمرء الغضب ضاق صدره وكَلَّ لسانه، وهو[١٤] ما دعا ربه وسأله، حيث قال:

---

[١] سورة طه، ٢٠/ ٢٤.
[٢] انظر مثلا: سورة الأعراف، ١٠٣/٧؛ وسورة يونس، ٧٥/١٠.
[٣] ر ع م: فهذه إلا أنهم.
[٤] م: آمنوهم.
[٥] جميع النسخ: لما ذكر.
[٦] ر م - في الآية.
[٧] ن: قوله.
[٨] ر ع: تقول.
[٩] ن: قوله.
[١٠] سورة طه، ٤٤/٢٠.
[١١] جميع النسخ: أن يكذبون.
[١٢] ن: قوله.
[١٣] ع: الله.
[١٤] ر: هو.

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي،[1] الآية، فيكون ضِيق الصدر وكَلالة اللسان هو للغضب الذي اشتد به بالتكذيب، لا لآفة كانت بلسانه،[2] وهو ما ذكرنا أن الغضب إذا اشتدّ بالمرء يضيق صدره حتى يمنعه عن الفهم ويَكِلّ لسانه حتى يمنعه عن العبارة

|٥٤٢و| والبيان. وجائز أن يكون ذلك لآفة كانت / بلسانه. ثم ضِيق[3] الصدر يكون لوجهين. أحدهما لعِظَم[4] أمر الله وجلال قدره إذا كذبوه وردّوا رسالته وأمرَه، ضاق[5] لذلك صدره. أو يضيق لِما ينزل عليهم من عذاب الله ونقمته بالتكذيب إشفاقا عليهم منه. *والله أعلم*.

وقوله:[6] **فأرسل إلى هارون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلونِ**، قوله: **فأرسل إلى هارون**، كسؤاله إياه حيث قال: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي،[7] فعلى ذلك قوله: **فأرسل إلى هارون** يكون معيَ في الرسالة، وكقوله: وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا،[8] الآية. وذنبه الذي ذكر أنه عليه هو قتل ذلك[9] القبطي وهو قوله: فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ.[10] ذلك ذنبه الذي لهم عليه. ثم قال:

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾[١٥]

[قال] كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون. وقوله: **كلا**، ردّ على قول موسى: فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ، كأنه قال: لا تخف، وهو ما قال في آية أخرى حيث[11] [قال:] قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى، فقال عند ذلك: قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى.[12]

---

[1] سورة طه، ٢٠/٢٥-٢٧.
[2] ر ع م - فيكون ضيق الصدر وكلالة اللسان هو للغضب الذي اشتد به بالتكذيب لا لآفة كانت بلسانه.
[3] ع: يضيق.
[4] ن: لعظيم.
[5] ر: صادق.
[6] ن: قوله.
[7] سورة طه، ٢٠/٢٩-٣٢.
[8] ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبونِ﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٢).
[9] ع: كذلك.
[10] ﴿ودخل المدينة على حينِ غفلةٍ من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوّ مضلّ مبين﴾ (سورة القصص، ٢٨/١٥).
[11] م - حيث.
[12] سورة طه، ٢٠/٤٥-٤٦.

فعلى ذلك قوله: **كلا فاذهبا**، أي لا تخافا، **فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون**. وقال في تلك الآية: إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى، أي أسمع ما يقولون لكما وأرى ما يفعلون بكما،[١] فأمنعهم عنكما؛ لأنهما ذكرا[٢] الخوف منه من شيئين: من الفعل والقول[٣] حيث قالا: إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا، بالفعل، أَوْ أَنْ يَطْغَى، باللسان.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٦] ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[١٧]

وقوله: **فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل**. وقوله:[٤] **أن أرسل معنا بني إسرائيل**، ليس على حقيقة الإرسال[٥] معه ولكن على ترك استعبادهم، كقوله: فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ،[٦] أي خلِّ بينهم وبين استخدامك[٧] إياهم واستعبادك. *والله أعلم*.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[١٨] ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[١٩]

ثم قال له فرعون: **ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين**، يذكر نعمه[٨] التي أنعمها عليه بتربيته إياه صغيرا وكونِه[٩] فيهم دهرا، وكفرانَ موسى لما أنعم عليه وهو ما قال: **وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين**. وهو قتل ذلك القبطي الذي وكزه[١٠] موسى فقضى عليه، فأقرّ له موسى بذلك[١١] فأخبر أنه فعل ذلك حيث قال:

---

[١] جميع النسخ: بكم.
[٢] جميع النسخ: ذكر.
[٣] ن: من القول والفعل والقول.
[٤] ن: قوله.
[٥] ع: الإنسان.
[٦] ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾ (سورة طه، ٤٧/٢٠).
[٧] ر: اتخذامك.
[٨] ر م: نعمته.
[٩] م: أو كونه.
[١٠] ع: ذكره.
[١١] م – بذلك.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[٢٠]

[قال] **فعلتها إذا وأنا من الضالين**. وقوله: **فعلتها إذا وأنا من الضالين**، أي فعلت ذلك وأنا كنت[١] من الجاهلين. لأنه لم يعلم[٢] أن وَكْزَتَه تلك تقتله، وإلا لو علم [لـ]ما وَكَزه، لأنه لم يكن يحِلّ له قتله حيث قال: هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ،[٣] دل ذلك منه أنه كان لم يحِلّ قتله،

[٥٤٢و س٣٠ إلا أنه جرى ذلك على يده خطأً وجهلا. *وقال موسى:[٤] **فعلتها إذا وأنا من الضالين**، أي من الجاهلين بذلك. لم يعلم[٥] أنه يتولد من وكزته الموتُ. وكذلك روي في بعض الحروف:

٥٤٢و س٣٢] وأنا من الجاهلين. دل أنه على الجهل[٦] فعل ذلك لا على القصد.*

وفيه دلالة أن الرجل قد يُنهَى ويؤاخذ بما يجرى على يده خطأً وجهلا ويخاطَب بذلك حيث قال: **فعلتها إذا وأنا من الضالين**. ثم قال:

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢١]

ففررت منكم لما خفتكم، وهو حين قال له ذلك الرجل: [يَا مُوسَى] إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ، الآية، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ،[٨] وذلك فراره منهم.

وقوله:[٩] **فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين**، قال بعضهم: قوله: **فوهب لي ربي حكما**، أي نبوة، وقال بعضهم: **حكما**، أي علما[١٠] بالحكم، **وجعلني من المرسلين**، وقد كان ذلك له كله.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٢٢]

وقوله:[١١] **وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل**، وهو استعبادك إياهم، أي إذا

---

[١] م - كنت.
[٢] ر ع م - لا يعلم.
[٣] سورة القصص، ١٥/٢٨.
[٤] ن + فقهرتهم.
[٥] ر ع م - لم يعلم.
[٦] جميع النسخ + ما.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٢و/سطر ٣٠-٣٢.
[٨] ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقَّب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ (سورة القصص، ٢٠/٢٨-٢١).
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر م: علي.
[١١] ن: قوله.

ذكرت هذا فاذكر ذاك.[١] هذا يحتمل وجوها. أحدها أن تَذْكر ما أنعمت علي وتَمُنّها[٢] ولا تذكر مساوِئك ببني إسرائيل وهو استعبادك إياهم، أي إذا ذكرت هذا فاكر ذاك.

والثاني أنّ تلك نعمة تمنها عليّ حيث لم تُعبِّدني[٣] وعبّدت بني إسرائيل. يخرج على قبول المنة منه.[٤]

والثالث وتلك نعمة لو خلّيت عن بني إسرائيل و لم تستعبدهم[٥] لولا[٦] ذلك عنك. وتمام هذا بقول موسى لفرعون: أتمنّ عليّ يا فرعون بأن اتخذتَ بني إسرائيل عبيدا وكانوا أحرارا فقهرتهم؟* وقال بعضهم: في قوله: **وتلك نعمة تمنها علي**، يقول: وهذه منة تمنها عليّ[٨] بقوله: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا[٩] يقول: تمنّ بها عليّ أن تستعبد بني إسرائيل وتمنّ عليّ بذلك.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢٣] ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[٢٤] ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾[٢٥]

ثم قال فرعون لموسى: **وما رب العالمين؟** فقال له[١٠] موسى: **رب السماوات والأرض وما بينهما** مِن خلقٍ **إن كنتم موقنين**. ثم **قال لمن حوله ألا تستمعون**. إنما قال اللعين هذا -والله أعلم- لِما وقع عنده أن موسى حَادَ عن جوابِ ما سأله، لأنه إنما سأله عن ماهيته فهو إنما أجابه عن فِعله وربوبيته فظن أنه حائد عن جوابِ ما سأله. ولذلك قال لقومه: **ألا تستمعون** إلى ما يقول موسى تعجّبا منه: إني أسأله عن شيء وهو يجيبني عن شيء آخر.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[٢٦]﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[٢٧]

ثم قال موسى: **ربكم ورب آبائكم الأولين**، فقال عند ذلك: **إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون**. نسبَه إلى الجنون لِما ذكرنا أنه ظن أنه حائد عن الجواب في كل ما ذكر، إنما كان السؤال منه عن الماهية وهو لم يجبه عنها، فعند ذلك

[١] ن – وهو استعبادك إياهم أي إذا ذكرت هذا فاذكر ذاك.
[٢] م – وتمنها.
[٣] ع: لم تعتدني.
[٤] ن – منه.
[٥] م: و لم يستبدهم.
[٦] جميع النسخ: لولوا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٢و/سطر ٣٠-٣٢.
[٨] ر ع م – علي.
[٩] الآية ١٨ من هذه السورة.
[١٠] م – له.

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢٨]

|٥٤٢ظ| / قال موسى: **رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون**، لم يُجبه[١] موسى في كل ما ذكر [له] عن الماهيّة ولكن[٢] أجابه في الأول عن بيان[٣] ربوبيته وألوهيته حيث قال: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ،[٤] ذلك. فعرَف اللعين أنه ليس هو رب السماوات والأرض لِما يعلم أنه[٥] لا صُنعَ له في ذلك وأنه لم يُنشئهما ولكن أنشأهما رب العالمين على ما ذَكر موسى. لكنْ كأنه لم يعرف حَدَثَهما ولا فناءهما بما ذَكَر له موسى لِما لم يشاهد حدَثَهما وفناءهما فلم يتقرّر ذلك عنده، لِما يقع عنده أنهما كذلك كانا ويكونان[٦] أبدا. فعند ذلك احتاج إلى أن يذكر[٧] له ما يشاهد حدَثَهما وفناءهما وهو ما قال: قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ،[٨] ذكر له ما شاهد حدَثَه وفناءه. فإذا عرف حَدَث ما ذكر وفناءه[٩] يعرف[١٠] أنه[١١] لم يكن بنفسه ولا كوّن[١٢] نفسَه، ولكن بِمُحدِث أحدثه وبمدبِّر دبّره. ثم قال:

رب المشرق والمغرب وما بينهما، ذَكَر ههنا قدرته وسلطانه، وهو ما يأتي بالنهار من المشرق وبالليل[١٣] من المغرب ويُطلع الشمس من المشرق ويُغربها من المغرب، وكذلك القمر والنجوم. ففيه دلالة البعث، لأن مَن قدر على أن يأتي بالنهار من كذا وبالليل من ناحية كذا والشمسِ والقمرِ من كذا قادرٌ على البعث، لا يُعجزه شيء. ففي كل حرف من هذه الأحرف دلالة واستدلال على شيء ليس ذلك في الأخرى.

---

[١] ر: لم يجيبه.
[٢] ن: ولكنه.
[٣] جميع النسخ: في بيان.
[٤] سورة الشعراء، ٢٤/٢٦.
[٥] ر ع م: أن.
[٦] جميع النسخ: ويكونون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٤و.
[٧] جميع النسخ: ذكر.
[٨] سورة الشعراء، ٢٦/٢٦.
[٩] ر م: وفناه.
[١٠] م – يعرف.
[١١] ر ع م + إذا.
[١٢] ن: يجوز.
[١٣] ع: ومن الليل.

وفي قوله: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[١] دلالة ربوبيّة الله وألوهيته، وفي قوله: رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ[٢] دلالةُ حدث ما ذَكر وفنائِه[٣] ودلالةُ مُحدِث له[٤] ومدبّر. وفي قوله: **رب المشرق والمغرب**، دلالةُ قدرته وسلطانه على البعث، على الوجه الذي ذكرنا. وفي[٥] ذلك دلالةُ [على] أن الله تعالى لا يُعرف بالماهية ولا بما يُحَسّ، ولكنه إنما يُعرف من جهة الاستدلال بخلقه وبالآيات التي تدل على وحدانيته، حيث سأل فرعون موسى عن الماهية فأجاب له[٦] على الاستدلال بخلقه.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[٢٩]

ثم قال اللعين: **لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين**، قال بعضهم: إنما أوْعده السجن ولم يوعده القتل لأنه طلب منه الحجة على ما ادّعى من الرسالة حيث قال[٧] له:[٨] فَأْتِ بِهِ،[٩] الآية، ولو قتله لكان لا يقدر على إتيانها. وقال بعضهم: لا ولكن كان سِجنه أشدّ من القتل ومن كل عقوبة.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾[٣٠]

فقال له موسى: **أولو جئتك بشيء مبين**، أي ما يبيّن[١٠] ربوبيةَ الله وألوهيته، أو ما يبيّن[١١] أني رسول الله.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٣١]

فقال له فرعون: **فأت به إن كنت من الصادقين**، بالرسالة وبما ادّعيت. فدل قول فرعون لموسى حيث قال له: **فأت به إن كنت من الصادقين**، أنه قد عرف أنه رسول وأنه ليس بإله على ما ادّعى وأن الإله غيرُه حيث طلب منه[١٢] الآية.

---

[١] سورة الشعراء، ٢٦/٢٤.
[٢] سورة الشعراء، ٢٦/٢٦.
[٣] ع + ودلالة حدث ما ذكر وفنائه.
[٤] ر ع م – له.
[٥] ع: ذكرناه في.
[٦] ر ع م – له.
[٧] م – قال.
[٨] ر ع م – له.
[٩] ﴿قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأتِ به إن كنت من الصادقين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٣٠-٣١).
[١٠] ر ع م: بين.
[١١] ر ع م: بين.
[١٢] ر م – منه؛ ر ع م + هذه.

وقوله: إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ،[1] بالآيات التي تدل[2] على وحدانية الله تعالى ومشيئته، ذكر هذا مقابل إنكارهم الصانع. والإيقانُ هو العلم الذي يستفاد من جهة الاستدلال، ولذلك لا يقال لله: موقن. وقوله: إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ[3] ذكر [هذا] مقابل[4] قوله: إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ.[5]

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[٣٢]

وقوله:[6] **فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين**، قال بعضهم: الثعبان هي[7] الكبيرة العظيمة من الحيّات؛ وقال في موضع آخر: تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ،[8] وقال في موضع آخر: [فَأَلْقَاهَا] فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى؛[9] فجائز أن تصير[10] كالثعبان بعد ما طرحها[11] وألقاها، وقبل أن يطرحها كالجان، وهي الحية الصغيرة. *والله أعلم*.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[٣٣]

وقوله:[12] **ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين**، بياضا خارجا عن خِلقة البشرية وخارجا عن الآفة، على ما ذكر في آية أخرى: مِنْ غَيْرِ سُوءٍ.[13]

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[٣٤] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[٣٥]

وقوله:[14] **قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره**،

---

[1] ﴿قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ (سورة الشعراء، ٢٤/٢٦).
[2] ر م: يدل.
[3] سورة الشعراء، ٢٨/٢٦.
[4] ر ع م - ذكر مقابل.
[5] سورة الشعراء، ٢٧/٢٦.
[6] ن: قوله.
[7] ر ع م: وهو.
[8] ﴿وَأَلْقِ عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان وَلَّى مُدبرا ولم يُعقِّب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ (سورة النمل، ١٠/٢٧).
[9] سورة طه، ٢٠/٢٠.
[10] ر ع م: يكون.
[11] ع: طرحهما.
[12] ن: قوله.
[13] ﴿وَاضْمُمْ يدك إلى جناحك تخرجْ بيضاء من غير سوءٍ آيةً أخرى﴾ (سورة طه، ٢٢/٢٠).
[14] ن: قوله.

هذا[1] إغراء وتحريش منه لقومه على موسى لئلا ينظروا إليه بعين التعظيم، لِعِظَم[2] ما آتاهم من الآية وأراهم حيث قال: **يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره**، وموسى كان[3] لم يُرد إخراجهم من أرضهم[4] ولكن ذلك إغراء منه لهم عليه لئلا يتبعوه، كأنه يقول: يريد أن يخرجكم من أرضكم فيفسد عليكم معاشكم ويضيق عليكم مُقامكم ومُتَقَلَّبَكم.

وقوله: **فماذا تأمرون**، هذا يبين أنه كان [قد] عرف أنه[5] ليس بإله، فيبين[6] دناءته وقلة معرفته، لأنه لا يقول مِلِك من الملوك لقومه: ماذا تأمرون؟ وخاصة من يدّعي لنفسه الألوهية، بقوله: مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي.[7] فدل أنه كان خسيس الهمّة دنيءَ الرأي والبال.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾[٣٦] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[٣٧]

وقوله:[8] **قالوا أرجه وأخاه**،[9] أي[10] احبِسه وأخِرْه. **وابعَث في المدائن حاشرين**، الحاشر الجامع، والحشر الجمع. **يأتوك بكل سحار عليم**، وكان يجب[11] أن يعرف أن السحر يُقابل بسحر مثله ولا يحتاج إلى أن يسأل قومه ذلك، لكنه كان اللعين [كـ]ـما ذكرنا من قلة البصر[12] في الأمر وخساسة الهمة ودناءة الرأي.

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[٣٨] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾[٣٩] ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾[٤٠]

وقوله:[13] **فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين**، قال اللعين: / [**لعلنا**] **نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين** و لم يقل: [٥٤٣و]

---

[1] ر ن م + منه؛ ع + من.
[2] جميع النسخ: لعظيم.
[3] ر م: كأنه.
[4] ر ع م: أرضكم.
[5] م – عرف أنه.
[6] ن: ويبين.
[7] ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطّلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾ (سورة القصص، ٣٨/٢٨).
[8] ن: قوله.
[9] ع + وأخاه.
[10] ر م – أي.
[11] ر: يجيب.
[12] ر ن م: بالبصر.
[13] ن: قوله.

نتبعهم إن كانت معهم الحجة، ليُعلَم أنه قد علم وعرف أن لا حجة معهم وأن الحجة مع موسى حيث وعد اتّباع الغالبين دون من[1] معهم الحجة. وفي حرف ابن مسعود: وقال[2] للناس هل أنتم مستمعون إلى السحرة إنْ هم يغلبون[3] لعلنا نتبع منهم الغالبين.[4]

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾[٤١] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٤٢]

وقوله:[5] **فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أإن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين**. هذا ظاهر، لكن أهل التأويل قالوا: كان السحرة كذا كذا عددا وإن موسى قال لأكبرهم سحرا:[6] أتؤمن بي إن غلبتك؟ وقال الساحر كذا، وغير ذلك من الكلام مما ليس[7] ذلك في الكتاب ذكره وليس ينبغي لهم أن يشتغلوا بشيء من ذلك أو أن [ي]تناولوا[8] شيئا ليس في القرآن، لِما يدخل في ذلك من الزيادة والنقصان فيكون للكفرة مقال في ذلك وطعنٌ في رسالة رسول الله، لأن هذه الأنباء كانت في كتبهم فذكرت لرسول الله لتكون آية له في الرسالة. فإن زادوا أو نقصوا يقولون: هذا كذِب لم يذكر في كتبنا[9] ذلك. فلهذا الوجه ما ينبغي لهم أن يزيدوا على ما ذُكر[10] في الكتاب أو يَنقصوا لئلا يجدَ أولئك مقالا في تكذيب رسول الله.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾[٤٣]

وقوله:[11] **قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون**. فإن قيل: كيف قال موسى لأولئك السحرة ألقُوا وهو يعلم أن ما يُلقون هو سحر فكيف أمرهم بالسحر؟

---

[1] ع – من.
[2] ر ع م: قال.
[3] جميع النسخ: أنهم يغالبون. والتصحيح من مرجع الرواية.
[4] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٨.
[5] ن: قوله.
[6] جميع النسخ: ساحرا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤٥ظ.
[7] م – ليس.
[8] ر ع م: يتأولوه.
[9] ر ع م: كتابنا.
[10] ن – ذكر.
[11] ن: قوله.

قيل: هذا وإن كان في الظاهر أمرا فهو في الحقيقة ليس بأمر، إنما هو تهدّد وتوعد، أي ألقُوا لترَوا عجزَكم وضعفكم، وذلك كثير في القرآن؛[١] ظاهره أمر وهو في الحقيقة توعّد، كقوله لإبليس:[٢] وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ،[٣] الآية. ليس[٤] يخرج على الأمر ولكن على التوعّد والتهدّد، أي وإن فعلتَ ذلك فلا سلطان لك عليهم، كقوله: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ،[٥] وقوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ.[٦]

والثاني أمرهم بذلك ليظهر عجزهم وكَذِبهم[٧] ويتبين صدقه وحجته إذ بذلك يظهر. أو قال لهم ذلك لما كان ذلك سبب إيمان أولئك السحرة. **والله أعلم**.

﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾[٤٤]

وقوله: **فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون**، هذا يدل أن السحرة كانوا يعبدون فرعون حيث قالوا: **بعزة فرعون**، وقد علموا عجز فرعون وضعفه حيث فزع إليهم وقال:[٨] فَمَاذَا تَأْمُرُونَ.[٩]

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[٤٥]

وقوله: **فألقى موسى عصاه فإذا هي تَلْقَفُ ما يأفكون**، وقد قرئ: [تَلَقَّفُ، بالتشديد و] تَلْقَفُ بالتخفيف. قال أبو عَوْسَجَة تقول: تلقّفتُ[١٠] الشيء والتقَفته، أي أخذته. وقال غيره: تلقّف، أي تَلَقِم، وهو واحد. وقوله: **يأفكون**، هو[١١] الفاعل بمعنى المفعول، أي مأفوك، وذلك جائز في اللغة وأمثاله كثير، كقوله: [فَهُوَ] فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ،[١٢] ونحوه.

---

[١] ن ع: وذلك في القرآن كثير.
[٢] ع: إلا إبليس.
[٣] ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورَجِلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعِدْهم وما يَعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ (سورة الإسراء، ٦٤/١٧).
[٤] ر م - ليس.
[٥] ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ (سورة الحجر، ٤٢/١٥).
[٦] ﴿إن الذين يُلحِدون في آياتنا لا يَخفَون علينا أفمن يُلقَى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤٠/٤١).
[٧] ر ع م: ليظهر كذبهم.
[٨] ر ع م: وقالوا.
[٩] سورة الشعراء، ٣٥/٢٦.
[١٠] ر ع م: تلقف.
[١١] ر ع م: وهو.
[١٢] سورة الحاقة، ٢١/٦٩.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾[٤٦] ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٧] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[٤٨]

وقوله:[١] **فألقي السحرة ساجدين،** أخبر عن سرعة[٢] ما سجدوا كأنهم أُلقُوا لِما بان لهم من الحق وظهر فقالوا: **آمنا برب العالمين.** قال أهل التأويل: إن فرعون قال عند ذلك: أنا رب العالمين فقالت السحرة: **ربِّ موسى وهارون،** لكن الامتناع عن هذا وأمثاله مما لم يذكر في الكتاب أولى لِما ذكرنا أنه إنما يُحتجّ عليهم بهذه الأنباء على تصديق من أهل الكتاب له في ذلك لِما هي مذكورة في كتبهم فيخاف الزيادة والنقصان فيكذّبونه[٣] في ذلك فيُذكر القدر الذي في الكتاب لئلا يدخل فيه الزيادة والنقصان فيُفَرّق به ويكذّب إلا ما ظهر عن رسول الله القول به فيقال، وإلا الامتناع والكفّ أولى.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤٩] ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾[٥٠]

ثم قال فرعون: **آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر،** إن فرعون[٤] قد علم أن ما جاء به موسى هو حجة لكنه كان يُلبِّس على قومه وأصحابه ويغريهم عليه فقال مرة: إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ،[٥] وقال: إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ،[٦] وقال مرة: **إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون،** وقال: إِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ [لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا]،[٧] الآية.

ثم أوعد لهم بوعائد فقال: **لأقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلّبنّكم أجمعين.** فقالوا هم: **لا ضَيْرَ إنا إلى ربنا منقلبون،** أي إنا إلى ثواب ربنا الذي وعد لنا لراجعون، لا يضرنا ما تُوعدنا به.

---

[١] ن: قوله.
[٢] جميع النسخ: لسرعة.
[٣] م – وأمثاله مما لم يذكر في الكتاب أولى لما ذكرنا أنه إنما يحتج عليهم بهذه الأنباء على تصديق من أهل الكتاب له في ذلك لما هي مذكورة في كتبهم فيخاف الزيادة والنقصان فيكذبونه.
[٤] ن + لعنه الله.
[٥] سورة الشعراء، ٣٤/٢٦.
[٦] سورة الشعراء، ٢٧/٢٦.
[٧] سورة الأعراف، ١٢٣/٧.

قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: **لا ضير**، هو من ضَاره يضُوره ويَضيره بمعنى ضرّه. وقد قرئ [بها]: وَإِنْ تَصْبِرُوا [وَتَتَّقُوا] لَا يُضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا،[1] بالتخفيف بمعنى لا يضرُّكم.[2]

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥١]

فقالوا: **إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين**، قال بعضهم: **أن كنا أول المؤمنين** من قومهم.[3] وقال بعضهم: **أن كنا**، أي إذ كنا أول أهل مصر إيمانا. وجائز **أن كنا أول المؤمنين** للحال. وقال بعض أهل التأويل: إن فرعون قد فعل بهم ما أوعد من قطع الأيدي والأرجل والصلب، لكن ليس في الآية بيان حلول ما أوعد بهم، فلا نقول[4] به مخافة الكذب.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾[٥٢]

وقوله:[5] **وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون**، السُرَى[6] سير الليل وهو ما[7] قال في آية أخرى: فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ،[8] أي يتبعكم فرعون وقومه.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾[٥٣] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾[٥٤] ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾[٥٥] ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾[٥٦]

وقوله:[9] **فأرسل فرعون في المدائن حاشرين**، أي أرسل في المدائن من يحشر الجنود والعساكر.

وقالوا: **إن هؤلاء**، يعنون أصحاب موسى، **لشرذمة قليلون**، قال بعضهم: الشرذمة الجماعة [و]العِصابة، أي عصابة قليلة.[10] وقال بعضهم: **إن هؤلاء / لشرذمة قليلون**، أي طائفة قليلة. [٥٤٣ظ]

---

[1] م + بالتخفف. سورة آل عمران، ١٢٠/٣. انظر: حجة *القراءات* لابن زَنْجَلَة، ١٧١.
[2] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣١٧.
[3] ر ع م – من قومهم.
[4] ر: فلا تقول.
[5] ن: قوله.
[6] ن: اليسرى.
[7] ر ع – ما.
[8] سورة الدخان، ٢٣/٤٤.
[9] ن: قوله.
[10] ر م: قليل.

وإنهم لنا لغائظون،[1] في الحلْي[2] الذي استعاروه منا، أي ذهبوا به مغايَظةً لنا. وقال بعضهم: **وإنهم لنا لغائظون** بما فعلنا [بـ]ـهم من قتل أولادهم واستعباد نسائهم ورجالهم، يفعلون بنا ما فعلنا بهم إن ظَفِروا بنا.[3]

وقوله:[4] **وإنا لجميع حاذرون**، و[قرئ]حذِرون.[5] قال[6] بعضهم: من الحَذَر، وقال بعضهم: **وإنا لجميع حاذرون**، أي مؤدُون،[7] أي مُقْوُون، أي معنا أداة أصحاب الحرب، والمُقْوَى الذي دابته قوية. وقال بعضهم: **حاذرون**، أي مستعدّون للحرب. وقال بعضهم: **حاذرون**، لما حدث لهم من الخوف، والحذر للحال حذر المعاودة، أي حذِروا أن يعودوا إليهم. وحَذِرون، أي كنا [و] لم نزل منهم على حذر. وقال أبو معاذ: **حاذرون**، مُؤدُون من الأداة، أي تامُّ[وا] السلاح.

وفي خروج موسى ببني إسرائيل مع كثرتهم على ما ذُكر أنهم كانوا ستّمائةِ ألفٍ من بين أظهرهم[8] فصاعدا من غير أن علم القبط بذلك آيةٌ عظيمة، إذ لا يقدر نَفَرٌ الخروجَ من محلّة أو ناحية إلا ويعلم أهلها بخروجهم. ففي ذلك كان[9] آية عظيمة حيث خرجوا من بينهم من غير أن علم أحد منهم بذلك.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٥٧] ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[٥٨] ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٥٩] ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾[٦٠]

وقوله:[10] **فأخرجناهم**، يعني فرعون وقومه، **من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم**، أي حسن. **كذلك وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين**، أي تبع فرعون وقومُه حين شرَقت الشمس،

---

[1] ن + أي لغائظون.

[2] ع: في الحل.

[3] ر ع م – بنا.

[4] ن: قوله.

[5] انظر: حجة *القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٥١٧–٥١٨.

[6] ع: وقال.

[7] وأداهُ على كذا يُؤديه إيداءً: قوّاه عليه وأعانه. ومَن يُؤديني على فلان: أي من يُعِينني عليه؛ يقال: آدِني عليه، بالمد، أي قوّني. ورجل مؤدٍ: تامُّ السلاح كاملُ أداة الحرب؛ وفي حديث الأسود بن يزيد في قوله تعالى: وإنّا لجَمِيعٌ حَذِرُونَ، قال: مُقْوُون مُؤْدون، أي كاملو أداة الحَرْب (*لسان العرب*، «أدو»).

[8] ر ع م – من بين أظهرهم.

[9] م: لكان.

[10] ن: قوله.

أي طلعت. و**مشرقين**، أي كانوا في الشمس،[١] أي قوم موسى صاروا في الشمس، يقال: أشرقوا،[٢] إذا صاروا فيها.

﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[٦١] ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٦٢]

وقوله:[٣] **فلما تراء الجمعان**، جَمْع موسى وجمع فرعون، أي إذا رأى[٤] بعضهم بعضا **قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال** موسى: **كلا إن معي ربي سيهدين**. كأنّ قوم موسى لم يعلموا بالبِشارة التي بشرها الله موسى أنهم لا يدركونكم،[٥] وهو ما قال: لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى،[٦] أي لَا تَخَافُ دركهم وَلَا تَخْشَى فرعون وقومَه، لذلك قالوا: **إنا لمدركون**، وكانت البشارة لهم جميعا[٧] لا لموسى خاصة. يدل على[٨] ذلك قول موسى: **كلا إن معي ربي سيهدين**، على إثر قولهم: **إنا لمدركون**، أي[٩] كلا إنهم لا يدركونكم.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[٦٣]

وقوله:[١٠] **فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق**، أي انشق. كذلك ذكر في حرف ابن مسعود:[١١] فانشق، **فكان كل فرق كالطود العظيم**، أي كالجبل العظيم، والطود واحد وأطواد[١٢] جماعة.

---

[١] م + أي كانوا في الشمس.
[٢] جميع النسخ: أشرقنا.
[٣] ن: قوله.
[٤] جميع النسخ: تراى.
[٥] ر م: لا يدركون؛ ع: لا يدركون كم.
[٦] ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أنْ أَسْرِ بعبادي فَاضْرِبْ لهم طريقا في البحر يَبَسًا لا تخاف دركًا ولا تخشى﴾ (سورة طه، ٧٧/٢٠).
[٧] ر م – جميعا.
[٨] ر ع م – على.
[٩] ن – أي.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ورد في قراءة ابن مسعود أنه قرأ: فكان كل "فريق" بدل "فرق"، انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٨. لم نتمكن من العثور على رواية لقراءة "فانشق".
[١٢] ع: وطواد.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾[٦٤]

وقوله:[١] **وأزلفنا ثَمَّ الآخرين**، قال الحسن: **أزلفنا**، أي أهلكنا، **ثَمَّ الآخرين**. وقال بعضهم: جمَعْنا، ومنه قيل: ليلةُ المزدلفة، أي ليلة الازدلاف وهو الاجتماع.[٢] وكذلك قيل للموضع:[٣] جَمْع. فإن كان التأويل هذا ففيه دلالة أن لله[٤] تعالى في فِعل العباد صُنعا وتدبيرا، لأنه أضاف الجمع إليه وهم إنما كانوا خرجوا للمعصية،[٥] فدل ذلك أنه على ما ذكرنا.

وقال بعضهم: **وأزلفنا ثَمَّ الآخرين**، أي أدْنَينا وقرّبناهم. ومنه: أزلفك الله، أي قرّبك الله. ويقال: أزلفني كذا عند فلان، أي قرّبني منه. والزُلَف المنازل والمَراقي، لأنها تدنو بالمسافر. ومنه: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ،[٦] أي أدنِيَت وقُرِبت، وكذلك قال أبو عَوْسَجَة والقتبي.[٧]

﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾[٦٥] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[٦٦]

وقوله:[٨] **وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين**، الآية ظاهرة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٦٧]

وقوله:[٩] **إن في ذلك لآية**، أي في إهلاك[١٠] فرعون وقومه وإنجاء موسى ومن معه مُتَّعَظ ومَزْجَر لمن بعدهم حيث رأوا أنه أهلك الأعداء وأبقى الأولياء.

وقوله:[١١] **وما كان أكثرهم مؤمنين**، هذا يحتمل وجوها. قال بعضهم: لم يكن أكثر أهل[١٢] مصر بمصدقين بتوحيد الله، إذ لو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذَّبوا في الدنيا. ولكن غير هذا كأنه أشبه،

---

[١] ن: قوله.
[٢] ع: في الجماعة.
[٣] أي للمزدلفة.
[٤] ر ع م: الله.
[٥] أي إن فرعون وقومه كانوا خرجوا لقتل موسى عليه السلام وقومه المؤمنين، وهذا فعل معصية. فأضاف الله تعالى هذا الفعل بقوله ﴿وأزلفنا﴾ إلى نفسه، فكان هذا دليلا على أن لله صنعا في أفعال العباد، خيرا كان أو شرا. وهذا رد على المعتزلة.
[٦] سورة الشعراء، ٢٦/٩٠.
[٧] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٧-٣١٨.
[٨] ن: قوله.
[٩] ن: قوله.
[١٠] جميع النسخ: هلاك.
[١١] ن: قوله.
[١٢] ع + أكثر.

أي لو لم[1] يهلكهم[2] الله تعالى ولكن أبقاهم لم يؤمن أكثرهم. وقال بعضهم: **وما كان أكثرهم** من بني إسرائيل، **مؤمنين**، أي لم يَدُم أكثرهم على الإيمان بل ارتدّ أكثرهم من بعد ما أنجاهم، حيث قالوا لموسى: اِجْعَلْ لَنَا إِلٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ.[3] *والله أعلم*.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٦٨]

وقوله:[4] **وإن ربك لهو العزيز الرحيم**، المنتقم من فرعون وقومه، **الرحيم** بموسى ومن معه من المؤمنين. هذا في هذا الموضع يستقيم: أن يُصرَف تأويل العزيز إلى الأعداء والرحيم إلى الأولياء؛ كل حرف من ذلك إلى الفريق الذي يستوجب ذلك: الرحمة إلى المؤمنين والنقمة إلى الأعداء.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾[٦٩]

وقوله: **واتل عليهم نبأ إبراهيم**، أي أُتْلُ على أهل مكة نبأ إبراهيم وخبره، لأنهم كانوا من أولاد إبراهيم ومن نسله وهم يقلدون[5] آباءهم في عبادتهم الأصنام. وإبراهيم[6] وبعض[7] أولاده إسماعيل وإسحاق وهؤلاء كانوا مسلمين عُبّاد رب العالمين لا عُبّاد الأصنام، فهلّا اتبعوا إبراهيم ومن كان معه على دينه من آبائهم دون مَن اتبعوا[8] مَن عَبد الأصنام. يُسفِه أحلامهم في عبادتهم الأصنام[9] وتقليدهم أولئك الذين عبدوا مِن آبائهم الأصنام / وتَرْكَهم تقليد من لم يعبدها وعبد الله. [٥٤٤و]

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾[٧٠] ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾[٧١]

ثم قول إبراهيم حيث قال: **[إذ قال] لأبيه وقومه ما تعبدون**، يحتمل قوله: **ما تعبدون**، أي ماذا تعبدون،[10] على ما ذكر في آية أخرى: مَاذَا تَعْبُدُونَ أَإِفْكًا.[11] ويحتمل **ما تعبدون**،

---

[1] ع + يكن.
[2] ر: لم يهلك هم.
[3] سورة الأعراف، ١٣٨/٧.
[4] ن: قوله.
[5] ر ع م + في.
[6] ع + فهلا اتبعوا إبراهيم ومن كان معه.
[7] ع: في بعض.
[8] ع: عبد.
[9] ع – الأصنام.
[10] ر ع م – أي ماذا تعبدون.
[11] ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون. أإفكا آلهة دون الله تريدون﴾ (سورة الصافات، ٨٥/٣٧- ٨٦).

أي من تعبدون؟ فقالوا: **نعبد أصناما فنظل لها عاكفين،** أي نقيم لها عابدين، أي ندىم على عبادتها. والعكوف على الشيء هو الإقامة عليه والدوام [له].

قال أبو معاذ النحوي: [لفظ] ظل، لا يقال إلا بالنهار، ومحال أن يقال: ظل ليلَه[1] يصنع كذا، ولكن[2] يقول: بات ليله. ومنه الحديث: «ظل نهاره صائما وبات ليله قائما».[3]

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾[٧٢]

ثم قال[4] يبين سفههم: **هل يسمعونكم إذ تدعون**، يحتمل قوله: **هل يسمعونكم،** أي هل يجيبونكم إذ تدعونهم. ويحتمل: **هل يسمعونكم**، على السماع[5] نفسه، أي هل يسمعون دعاءكم إذ تدعونهم، كقوله: إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ،[6] الآية. وقوله: **إذ تدعون**، يحتمل تعبدون، ويحتمل الدعاء نفسه، وإن كان على العبادة[7] فلا يحتمل تأويل السماع.

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾[٧٣] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٧٤]

وقوله:[8] **أو ينفعونكم أو يضرون**، وهل يقدرون على نفعكم وضركم إن أرادوا ذلك بكم وشاءوا؟ أو أن يكون ما ذكر أهل التأويل: هل ينفعونكم إن عبدتموها وأطعتموها، أو يضرون إن عصيتموها وتركتم عبادتها؟ فبُهِتوا و لمْ[9] يقدروا على الجواب له سوى ما ذَكَروا من تقليد آبائهم في ذلك فقالوا: **بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون**. لَمّا عرفوا أن تلك التي عبدوها لا تملك[10] ضَرًا ولا نفعا، لكنهم عبدوها تقليدا لآبائهم لِما وقع عندهم أن آباءهم ما عبدوها إلا بأمر،

---

[1] ر: ليلة.
[2] جميع النسخ: حتى.
[3] ع – ليله قائما.
[4] ر ع م – ثم قال.
[5] ع: على السماء.
[6] ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا يُنَبِّئكَ مثل خبير﴾ (سورة فاطر، ٣٥/١٤).
[7] ر ع م: العادة.
[8] ن: قوله.
[9] ع: أو لم.
[10] ر م: لا يملك.

إذ لو لم يكن ذلك بأمر لَتركوا[١] [عبادتها]. لكن قد ذكرنا[٢] أن في آبائهم من لم يعبدها قطّ ثم لم يقلدوهم، فكيف قلّدوا أولئك؟ دل أن الاعتلال[٣] فاسد.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾[٧٥] ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾[٧٦] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[٧٧] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[٧٨] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾[٧٩] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٨٠] ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[٨١] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[٨٢]

وقوله:[٤] **أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون.** ثم قال:[٥] إنهم وآباءهم الذين عبدوا الأصنام مِن قَبلُ عدوٌّ له إلا رب العالمين. استثنى رب العالمين.[٦] [واختلف في تأويل الاستثناء] قال بعضهم:[٧] عدو لي وأنا بريء منهم إلا أن يكون منهم[٨] مَن يعبد رب العالمين. فيكون على الإضمار، أي فإنهم جميعا عدو لي إلا من عبد رب العالمين. وقال بعضهم: يقول: إن العابد والمعبود كلهم عدو لي إلا رب العالمين، أي إلا المعبود بالحقيقة الذي يستحق العبادة فإنه وليّي.[٩] وقال بعضهم: ليس على الاستثناء ولكن على الابتداء، كأنه قال: أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي ولكن رب العالمين[١٠] **الذي خلقني فهو يهدينِ والذي هو يطعمني ويسقينِ وإذا مرضتُ فهو يشفينِ والذي يُميتني ثم يحيينِ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين.** ذكر هذا لهم لأن[١١] الإله المستحق للعبادة هو هذا الذي يصنع هذا وهو المالك للنفع ورفع الضرر[١٢] لا الأصنام التي عبدتم أنتم وآباؤكم.

---

[١] جميع النسخ: ما تركوا.
[٢] ر م: ذكر.
[٣] ع: الاعتدال.
[٤] ن: قوله.
[٥] أي إبراهيم عليه السلام.
[٦] ع + فيكون الإضمار أي فإنهم جميعا عدوا لي.
[٧] جميع النسخ: يقول هم؛ الزيادة والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.
[٨] جميع النسخ: فيكم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.
[٩] جميع النسخ: ولي.
[١٠] جميع النسخ: ولكن فيكم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.
[١١] جميع النسخ: أن.
[١٢] م: الضر.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٨٣]

وقوله:[١] **رب هب لي حكما،** قال بعضهم: فهما وعلما. وجائز أن يكون إبراهيم سأل ربه الإبقاء على الحكم إذ كان قد أعطاه العلم والحكم، كقوله: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.[٢] أو سأل الزيادة على ما أعطاه، كقوله: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا.[٣] ويحتمل أن يكون سأل ربه قبول حكمه في الخلق ورَفْعَ الحرج له عن قلوبهم على ما ذكر في حكم رسول الله حيث قال: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ،[٤] الآية.

وقوله:[٥] **وألحقني بالصالحين،** أي توفَّني على ما توفيت الصالحين حتى أُلْحَقَ بهم. هذا -والله أعلم- معنى سؤاله[٦] الإلحاقَ بالصالحين أن يتوفّاه على الذي تَوَفَّى أولئك وهو الإسلام ليلحق بهم. ***والله أعلم.***

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[٨٤]

وقوله:[٧] **واجعل لي لسان صدق في الآخرين،** أي[٨] اجعل لي الثناء الحسن في الناس. وكذلك كان[٩] إبراهيم صلوات الله عليه، [كان] جميع أهل الأديان على اختلافهم قد انقادوا له وانتسبوا إليه وادّعوا أنهم على دينه وأن دينه هو الذي هم عليه، ليس من أهل ملة[١٠] إلا وهم يتولونه.

﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾[٨٥]

وقوله: **واجعلني من ورثة جنة النعيم،** أي اجعلني باقيا من بعد موتي في جنة النعيم، إذ[١١] الوارث هو الباقي عن الموروث. وكذلك تأويل قوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا،[١٢]

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة الفاتحة، ٦/١.
[٣] سورة طه، ١١٤/٢٠.
[٤] ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (سورة النساء، ٦٥/٤).
[٥] ن: قوله.
[٦] ر ع م: هواله.
[٧] ن: قوله.
[٨] ع: أتى.
[٩] ر ع م - كان.
[١٠] م: مكة.
[١١] ر ع: إذا.
[١٢] ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يُرْجعون﴾ (سورة مريم ٤٠/١٩).

أي نبقى بعد فناء أهلها، إذ الوارث هو الباقي. فعلى ذلك قول إبراهيم [أن] اجعلني من الباقين في جنة النعيم. *والله أعلم*.

﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾[٨٦]

وقوله:[١] **واغفر لأبي إنه كان من الضالين**، لا يحتمل[٢] أن يكون استغفار إبراهيم لأبيه -والله أعلم- على ما ذكر في ظاهر الآية واغفر لأبي فإنه من الضالين يطلب من ربه المغفرة له لأنه من الضالين،[٣] لأنه لا يجوز له أن يدعو[٤] له وهو كذلك. لكن كان من إبراهيم الاستغفار له، فأخبر الله له أنه من الضالين، فيكون هذا الثاني إخبارا من الله لإبراهيم أنه من الضالين، والأول قول إبراهيم.

وكذلك قال بعض أهل التأويل في قصة بلقيس حيث قالت: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً، فصدقها الله تعالى في مقالتها وقال: وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ،[٥] / يجعلون قوله: وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ، تصديقا من الله لها لا[٦] قول تلك المرأة. ومثال ذلك كثير في القرآن، |٥٤٤ظ| يكون بعضه مفصولا من بعض، كقوله:[٧] وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ،[٨] قوله: وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ، مفصول من قول: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ، لا وصل بينهما. فعلى ذلك دعاء إبراهيم يحتمل أن يكون قوله: **واغفر لأبي**، مفصولا من قوله: **إنه كان من الضالين**. هذا جائز أن يكون إخبارا[٩] من الله لإبراهيم حين دعا له بالمغفرة أنه من الضالين. وجائز أن يكون قوله: **واغفر لأبي**، أي أعطِ له ما به يغفر من خطاياه[١٠] وهو التوحيد، فيكون سؤاله سؤالَ التوحيد له والتوفيق على ذلك، إذ به[١١] يغفر ما يغفر من الخطايا، كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[١٢]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن: ويحتمل.
[٣] ر م - يطلب من ربه المغفرة له لأنه من الضالين.
[٤] ر ع: أن يدعوا.
[٥] سورة النمل، ٢٧/ ٣٤.
[٦] ر ع م - لا.
[٧] ر ع م - كقوله.
[٨] ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ (سورة القيامة، ٧٥/١٤-١٦).
[٩] ع: إخبار.
[١٠] ن: من الخطايا + كقوله.
[١١] جميع النسخ: وبه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.
[١٢] ن - كله كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. سورة الأنفال، ٨/٣٨.

وعلى ذلك يخرج دعاء هودٍ لقومه حيث أمرهم أن يستغفروا ربهم، وهو قوله: **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا** رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ،[١] أي توبوا إليه[٢] وأسلموا له. طلب منهم ابتداء الإسلام إذ لا يحتمل أن يقول لهم قولوا: أستغفر الله، ولكن أمرهم أن يأتوا ما به يغفر لهم وهو التوحيد. وكذلك قول نوح: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.[٣]

وقول أهل التأويل: إن إبراهيم كَذَب ثلاثا، كلام لا معنى له، لا يحتمل أن يكون الله يختاره ويجعل رسالته في الذي يكذب بحال [من الأحوال].

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[٨٧]

وقوله:[٤] **ولا تخزني يوم يبعثون**، قال أهل التأويل: **لا تخزني**، أي لا تعذبني **يوم يبعثون**. وكان الإخزاء هو العذاب الذي يَهتِك السِتر على صاحبه فسأله أن لا يهتك الستر عليه لما خاف أنْ كان منه ما يَهتِك السِتر عليه فسأل ربه ذلك، إذ العصمة لا ترفع عن أصحابها الخوف بل كلما عظُمت العصمة كان الخوف أشدَّ، لأن الأنبياء صلوات الله عليهم كان خوفهم أشدَّ على دينهم وأنفسهم من غيرهم. ثم الأمثل فالأمثل بهم كذلك أشد خوفا منهم ممن هو دونهم. ألا ترى إلى قول إبراهيم حيث قال: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[٥] وقال يوسف: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ،[٦] ومثله كثير.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[٨٨] ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٨٩]

وقوله: **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**، لا ينفع ويضر، لا يكون في نفي النفع دفعُ الضرر، كقوله: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ.[٧] وكقوله:

---

[١] ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يُرسلِ السماءَ عليكم مِدرارا ويَزِدْكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ (سورة هود، ١١/٥٢).

[٢] ر ع م – أي توبوا إليه.

[٣] سورة نوح، ٧١/١٠.

[٤] ن: قوله.

[٥] ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٣٥).

[٦] ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطرَ السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ (سورة يوسف، ١٢/١٠١).

[٧] ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٣).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ،[١] وكذلك قوله: لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا،[٢] وقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[٣] وقوله: يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ،[٤] وقوله: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ.[٥]

وفي ظاهر ما استثني من الآية دلالة [على] أنه ينفع المال والبنون إذا أتوا بقلب سليم حيث قال: **لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**. ويشبه أن يكون كذلك ينفعهم أموالهم[٦] وأولادهم إذا أتوا ربهم بقلوب سليمة[٧] لما استعملوا[٨] أموالهم في الطاعات وأنواع القُرَب وعلّموا[٩] الأولاد الآداب الصالحة والأخلاق الحسنة فينفعهم ذلك يومئذ، كقوله: وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا،[١٠] أخبر أنهم إذا آمنوا وتابوا تقرّبهم[١١] أموالهم[١٢] وأولادهم عنده.

وجائز أن يكون على غير ذلك، أي لا ينفع مال ولا بنون وإنما ينفع مَن أتى ربه بقلب سليم. والقلب السليم هو السالم عن الشرك أو السليم عن الآفات والذنوب، والخالص لربه، لا يجعل لغيره فيه حقا ولا نصيبا. وشرط فيه إتيانَه ربَّه [ب]ما ذكر ليُعلم أنه ما لم تقبض[١٣] [روحه] على السلامة والتوحيد لا ينفعه ما كان منه من قبلُ من الطاعات إذا لم يقبض على التوحيد. وكذلك شرط في الحسنات الإتيان فقال: من جاء بالحسنة فله كذا،[١٤] ولم يقل: من عمل بالحسنة، وهو ما ذكرنا أن يخرج من الدنيا على التوحيد ولا يُفسد ما عمل من الحسنات. ***والله أعلم***.

---

[١] سورة المائدة، ٣٦/٥.
[٢] سورة لقمان، ٣٣/٣١.
[٣] سورة عبس، ٣٤/٨٠.
[٤] سورة المعارج، ١١/٧٠-١٢.
[٥] سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣.
[٦] ر ع م - أمواهم.
[٧] ر: بقلب سليم؛ ع: بقلوب سليم.
[٨] ع: ما استعملوا.
[٩] ع: وعلمو.
[١٠] سورة سبأ، ٣٧/٣٤.
[١١] م: يقربهم.
[١٢] ر ع م: أحوالهم.
[١٣] جميع النسخ: لم يقبض.
[١٤] سورة الأنعام، ١٦٠/٦؛ وسورة القصص، ٨٤/٢٨.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٩٠] ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[٩١]

وقوله:[١] **وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين**، يحتمل قوله: **وأزلفت، وبرزت**، أي تُزلَف وتبرَّز. أو أن يقال: يومئذ **وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين**.[٢] وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وأُبيّ: وقُرِبت الجحيم للضالّين[٣] وفي هذه القراءة[٤] الظاهرة: **وَبُرِّزَت** [بمعنى] أُظْهِرَت.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾[٩٢] ﴿مِنْ دُونِ اللهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾[٩٣]

وقوله:[٥] **وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله** في الدنيا، أي ثم يقال لهم: **أين ما كنتم تعبدون من دون الله** في الدنيا، **هل ينصرونكم** ويمنعونكم من عذاب الله **أو ينتصرون** هم من العذاب، لأنهم يُطرحون جميعا: العابد والمعبود في النار، كقوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ [أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ].[٦] وإنما قالوا ذلك لهم لأنهم كانوا يقولون في الدنيا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٧] وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٨] فيقال لهم مقابل ذلك في الآخرة: **هل ينصرونكم**، الآية.

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[٩٤] ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[٩٥]

[٥٤٥و] وقوله:[٩] **فَكُبْكِبُوا فيها هم والغاوون**، قال/ الزجاج: هو من كب، أي كُبُّوا، لكن ذكر كُبْكِبُوا على التكرار والإعادة مرة بعد مرة، أي يُكَبُّون ثم يُكَبُّون[١٠] لم يزل عملهم ذلك، أو كلام نحو هذا.[١١] وقال القُتَبي: **فَكُبْكِبُوا فيها**، [أي] أُلقُوا على رءوسهم وقذفوا. وأصل الحرف "كُبِبُوا"،[١٢] من قولك:[١٣]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر ع م – يحتمل قوله وأزلفت وبرزت أي تزلف وتبرز أو أن يقال يومئذ وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين.
[٣] ع: الضالين. ورد في *كتاب المصاحف* للسجستاني أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ: "وأزلقت" بدل "وأزلفت"، ٦٨.
[٤] ر ع: القرات.
[٥] ن: قوله.
[٦] سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.
[٧] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[٨] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر ع م – ثم يكبون.
[١١] *معاني القرآن* للزجاج، ٩٤/٤.
[١٢] ر ع م: كبوا.
[١٣] جميع النسخ: من ذلك.

كَبَبْت الإناء، فأبدلت مكانَ الباء [الوسطى] الكافُ،[١] وهو الطرح والإلقاء على الوجوه. يقال: كَبْكَبتُهم، أي طرحتهم في النار أو في البئر. هو من قوله: فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ.[٢] **والغاوون،** قيل: الضالون، يقال: غَوَى يَغوِي[٣] غيًّا وغَواية فهو غاوٍ، أي ضلّ، وهو قول[٤] أبي عَوْسَجَة والقُتَبي.

وقال أبو[٥] معاذ: **فَكُبْكِبُوا** أصله كُبِبُوا،[٦] وقال بعضهم: جُمِعوا فيها.

وجنود إبليس أجمعون،[٧] قال بعضهم: الغاوون هم الشياطين،[٨] وجنود إبليس[٩] ذريته، أي الشياطين الذين أضلّوا بني آدم، وهو قول قتادة.[١٠] وقال بعضهم: الغاوون هم كفار الجن، وجنود إبليس هم الشياطين. وقال بعضهم: الغاوون هم[١١] الأئمة من الكفار، وجنود إبليس سائر الكفار، أي[١٢] أتباعهم وذريتهم. ***والله أعلم.***

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾[٩٦] ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٩٧] ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٩٨]

وقوله:[١٣] **قالوا وهم فيها يختصمون،** ذكر أنهم يختصمون في النار ولم يذكر[١٤] فيم تكون[١٥] خصومتهم. فجائز أن تكون[١٦] خصومتهم ما ذكر في آية أخرى: يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ،[١٧] إلى آخر ما ذكر، وقوله:

---

[١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٨.
[٢] سورة النمل، ٩٠/٢٧.
[٣] م – يغوي.
[٤] ن: وقول.
[٥] ع – أبو.
[٦] جميع النسخ: كبوا. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٨.
[٧] ع +قال بعضهم: الغاوون هم الأئمة من الكفار.
[٨] ر ع م: الشيطان.
[٩] ع + سائر الكفار.
[١٠] انظر: *تفسير الطبري*، ٨٨/١٩؛ و*تفسير القرطبي*، ١١٦/١٣.
[١١] ن – هم.
[١٢] ر ع م – أي.
[١٣] ن: قوله.
[١٤] ر: لم يذكر.
[١٥] جميع النسخ: يكون.
[١٦] جميع النسخ: يكون.
[١٧] سورة سبأ، ٣١/٣٤-٣٣.

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ،[١] الآية، وقوله: رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ،[٢] الآية وأمثاله من المجادلات التي تجري فيما بين الأتباع والمتبوعين. وقال بعضهم: اختصامهم ما ذكر على إثْره حيث[٣] قال: **تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**، الآية.[٤] هذه هي[٥] مخاصمتهم.

وقوله:[٦] **تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**، فإن[٧] كان قولهم هذا للأصنام التي عبدوها وذلك في تسميتهم آلهة وجعلِهم العبادة لها، [فهم] يسوونها برب العالمين في التسمية والعبادة. وإن كان قولهم هذا للشياطين فهو في اتباعهم أمرَهم ودعاءَهم[٨] الذي دعَوهم،[٩] وإلا لا أحد من الكفرة يقصِد قَصْدَ عبادة الشيطان أو يسميه إلها، ولكن على ما ذكرنا من متابعتهم أمرَهم. وفي حرف ابن مسعود: إذ نسويكم برب العالمين إذ كنا نُشرككم برب العالمين. وقال بعضهم: إذ كنا نطيعكم كما نطيع رب العالمين، وقال بعضهم: إذ نَعدِلكم برب العالمين. وبعضه قريب من بعض.

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾[٩٩]

وقوله: **وما أضلنا إلا المجرمون**، أي ما أضلنا[١٠] إلا أوّلنا. وكذلك ذكر[١١] في حرف ابن مسعود: وما أضلنا إلا الأوّلون. وتأويل هذا أنهم لما رأوا الأولين تُركوا على ما كانوا عليه من الكفر والشرك ولم يعذَّبوا في الدنيا ولا أصابتهم نقمة ظنوا أنهم أُمِروا بذلك،[١٢] وهو ما ذكر في آية أخرى: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا.[١٣]

---

[١] سورة ص، ٦١/٣٨.
[٢] سورة الأعراف، ٣٨/٧.
[٣] ر ع م – حيث.
[٤] ع – الآية.
[٥] ر ع م – هي.
[٦] ن: قوله.
[٧] ع + فإن.
[٨] جميع النسخ: ودعاهم.
[٩] ع – دعوهم.
[١٠] ن: ما أضلانا.
[١١] ر ع م – ذكر.
[١٢] ن ع + ورضي الله عنهم بذلك.
[١٣] سورة الأعراف، ٢٨/٧.

﴿**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ**﴾[١٠٠] ﴿**وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾[١٠١]

وقوله:[١] **فما لنا من شافعين**، لأنهم قالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٢] فلم يشفعوا لهم، [فقال الأتباع لهم: **فما لنا من شافعين**]،[٣] أي ليست لنا شفعاء يشفعون. ولو كانت لهم شفعاء لا تنفعهم شفاعتهم، على ما قال: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[٤] وهو ما قال: لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ،[٥] ليس أنه [لو] كان ينفعهم ذلك،[٦] فعلى ذلك هذا.

وقوله:[٧] **ولا صديق حميم**، الحميم القريب، أي ليس لهم حميم يهتمّ[٨] بأمرهم.

﴿**فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[١٠٢]

وقوله:[٩] **فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين**. قوله:[١٠] **فلو أن لنا كرة**، أي لو أن لنا رَجْعَةً إلى [دار] المحنة فنكون من المؤمنين. فأخبر الله أنهم لو رُدّوا لعادوا، بقوله تعالى: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.[١١] وقد ذكرناه.

﴿**إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[١٠٣] ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾[١٠٤]

وقوله:[١٢] **إن في ذلك لآية**، ما ذكرنا من الأخبار والأنباء لآية وعبرة لمن اعتبر. **وما كان أكثرهم مؤمنين**. قال بعضهم: لو كان أكثرهم مؤمنين ما عُذِّبوا في الدنيا. وجائز أن يكون لو ردوا إلى المحنة التي سألوا الرجعة إليها ما كان أكثرهم مؤمنين. وجائز أن يكون نفر منهم. *والله أعلم*. **وإن ربك لهو العزيز الرحيم**، قد ذكرناه.

---

[١] ن: قوله.
[٢] سورة يونس، ١٠/١٨.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٤٧و.
[٤] سورة المدثر، ٧٤/٤٨.
[٥] سورة الرعد، ١٣/١٨.
[٦] ر ع م - ذلك.
[٧] ن: قوله.
[٨] ن: يهم.
[٩] ن: قوله.
[١٠] جميع النسخ: وقوله.
[١١] سورة الأنعام، ٦/٢٨.
[١٢] ن: قوله.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٠٥]

وقوله:[١] **كذبت قوم نوح المرسلين**، ذكر "كذّبتْ" بالتأنيث على إضمار جماعة كأنه قال:[٢] كذبت جماعةُ قومِ نوح، وإلا "القوم" يُذكَّر ولا يؤنَّث.[٣] وقوله: **المرسلين**، لأن[٤] من كذّب رسولا من الرسُل فقد كذب الرسل جميعا، لأن كل رسول يدعو[٥] الخلق إلى الإيمان بجميع الرسل. وبعدُ فإنّ نوحا كان يدعو قومه إلى الإيمان بالرسل الذين يكونون[٦] بعده، لذلك قال -والله أعلم- **كذبت قوم نوح المرسلين**.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٠٦]

وقوله:[٧] **إذ قال لهم أخوهم نوح**، قال أهل التأويل: كان أخاهم في النسب وليس بأخيهم في الدين.[٨] {قال الشيخ أبو منصور رحمه الله:} إن الله تعالى سمّى الناس جميعا[٩] "بني آدم" بقوله: يَا بَنِي آدَمَ،[١٠] على بُعدهم مِن آدم، فيجوز أيضا تسميتهم إخوة على بُعد بعضهم من بعض.

[٥٤٥ظ] وقوله:[١١] **ألا تتقون** نقمة الله، / وعذابه في مخالفتكم أمره ونَهيه. أو يقول: **ألا تتقون** عبادة غير الله وطاعة مَن دونه.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٠٧]

وقوله:[١٢] **إني لكم رسول أمين**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما، أي كنت[١٣] أمينا فيكم قبل هذا فـ[كنتم] تصدقوني في جميع ما أخبرتكم وأنبأتكم، فما بالكم لا تصدقوني الآن

---

[١] ن: قوله.
[٢] م – قال.
[٣] ر ع م: ويؤنث.
[٤] ر: كأن.
[٥] ع: يدعوا.
[٦] أي يأتون.
[٧] ن: قوله.
[٨] ر ع م – في الدين.
[٩] ر م – جميعا.
[١٠] ر م – بقوله يا بني آدم. (سورة الأعراف، ٢٦/٧، ٢٧، ٣١، ٣٥).
[١١] ن: قوله.
[١٢] ن: قوله.
[١٣] ن: كتب.

إذا أخبرتكم أني رسول الله إليكم؟ والثاني يقول: **إني لكم رسول أمين**، ائتمنني الله وجعلني أمينا على وحيه، فأبلّغكم الرسالة وأؤدّي الأمانة، شئتم أو أبيتم، قبلتم[١] أو لم تقبلوا، فلا أخافكم ما توعدونني بعد أن جعلني الله أمينا وائتمنني[٢] على أمانته، كقوله: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ.[٣]

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٠٨]

وقوله: **فاتقوا الله وأطيعونِ**، أي اتقوا نقمة الله وعذابه،[٤] أو اتقوا مخالفة الله في أمره ونهيه، وأطيعونِ فيما أبلّغكم عن الله وأدعوكم إليه.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٠٩] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١١٠]

وما أسألكم عليه من أجر، أي لا أسألكم على ما أدعوكم إليه وأبلغكم أجرا أو شيئا[٥] يمنعكم ثِقل ذلك عن الإجابة، ولا أحملكم في أموالكم وأنفسكم مؤنة فيما أدعوكم[٦] إلى[٧] عبادة الواحد. وعبادة الواحد[٨] أهون[٩] وأخف على أنفسكم من عبادة العدد.[١٠] ولا أحملكم أيضا مؤنةً تمنعكم[١١] تحمّل ذلك عن إجابتي. **إنْ أَجْرِيَ**، أي ما أجري، **إلا على رب العالمين. فاتقوا الله وأطيعونِ. فاتقوا الله** ما ذكرنا، أي اتقوا نقمة الله وعذابه، واتقوا مخالفة الله في أمره ونَهيه، **وأطيعونِ** فيما أدعوكم إليه.

---

[١] ع – قبلتم.
[٢] ع: ائتمني.
[٣] يقول الله تعالى عن هود عليه السلام: ﴿قال إني أُشْهِدُ الله وَاشْهَدُوا أني بريئ مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم﴾ (سورة هود، ١١/٥٤-٥٦).
[٤] ن: وقضائه.
[٥] ر م: وشيئا.
[٦] ر ع م + إليه بل أدعوكم إليه.
[٧] ر ع م – وإلى.
[٨] ع – وعبادة الواحد.
[٩] ر: هون.
[١٠] ر م + ولا أحملكم في أموالكم وأنفسكم مؤنة فيما أدعوكم إليه من عبادة العدد؛ ع + ولا أحملكم في أموالكم وأنفسكم من عبادة العدد.
[١١] جميع النسخ: يمنعكم.

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾[١١١]

وقوله:[١] **قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**، يقولون أنصدقك[٢] وإنما اتبعك الضعفاء منا والسفلة، مَن لا رَأْيَ لهم ولا تدبير؟ ولو كنت صادقا لاتبعك الأشراف منا[٣] والرؤساء. فكان في اتباع الأراذل له ومن ذكروا أعظمُ آية على الرسالة[٤] من اتباع الأشراف، وذلك أن الأراذل من الناس هم أتْباع لغيرهم لما يَأْمُلون من فضل مال ونيل منهم أو رياسة ومنزلة[٥] تكون[٦] لهم، أو لفضل[٧] بصَر وحظّ وعِلم في الدين فيصيرون أتباعا[٨] لمن كان عنده من هذه الخصال شيء. فالرسل صلوات الله عليهم حيث لم يكن عندهم أموال ولا طمع رياسة ولا منزلةٌ اتبعهم الضعفاء والسَّفَلَة مع خوفهم[٩] على أنفسهم من أولئك الأشراف من القتل والصلب لمخالفتهم[١٠] إياهم. فما اتبعوهم إلا لما تبين عندهم أنهم على حق وأن ما يدّعون من الرسالة يدّعون[١١] صدقا. ففي اتباع من[١٢] ذكرنا أعظمُ دلالةٍ على صدق الرسل فيما ادّعَوْا من الرسالة لو تأملوا وتفكروا[١٣] في ذلك.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١١٢] ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾[١١٣]

وقول نوح: **وما علمي بما كانوا يعملون**، يحتمل وجهين. أحدهما يقول: لم أكن أعلم أن الله[١٤] يهديهم للإيمان والتوحيد من بينكم، يعني الضعفاء، ويدَعُكم لا يهديكم. ثم قال: **إن حسابهم**، أي ما جزاء هؤلاء الذين اتبعوني من الأراذل **إلا على ربي لو تشعرون**.

---

[١] ن: قوله.
[٢] جميع النسخ: نصدقك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.
[٣] ر ع م – منا.
[٤] ر ع م: من الرسالة.
[٥] ع + اتبعهم.
[٦] ن: يكون.
[٧] ر م: أو الفضل.
[٨] ع + من الأشراف وذلك أن الأراذل من الناس هم أتباع لغيرهم لما يأملون من فضل مال ونيل منهم أو رياسة ومنزلة تكون لهم أو لفضل بصر وحظ وعلم في الدين فيصيرون اتباعا.
[٩] جميع النسخ: خوف لهم.
[١٠] ر ع م: لمخافتهم.
[١١] ر ع م – من الرسالة يدعون.
[١٢] ع: ما.
[١٣] جميع النسخ: التفكر.
[١٤] ع + لا.

والثاني **وما علمي بما كانوا يعملون**، أي ما أنا بعالم بما[1] يعملون هم في السرّ وما ذلك عليّ. **إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون**، أي حسابهم عليه[2] فيما يعملون في السر. فهذا يدل أن التأويل الأخير أشبه وأقرب من الأول. وكان من أولئك طعن في الذين آمنوا بأنهم يعملون في السر على خلاف ما أظهروا حتى قال لهم ذلك.

وفي بعض القراءات: "لو يشعرون"، بالياء فهو راجع إلى المؤمنين الذين اتبعوه، يقول: حسابهم على الله فيما يعملون في السر، أي لو يشعرون ذلك لا يعملون[3] في السر خلاف ما يعملون في العلانية. ***والله أعلم.***

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١١٤]

وقوله: **وما أنا بطارد المؤمنين**، قال أهل التأويل: إنهم سألوا نوحا أن يطرد أولئك الذين آمنوا به من الضعفاء حتى يؤمنوا هم به فقال عند ذلك: وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا،[4] الآية، **وما أنا بطارد المؤمنين**. وجائز أن يكونوا طعنوا في الذين آمنوا أنهم قالوا ذلك[5] ظاهرا، وأما في السر فليسوا على ذلك، فقال نوح عند ذلك:[6] وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا، يدل على ذلك قول نوح حيث قال: وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا.[7] هذا القول منه يدل على أن كان منهم طعن في أولئك[8] الذين آمنوا به حيث وكّل أمرهم إلى الله فقال: اَللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ.[9] ***والله أعلم.***

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[١١٥]

وقوله:[10] **إن أنا إلا نذير مبين**، قد ذُكر[11] فيما تقدم في غير موضع.

---

[1] ع – يعملون أي ما أنا بعالم بما.

[2] جميع النسخ: عليهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و، حيث يقول: «أي ما ذلك علي، إنما حسابهم على الله فيما في السرّ.»

[3] جميع النسخ: ولا يعملون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٦و.

[4] سورة هود، ٢٩/١١.

[5] ر م– ذلك.

[6] ن + وما أنا بطارد المؤمنين.

[7] ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين﴾ (سورة هود، ٣١/١١).

[8] ع – أولئك.

[9] سورة هود١١/٣١.

[10] ن: قوله.

[11] ع: ذكرنا.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾[١١٦]

وقوله:[١] **قالوا لئن لم تَنتَهِ يا نوح لَتَكُونَنَّ من المرجومين**، المرجوم[٢] هو المقتول بالحجارة، وهو[٣] أشد قتلٍ، لذلك أوعَدوه. وقال بعضهم: **لَتَكُونَنَّ** من المشتومين باللسان. لكن الأول أقرب لأنه قد كان منهم الشتم له في كل وقت[٤] فلا يحتمل الوعيد به.

ثم دعا نوح عند ذلك فقال:

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾[١١٧] ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١١٨]

رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا، أي اقضِ بيني وبينهم قضاء، أي اقض عليهم بالعذاب والهلاك. ألا ترى أنه قال: **ونجني ومن معي من المؤمنين**، فدل سؤاله نجاةَ

[٥٤٦و] / نفسه ومن معه من المؤمنين على أن قوله: **فافتح بيني وبينهم فتحا**، أنه[٥] سأل ربه هلاك من كذّبه، وهو ما قال في قصة أخرى: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ،[٦] الذي وعدت أنه ينزل بهم وهو العذاب، فعلى ذلك هذا.

ثم لا يحتمل[٧] أن يكون هذا منه في أول تكذيب كان منهم، بل كان ذلك بعد ما أيِس من إيمانهم لأنه لبِث[٨] فيهم ما قال الله تعالى: أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا.[٩] وفي كل ذلك دعاهم إلى توحيد الله. وإنما دعا عليهم بالهلاك بعد ما أخبر الله تعالى عن أمرهم وإياسه عن إيمانهم فقال: لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ.[١٠] وأُذِن[١١] له بالدعاء عليهم

---

[١] ن: قوله.
[٢] ع - المرجوم.
[٣] ر م: وهي.
[٤] ر ع م - له في كل وقت.
[٥] ر ع م - إنه.
[٦] سورة الأعراف، ٨٩/٧.
[٧] ن + له.
[٨] ع: ليس.
[٩] ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ (سورة العنكبوت، ١٤/٢٩).
[١٠] ﴿وأُوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تَبْتَئِسْ بما كانوا يفعلون﴾ (سورة هود، ٣٦/١١).
[١١] م: وآذن.

فعند ذلك دعا عليهم[١] بما دعا، إذ الأنبياء صلوات الله عليهم لا يدعون على قومهم بالهلاك إلا بإذن من الله في ذلك. ألا ترى[٢] أنه ذكر أنه عاتب يونس بالخروج من بينهم بلا إذن كان من الله له بالخروج من بينهم، فإذا عوتب هو بالخروج بلا إذن فلا يحتمل أن يدعو[٣] بالهلاك بلا إذن. *والله أعلم*.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[١١٩] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾[١٢٠]

وقوله:[٤] **فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون**، الفلك المشحون: قيل المملوء. قال أبو[٥] معاذ: والعرب تقول: شحنت السفينة فلم يبق إلا الدفع، وهو السَّوق. وتقول العرب: شحنا عليهم بلادهم خيلا ورِجالا، أي ملأناها. وقال بعضهم: المشحون المجهَّز الذي قد فُرِغ منه فلم يبق إلا دفعه، وهو واحد. وإنما شُحِنت[٦] بأصناف من الخلق، وإلا كان المؤمنون قليلي العدد وهو ما قال: فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ،[٧] أخبر أنه أنجى من كان معه في الفلك المشحون وأهلك الباقين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٢١] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٢٢]

وقوله:[٨] **إن في ذلك لآية**،[٩] أي في نبإ نوح لآية[١٠] لِمن كان بعدهم. أو إن في هلاك قوم نوح وإغراقهم لعبرة لمن بعدهم. **وما كان أكثرهم مؤمنين**، إلى آخر القصة،[١١] قد ذكرنا.

---

[١] ر ع م – فعند ذلك دعا عليهم.
[٢] ر ن م: يرى.
[٣] ع: يدعوا.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر: أبوا.
[٦] ع + السفينة.
[٧] ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التَّنُّور قلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأَهْلَكَ إلا من سبق عليه القولُ ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾ (سورة هود، ١١/٤٠).
[٨] ن: قوله.
[٩] ع + لمن.
[١٠] ر ع م: الآية.
[١١] ر م: قصة.

﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٢٣]

وقوله:[١] **كذّبت عاد المرسلين**، هو -والله أعلم- ما ذكرنا،[٢] أي[٣] كذبت جماعةُ عادٍ المرسلين. وقوله: **المرسلين** ما ذكرنا أن كل رسول كان دعا قومه إلى الإيمان به وبجميع الرسل، فمن كذب واحدا منه فقد كذب الكل.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٢٤] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٢٥] ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٢٦] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٢٧]

وقوله:[٤] **إذ قال لهم أخوهم هود**، هو كان أخاهم في النسب لأنهم جميعا ولد آدم على بُعد من آدم، فعلى ذلك هم إخوة فيما بينهم على بُعد بعضهم من بعض. وقوله:[٥] **ألا تتقون**، يحتمل وجهين. أحدهما **ألا تتقون** نقمة الله وعذابه، أو **ألا تتقون** مخالفة أمر الله ومناهِيه. **إني لكم رسول أمين**، فيما ائتمنني الله وبعث على يديّ إليكم هدايا فاقبلوا مني هداياه وأمانته. أو أن يكون ما ذكرناه من قبل. *والله أعلم*.

وقوله:[٦] **فاتقوا الله وأطيعونِ**، ما ذكرنا.[٧] **وما أسألكم عليه من أجر**، أي أسعى في نجاتكم وتخليصكم من عذاب الله وما أسألكم على ذلك أجرا. وفي الشاهد لا يعمل أحد إلا ويطمع على ذلك منه أجرا، وأنا لا أسئلكم على ذلك أجرا فيمنعكم ذلك عن قبول ذلك مني. **إن أجري**، أي ما أجري، **إلا على رب العالمين**.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾[١٢٨] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[١٢٩] ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[١٣٠]

وقوله:[٨] **أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع**، هذا يحتمل وجوها. أحدها كأنهم

---

[١] ن: قوله.
[٢] انظر تأويل الآية ١٦٥ من هذه السورة في تأنيث كلمة "كذبت".
[٣] ر ع م + ما.
[٤] ن: قوله.
[٥] ن: قوله.
[٦] ن: قوله.
[٧] انظر تأويل الآية ١٠٧ من هذه السورة و ١٠٨.
[٨] ن: قوله.

كانوا يبنون بنيانا[١] لا حاجة لهم إلى ذلك البنيان ولا ينتفعون به، فهو عبث، لأن كل من بنى بناء أو عمل عملا لا ينتفع به[٢] ولا يحتاج إليه فهو عابث، لذلك سمّى ما بنَوا عبثا.

والثاني جائز أن يكون ذلك المكان لهم كان مكان العبث والاجتماع للّهو[٣] فبنوا على ذلك المكان فسماه عبثا لِما لم يكن اجتماعهم في ذلك إلا للعبث واللهو.

والثالث أن يكون ذلك المكان مكانا يمر فيه الناس، فبنوا فيه أعلاما يُضلّون الناس بها لِما يرون أنه طريق و لم يكن ذلك، فكان قصدهم بذلك البناء باطلا، وكل باطل عبث. ***والله أعلم***.

وقوله:[٤] **لعلكم تخلدون**، ولا تموتون، أي تنفقون نفقة من يطمع أن يَخلُد في هذه الدنيا، ليس نفقه[٥] مَن يموت ويرجو[٦] ثوابه وعاقبته. أو أن يكون قوله: **لعلكم تخلدون**، لما وُسّع عليهم الدنيا ورُزق لهم الدَّعَة يحسبون أنهم يَخلُدون، لأن[٧] من وُسّع عليه الدنيا ونال[٨] الدعة والسعة في هذه الدنيا يطمئن فيها ويسكن، وهو كما قال: يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ،[٩] فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم***.

وقوله:[١٠] **وإذا بطَشتم بطَشتم جبّارين**، كنَى -والله أعلم- بالجبارِ الظالِمَ والمعتدي،[١١] أي وإذا بطشتم بطشتم ظالمين.

والرّيع هو المكان المرتفع.[١٢] وقال بعضهم: هو الطريق. ومصانع، قال[١٣] بعضهم: البنيان، وقيل: الحياض. وقال أبو عَوْسَجَة: الرّيع ما ارتفع من الأرض، وجمع الرّيعة رِيعٌ، وجمع الرّيع أرياع، وهما واحد. والرّيع الرّبح أيضا، تقول: أراع المالُ[١٤] إذا ربحتَ عليه، وجمعه أرياع.

---

[١] ع: تبنون تيانا.
[٢] م + ولا.
[٣] ر م: والاجتماع للسهو؛ ن: واجتماع اللهو.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر: بنفقة؛ ع: تنفقة؛ م: ينفقه.
[٦] ر ع: ويرجوا.
[٧] ر: ولأن.
[٨] جميع النسخ: ويكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٤٨و.
[٩] ن + كلا. سورة الهُمَزة، ١٠٤/٣.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ع: والمتعدي.
[١٢] ر: ارتفع.
[١٣] ع: وقال.
[١٤] ر ع م - المال.

ومصانع هي[1] في موضعٍ قصورٌ وفي موضعٍ[2] حياض، يجتمع فيها الماء، الواحد[3] مَصْنَعة من كليهما.[4] وقال: البطش الأخذ، يقال: بطشتُ بفلان،[5] أبطِش بطشا، إذا أخذته وقبضت عليه. وقال القُتَبي أيضا: الرِّيع الارتفاع من الأرض. والمصانع البناء، واحدها مَصْنَعَة.[6] فكان المعنى أنهم يستوثقون في البناء والحصون ويذهبون إلى أنها[7] تُحَصِّنهم من أقدار الله وقضائه.
[٥٤٦ظ] وهذا / يشبه أن يكون ما ذكر، لأنه قال في آخره: **لعلكم تخلدون**، أي تبنون بناء كأنكم تخلدون ولا تموتون.[8] وقال: **وإذا بطشتم بطشتم**، أي إذا ضربتم ضربتم[9] بالسياط ضرب الجبّارين وإذا عاقبتم قتلتم. وقال بعضهم: **بطشتم**، أخذتم بالظلم والاعتداء والاستحلال لما حرم الله. وقال أبو معاذ: وكل بناء مَصْنَعة. وفي حرف حفصة: وتبنون مصانع كأنكم خالدون. والآية العَلَم. وقال بعضهم: الرِّيع ما استقبَل الطريقَ من الجبال والظِّراب.[10] وقال قتادة: كل نَشْز[11] في الأرض.[12] وقال محمد بن[13] إسحاق:[14] إنهم كانوا إذا سافروا فلا تهتدون

---

[1] ر م – هي.

[2] ر ع م: وموضع.

[3] ر ع: المواحد.

[4] ر ع م: من كلاهما. المَصْنَعة والمَصْنُعة: كالصِّنْع الذي هو الحَوض أو شبه الصِّهْريج يُجمَع فيه ماء المطر. والمصانع أيضا: ما يَصنعه الناس من الآبار والأبنية وغيرها. وفي التنزيل: ﴿وتَتَّخِذون مصانِعَ لعلكم تَخْلُدون﴾، المصانع في قول بعض المفسرين: الأبنية، وقيل: هي أَحباس تتخذ للماء، واحدها: مَصْنَعةٌ ومَصْنَعٌ (*لسان العرب*، «صنع»).

[5] ع: فلان.

[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٨-٣١٩.

[7] ر ع م: إلى أنهم.

[8] جميع النسخ: كأنهم يخلدون ولا يموتون.

[9] ر ع م – ضربتم.

[10] الظَّرِبُ، بكسر الراء: كل ما نَتَأَ من الحجارة وحُدَّ طَرَفُه؛ وقيل: هو الجبل المنبسِط، وقيل: هو الجَبَلُ الصغير، وقيل: الرَّوابي الصغار، والجمعُ: ظِرابٌ (*لسان العرب*، «ظرب»).

[11] ع: نشرب. النَّشْزُ والنَّشَزُ: المَتْنُ المرتفع من الأرض، وهو أيضًا ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض، وليس بالغليظ، والجمع أَنْشازٌ ونُشُوزٌ (*لسان العرب*، «نشز»).

[12] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/٩٤؛ و*تفسير القرطبي*، ١٣/١٢٢-١٢٣.

[13] ر – بن.

[14] محمد بن إسحاق بن يسار، كنيته أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله، القرشي المطَّلِبي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية، كان علامة حافظًا أخباريًا، رأى أنس بن مالك وروى عن كثير من التابعين، وروى عنه الكثير. تكلم فيه بعض المحدثين، لكن الأكثر على توثيقه لا سيما في السير. وهو من دوّن العلم. توفي سنة ١٥٠ هـ. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٧/٣٣-٥٥؛ و*تهذيب التهذيب* للابن حجر، ٩/٣٨-٤٦؛ و*طبقات ابن سعد*، ٧/٣٢١.

إلا بالنجوم فبَنَوا القصور الطِّوال عَبَثا عَلَما بكل طريق يهتدون بها في طُرُقهم. وقال بعضهم: **مصانع**، أي مجالس ومساكن. **لعلكم تخلدون** ما بقيت مصانعكم. والجبار هو الذي يضرب[١] أو يقتل بلا حق [و]بلا خوفِ تَبِعة في العاقبة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٣١] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾[١٣٢]

وقوله:[٢] **فاتقوا الله وأطيعون**، قد ذكرنا. وقوله:[٣] **واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون**، **أمدكم**، قيل: أعطاكم، وهو من المَدَد، أي أعطاكم النِّعم تِباعا: واحدةً بعد واحدة لا تنقطع.[٤] ثم هو يحتمل وجهين. أحدهما اتقوا كفران الذي أعطاكم النعم فلا توجهوا شكرها إلى مَن لم يُنعم عليكم ولم يُمِدّها لكم وأنتم تعلمون، وهو عبادتهم الأصنام التي لا يقدرون على إعطاء شيء من النعم. والثاني اتقوا نقمة الله[٥] الذي أعطاكم هذه النعم، فإن الذي قدر على إنعامها قَدَرَ على الانتقام منكم. وعلى التأويل الأول [فإن المعنى:] اتقوا كفرانها، فإن الذي قدر على إعطائها[٦] قدر على صَرفها عنكم، على هذين الوجهين يخرج.[٧] ***والله أعلم***.

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾[١٣٣] ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[١٣٤] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٣٥]

ثم ذكر الذي أمدّه لهم مِن النِّعم فقال: **أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون**، هذا وغيره مما لا يحصى. **إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**، قال بعضهم: **إني أخاف**، أي أعلم أن ينزل بكم عذابُ يومٍ عظيم. وقال بعضهم: الخوف هاهنا هو الخوف نفسه، لأنه كان[٨] يرجو[٩] الإيمان منهم بعدُ فقال: **إني أخاف عليكم** العذاب إذا مُتُّم[١٠] على هذا، فقالوا عند ذلك جوابا له:

[١] ر: يصرف.
[٢] ن: قوله.
[٣] ن: قوله.
[٤] ر: ولا تنقطع.
[٥] ر ع ن - الله.
[٦] ع - قدر على إعطائها.
[٧] ر ع م - يخرج.
[٨] ع: كانوا.
[٩] ر ع: يرجوا.
[١٠] ر: أمتم.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾[١٣٦] ﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٣٧] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[١٣٨]

سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، الوعظ[1] هو الإخبار عن عواقب الأمور من ترغيب وترهيب، أي سواء علينا تخوِّفنا العذاب أو لم تخوفنا لا نصدقك ولا نُجيبك إلى ما تدعونا إليه.

ثم قالوا: **إن هذا إلا خُلُق الأولين**، قيل فيه بوجوه.[2] أحدها أي ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين، وما أتيتَ أنت وتدعونا إليه هو حادث بديع. و"الخَلْق"[3] يجوز أن يكنى به عن الدين، كقوله: لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ،[4] أي لدين الله. وقال بعضهم: قوله: **إن هذا**، أي ما هذا الذي تقوله إلا كَذِب الأولين واختلاقهم، أي تكذب وتختلق[5] كما اختلق الذين[6] كانوا من قبلك من الرسل،[7] كقوله: مَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.[8] فإن كان على هذا فيكون قوله: كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ،[9] هذا، لأنهم كذبوا الرسل جميعا. وقال بعضهم: قوله **إن هذا إلا خُلُق الأولين**، قالوا: هكذا كان الناس قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعثَ و[لا] حسابَ. وقال بعضهم: الوعظ هو النهي، كقوله: يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا،[10] أي ينهاكم. وقوله:[11] **وما نحن بمعذبين**، عليه على ما تزعم وتخبر كما لم يعذَّب الآباء.

---

[1] ع: الواعظ.

[2] ر م: وجوه

[3] ر: الخلق.

[4] ﴿فأقِم وجهك للدين حنيفا فِطْرَةَ الله التي فَطَرَ الناسَ عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٣٠).

[5] ر: وتخلق.

[6] ر ع ن: الذي.

[7] الخَلْق دين الله، كما في قوله: ﴿فلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله﴾ (سورة النساء، ٤/١١٩)، أي دين الله. والخلق، بضم اللام وسكونها: الدِّين والطبْع والسجية، ومنه قوله تعالى: ﴿إنْ هذا إلا خُلُق الأوّلين﴾ فمعناه كَذِب الأولين؛ وقيل: شِيمة الأولين، وقيل: عادةُ الأولين. ومن قرأ "خَلْق الأَوّلين" فمعناه افْتراء الأَوّلين واختلاقهم وكذبهم (*لسان العرب*، «خلق»).

[8] ﴿والذي قال لوالدَيه أُفٍّ لكما أتَعِدانِنِي أن أُخرَج وقد خلت القرون مِن قبلي وهما يستغيثان اللهَ وَيْلَك آمِنْ إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١٧).

[9] سورة الشعراء، ٢٦/١٢٣.

[10] ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة النور، ٢٤/١٧).

[11] ن: قوله.

*وقال أبو عَوْسَجَة والقتبي: **خُلُق الأولين**، أي اختلاقهم وكَذِبهم، يقال: خلَقْتُ الحديثَ واختَلَقتُه إذا افتعلته. قال الفراء: والعرب تقول للخرافات أحاديث الخَلق. قال: ومن[1] قرأ: **خُلُق الأولين** بضم الخاء[2] أراد عادتهم وشأنهم.[3]* [٥٤٦ظ س٢٧ / ٥٤٦ظ س٢٩]

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٣٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٤٠]

وقوله: **فكذبوه فأهلكناهم**، قيل: أُهلكوا بالريح، كقوله: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ،[5] الآية. وقوله:[6] **إن في ذلك لآية**، قد ذكرناه.*

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٤١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٤٢] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٤٣] ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٤٤] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٤٥]

وقوله:[8] **كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون**، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم. **إني لكم رسول أمين**، أي كنت أمينا قبل ذلك مقبول القول[9] فكيف تتهموني[10] اليوم؟ ويقال: أمين على الرسالة ناصح لكم. وقد ذكرنا تأويله إلى[11] قوله: **إن أجري إلا على رب العالمين.**

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾[١٤٦] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[١٤٧] ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾[١٤٨] ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾[١٤٩]

وقوله:[12] **أتتركون فيما هاهنا آمنين**، يخرج على وجهين. أحدهما **أتتركون** هكذا.[13]

---

[1] ن: من.
[2] *انظر: معجم القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٤٢/٣.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٩.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٦ظ/سطر ٢٧-٢٩.
[5] سورة الحاقة، ٦/٦٩.
[6] ن: قوله.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٣٧، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٦ظ/سطر ٢٧-٢٩.
[8] ن: قوله.
[9] ر ع م – مقبول القول.
[10] ن: يتهموني.
[11] ر م: إلا.
[12] ن: قوله.
[13] جميع النسخ: هذا.

وإن خرج على الاستفهام فكأنه قال على الإخبار: لا تتركون[1] في ما ذكر آمنين. والثاني **أتتركون،** أي أتظنون أن تتركوا في ما ههنا آمنين، أي لا تظنوا أن تتركوا في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم. قال بعضهم: الهضيم المتهشِّم، وقال بعضهم: الذي أَرطَب بعضُه، وهو الذي يسمى المُذَنِّب. وعن ابن عباس قال: هو الذي قد أرطب واسترخى، وهو اللَّيِّن. وعن الحسن: الذي ليس له نَوًى.[2] وقال بعضهم: هو من الرَّطب الهضيم وهو الذي ينقطع لِلِينه ومن اليابس الهشيمُ يتكسر ليُبُوسته. وقال القُتَبي: والهضيم الطلع قبل أن ينشق عنه القِشر وينفتح.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: الهضيم الذي لا شوك فيه ولا مشقة. وقال بعضهم: الهضيم هو الذي[4] يتراكم بعضه بعضا ويكون فوق بعض. ولو قيل: إن الهضيم هو الهنيء[5] المريء[6] الذي[7] لا داء فيه ولا مشقة، يَهضِم كل ما فيه [٥٤٧و] داء ومرض ولذلك سمي الهاضوم[8] هاضوما وهو[9] / الذي يَهْنَأُ[10] الطعامَ ويَهضمه.[11] ***والله أعلم.***

وقوله: **وتَنْحِتون من الجبال بيوتا فارهين،** بالألف، وفرِهين بغير ألف. **فارهين،** أي حاذقين مُجيدين، أي لهم حذاقة وبَصر في نحت البيوت في الجبال. يقال: فلان فارِهٌ في أمر كذا، أي حاذق؛[12] وفرِهين أشِرين بطِرين، أي فرِحين. وقال[13] القُتَبي: والفرَح قد يكون السرور ويكون الأَشَرَ، ومنه قول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ،[14] أي الأَشِرين. قال: ومن قرأها: فارهين، بالألف فهي[15] لغة أخرى، يقال: فرِهٌ وفارِه، كما يقال: فرِح وفارح،

[1] ر ع م: ولا تتركون.
[2] ر: قوى. انظر حول جميع الآراء: *تفسير ابن كثير*، ٣/٣٣٢.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣١٩.
[4] ع + ينقطع.
[5] ر ن ع: الهني.
[6] ن ع: المري.
[7] م – الذي.
[8] هضَم الدواء الطعامَ يَهْضِمه هَضْمًا: نَهَكَه. والهضام والهضوم والهاضوم: كلُّ دَواءٍ هضم طعامًا كالجُوارِشْنِ (*لسان العرب*، «هضم»).
[9] ع: هو.
[10] جميع النسخ: يهنئ.
[11] ر م + الذي.
[12] ع: حاذقين.
[13] ر ع م: قال.
[14] سورة القصص، ٧٦/٢٨.
[15] ن: فهو.

ويقال: فارهين حاذقين.[١] وقال أبو عَوْسَجَة: فارهين وفرِهين، أي مسرورين، ويقال: فرِه يفرَه فَرَها فهو فرِهٌ وفارِه.[٢]

﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٥٠] ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾[١٥١] ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[١٥٢]

وقوله:[٣] **فاتقوا الله وأطيعونِ ولا تطيعوا أمر المسرفين**، يقول: -والله أعلم- اتقُوا نقمة الله في مخالفتكم أمره، **وأطيعونِ ولا تطيعوا أمر المسرفين**، أي لا تطيعوا أمر من ظهر لكم منه[٤] الإسراف والفساد ولكن أطيعوا أمري، إذ لم يظهر لكم مني إسراف ولا فساد، ولا تطيعوا الذين تعلمون[٥] أنهم **يفسدون في الأرض ولا يصلحون**. أو أن يكون قوله: **ولا تطيعوا أمر المسرفين**، مؤخرا عن قوله: **ما أنت إلا بشر مثلنا**، يقول لهم صالح: تَتْركون طاعتي والإجابة لي لأني بشر مثلكم، فلا تطيعوا إذًا بشرا[٦] هو دوني وهم الذين ظهر لكم منهم الفساد والإسراف و لم يظهر لكم مني شيء[٧] من ذلك.[٨] يخبر عن سفههم وقلة تمييزهم حيث تركوا اتّباع الرسل وطاعتهم لأنهم بشر، ثم يطيعون بشرًا دونهم[٩] في كل شيء. ثم أجابوا صالحا في قوله:[١٠] **ولا تطيعوا أمر المسرفين**، فقالوا:

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾[١٥٣] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١٥٤]

إنما أنت من المسحرين، اختلف فيه، قال بعضهم: يقولون إنما أنت سُوقَة[١١] مثلنا لست بأفضلنا، وإنما نتبع نحن الملوك وذوي الثروة[١٢] من المال، وأنت لست[١٣] بملِك ولا لك ثروة.

---

[١] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣١٩-٣٢٠.
[٢] ر ع: فاره وفره.
[٣] ن: قوله.
[٤] ع: من.
[٥] ر ع م: تعملون.
[٦] ر: بشر.
[٧] ر ع م: من شيء.
[٨] ر م - من ذلك.
[٩] ن: لأنهم لا يطيعون بشرا دونهم؛ ر ع م: لأنهم بشرا دونهم.
[١٠] ر ع م - في قوله.
[١١] السُّوقة من الناس: من لم يكن ذا سلطان، الرعية. يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر. والجمع السُّوَق (*لسان العرب*، «سوق»).
[١٢] ر ع م: وذي ثروة؛ ن: وذوي ثروة.
[١٣] ع - لست.

فهم -والله أعلم- طعَنوا صالحا كما طعن كفار مكة رسول الله حيث قالوا: مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ.[1] وقال بعضهم: يقولون: أنت بشر مثلنا في المنزلة لا تفضُلنا بشيء، [و]لست بملك ولا رسول **فَأْتِ بآية إن كنت من الصادقين** بأنك رسول فنتبعَك كما أطَعنا أولئك.[2] وقال القُتَبي: **إنما أنت من المسحَّرين**، أي من المعلَّلين بالطعام والشراب،[3] وهو مثل الأول. وقال أبو عَوْسَجَة: **من المسحرين**[4] ممن له سَحْر. والسَّحْر الرئة[5] وأسحار جمع.[6] وقال بعضهم: من المسحورين،[7] لكنه عند الكثرة يشدّد. ***والله أعلم.***

﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[١٥٥]

ثم قال صالح: **هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم**، ذكر أهل التأويل أن الماء منقسم بينهم: كان يوم لهم ويوم للناقة. استدلوا بقوله: **ولكم شرب يوم معلوم**، فلما كان يوم لهم معلوم كان[8] يوم لها معلوم.[9] لكن ليس في الآية دلالة [على] أن الأمر [كـ]ـما وصفوا، ولكن في الآية أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ،[10] وظاهره أن الماء بينهم بالقسمة لا الشرب. وقوله: **لها شرب ولكم شرب يوم معلوم**، جائز أن يكون الماء بينهم بعضه للناقة وبعضه لهم، ثم لهم يوم معلوم ليس للناقة في ذلك اليوم شيء. ***والله أعلم.***

وقد ذكرنا أن هذه الأنباء إنما ذكرت في كتبهم حجة لرسول الله، فلا يزاد على ما ذكر في الكتاب مخافةَ أن تذهب[11] حجته عليهم أعني أهل الكتاب لئلا يكذّبوا رسول الله فيما يخبر من الأنباء التي في كتبهم.

---

[1] ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكونَ معه نذيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٧).

[2] ر ع م + وأولئك.

[3] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٠.

[4] ع – أي من المعللين بالطعام والشراب وهو مثل الأول وقال أبو عوسجة من المسحرين.

[5] ر م: الرية؛ ع: الرؤية. والسَّحْر والسَّحَر والسُّحْر: ما التزق بالحلقوم والمرِئ من أعلى البطن. ويقال: انتفخ سَحْرُه للجبان الذي ملأ الخوف جوفه، فانتفخ السَّحْرُ وهو الرئة حتى رفع القلبَ إلى الحُلقوم (*لسان العرب*، «سحر»).

[6] ع: جميع.

[7] ن: من المسحرين، صح هـ: من المسحورين. وهو قول مجاهد، انظر: *تفسير مجاهد*، ٢/٤٦٤.

[8] ر ع م – يوم لهم معلوم كان.

[9] ن: معلوما.

[10] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ونَبّئْهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾ (سورة القمر، ٥٤/٢٨).

[11] جميع النسخ: أن يذهب.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٥٦] ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾[١٥٧] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٥٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٥٩]

وقوله:[١] **ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين،** يحتمل قوله: **فأصبحوا نادمين،** إذا أهلكوا[٢] وإلا لو ندموا على صنيعهم وتابوا قبل أن يُهلكوا لقُبل ذلك منهم. وقوله:[٣] **فأخذهم العذاب،** كل آية أتاهم الرسل على إثر السؤال فكذبوها[٤] أخذهم العذاب فأهلكوا. وقوله:[٥] **إن في ذلك لآية،** قد ذكرنا.[٦]

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٦٠] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٦١] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٦٢] ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٦٣] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٦٤]

وقوله:[٧] **كذبت قوم لوط المرسلين،** قد ذكرنا [أن] التأنيث على إضمار جماعة،[٨] كأنه قال: **كذبت** جماعةُ[٩] **قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون،** إلى قوله: **العالمين،** قد ذكرنا فيما تقدم.

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[١٦٥] ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[١٦٦]

وقوله:[١٠] **أتأتون الذكران من العالمين،** وقال في آية أخرى: إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ.[١١] وقوله:[١٢] **وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم،**

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن: إذ أهلكوا.
[٣] ن: قوله.
[٤] ر: فكذبوهما.
[٥] ن: قوله.
[٦] ع: ذكرناه.
[٧] ن: قوله.
[٨] انظر تأويل الآية ١٠٥ من هذه السورة.
[٩] ر ع م - جماعة.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ﴿ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٨).
[١٢] ع - وقوله.

أي وتذرون[1] ما جعل الله ذلك طلبا لإبقاء هذا النسل، لأنه لم يجعل النساء لهم لقضاء الشهوة[2] خاصة، ولكن إنما جعل لهم الأزواج لإبقاء هذا النسل ودوامه. فيُعيّرهم لوط بتركهم إتيان النساء لما في ذلك انقطاع ما جُعِلن هن له[3] وهو إبقاء النسل، واشتغالهم بالرجال وليس في ذلك إبقاء النسل. هذا -والله أعلم- معنى قوله: **وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم**، أي إنما[4] خَلَق لبقاء النسل لا لقضاء الشهوة خاصة، لكن جعل فيهم ومكّن قضاء الشهوة[5] ليرغّبهم على ذلك ليبقى هذا النسل إلى يوم القيامة، وإلا لو لم يجعل ذلك فيهم لعلهم لا يتكلفون ذلك ولا يتحمّلون هذه المُؤَن التي يتكلّفون[6] حملَها لذلك. وفي الآية / دلالة [على] أن المرأة هي المملوكة عليها دون الزوج، والزوجَ [٥٤٧ظ] هو المالك عليها، حيث قال:[7] **وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم**، وقال في آية أخرى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا،[8] الآية. أخبر أنه خلق النساء لنا، لا أنه خُلِقنا لهن.[9] وفي ذلك حجة لأصحابنا في قولهم: إن المسلم إذا تزوج نصرانية بشهادة نصرانيين جاز النكاح، لأنه هو المتملّك عليها بالنكاح[10] وهي المملوكة له.[11] *والله أعلم*.

وقوله:[12] **بل أنتم قوم عادون**، أي بل أنتم قوم متجاوزون حدّه الذي حدّ لكم،[13] أو **عادون** حقَّه الذي له عليكم.[14]

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾[١٦٧]

وقوله: **قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين**، ذكر الانتهاء ولم يبين مما ذا؟ فجائز أن يكونوا قالوا: **لئن لم تنته يا لوط** من تعييرك الذي تُعيّرنا به، **لتكونن من المخرجين**

[1] ر ع م: تذرون.
[2] م: الشهوات.
[3] أي خلقن لأجله.
[4] ر ع م: وإنما.
[5] ر م: الشهوات.
[6] ع + ذلك ولا يتحملون هذه المؤن التي يتكلفون.
[7] ر ع م - قال.
[8] سورة الروم، ٣٠/٢١.
[9] ع: خلقنا هن.
[10] جميع النسخ: النكاح.
[11] ر م - له.
[12] ن: قوله.
[13] ع: لهم.
[14] ر ن م + أو عادون؛ ع + وعادون.

حيث[1] قال: مَا سَبَقَكُمْ،[2] الآية، وقوله:[3] وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ.[4] ويحتمل: **لئن لم تنته** من دعائك الذي تدعونا[5] إليه **لتكونن** كذا. وقوله: **لتكونن من المخرجين**، يحتمل نفس الإخراج، أي نخرجك من القرية ومن بيننا. وجائز أن يكونوا[6] أرادوا بالإخراج إخراجا بالقتل،[7] كقول[8] قوم نوح حيث[9] قالوا: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ،[10] وهو أشبه.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾[١٦٨] ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾[١٦٩] ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾[١٧٠] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾[١٧١] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾[١٧٢] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾[١٧٣]

ثم قال لوط: **إني لعملكم من القالين**، أي من المبغِضين، أي كيف توعِدونني[11] بالإخراج وإني لِعملكم الذي[12] تعملون من المبغضين، أكره المُقام فيكم وأبغض رؤية أعمالكم التي تعملون فكيف توعدونني بالإخراج. ثم دعا فقال: **رب نجني وأهلي مما يعملون**، هذا يحتمل وجوها. أحدها رب نجني وأهلي من عذاب ما يعملون وجزائه. أو أن يكون رب نجني وأهلي من عمل ما يعملون من الخبائث، كقول إبراهيم: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ.[13] أو أن يقول:[14] رب نجني وأهلي عن رؤية ما يعملون ومعاينته.[15]

ثم قال: **فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين**، قد ذكرنا هذا فيما تقدم.

---

[1] ر ع م – حيث.
[2] ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ (سورة الأعراف، ٨٠/٧).
[3] ن: قوله.
[4] الآية السابقة.
[5] ع: تدعوننا.
[6] ر ع م: يكون.
[7] ع: وبالقتل.
[8] ر ع م: كقولهم.
[9] ع – حيث.
[10] سورة الشعراء، ١١٦/٢٦.
[11] ع: تدعونني.
[12] ع: الذين.
[13] ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (سورة إبراهيم، ٣٥/١٤).
[14] ن: أو يقول.
[15] جميع النسخ: ومعاقبته.

وقوله: **وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين**، يحتمل أن يكون أمطر عليهم الحجارة بعد ما قلَبهم ظَهرًا لِبطن[1] وبطنًا لظهر، كقوله: فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً [مِنْ سِجِّيلٍ].[2] وجائز أن يكون جعل عاليها سافلها بما أمطر عليهم من الحجارة. وجائز أن يكون جعل[3] القريات ومن فيها عاليها سافلها، وأمطر[4] على من كان غائبا منهم الحجارة.

وقال[5] أبو عَوْسَجة والقُتَبي: **مِن القالين**، أي من المبغِضين، يقال: قَلَيْتُ الرجلَ إذا أبغضتُه،[6] ومن ذلك قوله: مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى.[7] والغابر الباقي.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٧٥] ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٧٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٧٧]

وقوله: **كذب أصحاب الأيكة المرسلين**. والأيكة[8] قال بعضهم:[9] هي شجرة نُسِبوا إليها. وقال بعضهم: الأيكة الغَيْضَة.[10]

إذ قال لهم شعيب ألا تتقون، قال بعض أهل التأويل: وإنما لم يقل ههنا في شعيب "أخوهم" لأن شعيبا لم يكن من نسلهم، أعني من نسل أصحاب الأيكة،[11] لذلك[12] لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب. وقال في سورة هود حيث قال: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا،[13] لأنه كان من نسل أهل مدين. ويقولون: إن شعيبا كان بعث إلى أهل مدين وهو كان منهم وإلى أصحاب الأيكة

---

[1] م: البطن.
[2] سورة الحجر، ٧٤/١٥.
[3] ر م - جعل.
[4] ر م: وأمطرنا.
[5] م: قال.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٠.
[7] سورة الضحى، ٣/٩٣.
[8] م - والأيكة. الأيكة والغيضة: الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف.
[9] ن - قال بعضهم.
[10] ر: القبطة؛ ع: الغيظة.
[11] ع + قال بعضهم هي شجرة نسبوا إليها وقال بعضهم الأيكة الغيضة إذ قال لهم ألا تتقون قال بعض أهل التأويل وإنما لم يقل ههنا في شعيب أخوهم لأن شعيبا لم يكن من نسلهم أعني من نسل أصحاب الأيكة.
[12] ر ع م: كذلك.
[13] سورة هود، ٨٤/١١.

وهو لم يكن منهم، لذلك قال: ثُمَّ أَخَاهُمْ و لم يقل هاهنا. لكن ليس فيما لم يقل إنه أخوهم ما يدل أنه لم يكن من نسلهم ولا من نسبهم، لأن جميع أولاد آدم إخوة إذ يسمى جميع البشر بَنُوه، فعلى ذلك أولاده[1] إخوة وأخوات.[2]

ثم لا ندري أن مدين غير الأيكة والأيكة غير المدين، فبُعث شعيب إليهم جميعا أو هما واحد نسبوا إلى مدين[3] مرة وإلى مدين ثانيا. والله أعلم بذلك. وقال القُتَبي: الأيكة: الغَيْضَة، وجمعها أَيْك.[4] وقال أبو عَوْسَجَة: الأيكة شجرة، والأَيْك جمع أيكة. وقال لا أعرف لَيْكَة[5] بلا ألف. وكذلك قال أبو عبيدة.[6] وقال أبو زيد: أصحاب لَيْكَة[7] أصحاب بادية. **والله أعلم**.[8]

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٧٨] ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٧٩] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٨٠]

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾[١٨١] ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[١٨٢] ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[١٨٣]

وقوله: **أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين**، وكذلك قال لأهل مدين في سورة هود: وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ،[9] ذكر فيهما جميعا إيفاء الكيل. فلسنا ندري أنه قد ظهر فيهما جميعا نقصان[10] الكيل والوزن فأمرهما بإيفاء ذلك، أو كانت القصة واحدة فذكر فيهما ذلك.* وقوله: **أوفوا الكيل**، كأنه قال: أوفوا الكيل والوزن فيما عليكم إيفاؤه ولا تستوفوا من الناس أكثر مما لكم عليهم.

---

[1] ع: أولاد.
[2] ر: وأخواة.
[3] جميع النسخ: نسبوا إلى مدين وإلى الأيكة.
[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٠.
[5] ر ع م: أيكة.
[6] ع: أبو عبيد. انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٩٠.
[7] ن: أصحاب أيكة.
[8] ن + بذلك.
[9] ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تَعْثَوْا في الأرض مفسدين﴾ (سورة هود، ٨٥/١١).
[10] ع: نقصانا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٧ظ/سطر ٣٥ و٥٤٨و/ سطر ١.

وزِنُوا بالقسطاس المستقيم. القسطاس، قال بعضهم: العدل، أي وزِنوا للناس حقوقهم بالعدل ولا تَنقُصوها. وقال بعضهم: القسطاس هو القَبّان وهو الميزان. وقوله: **المستقيم** المستوي، كأنه قال: وزِنوا بالميزان المستوي، لا تجعلوا إحدى الكِفَّتين أثقلَ[1] من الأخرى. كأنهم يجعلون الكِفَّة التي يُوفون بها حقوق الناس أثقل والكفة التي يستوفون من الناس أخفّ. فأمرهم أن يُسَوُّوا الكِفتين جميعا.

[٥٤٧ظ س٣٥ *ثم في قوله: **ولا تبخسوا الناس أشياءهم**، جواز الاستدلال من وجهين. أحدهما وقوع المبيع بملك المشتري وإن لم يقبضه المشتري. والثاني[2] جواز بيع الجزء من الكيليّ والوزنيّ شائعا من الكل[3] لأنه قال: **ولا تبخسوا الناس أشياءهم**، أضاف الأشياء إلى الناس ونسبها إليهم، فلولا أن ذلك مِلك لهم وإلا لم يكن أشياءهم ولكن كانت أشياء هؤلاء، إذ لا يخلو[4] ذلك:

[٥٤٨و] إما أن كان ثمنا أو كان مبيعا، فكيف ما كان فهو موصوف بالمِلك لهم دون الذين / عليهم

٥٤٨و س١] إيفاء ذلك.[5]* وقوله:[7] **ولا تعثَوا في الأرض مفسدين**، أي لا تفسدوا فيها.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾[١٨٤]

وقوله:[8] **واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين**، أي اتقوا نقمة الله[9] الذي خلقكم وخلق الجِبلّة الأولين أنْ[10] كيف عذّبهم وانتقم منهم بظلمهم. والجِبِلَّة هي الخليقة، يقال: جُبِل، أي خُلِق.

---

[1] ع – أثقل.

[2] ع + في.

[3] ر: مما الكل.

[4] م: لا يخلوا.

[5] «وفي قوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ دلالة في موضعين. أحدهما في صيرورة المنع ملكا للمشتري قبل القبض لأنه أضاف الأشياء إلى الناس ونسبها إليهم بقوله ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ فلولا أن ذلك صار ملكا لهم بالشراء قبل التسليم والإيفاء وإلا لم يذكر أشياءهم. والثاني أن بيع المتاع وشراءه جائز لأنه قال: ﴿أوفوا المكيال والميزان﴾ وهذا فيما لم يكن مكيلا وقد أضاف الملك إليهم، دل أن البيع جائز في المباع.» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٤٩ظ).

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٧ظ/سطر ٣٥ و٥٤٨و/سطر ١.

[7] ن: قوله.

[8] ن: قوله.

[9] ر ن – الله.

[10] ر ع م: أي.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾[١٨٥] ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[١٨٦]

قالوا إنما أنت من المُسَحَّرِين، قال بعضهم: هو الذي سُحِر مرة بعد مرة، فعلى هذا[١] التأويل يكون: إنما أنت من المُسَحَّرِين، ويكون[٢] التشديد للتكثير. وقال[٣] بعضهم: إنما أنت مخلوق وبشر مثلنا، وقد ذكرنا.[٤]

وقوله:[٥] **[ما أنت إلا بشر مثلنا] وإن نظنك لمن الكاذبين**، هذا يدل أنهم إنما قالوا ذلك ظنا منهم لا يقينا وحَقا.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١٨٧] ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١٨٨] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٨٩]

فَأَسْقِط علينا كِسَفا من السماء إن كنت من الصادقين، سألوا شعيبا العذاب على التعنّت كما سأل غيرهم: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[٦] فنزل بهم العذاب من حيث سألوا من السماء. وعن الحسن قال: سلط الله الْحَرَّ على قوم شعيب سبعة أيام ولَيالِيَها[٧] حتى كانوا لا ينتفعون بظل بيت ولا ببرد[٨] ماء، ثم رُفِعت لهم سحابة في البرّيّة فوجدوا تحتها الرَّوح فجعل بعضهم يدعو[٩] بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أشعلها الله نارا فأحرقتهم فذلك قوله: **فأخذهم عذاب يوم الظلة**، الآية. وقال بعضهم: سقطت عليهم تلك السحابة فقتلتهم.[١٠] **والظُّلَّة**، قال[١١] أبو عَوْسَجة: حرّ شديد. وقال القُتَبي: **كِسَفا**،

---

[١] م: هذه.
[٢] جميع النسخ: لكن.
[٣] ر ع م: قال.
[٤] انظر تأويل الآية ١٥٣ من هذه السورة.
[٥] ن: قوله.
[٦] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).
[٧] جميع النسخ: ولياليهن.
[٨] ن: ولا برد.
[٩] ع: يدعوا.
[١٠] *الدر المنثور* للسيوطي، ٣١٩/٦.
[١١] ر: قال.

أي قِطعة من السماء.[1] والكِسَف القِطَع. وقال بعضهم: أصابهم حرّ شديد وغمّ في بيوتهم فخرجوا يلتمسون الرَّوح قِبَله، فلما غشيتهم تلك السحابة أخذتهم الرجفة فأصبحوا جاثمين. وقال بعضهم: ظلّل العذاب إياهم. وبعضه قريب من بعض. وعن ابن عباس قريب[2] من هذا قال: بعث الله عليهم وَمَدَة[3] وحرّا شديدا فأخذ بأنفاسهم، فلما أحسُّوا[4] بالموت بعث لهم سحابة فأظلتهم فتنادَوا تحتها فلما اجتمعوا سقطت عليهم، فذلك قوله: **فأخذهم عذاب يوم الظلة**؛[5] والظُّلَة السحابة، وهو قريب من الأول.[6]

وقول شعيب: **ربي أعلم بما تعملون** من نقصان الكيل وغيره من صنيعهم. وقوله: **فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة**، كذبوه فيما أخبر من نزول العذاب بهم، أو كذبوه فيما ادّعى من الرسالة وما سوى ذلك، وهو[7] مذكور فيما تقدم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١٩٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٩١] ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٩٢] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[١٩٣] ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[١٩٤] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[١٩٥]

وقوله:[8] **وإنه لتنزيل رب العالمين، وإنه** أي القرآن **لتنزيل رب العالمين**، أي نزله رب العالمين. **نزل به الروح الأمين** [إنما قال ذلك ردا][9] لقولهم:[10] إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ.[11] يخبر أن ربه هو الذي نزّل هذا القرآن عليه، لا ما تقولونه أنتم: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ.[12]

---

[1] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٠.

[2] جميع النسخ: قريبا.

[3] الوَمَدُ: نَدًى يجيء في صميم الحر من قِبل البحر مع سكون ريح، وقيل: هو الحر أيًا كان مع سكون الريح. قال الكسائي: إذا سكنت الريح مع شدة الحرّ فذلك الوَمَدُ (*لسان العرب*، «ومد»).

[4] ر ن م: حسبوا؛ ع: حسوا.

[5] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/١١٠.

[6] ع + تحتها فلما اجتمعوا سقطت عليهم فذلك قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة السحابة وهو قريب من الأول.

[7] ر ن م: هو.

[8] ن: قوله.

[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٠و.

[10] ر ع م: لقوله.

[11] سورة النحل، ١٦/١٠٣.

[12] ر ع م – يخبر أن ربه هو الذي نزل هذا القرآن عليه لا ما تقولونه أنتم إنما يعلمه بشر.

وقوله: **نزل به الروح الأمين على قلبك**، قوله: **على قلبك**،[١] يحتمل وجوها. أحدها[٢] أن جبريل لمّا يُنزّل من القرآن إنما ينزل على قلبه لا يَحْجُبه شيء عن[٣] قلبه. والثاني **على قلبك**، أي لا يذهب عنه بل الله يجمعه في قلبك، كقوله: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ.[٤] أو أن يكون قوله: **على قلبك**، أي يثبته على قلبك، لقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ.[٥] أو أن يكون قال ذلك لما انتهى إلى قلبه وحفظه غاية حفظه قال: **على قلبك**،[٦] كأنه أُلقِيَ في قلبه، وكذلك يقال.

وقوله:[٧] **لَتَكُونَنَّ من المنذِرين بلسان عربي مبين**، كأنه -والله أعلم- على التقديم والتأخير يخرج، أي نزل به الروح الأمين على قلبك بلسان عربي مبين لتكون من المنذرين.

والباطنية يقولون: أنزله على رسوله كالخيال غيرَ موصوفٍ بلسان، ثم إن رسوله أدّاه بلسانه العربي المبين، أي بينه. لكنه ليس كذا، لأنه قال في آية أخرى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا،[٨] أخبر أنه إنما أنزله عربيا[٩] فيبطل قولهم: إنه أدّاه بلسانه عربيا[١٠] من غير أن أنزله كذلك. ولو كان على ما يقوله الباطنية: إنه لم يُنزله بهذا اللسان، أعني اللسان[١١] العربي، وإن الرسول هو الذي صيّره بهذا اللسان وأدّاه به[١٢] لكان لا يصير جوابا لقولهم: [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ] إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ،[١٣] ولا حجة عليهم،[١٤]

---

[١] ر م - قوله على قلبك.
[٢] ر: أحدهما.
[٣] ن: على.
[٤] سورة القيامة، ١٦/٧٥-١٧.
[٥] ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ (سورة الفرقان، ٣٢/٢٥).
[٦] ع - أي يثبته على قلبك لقولهم لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك أو أن يكون قال ذلك لما انتهى إلى قلبه وحفظه غاية حفظه قال على قلبك.
[٧] ن: قوله.
[٨] ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ (سورة يوسف، ٢/١٢).
[٩] ر ع م - أخبر أنه إنما أنزله عربيا.
[١٠] ن - عربيا.
[١١] جميع النسخ: لسان.
[١٢] ر م: وأدابه.
[١٣] سورة النحل، ١٠٣/١٦.
[١٤] ن - ولا حجة عليهم.

فإذ ذكر هذا[1] جوابا لقولهم وحجة عليهم دلّ أنه إنما أُنزل[2] عليه عربيا وأن تأويل الآية[3] ما ذكرنا على التقديم والتأخير.

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾[١٩٦]

وقوله:[4] **وإنه لفي زبر الأولين**، قال بعض أهل التأويل: **وإنه**، أي بَعْث محمد وصفته كان في كتب الأولين. وجائز أن يكون قوله: **وإنه**، أي هذا[5] القرآن كان ذِكْره في كتب الأولين [٥٤٨ظ] / أنه يُنزّله[6] على[7] محمد، لا أن عينه[8] كان فيها. أو أن كان بعضه في زبر الأولين لا الكل. *والله أعلم.*

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[١٩٧]

وقوله:[9] **أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل**، قال بعض أهل التأويل: أو لم يكن لهم محمد آية أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أنهم يجدونه مكتوبا عندهم في الكتب؟[10] لكن تأويله: أو لم يكفهم عِلمُ علماء[11] بني إسرائيل آيةً أنه رسول؟

ثم الآية تكون[12] بوجهين. أحدهما ما ذكر أن أهل مكة أرسلوا إلى اليهود بالمدينة يسألونهم عن رسول الله، فأخبروهم عنه أنه يخرج في وقت كذا وأن نعْته كذا[13] وهذا وقت خروجه. والثاني يقول: أو لم يكفهم آيةً إسلامُ علماء بني إسرائيل وفقهائهم أنه رسول،

---

[1] ر م - هذا.
[2] ع: نزل.
[3] ر م: الأول.
[4] ن: قوله.
[5] ر ع م: هذه.
[6] ع: نزل.
[7] ر ع + رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ن + رسول الله.
[8] ر: لا عن أعينه.
[9] ن: قوله.
[10] يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).
[11] ن ع: علموا.
[12] ع: يكون.
[13] ع - وأن نعته كذا.

نحو [عبد الله] ابن سلام وغيره، إذ[١] كانوا لا يُسلِمون إلا عن[٢] علم وتَثَبتٍ أنه رسول، إذ[٣] كان في إسلامهم ذهاب مأكلتهم[٤] ورياستهم. *والله أعلم.*

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾[١٩٨] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾[١٩٩]

وقوله:[٥] **ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين،** قال بعضهم: نزلناه على رجل منهم عربي فلم يؤمنوا به فكيف لو نزّلنا[ه] على أعجمي؟[٦] وقال بعضهم: لو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعجمين فقرأه عليهم، يقول: إذًا لكانوا شرّ الناس فيهم، ما فهموه وما دَرَوْا[٧] ما هو، وهو[٨] قريب [من] الأول. وقال بعضهم: **ولو نزلناه على بعض الأعجمين** من الدواب فكلمهم هذا ما صدقوه، يذكر سفههم وتعنتهم. ويحتمل قوله: **ولو نزلناه على بعض الأعجمين،** أي لو نزلناه[٩] أعجميا فلم يفهموه لقالوا: لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ،[١٠] ولكن نزلناه عربيا لئلا يقولوا ذلك. *والله أعلم.*

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٢٠٠] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[٢٠١]

وقوله:[١١] **كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به،** قال بعضهم: هكذا[١٢] سلكنا الكفر والتكذيب وأدخلناه في قلوب المجرمين. وقال بعضهم: **كذلك سلكناه** يعني البيان والحجج **في قلوب المجرمين** حتى عقَلوه ولزمتهم الحجة لكنهم تركوا الإيمان به[١٣] تعنتا وعنادا.

---

١ ع: إذا.
٢ ع: على.
٣ ر م: إذا.
٤ ن: نأكنتهم.
٥ ن: قوله.
٦ ع + وقال بعضهم لو نزلناه على رجل منهم عربي فلم يؤمنوا به فكيف لو نزلنا على أعجمي.
٧ م: دراوا.
٨ ع – وهو؛ ن + فيه.
٩ م: نزلنا.
١٠ ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٤).
١١ ن: قوله.
١٢ ر ع م – هكذا.
١٣ ر م – به.

لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم حين لا ينفعهم إيمانهم، لأن إيمانهم عند معاينة العذاب إيمانُ دفع واضطرار[1] لا إيمان اختيار، وهو كما قال: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[2] لأنه إيمان دفع العذاب عن أنفسهم حين خرج[ت] أنفسهم من بين أيديهم وإيمان اضطرار لا إيمان اختيار، لذلك لم ينفعهم.

﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٢٠٢]

وقوله:[3] **فيأتيهم بغتة**، أي يأتيهم العذاب فجأة، **وهم لا يشعرون**، لأنه عز وجل إذ علِم منهم أنهم لا يؤمنون أبدا فأنزل عليهم العذب بغتة، ولو علم منهم أنهم يؤمنون[4] حقيقة عند معاينة العذاب لأنزل عليهم العذاب معاينة مجاهرة ليؤمنوا فيقبل منهم[5] ذلك ودفع العذاب عنهم، كما قبل إيمان قوم يونس حيث قال: فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ].[6] قبل منهم[7] الإيمان عند معاينتهم العذاب لما علم منهم أنهم يحققون الإيمان في ذلك. وأما من كان همّتهم العناد والمكابرة فهم لا يحققون الإيمان.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾[٢٠٣]

وقوله:[8] **فيقولوا هل نحن منظرون**، لا يزالون يطلبون النظرة[9] والرَّجْعَة[10] إلى الدنيا وتأخير العذاب عن أنفسهم إذا نزل بهم، كقولهم: رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ،[11] وكقوله:[12] يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ،[13] فيتمنون الرجوع والنظرة، لكن لا يجابون إلى ذلك.

---

[1] جميع النسخ: واضطراب.
[2] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤).
[3] ن: قوله.
[4] ر ع م: لا يؤمنون.
[5] م + الإيمان عند معاينة: ومشطوب عليها.
[6] سورة يونس، ١٠/٩٨.
[7] ن – منهم.
[8] ن: قوله.
[9] ر م – النظرة.
[10] ر م: الرجعة.
[11] ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٤٤).
[12] م: كقوله.
[13] ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نكذِّبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٧).

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾[٢٠٤]

وقوله:[١] **أفبعذابنا يستعجلون**، قال أهل التأويل: هذا جواب لهم لَمّا أوعدهم النبي العذاب ينزل بهم: [لقولهم:] متى العذاب؟[٢] تكذيبا له واستهزاء، يقول الله عند ذلك: **أفبعذابنا يستعجلون** ولقولهم: مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]،[٣] وقولهم: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً،[٤] ومثله. وإلا ليس هذا في الظاهر جوابا لقوله: فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ، وجواب هذا -*والله أعلم*- [ما ذكر إثْرَه:][٥]

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾[٢٠٥] ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٢٠٦] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[٢٠٧]

وقوله:[٦] **أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون**. يقول ما يغني تأخير العذاب عنهم وإمهالهم عن وقت يُمتَعون[فيه] من عذاب الله من شيء [أي] لا ينفعهم ذلك. أو أن يكونوا سألوا العذاب في الظاهر واستمهلوه في الحقيقة فخرج قوله: **أفرأيت إن متعناهم سنين**، الآية، جوابا لاستمهالهم.[٧] أو أن يكون بعضهم استعجل العذاب واستمهل غيرُهم، فخرج هذا جواب من استمهل. ثم خوفهم فقال:

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾[٢٠٨] ﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٢٠٩]

وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى، يقول:[٨] وما أهلكنا من قرية إهلاك استئصال وانتقام إلا بعد الإنذار وإقامة الحجة والبيان. **ذكرى**، أي موعظة وزجرا عما هم فيه. أو **ذكرى** يذكّر ما لهم وما عليهم، أو ما لله عليهم[٩] وما لبعضهم على بعض.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ر م - متى العذاب.

[٣] سورة يونس، ٤٨/١٠.

[٤] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).

[٥] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٠ظ.

[٦] ن: قوله.

[٧] ر ع م: باستمهالهم.

[٨] ر: بقوله.

[٩] ر ع م - أو ما لله عليهم.

وقوله:[1] **وما كنا ظالمين** في تعذيبهم، أي لم نعذبهم بلا ذنب ولا جُرم ولكن بعنادهم ومكابرتهم، لأن العذاب في الدنيا لا يكون لنفس الكفر ولكن لعناد ومكابرة، وإنما عذاب الكفر[2] في الآخرة، وعلى ذلك يخرج قوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً،[3] أي ما كنا معذبين في الدنيا تعذيب انتقام حتى نبعث رسولا فيظهر منهم العناد والمكابرة فعند ذلك
[٥٤٩و] يعذبهم الله. / وقال بعضهم: **وما كنا ظالمين**، أي ما كنا نعذبهم إلا من بعد البيان والحجة وقطع العذر. ***والله أعلم***. وفي مصحف أُبيّ: وما أهلكنا من قرية إلا بذنوب أهلها.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾[٢١٠] ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٢١١] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[٢١٢] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾[٢١٣]

وقوله:[4] **وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم**، قال[5] بعضهم: ما تنزلت بالقرآن الشياطين، فذلك [كان] جوابا لقول[6] أهل مكة: إن محمدا كاهن معه رئِيٌّ[7] هو يأتيه بما يقول، يعنون بالرَّئِيِّ الشيطان. وكانت الشياطين[8] من قبل يقعُدون من السماء مَقاعِدَ يستمعون فيها الوحي من الملائكة[9] فينزلون به على الكهان، فهم[10] بين مصيب ومخطئ، فقالوا: محمد كذلك. فأكذبهم الله تعالى في مقالتهم تلك فقال:[11] **وما تنزلت به**، أي بالقرآن، **الشياطين وما ينبغي لهم**، أن يَنْزلوا بالقرآن **وما** كانوا **يستطيعون**. أي قد حِيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشُّهُب، وأخبر أنهم عن السمع لَمَعزولون.

[1] ن: قوله.
[2] ع – الكفر.
[3] سورة الإسراء، ١٧/١٥.
[4] ن: قوله.
[5] م: وقال.
[6] ر: بالقول.
[7] ن: رأي؛ ع: راءي. والرَّئِيُّ والرِّئِيُّ: الجنيّ يراه الإنسان. وقال اللحياني: له رَئِيٌّ من الجن ورِئِيٌّ إذا كان يحبه ويؤالفه (*لسان العرب*، «رأي»).
[8] جميع النسخ: الشيطان.
[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رَصَدا﴾ (سورة الجن، ٧٢/٩).
[10] جميع النسخ: فمن.
[11] م – فقال.

وفي قوله: **وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون**، دلالة [على] أنّ من أراد أن يجعل القرآن حجة لغير الذي جُعِل هو حجةً لم يقدر على النطق به ولا التلاوة، نحو من يأتي أُفُقا من آفاق الأرض لم ينته إليه[1] هذا القرآن، فادعى لنفسه النبوة وجعل يحتج بهذا القرآن، فإنه لا يقدر على تلاوته ولا النطق به،[2] لأنه إنما جُعل حجة وبرهانا للمحق لا للمبطل، حيث قال: **وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم** أن يَنْزِلوا[3] **وما**[4] **يستطيعون**. أخبر أنهم لا يستطيعون[5] ذلك وأنهم معزولون عن ذلك. وقد ذكرنا وجه النهي لرسول الله في قوله: **فلا تدع مع الله إلها آخر**، وأمثاله. *والله أعلم*.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٢١٤]

وقوله:[6] **وأنذر عشيرتك الأقربين**. روي عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية:[7] **وأنذر عشيرتك الأقربين**، جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فخصّ وعمّ فقال: «يا معشر قريش! أنقِذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم[8] من الله نفعا ولا ضَرّا. يا معشر بني قُصَيّ! أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضَرا ولا نفعا. وقال: يا معشر بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار فإني[9] لا أملك لكم[10] من الله ضَرا ولا نفعا.» وكذلك قال لبني عبد المطلب. قال لفاطمة ابنته: «يا فاطمةُ بنتَ محمد! أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكِ من الله ضرا ولا نفعا، ولكن لك رَحِمٌ وسَأَبُلّها بِبَلاها.» أي سأصِلها. وفي بعض الأخبار أنه قال عند نزول هذه الآية: «إني أُرسلت إلى الناس عامة وأرسلت إليكم يا بني هاشم وبني عبد المطلب خاصة. وهم الأقربون وهم[11] إخوانٌ [و]أبناء عبد مناف.»[12]

---

[1] جميع النسخ: إليهم.
[2] ر ع م – به.
[3] ر م: أن ينزلون.
[4] ر ع م: أو ما.
[5] ر م – أخبر أنهم لا يستطيعون.
[6] ن: قوله.
[7] ن + قوله.
[8] ر ع م – لكم.
[9] ر ع م – فإني.
[10] ر ع م – لكم.
[11] جميع النسخ: وهو.
[12] انظر: صحيح *البخاري*، التفسير ٢/٢٦؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٤٨.

وعن الحسن قال: ذُكِر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع[1] أهل بيته قبل موته فقال: «ألا إنّ لي عملي[2] ولكم عملكم، ألا إني لا أملك لكم من الله شيئا، ألا إن أوليائي منكم المتقون، ألا لَأَعْرِفَنّكم[3] يوم القيامة، تأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم[4] ويأتيني الناس[5] بالآخرة.»[6] وعن قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بات ليلة على الصفا يُفخِذ[7] عشيرته فَخِذًا فَخِذا يدعوهم إلى الله. قال في ذلك المشركون: لَبَاتَ هذا الرجل يُهَوِّت[8] منذ الليلة، أي[9] يصيح، فأنزل الله في ذلك: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ،[10] الآية.[11]

ومعنى التخصيص في إنذاره عشيرَته[12] في هذه الآية يحتمل وجهين، وإن كانوا[13] داخلين في جملة إنذار الناس جميعا في قوله: لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا،[14] إذ هم من العالمين. أحدهما جائز أن يكونوا هم يطمعون شفاعة رسول الله يوم القيامة بقرابته واتصالهم به[15] وإن لم يطيعوه و لم يجيبوه إلى ما يدعوهم إليه، على ما روي عنه أنه قال: «كل نسب وسبب منقطع يومئذ إلا نسبي وسببي.»[16] فيشبه أن يكونوا يطمعون شفاعته يومئذ وإن خالفوه بحق القرابة والوُصلة[17] ما لا يطمع [في] ذلك غيرهم من الناس إلا بالطاعة له[18] والإجابة. فأمره أن ينذرهم لئلا يكِلوا [أمرهم] إلى شفاعته

---

[1] ر – جمع.

[2] ر م: عمل.

[3] جميع النسخ: لا أعرفكم.

[4] ر ع م: على رقابها.

[5] أي الناس من غير أهل بيتي.

[6] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/١٢٣.

[7] فخَذ الرجل عشيرته دعاهم فَخِذا فَخذا (*لسان العرب*، «فخذ»).

[8] هوّت به: صوّت به وصاح، ودعاه. وفي الحديث أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وأَنذر عشيرتك الأقربين﴾ باتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُفَخِذ عَشيرَته، فقال المشركون: لقد باتَ يُهوِّت، أي يُنادي عَشيرَته (*لسان العرب*، «هيت»).

[9] جميع النسخ: يقول.

[10] ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٤٦).

[11] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦/٣٢٦؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ٩/١٢٨.

[12] ر ع م: وعشيرته.

[13] ر م: كان.

[14] جميع النسخ: نذيرا للعالمين. ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/١).

[15] ر م – بقرابته واتصالهم به.

[16] انظر: *المستدرك* للحاكم، ٣/١٥٣؛ و*تفسير القرطبي*، ٤/١٠٥.

[17] م: والصلة.

[18] ر ع م – له.

ولكن احتالوا حيلتهم بالطاعة له[١] والعمل لما يأمر، وهو ما ذكر في الأخبار التي ذكرنا: «إني لا أملك لكم من الله[٢] نفعا ولا ضرا، ألا إن أوليائي منكم المتقون.»[٣] أخبر أنْ لا ولاية لهم إذا لم يتقوا[٤] مخالفته[٥] و لم يطيعوه.[٦]

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢١٥]

وقوله: **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**. قيل: ليّن جانبك لمن اتبعك من المؤمنين، كأنه أمر رسوله أن يتواضع لهم ويرحم. وقال في الوالدين: وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ،[٧] وقال في المؤمنين، بعضِهم لبعض فيما بينهم: رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ؛[٨] أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ.[٩] ذكر الذلّ فيما بينهم والرحمة، و لم يذكر في رسول الله[١٠] صلى الله عليه وسلم الذل، فهو[١١] -والله أعلم- لأن الذل كأنه يرجع إلى الخضوع واستخدام بعضهم بعضا، وذلك في رسول الله بعيد لا يحتمل أن يأمره بالخدمة لهم، وجائز أن يمتحن بعضهم بخدمة بعض. ***والله أعلم***.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢١٦]

وقوله[١٢] عز وجل: **فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون**، قالوا: إنه راجع إلى قوله: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ،[١٣] وموصول به، كأنه قال: وأنذر عشيرتك الأقربين فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون. قد كان رسول الله بريئا مما كان / يعمل أولئك الكفرة. لكنه يحتمل أن يكون أولئك [٥٤٩ظ]

[١] ر م – له.
[٢] ن – من الله.
[٣] انظر: *تفسير الطبري*، ١٢٣/١٩.
[٤] ر م: لم يتبعوا.
[٥] م: مخالفة.
[٦] ر م – و لم يطيعوه؛ ر ن م + والثاني. قسم المؤلف رحمه الله معنى تخصيص الإنذار إلى وجهين، ولكن لم يذكر الوجه الثاني، سوى أنه ذكر في نهاية الوجه الأول: «والثاني». وفي نسخة ن بياض بعدها.
[٧] سورة الإسراء، ٢٤/١٧.
[٨] ع – رحماء بينهم. ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٢٩/٤٨).
[٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥٤/٥).
[١٠] م + الله.
[١١] ر ع م – فهو.
[١٢] ن: قوله.
[١٣] سورة الشعراء، ٢١٤/٢٦.

لَمّا أنذرهم رسول الله طلبوا منه أن يطيعهم في بعض أمورهم ويشاركهم في بعض أعمالهم حتى يطيعوا أولئك له في بعض ما يأمرهم ويدعوهم إليه ويشاركوه[1] في بعض أعماله، فقال عند ذلك: **إني بريء مما تعملون**، يتبرأ[2] مما يدعونه إليه. وطلبوا منه مساعدته إياهم والإغماض عما يعملون فقال:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[٢١٧] ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾[٢١٨] ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[٢١٩] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢٢٠]

وتوكل على العزيز الرحيم، كأنه أمّنه عن شرّهم وكيدهم فقال: توكل على العزيز الرحيم ولا تخَف مخالفتهم إياك فيما تدعوهم[3] إليه. أو أمره أن يكِل نفسَه إليه ويفوّض[4] جميع أموره في كل وقت [إليه] فقال: **وتوكل على العزيز الرحيم. العزيز**[5] المنتقم من أعدائه، **الرحيم**[6] بأوليائه. أو الشديد بأعدائه الرحيم بأوليائه.[7] أو ذكر العزيز لأنه به يَعِز من يعِزّ وهو يَرحم من يَرحم، من لم يُعِزّه هو لا يكون عزيزا، ومن لم يرحمه هو فلا ينفعه[8] ترحُّمُ غيره. والعزيز هو الذي لا يُعجِزه شيء.

وقوله:[9] **الذي يراك حين تقوم**، في ظلمة الليل وحدك قائما وجالسا وعلى حالاتك، يراك في تقلبك أيضا في الساجدين في الصلاة مع الناس في الجماعة. وبعضهم يقول: **وتقلبك**[10] **في الساجدين** في المصلين، يقول: كان يرى مَنْ خلفه من الصفوف كما يرى مَن أمامَه. لكن هذا ليس تأويل الآية، [ما هو] إلا كلام قاله [صاحبه] من ذات نفسه.[11] ولو كان ما ذكر لكان يقول:

---

[1] جميع النسخ: ويشاركونه.
[2] ر ع م – مما تعملون يتبرأ.
[3] جميع النسخ: تدعونهم.
[4] ر: ويفض؛ ع: وتفويض.
[5] ع – العزيز.
[6] ر م – من أعدائه الرحيم.
[7] ع– أو الشديد بأعدائه الرحيم بأوليائه.
[8] جميع النسخ: لا ينفع.
[9] ن: قوله.
[10] جميع النسخ: في تقلبك.
[11] وردت هذه الرواية في *تفسير القرآن* لابن كثير (٣/٣١٦): قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ قال قتادة: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلّبك في الساجدين﴾ قال: في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع. وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن البصري. وقال مجاهد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه، ويشهد لهذا ما صح في الحديث: «سوُّوا صفوفكم فإني أراكم من وراء ظهري.»

يُريك، برفع الياء لا بالنصب.[١] وروي في بعض الأخبار أنه قال:[٢] «إني[٣] إمامكم فلا تَسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام، فإني أراكم خلفي كما أراكم أمامي. والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لَضحكتم قليلا ولَبَكيتم كثيرا». قالوا: يا رسول وما رأيت؟ قال: «رأيت الجنة والنار».[٤] وقال بعضهم: **يَرَاكَ** حين تقوم إلى الصلاة فتصلي وحدك ويراك مع المصلين في جماعة، وهو مثل الأول. وفي حرف حفصة: وتقلّبَ[٥] وجهكَ[٦] في الساجدين.[٧]

إنه هو السميع العليم. السميع[٨] لمقالتهم مما يُخفُون ويُبيزون وما يعلنون. **والعليم** بضمائرهم وخفياتهم.[٩] أو **السميع**[١٠] المجيب لمن دعاه، **العليم** بأفعالهم وأعمالهم.[١١]

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾[٢٢١] ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٢٢٢]

وقوله:[١٢] **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم.** خرج هذا –والله أعلم– وما تقدم ذكره من الآيات جوابا لقول كان من رؤساء الكفرة وقادتهم لا يزالون يَلبِسون على اتباعهم والسفلة أمرَ رسول الله وما ينزل فقالوا مرة: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[١٣] ومرة: مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[١٤] وإنه شاعر،[١٥] وإنه ساحر،[١٦] ومرة قالوا: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[١٧] وأمثال هذا. فجائز أن كان منهم أيضا قول إن الشياطين هم الذين يتنزّلون بهذا القرآن عليه على ما ذكر

---

[١] ع: في النصب.

[٢] ر م – أنه قال.

[٣] ر م: أنا؛ ع – إني.

[٤] صحيح *مسلم*، صفات المنافقين ٤٢٦؛ وسنن *ابن ماجة*، إقامة الصلاة ٤١؛ وسنن *النسائي*، السهو ١٠٢.

[٥] جميع النسخ: وتقلبك.

[٦] ر م– وجهك.

[٧] ن + قوله.

[٨] ر – السميع.

[٩] ن– وخفياتهم.

[١٠] ر ع م: والسميع.

[١١] ن: بأعمالهم وأفعالهم.

[١٢] ن: قوله.

[١٣] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٢٥/٦؛ وسورة الأنفال، ٣١/٨.

[١٤] سورة سبأ، ٤٣/٣٤.

[١٥] انظر مثلا: سورة الأنبياء، ٥/٢١؛ وسورة الصافات، ٣٦/٣٧.

[١٦] سورة يونس، ٢/١٠؛ وسورة ص، ٤/٣٨.

[١٧] سورة النحل، ١٠٣/١٦.

أنهم قالوا: إنما يجيء به الرَّئِيّ وهو الشيطان فيلقيه على لسانه، فقال عند ذلك جوابا لهم: وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ [وَمَا يَسْتَطِيعُونَ]،[1] الآية. ولكن إنما يتنزل به جبريل حيث قال: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ،[2] الآية.

ثم أخبر عن الشياطين أنهم على من ينزلون حيث قال: **هل أنبئكم على من تَنَزَّل الشياطين،** فقال: **تنزل على كل أفاك أثيم**، ذكر هذا لما عرفوا هم أن الشياطين لا يتنزلون إلا بكَذِب وباطل، فمن لا ينزل إلا بكذب وباطل لا ينزل إلا على كذاب أفّاك. وكان معلوما[3] عندهم أن محمدا لم يكذب قط ولا أَفِك أبدا، إذ لم يأخذوه بكذب فيما بينهم قط، فيقول[4] -والله أعلم- كيف يتنزل عليه الشياطين وهو معروف عندكم أنه ليس بكذاب ولا أفاك، وقد تعلمون أن الشياطين لا يتنزلون[5] إلا بكذب باطل! على هذا يخرج تأويل هذه الآيات، وإلا على الابتداء لا يحتمل أن تكون.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[٢٢٣]

ثم أخبر عن صنيع الشياطين فقال:[6] **يلقون السمع وأكثرهم كاذبون**، وقال بعضهم: يلقي الشياطين بآذانهم إلى السمع في السماء لكلام الملائكة، وذلك أن الله إذا أرادا أمرا في الأرض علم به أهل السماء من الملائكة فيتكلمون[7] به فيسمع الشياطين ذلك فيخبرون به الكهَنة، فيخبر الكهنة[8] أهل الأرض بذلك فيقولون: إنه يكون في الأرض كذا، في وقت كذا. ثم قال: **وأكثرهم كاذبون**، على هذا التأويل، أي[9] وأكثر الشياطين كاذبون فيما يخبرون الكهنة من أخبار السماء. وقال بعضهم: إن الجن كانوا يَصعَدون إلى السماء فيسترِقون أسماعهم إلى السماء فيسمعون من أخبار أهلها ثم يَنزِلون به على الكهنة ويسمع الكهنةُ[10] أيضا من أخبار الرسل ويَخلِطون ما سمعوا من الرسل من الحق بما سمعوا من الشياطين من الباطل فيحدّثون الناس بذلك؛

[1] سورة الشعراء، ٢٦/٢١٠-٢١١.
[2] ﴿قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠٢).
[3] ر ع م: معلوم ما.
[4] ر ع م: فنقول؛ ن: غير منقوطة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥١ظ.
[5] ر م: لا ينزلون.
[6] ر ع: فقالوا.
[7] ن: فيتكلموا.
[8] ع - فيخبر الكهنة.
[9] ر ع م - أي.
[10] ع - ويسمع الكهنة.

فما كان من الرسل [فيكون] حقا، وما كان من الشياطين فيكون باطلا، فذلك تأويل قوله: **وأكثرهم كاذبون**، أي أكثر الكهنة كاذبون فيما يخبرون الناس بما[١] سمعوا من الشياطين. وقال بعضهم: كانوا يسمعون من الجن حقا لكنهم يَخلِطون من عندِ أنفسهم كَذِبا فيحدثون به الناس حتى إذا كان الناس يتركون ما يسمعون منهم من الكذب حدثوهم بذلك الحق الذي نزل به من السماء فيراجعونهم[٢] ويصدقونهم، فذلك قول الله: **وأكثرهم كاذبون**، أي أكثر قولهم كذِب. والله أعلم بذلك.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[٢٢٤]

وقوله:[٣] **والشعراء يتبعهم الغاوون**، قال بعضهم: رجلان شاعران كانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، فهجوا رسول الله وأصحابه. ومع / كل واحد منهما غُواة من قومه، فذلك قوله: **والشعراء يتبعهم الغاوون**. قال: فاستأذن [٥٥٠ر] شعراء المسلمين النبي أن يقتصوا من المشركين فأذن لهم النبي فهجوا المشركين ومدحوا النبي وذلك قوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.[٤] أخبر في الأول: **والشعراءُ يتبعهم الغاوون** فاستثنى شعراء المؤمنين[٥] بقوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا. وقال بعضهم: الشعراء عُصاة[٦] الجن يتّبعهم غواة الإنس، كقوله: شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.[٧] وقال بعضهم: هم الكفار يتبعون ضُلَّال الجن والإنس،[٨] وهو مثل الأول.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[٢٢٥] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[٢٢٦]

وقوله:[٩] **ألم تر أنهم في كل واد يهيمون**، قال[١٠] بعضهم: في كل فنّ يأخذون، أي يمدحون قوما بباطل ويذمّون قوما بباطل. **وأنهم يقولون ما لا يفعلون**، وأنهم[١١] يصفون ما لا يعلمون.

---

[١] ن: مما.
[٢] ر م: ويراجعونهم.
[٣] ن: قوله.
[٤] الآية ٢٢٧ من هذه السورة.
[٥] ر ع م: المسلمين.
[٦] ع: عصات.
[٧] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٢).
[٨] انظر: *تفسير الطبري*، ١٢٧/١٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٣٥/٦.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر ع م: وقال.
[١١] ع: وأنتم.

وكذلك ذكر في بعض الحروف أنه كذلك. وقال بعضهم: إنهم في كل لغو وباطل يخوضون،[1] **وأنهم يقولون ما لا يفعلون**، يقول: في أكثر قولهم يكذبون. وقال بعضهم: **وأنهم يقولون ما لا يفعلون**، أي يقولون: فعلنا كذا، وفعلنا كذا،[2] وهم كَذَبة لم[3] يفعلوا ذلك.

وقال أبو عَوْسَجة: **يهيمون**، أي يذهبون ويمضون ويركبون كل واد. هام يهِيم هَيما فهو هائم. ويقال: الهائم العَطْشان، يقول: هام يهيم هَيْما، وهَيْمان عطشان، وقوم[4] هَيَم. والهائم الوامق[5] المحب الذي هو عطشان إلى لقاء من يحب. والتهويم النوم، يقال: هوّم يهوّم تهويما.[6] وقوله: فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ،[7] هم العِطاش، والواحد هيمان. وقال القُتَبي: **في كل وادٍ يهيمون**، أي في كل واد من القول وفي[8] كل مذهب يذهبون كما يذهب الهائم[9] على وجهه.[10]

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[٢٢٧]

وقوله[11] عز وجل: **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا**، هذا الاستثناء يحتمل أن يكون من قوله: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ،[12] وهو ما ذكرنا. كأنه[13] قال أولئك الشعراء، وهم القادة منهم: نحن نقول بمثل ما أتى محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا[14] الشعر وانشدوه، واجتمع إليهم غُواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويروُون عنهم حين[15] يهجُون النبي وأصحابه، فاستثني شعراء المسلمين الذين قالوا الشعر وأنشدوه في انتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] ع: يخضون.
[2] ر م – وفعلنا كذا.
[3] م – لم.
[4] ع: وقول.
[5] ومِقَه يَمِقُه، مِقةً ووَمْقًا: أحبه (*لسان العرب*، «ومق»).
[6] الهَوْم والتَّهَوُّم والتَّهْويم: النوم الخفيف. وهَوَّم الرجلُ إذا هز رأسَه من النُّعاس (*لسان العرب*، «هوم»).
[7] سورة الواقعة، ٥٦/٥٥.
[8] ر ع م: في.
[9] م: البهائم.
[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢١.
[11] ن: قوله.
[12] سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٤.
[13] جميع النسخ: كأنهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥١ظ.
[14] ع: وقال.
[15] م: حتى.

وأصحابه فقال: **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** فإنهم لا يتبعهم الغاوون. أو أن يكون الاستثناء من قوله:[١] أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ،[٢] **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** فإنهم لا يهيمون في كل واد، يقولون[٣] ما يفعلون ولا يقولون ما لا يفعلون؛ بل يذكرون الله كثيرا[٤] وينتصرون لرسوله[٥] وأنفسهم من بعد ما ظُلموا. فيكون الاستثناء في أحد التأويلين من الأتباع. وفي الآخر[٦] من الأئمة والقادة.[٧] فكان منهم قول سبق في ذلك حتى قال: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ،[٨] إلى آخر ما ذكر، إذ لا يحتمل على الابتداء دون قول كان منهم على ما ذكرنا في قوله: وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ،[٩] وقوله: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ،[١٠] الآية. قد كان من أولئك الكفرة قول وطعن بأن الشياطين هم الذين يتنزلون به عليه حتى خرج جوابا لهم: وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ [وَمَا يَسْتَطِيعُونَ]،[١١] وإن لم يذكر ذلك، يظهر ذلك[١٢] في الجواب أن كان منهم قول وطعن وإن لم يذكر.

ثم أوعدهم فقال:[١٣] **وسيعلم الذين ظلموا أَيَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون**. ويحتمل[١٤] في الآخرة في مُنْقَلَب الظلمة وهي النار. أي يعلمون علمَ عِيانٍ يومئذ وإن لم يعلموا ذلك في الدنيا علم استدلال[١٥] لما تركوا النظر فيه. أو يعلمون ذلك علم عيان في الآخرة وإن علموا في الدنيا علم استدلال،[١٦] لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا. *والله*[١٧] *أعلم*.

---

[١] م: قولهم.
[٢] سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٥-٢٢٦.
[٣] ع + لا.
[٤] ر: كثير.
[٥] جميع النسخ: رسوله؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥١ظ.
[٦] ر م: في الآخرة.
[٧] ر ع: والقلادة.
[٨] سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٤.
[٩] سورة الشعراء، ٢٦/٢١٠.
[١٠] سورة الشعراء، ٢٦/٢٢١.
[١١] سورة الشعراء، ٢٦/٢١٠-٢١١.
[١٢] ع - يظهر ذلك.
[١٣] ر ع م: وقال.
[١٤] ن ع: يحتمل.
[١٥] ع: الاستدلال.
[١٦] ع: الاستدلال.
[١٧] ع + تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

[1]سورة النمل وهي[2] مكية[3]

بسم الله الرحمن الرحيم.[4]

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾[١]

قوله[5] عز وجل: **طس**، قد ذكرنا فيما تقدم تأويل الحروف المعجمة وأقاويل الناس فيها، وكذلك الآيات [المذكورة على إثْرها][6] وقوله:[7] **وكتاب مبين**، يحتمل قوله: **مبين**، أي بيّن واضح، لأن [فعل] "أَبَانَ" قد يستعمل في موضع "بَانَ"، يقال: بَانَ وأَبَانَ. ويحتمل: **وكتاب مبين**، أي يبيّن أنه رسول من الله، أو يبين ما لله عليهم أو ما لبعضهم على بعض، أو مالهم وما عليهم.

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]

وقوله:[8] **هدى وبشرى للمؤمنين**، قوله: **هدى**، يحتمل وجهين. أحدهما دعاءً، كقوله: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ،[9] أي داعٍ يدعو الخلق إلى توحيد الله تعالى. فعلى ذلك يحتمل قوله: **هدى**، أي دعاء يدعوهم إلى توحيد الله تعالى. فإن كان هذا فهو للناس كافة. والثاني جائز أن يريد بالهدى الهدى الذي هو نقيض الضلال وضده، فهو للمؤمنين خاصة. وإن كان أراد به البيان والدعاء فهو للكل،[10]

---

[1] ع ن + ذكر أن.

[2] ن – وهي.

[3] ر – سورة النمل وهي مكية؛ ع + تسعون وثلث آية.

[4] ن + وبه يستعان.

[5] ر – قوله.

[6] جميع النسخ: قد ذكرنا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٢و. انظر: المصطلحات والأفكار الرئيسية أواخر المجلدات السابقة، «الحروف المعجمة أو المقطعة»؛ وانظر أيضا: أوائل سورة البقرة، ويونس، ويوسف.

[7] ن: قوله.

[8] ن: قوله.

[9] ﴿ويقول الذين كفروا لولا أُنزِل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ (سورة الرعد، ٧/١٣).

[10] ع + والله أعلم.

وقوله:[١] **هدى وبشرى للمؤمنين**، جميعا؛ وعلى الدعاء يكون قوله: **وبشرى للمؤمنين**،[٢] أي يدعوهم إلى الإيمان بالله وبرسوله، فإذا آمنوا به كان لهم بشرى. ثم نعت المؤمنين ووصفهم فقال:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٣]

[٥٥٠ظ] **الذين يقيمون / الصلاة ويؤتون الزكاة**، يحتمل قوله: **يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة**، أي يُقرّون بهما[٣] ويؤمنون، لأن من الناس من كان يؤمن بالله ورسوله[٤] لكنهم أبوا[٥] الإيمان بالصلاة والزكاة، كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ.[٦] لا يحتمل أن يأمرهم بحبسهم إلى أن تمضي السنة فتجب الزكاة عليهم فيؤتوا[٧] فحينئذ يُخلُّون سبيلهم، ولكن الأمر بحبسهم إلى أن يُقرّوا[٨] بها ويؤمنوا فيُخلُّون عند ذلك سبيلهم.[٩] وكذلك قوله: اَلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ،[١٠] لَا يُؤْتُونَ،[١١] [أي] لا يقبلونها[١٢] ولا يقرّون بها،[١٣] ليس على فعل الإيتاء، فعلى ذلك الأول، يحتمل هذا. والثاني يحتمل الأمرين جميعًا: القبول والإقرار بهما[١٤] والإيتاءَ جميعًا، أي إذا قبلوهما[١٥] وأقروا بهما[١٦] وأعطوها[١٧] فحينئذ يستوجبون هذه البِشارة التي ذكرت.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر ع م - جميعا وعلى الدعاء يكون قوله وبشرى للمؤمنين.
[٣] ر ع م: بها.
[٤] ر ع م: وبرسوله.
[٥] ع: أبو.
[٦] سورة التوبة، ٩/٥.
[٧] جميع النسخ: فيؤتون.
[٨] ع: تقروا.
[٩] ر م - سبيلهم.
[١٠] سورة فصلت، ٤١/٧.
[١١] ر م - لا يؤتون.
[١٢] ع ن: لا يقبلونهما.
[١٣] ن ع: بهما.
[١٤] ر م: بها.
[١٥] ر م: قبلوها.
[١٦] ر م: بها.
[١٧] ن: وأعطوهما؛ ع: وأعطوا. أي أعطوا الزكاة.

وقوله:[1] **وهم بالآخرة هم يوقنون**. الإيقان بالشيء هو العِلم[2] به من جهة الاستدلال والاجتهاد والأسباب التي يستفاد بها العلم بالأشياء لا العلم الذاتي، ولذلك لا يوصف الله على الإيقان بالشيء ولا يقال: يا موقن، لأنه عالم بذاته لا بالأسباب. ***وبالله التوفيق***.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾[٤]

وقوله:[3] **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم**، يحتمل قوله: **زينا لهم أعمالهم**،[4] الأعمال التي هم فيها بما رُكِّب فيهم من الشهوات والأمانيّ. ويحتمل: **زينا لهم أعمالهم** الأعمال التي هي [واجبة] عليهم، أي زَيَّن لهم الخيرات والطاعات لكنهم أبَوا أن يأتوا بها. فالمعتزلة قالوا بهذا التأويل وأبوا أن يقولوا بالأول أن يكون من الله تزيينُ ما هم فيه من الشرك والكفر وأنواع أفعال الكفر، إذ أضاف تزيين ذلك إلى الشيطان حيث قال: وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ،[5] وقال: اَلشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ،[6] ونحو ذلك من الآيات، فقالوا: أضافه إلى الشيطان ولا يجوز أن يضاف إلى الله ذلك بعينه، فدل أن الله إنما زين لهم أعمالهم[7] التي عليهم من الإيمان والخيرات، لا الأعمال التي هم فيها.

لكنْ عندنا يجوز إضافة تزيين أعمالهم التي هم فيها إلى الله من جهة ما رَكّب فيهم من الشهوات والأماني التي تُوافق طباعهم وأنفسهم، لأن التزيين يقع بنفس الكفر وأفعاله، إذ الكفر نفسه ليس بمزيَّن ولا مستحسَن، إنما هو شَتْم[8] ربّ العالمين. ولكن تزيينه واستحسانه هو موافقة ما يَعمل من الأعمال لطباعه.[9] والجهة التي تضاف إلى الشيطان من التزيين والإضلال غير الجهة التي تضاف إلى[10] الله،[11] إذ الجهة التي تضاف إلى الشيطان هي[12] دعاؤه وتَمنِيَه إلى ما يوافق طباعهم،

---

[1] ن: قوله.
[2] ر ع م: العمل.
[3] ن: قوله.
[4] ر م – يحتمل قوله زينا لهم أعمالهم.
[5] سورة النمل، ٢٤/٢٧.
[6] ﴿إن الذين ارتدُّوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطانُ سَوَّل لهم وأملى لهم﴾ (سورة محمد، ٢٥/٤٧).
[7] ع: وأعمالهم.
[8] ع – شتم.
[9] جميع النسخ: طباعه.
[10] ر ع م – الشيطان من التزيين والإضلال غير الجهة التي تضاف إلى.
[11] م + هو ما ركب.
[12] جميع النسخ: هو.

فمن هذه الجهة يجوز إضافته إلى الشيطان. والجهة التي تضاف إلى الله هو[1] ما رَكّب فيهم من الشهوات والأماني وجعَل الطباع موافقا لها. وإلا الصدق وجميع الخيرات إنما يكون مزيّنا مستحسنا في العقل للعاقبة، والكفر وجميع المعاصي مستقبَح في العقل للعاقبة، إذ[2] حُمِد أحدهما وأُثِيب على فعله وذُمّ الآخر[3] وعوقب لسوء اختياره. أو أن يكون إضافة ذلك إلى الله لما خلق أفعالهم وأعمالهم التي عملوها وأخرجها من العدم إلى الوجود، وهي من هذه الجهة فعله. وهو يردّ قولَهم في إبائهم خلْقَ أفعال العباد.[4]

وقوله:[5] **فهم يعمهون**، قيل: يترددون؛ وأصل العَمَه الحيرة،[6] أي يتحيّرون.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾[٥]

أولئك الذين لهم سوء العذاب، أي لهم ما يسوءهم من العذاب في الآخرة لاختيارهم سوء الأفعال في الدنيا. **وهم في الآخرة هم الأخسرون**، الأخسرون والخاسرون واحد. وجائز أن يقال: هم الأخسرون للقادة منهم والرؤساء، لأنهم ضلّوا بأنفسهم وأضلّوا غيرهم، هم أخسر من الأتباع،[7] كقوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[8]

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[٦]

وقوله: **وإنك لتلقى القرآن من لَدُن حكيم عليم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **لتلقى القرآن** من الله على يدَي رسوله وهو جبريل. وجائز أن يكون **حكيم عليم** هو جبريل نفسه،[9] أي إنك لتلقى القرآن من لدن جبريل، وهو حكيم يضع الوحي والقرآن حيث أُمِر بوضعه فيه، إذ الحكيم هو المصيب في فعله الواضع للشيء موضعه، وعليم بما أمر به وأُرسل وهو كذلك كان.

---

[1] جميع النسخ: هو.
[2] جميع النسخ: إذا.
[3] ر ع م: لآخر.
[4] ع + والله أعلم. أي قول الله هذا يرد رأي المعتزلة في امتناعهم عن قبول خلق أفعال العباد.
[5] ن: قوله.
[6] ر: الحيرت.
[7] ر ع م: ومن الأتباع.
[8] ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يُضِلُّونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ (سورة النحل، ٢٥/١٦).
[9] م: بنفسه.

إذ يجوز أن يقال للمخلوق: حكيم عليم، ألا ترى[١] إلى قول[٢] يوسف:[٣] إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ،[٤] فعلى ذلك هذا جائز، والأول أشبه؛[٥] أي إنك لتأخذ القرآن من لَدُن حكيم عليم على يدي رسوله[٦] جبريل، فما يأخذ من رسوله كأنه يأخذ من عند مرسله، إذ الرسول إنما يؤدي كلام مرسله.[٧] وقال أبو عَوْسَجَة: **وإنك لَتُلَقَّى القرآن**، يقال: تلقّيته أخذته، ولقّيته وتلقّيته واحد.[٨] وكذلك قال القُتَبي: **لَتُلقَّى**، أي لتأخذه.[٩] وقال محمد بن إسحاق: **وإنك لَتُلَقَّى القرآن**، أي لَتُؤتَى بالقرآن، كقوله: وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا،[١٠] أي وما يؤتاها.[١١] ***والله أعلم***.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[٧]

وقوله:[١٢] **إذ قال موسى لأهله إني آنست نارًا**، قيل: رأيت وأبصرت. **سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس**، وقال في آية أخرى:[١٣] لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى.[١٤] هذا يدل أنه كان ضلّ الطريق على ما ذكره أهل التأويل. وقال في آية أخرى:
إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ / لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ.[١٥] ذُكِر على التقديم [٥٥١و]
والتأخير على اختلاف الألفاظ والحروف، والقصة واحدة والممتحَن بذلك موسى لا غيرُ.

---

[١] ن: يرى.
[٢] ر ع م: قوله.
[٣] ر + قال.
[٤] ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ (سورة يوسف، ١٢/٥٥).
[٥] ع: أيشبه
[٦] ر: رسول الله.
[٧] ر: مرسل.
[٨] ر م – ولقيته وتلقيته واحد؛ ع – واحد.
[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٢.
[١٠] ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (سورة فصلت، ٤١/٣٥).
[١١] جميع النسخ: يؤتيها.
[١٢] ن: قوله.
[١٣] ع + في سورة طه.
[١٤] ﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾ (سورة طه، ٢٠/٩-١٠).
[١٥] سورة القصص، ٢٨/٢٩.

فهذا يدل أنْ ليس على الناس تكلّف حفظ الألفاظ والحروف بلا تقديم ولا تأخير[1] ولا تغيير بعد أن أصابوا المعنى المودَع فيها، أعني في الألفاظ، وحفظوها من غير تغيير يدخل في المعنى المودَع. إذ قصة موسى هذه[2] وغيرها من قِصص الأنبياء صلوات الله عليهم ذكرت في الكتاب على التقديم والتأخير على اختلاف الألفاظ والحروف، ليُعلم أنْ ليس عليهم حفظ الألفاظ والحروف[3] في كثير من الأحكام في الشهادات والأخبار وغيرها، إنما عليهم إصابة المعنى.[4]

ثم قوله:[5] **بشهاب قبس**، قال بعضهم: الشهاب خَشَبة في طرَفها نار. والقبَس النار. وشُهْبان[6] جميع، ولا تسمى[7] النار قبسًا إلا ما يُحمل من موضع إلى موضع. يقال: قبَستُ النار قَبَسًا واقتبست، وهو قول أبي عَوْسَجة والقُتَبي.[8] وقال بعضهم: القبس الجَمْر، والشِّهاب النار الموقَدة، وهو قول أبي عبيدة.[9] وقال بعضهم: الشهاب النور، والشهاب الكوكب،[10] سمّي شهابًا لضوئه ونوره. وقال بعضهم: **بشهاب قَبَسٍ**، أي شُعلة من نار، والجَذوة كأنها خشبة فيها نار، وهو مثل الأول. ودل قوله: **لعلكم تصطلون**، على أن الوقت وقتُ البرد وأيامُ الشتاء حيث ذكر الاصطلاء وهو الاستدفاء. *والله أعلم*.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٨]

وقوله:[11] **فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها**، اضطربت أقاويل أهل التأويل في هذا. صرف بعضهم[12] تأويله إلى ما لا يزيده[13] إلا سَماجَةً وبُعدا عن الحق والصواب وعَمًى.

---

[1] م: وتأخير.
[2] ن – هذه.
[3] ر ع م – ليعلم أن ليس عليهم حفظ الألفاظ والحروف.
[4] انظر مفصلا: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥٢ظ.
[5] ر: وقوله.
[6] ر: والشهبان.
[7] جميع النسخ: ولا يسمى.
[8] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٢.
[9] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٩٢/٢؛ وتفسير *القرطبي*، ١٥٧/١٣.
[10] ر ع م: الكواكب.
[11] ن: قوله.
[12] ر ع م: بعضه.
[13] ع: إلى ما يزيده.

لكن لو جاز أن يعبّر ويكنى بحرف "مَن" عن[١] غير مميّز وغير ذي فهم وعقل لاستقام التأويل فيه ولم يقع فيه شُبَهٌ فيُجعل كأنه قال: أن بورك ما فيه النار[٢] وما حولها،[٣] ويكون عبارة عن المكان الذي فيه النار وما حولها[٤] من الأمكنة، أي بورك في ذلك المكان الذي فيه النار وما حولها،[٥] لأنه قال في آية أخرى:[٦] إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى،[٧] أي طَوَى فيه البركات، وقال في آية: بَارَكْنَا حَوْلَهُ،[٨] أخبر[٩] عن بركة ذلك المكان. فعلى ذلك لو جاز أن يعبّر بحرف "مَن" عن غير المميز و[ذي] الفهم ويكنّىَ به جاز صرف التأويل إلى ما ذكرنا من المكان. أو يقال: **بورك من في النار ومن حولها**، أي بورك ما في النار من النور وما حول ذلك وما يستنار به ويستضاء، وهو ما استفاد به من النبوة والرسالة. هذا كله إذا جازت العبارة والكناية بحرف "مَن" عن غير ذي التمييز والفهم. فإن جاز هذا لاستقام[١٠] أن يقال هذا.

أو أن يكون التأويل منصرفا إلى ما ذُكر[١١] في حرف ابن مسعود وأبيّ على طرح حرف "مَن" وحرف[١٢] "في"، ذُكر أن في حرفهما:[١٣] نودي أن بوركت[١٤] النار ومن حولها؛[١٥] وذلك جائز في اللغة أن يقال: بورك في فلان، وبورك فلانا، وبورِكتَ وبوركَ فيك. وكذلك ذكر عن الكسائي أنه قال ذلك. فإن كان ما ذكر عن ابن مسعود وأبيّ ثابتًا صحيحًا لم يقع فيه شبهة ولا ريب.

---

١ ن: من.
٢ ر ع م: ما فيه من النار.
٣ ر م: حولهما.
٤ ر م: حولهما.
٥ ر: وما حولهما.
٦ ن – أخرى.
٧ ﴿فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ (سورة طه، ٢٠/١١-١٢).
٨ ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١).
٩ ر م – أخبر.
١٠ ع: الاستقام.
١١ ر م: ذكره.
١٢ ع: حروف.
١٣ القراءة لم ترد في مصحف ابن مسعود، انظر: *تفسير القرطبي*، ١٣/١٥٨؛ و*كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٩.
١٤ ر: بورك.
١٥ *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٥٢.

أو إن لم تجز[1] العبارة بحرف "مَن" عن[2] غير [ذي] التمييز فجائز أن يصرف حرف "مَن" إلى موسى فيكون كأنه قال: بورك في الذي أتى النار وهو موسى، أو بورك[3] فيمن جعل له اقتباس النار. فينصرف تأويل "مَن" إلى موسى وقد جعل له من البركة في تلك النار ما[4] لا يحصي من استفادة النبوة والإرشاد إلى الطريق والاصطلاء وغير ذلك. **والله أعلم**.[5]

وقوله:[6] **وسبحان الله رب العالمين**، ذكر هذا -والله أعلم- تنزيها عن جميع ما قاله بعض أهل[7] التأويل وتبرئة[8] منه عن ذلك كله من نحو مقاتل ومن قال بمثل قوله مما يؤدي إلى التشبيه والشُّبَه.[9]

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٩]

وقوله:[10] **يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم**، أي الذي أعطاك ذلك [هو] الله العزيز الحكيم. أو يقول: أي الذي جعل لك ذلك: الله العزيز الحكيم. أو أن يقول: إنه[11] الذي أراك هذا وأكرمك به: **أنا الله العزيز الحكيم**. أو أن يقول: إنه الذي أراك، أي الذي جعل لك ذلك: **الله العزيز الحكيم**.[12] **العزيز** الذي لا يُعجزه شيء، **الحكيم** المصيب في فعله غير مخطئ. أو أن يقال: عزيز لا يَذِلّ أبدًا قطّ، لأنه عزيز بذاته، حكيم[13] يضع كل شيء موضعه لا يخطئ. قال أبو معاذ وقال[14] مقاتل بن سليمان:[15] **يا موسى إنه**، يقول:

---

1 جميع النسخ: لم يجز.
2 ن: من.
3 ر + أو بورك.
4 ع: وما.
5 ع + بذلك.
6 ن: قوله.
7 ر م – أهل.
8 ر ع م: تبرئة.
9 أي ما يستدل بها الخصم كالدلائل.
10 ن: قوله.
11 يلاحظ أن هذا الضمير ضمير شأن لا مرجع له.
12 ن – أو أن يقول إنه الذي أراك أي الذي جعل لك ذلك الله العزيز الحكيم.
13 جميع النسخ: الحكيم.
14 ر م: قال.
15 «قال معاذ ومن تبعه من أهل التأويل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥٥و).

إن النور الذي رأيت: **أنا الله.**[١] وهذا محال لا وجه له، لأنك لا تقول: "إن الذي رأيتَ أنا الإنسانُ" رآه، أو لشيء آخر، ولكن تقول:[٢] أنَا الذي رأيتَ. ومحال أيضًا قوله لِمَا ذُكر في حرف ابن مسعود: نودي يا موسى لا تخف[٣] [**أنا الله العزيز الحكيم**]،[٤] يكلمه الله ويخاطبه، ثم يقول: إن النور الذي رأيتَ أنا. ومحال أيضًا لقول الله: إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ.[٥] قال الله: فَلَمَّا أَتَاهَا،[٦] ولم يقل: أتاه.[٧] ومحال أيضًا أن يكون الله نعتا لأنك لا تقول:[٨] الذي رأيتَ أنا أخوك. {فقال [الإمام]}: قول مقاتل محال من أربعة أوجه خلاف لظاهر الآية. وأصله ما ذكرنا فيما تقدم.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[١٠]

وقوله: **وألقِ عصاك فلما رآها تهتز**، في الآية الأمرُ بإلقاء العصا،[٩] ولم يذكر أنه ألقاها ولكن فيه إضمار: ألقِ عصاك فألقاها. **فلما رآها تهتز**، أي تتحرك **كأنها جانّ**. ذكر أهل التأويل أن الجانّ هي الحية الصغيرة ليست بعظيمة لكنه أخبر أن موسى خافها وولّى مدبرًا. وموسى / لا يحتمل أن يخاف[١٠] من حية[١١] صغيرة على الوصف الذي ذكر، فكأنها كانت [٥٥١ظ] عظيمة لكنها في تحركها والتوائها كأنها صغيرة، إذ الحية[١٢] العظيمة الكبيرة لا تقدر على التحرك والالتواء كالصغيرة، لذلك خافها موسى حتى نهاه الله عن ذلك وقال: **لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون.**

---

[١] *تفسير القرطبي*، ١٣/١٦٠.
[٢] ن: يقول.
[٣] هذه القراءة غير واردة في *كتاب المصاحف* للسجستاني، انظر: ٦٩.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٣و.
[٥] سورة النمل، ٢٧/٧.
[٦] ﴿فلما أتاها نودي يا موسى﴾ (سورة طه، ٢٠/١١).
[٧] ع: إياه.
[٨] م - بأن.
[٩] ر ع: العصاء.
[١٠] ن: أن تخاف.
[١١] ع: في حية.
[١٢] ع: إذ حية.

وقوله: **ولم يعقّب**، قال بعضهم: لم يرجع،[1] وقال بعضهم: لم يلتفت؛[2] وهو مأخوذ من العَقِب. والجانّ، قال[3] بعضهم: من الجن، والجان الحيّة،[4] ولا يكون إلا من الجن. وهو قول[5] أبي عبيدة.[6]

وقوله:[7] **لا تخَف إني لا يخاف لديّ المرسلون**، فإن قيل: كيف نهاه عن الخوف وأخبر أنه لا يخاف لديه[8] المرسلون؟ وقد مدح الله الملائكة وغيرهم من الخلائق بالخوف من ربهم حيث قال: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ،[9] وقال في آية أخرى: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا،[10] و[قال في آية أخرى:] تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً،[11] وأمثال ذلك من الآيات مما فيها مدحهم بالخوف من ربهم. لكنه يخرج على وجوه. أحدها أنه قد أمّن موسى حيث قال: وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ،[12] فكأنه قال هاهنا: لا تخف بعد ما أمّنتك، **إني لا يخاف لديّ المرسلون** إذا أمّنتهم. والثاني لا تخف من غيري **إني لا يخاف لدي المرسلون** من غيري. فكأنه[13] -والله أعلم- على هذا التأويل إنما نهاه عن الخوف من غيره وأخبر أنه لا يخاف لديه المرسلون من غيره.[14] والثالث إخبار وأمن منه من خوف الآخرة وأهوالها كأنه قال: لا تخف فإني سأؤَمِّن المرسلين من خوف يومئذ. ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١١]

إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء، هذا أيضًا يخرج على وجوه. أحدها لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ **إلا من ظلم** إذا بدل حسنا بعد سوء. والثاني لا يخاف لديّ المرسلون ولكن من ظلم

[1] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٩٢.
[2] *معاني القرآن* للزجاج، ١٠٩/٤.
[3] ع: وقال.
[4] ع: والحية.
[5] ع: وقول.
[6] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٩٢.
[7] ن: قوله.
[8] ع: لدي.
[9] ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمَرون﴾ (سورة النحل، ٥٠/١٦).
[10] ﴿تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون﴾ (سورة السجدة، ١٦/٣٢).
[11] ﴿قل من يُنجّيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخُفْيَةً لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ (سورة الأنعام، ٦٣/٦).
[12] ﴿وأن ألقِ عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانّ ولّى مُدبِرا ولم يُعقِّب يا موسى أَقبِل ولا تخَفْ إنك من الآمنين﴾ (سورة القصص، ٣١/٢٨).
[13] جميع النسخ + قال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٣و.
[14] ر ع م – من غيره.

ممن سواهم ثم بدل حسنًا بعد سوء فإني[1] غفور رحيم، له[2] رجاءُ المغفرة وطمع العفو فيما كان منه. والثالث لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم منهم، نحو موسى بقتله النفس و[نحو] إخوة يوسف، ثم بدل حسنا وتاب عن ذلك فإنه لا[3] يخاف أيضًا. *والله أعلم*.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[١٢]

وقوله: **وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء**، فالله تعالى قادر أن يجعل يده بيضاء من غير إدخاله إياها في جيبه لكنه امتحن موسى بالأمر بإدخالها في جيبه. وكذلك قادر أن يصيّر عصاه في يده حيّة لكنه امتحن بالأمر بإلقائها. ولله أن يمتحن عباده بكل أنواع المحن.

وقوله:[4] **تَخْرُجْ بيضاءَ مِن غير سوء**، قيل: من غير آفة من بَرَص أو غيره. وقد ذكرنا معناه فيما تقدم.[5]

وقوله:[6] **في تسع آيات إلى فرعون وقومه**، قال بعضهم: يد[7] موسى في تسع آيات، أي مِن تسع آيات.[8] وقد يجوز استعمال حرف "في" مكان [حرف] "مِن"،[9] كما يقال: لفلان كذا كذا نُوقا، فيها فَحْلان، أي منها فحلان. وقال بعضهم: **في تسع آيات**، [أي مع تسع آيات][10] قال أبو معاذ: وقد[11] يكون معنى "في" و"مع" واحدًا[12] فيما لا يحصى عدده، تقول: خرجتُ في أهل مَرْوَ إلى أهل مكة، و[خرجتُ] مع أهل مَرْوَ إلى[13] مكة. فإذا قلت: خرجتُ في تسعة،

---

[1] ر ن م: فإنه.
[2] ر ع م – له.
[3] ر م – لا.
[4] ن: قوله.
[5] انظر: تفسير الآية ٢٢ من سورة طه.
[6] ن: قوله.
[7] ر ع م – يد.
[8] ر ع م – أي من تسع آيات.
[9] ر ع م – من.
[10] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٣ظ.
[11] ر: قد.
[12] ن: واحد.
[13] ع: وإلى.

و[خرجتُ] مع تسعةٍ[1] اختلفا [معنًى]، لأنك[إذ][2] أحصيت العدَ[3] في تسعة أنت تاسعهم ومع تسعةٍ أنت عاشرهم. وقال بعضهم: هو على الانقطاع من الأول، كأنه قال لرسوله محمد: ولقد بعثنا موسى في تسع آيات إلى فرعون،[4] كما قال: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.[5]

وقوله:[6] **إلى فرعون وقومه**، دل هذا أنه كان مبعوثا إلى فرعون وقومه جميعًا، إذ[7] ذكر في آية إلى فرعون خاصة،[8] وفي آية أخرى:[9] إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ،[10] وذكر هاهنا: **إلى فرعون وقومه**، فكان مبعوثا إلى الكل.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[١٣]

وقوله:[11] **فلما جاءتهم آياتنا مبصرة**، أي يُبصَر بها ويُعلَم، كقوله: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[12] أي يُبصر به. وقرأ بعضهم: مُبْصَرة بنصب الصاد،[13] أي بيّنة ظاهرة يُبصر فيها. وكذلك قال موسى لفرعون: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ.[14]

قالوا هذا سحر مبين. لم تزل[15] عادة فرعونَ اللعينِ [وملئِه] تلبيسَ أمر موسى وآياته على قومه لئلا يؤمنوا[16] به ولا يطيعوه فيما يدعوهم. مرة **قالوا هذا سحر مبين**،[17] و[مرة قال:]

---

[1] ر ع م - ومع تسعة.

[2] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٣ظ.

[3] ن: العدة.

[4] «وقال بعضهم: هو على الانقطاع من الأول، يعني قد تم الكلام بقوله: ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾، ثم ابتدأ فقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ولقد بعثنا موسى في تسع آيات إلى فرعون وقومه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥٣ظ).

[5] سورة الإسراء، ١٠١/١٧؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ١٣٢/٧-١٣٦.

[6] ن: قوله.

[7] ر م: إذا.

[8] ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ (سورة طه، ٢٤/٢٠).

[9] ن - أخرى.

[10] ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها﴾ (سورة الأعراف، ١٠٣/٧).

[11] ن: قوله.

[12] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).

[13] معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٥٩/٣.

[14] سورة الإسراء، ١٠٢/١٧.

[15] جميع النسخ: لم يزل.

[16] ع + بالله.

[17] جميع النسخ: قال هذا لساحر مبين، وهو غير وارد في القرآن معزوًّا إلى فرعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٣ظ.

إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[١] وأمثال ذلك مما يلبّس على قومه أمره ويُغريهم عليه لئلا يطيعوه فيما يدعوهم إليه ولا يجيبوه.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[١٤]

وقوله:[٢] **وجحدوا بها**، أي جحدوا[٣] بالآيات. وجائز في اللغة أن يقال: جحَدَ بها وجَحَدَها، كلاهما واحد.[٤] ثم قال بعضهم: إن الجحود لا يكون إلا بعد العلم به والإيقان، ولكن يجوز أن يقال: جحَد بعدَ المعرفةِ والعلمِ وقبلَ أن يعلم به ويعرف[ه]، إذ الجحود ليس إلا الإنكار، وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به و[قد يكون][٥] بعد المعرفة. وقال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، كأنه قال: فلما جاءتهم آياتنا مبصرة جحدوا بها ظلمًا وعُلُوًّا واستيقنتها أنفسهم أنها من الله وأنها آياته[٦] ليست بسحر. ولو كان سحرًا في الحقيقة لكان آية لأن السحر على غير تعلّم يكون منه آية سماوية.

وقوله: **ظلما** لأنهم جحدوا الآيات وسمَّوها[٧] سحرًا فوضعوا الآيات موضع السحر، لم يضعوها موضعها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. وقوله:[٨] **وعُلُوّا**، أي تكبّرًا وعنادا.

فانظر كيف كان عاقبة المفسدين، ليس على الأمر له بالنظر في ذلك ولكن على تنبيه أولئك والزجرِ لهم عما هم / فيه، أي انظر ما يَنزل بهم بجُحود[٩] الآيات وعنادهم فيها على ما نزل[١٠] بأوائلهم. *والله أعلم*. [٥٥٢و]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٥] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[١٦]

وقوله: **ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**،

---

[١] سورة الشعراء، ٢٦/٣٤-٣٥.
[٢] ن: قوله.
[٣] ر ع م - بها أي جحدوا.
[٤] ن - واحد. انظر: *لسان العرب*، «جحد».
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٣ظ.
[٦] ع: آيات.
[٧] ر ع م: وسموا.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر ع م: الجحود.
[١٠] م: ينزل.

فيه وجهان من الاستدلال. أحدهما في خلق أفعال العباد. والثاني في ترك الأصلح. أما الاستدلال على خلق الأفعال لأنه قال: **آتينا داود وسليمان عِلما**، وقال على إثره: **عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطير**، وقال في رسول الله: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ،[1] وقال: اَلرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ،[2] ونحوه من الآيات فيما أضاف التعليم والفِعل إلى نفسه. فلو لم يكن له في ذلك صُنعٌ لم يكن لإضافة ذلك إليه معنى فدل أنه خَلَق أفعالهم منهم.

فإن قيل: إنما أضاف[3] ذلك إلى نفسه بالأسباب التي أعطاهم.[4] قيل: لا يحتمل ذلك، لأنه قد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع أسباب الشعر ولم يكن غيره من الشعراء أحق بأسباب الشعر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخبر أنه لم يعلمه الشعر، دل أنه لم يُرِد به الأسباب ولكن أراد ما ذكرنا.

وأما في ترك الأصلح فهو ما ذكر من قوله: **ولقد آتينا داود وسليمان علما... وقال [سليمان]: يا أيها الناس عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطير وأوتينا من كل شيء**. إنه إنما ذكر هذا على الامتنان والإفضال، فلو كان لا يجوز له أن لا يعطيه ذلك ولا كان له تركُ ما فعل بهم من الإفضال لم يكن لذكر ذلك له على الإفضال والامتنان معنىً، ولا كان داود وسليمان يَحمَدان على ما أعطاهما، ولا كان هو يستوجب الحمد بذلك إذ فعل ما عليه أن يَفعل. دل أنه إنما أعطى ذلك لهم وفعل[5] بهم ذلك على جهة الإفضال والامتنان، وكان له ترك ما فعل وإن كان ذلك لهم أصلح في الدين. فهذان الوجهان ينقضان على المعتزلة مذهبهم في إنكارهم خلق الأفعال وجواز ترك الأصلح في الدين.

ثم قوله: **علما**، قال بعضهم علما بالقضاء والحكم، والعلمَ بكلام الطير والدواب. وقال بعضهم: فضْلا بالنبوة والعلم. لكن عندنا ذَكَر أنه آتاهما العلم ولم يبيّن ما ذلك العلم، ولا يفسّر ذلك العلمَ[6] أنه علم ماذا مخافةَ الكذب على الله. ***والله أعلم.***

---

[1] سورة يس، ٦٩/٣٦.

[2] سورة الرحمن، ٥٥/١-٤.

[3] ع – التعليم والفعل إلى نفسه فلو لم يكن له في ذلك صنع لم يكن لإضافة ذلك إليه معنى فدل أنه خلق أفعالهم منهم فإن قيل إنما أضاف.

[4] «فإن قيل: إنما أضاف ذلك إلى نفسه لأنه هو الذي أعطاهم أسباب تحصيل ذلك العلم، والإضافة إلى السبب شائع في اللغة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥٣ظ).

[5] ع: وفعلى.

[6] ر ع م – ولا يفسر ذلك العلم.

وقوله:[1] **وورِث سليمانُ داودَ،** قال[2] أهل التأويل: ورِث النبوة والحكم. والوارث هو الباقي بعد هلاك الآخر وفنائه، كقوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا،[3] أي نبقى بعد هلاك أهلها وفنائهم، وقوله: وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ،[4] أي الباقون بعد فنائهم، لا[5] أنه ورِث شيئا لم يكن له من قبل؛ وكذلك قوله: وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،[6] الآية، أي أبقاكم وترككم في أرضهم وديارهم، وقوله: وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا،[7] أي أُبقِيتم فيها، وأمثال ذلك كله راجع إلى البقاء. فعلى ذلك قوله: **وورث سليمان داود،** أي بقي في ملكه ونبوته. وعلى ذلك ما سأل زكريا ربه من الولد حيث قال: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ،[8] لا يُحتمل أن يسأل ربه ولدا يرِث ماله من بعد وفاته، ولكن كأنه سأل ربه الولد ليبقى في نبوته ورسالته بعد وفاته لتبقى[9] النبوة في نسله. ***والله أعلم.***

وقوله:[10] **وقال يا أيها الناس عُلِّمْنا منطقَ الطير وأُوتينا من كل شيء،** لا يحتمل أن يذكر هذا[11] صلوات الله عليه على الافتخار والتِياهة، ولكن ذكر فضل الله ونعمه التي أعطاها[12] ومنّ عليه [بها]، كقوله: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ.[13] ألا ترى[14] أنه قال: **إن هذا لهو الفضل المبين.**

ثم قوله: **وأوتينا من كل شيء،** لا يَحتمل كلَ شيء لأنهم لم يؤتوا كلّ شيء حتى لم يبق شيء، إنما أوتوا شيئا دون شيء، ولكن كأنه قال: **وأوتينا من كل شيء** سألناه أن يؤتينا.[15] أو أن يكون: **وأوتينا من كل شيء** مما يؤتى الأنبياء والملوك وما يُحتاج إليه. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: قوله.
[2] ر م: وقال.
[3] سورة مريم ٤٠/١٩.
[4] ﴿وإنا لَنحن نُحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ (سورة الحجر، ٢٣/١٥).
[5] ر م: إلا.
[6] سورة الأحزاب، ٢٧/٣٣.
[7] ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ (سورة الزخرف، ٧٢/٤٣).
[8] سورة مريم، ٥/١٩-٦.
[9] جميع النسخ: ليبقى.
[10] ن: قوله.
[11] ن – هذا.
[12] جميع النسخ: أعطاه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٤و.
[13] سورة الضحى، ١١/٩٣.
[14] ن: يرى.
[15] ن: أن انؤتينا.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[١٧]

وقوله: **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يُوزَعون**، قال[1] بعضهم: قوله: **فهم يُوزَعون**، أي يحبس أولهم[2] على آخرهم كأنه لا يَدَعُهم أن ينتشروا ويتفرقوا ولكن يسيّرهم مجموعين، على كل صنف منهم وَزَعَة ترد أوّلهم على آخرهم، وذلك من سيرة الملوك وأمراء العساكر أن يسيّروا جنودهم مجموعةً غير منتشرة[3] ولا متفرقة. وقال أبو عَوْسَجة: **فهم يُوزَعون**، أي يساقون. ويقال: أوزِعْني، أي ألهِمْني. والوَزْع من الكف والسَّوق، تقول: وزَع، أي كفّ،[4] ووزَع، أي ساق. وقال مرة: يوزَعون يجتمعون، يقال: وزَعْتُ الإبلَ، أي جمعتُه، أزَع وَزْعا. وقال القُتَبي: **يُوزَعون**، أي يُدفعون. وأصل الوَزْع الكف والمنع، يقال: وَزَعتُ الرجل إذا كفَفْتُه. ووازِع الجيش هو الذي يكفّهم عن التفرق[5] والانتشار وهو على ما ذكرنا.[6]

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١٨]

وقوله: **حتى إذا أتوا على وادِ النمل**، هذا يدل أن النمل وقتئذ لا تخالط الناس حيث أضاف الوادي إليها بقوله: **حتى إذا أتوا على واد النمل**، ولو كانت تخالط الناس كهي الآن [٥٥٢ظ] لَقال: حتى إذا أتوا على الوادي الذي فيه النمل، / دل أنها كانت لا تخالط الناس وكان لهن مكان على حِدة. *والله أعلم*.

وقوله:[7] **قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يَحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**، يخرج قوله: **قالت نملة**، على وجهين. أحدهما[8] على حقيقة القول من النملة كما يكون من البشر، [وقد] أطْلع الله سليمان [على] ذلك وألقاه في مسامعه لطفا منه وفضلا من بين سائر الخلائق، على ما ذكرنا في قوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ،[9] الآية.

---

[1] ن: وقال.
[2] ع: ولهم.
[3] ر م: منتشر.
[4] ر – كف.
[5] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٣.
[6] ر ع م: ذكر.
[7] ن: قوله.
[8] ر ع م – أحدهما.
[9] ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٤٤).

والثاني أن يجعل الله في سِرِيّة النمل معنًى يفهم بعضها من بعض لما يريدون فيما بينهم من أنواع الحوائج على غير حقيقة القول. [وقد] أطلع الله سليمان على ذلك حتى فهم منها ما كانت تفهم بعضها من بعض لطفا منه وفضلا، وهو كقوله: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا،[١] ليس أحدٌ يقول لآخر إذا تصدّق عليه ذلك، لكن الله أخبر عما علم من ضميرهم ومرادهم من التصدق[٢] على غير حقيقة القول منهم. فعلى ذلك قول النمل، أخبر سليمانَ عما كان في سِرِيَّتها فيما بينهم من غير أن كان منها نطق أو كلام يفهم به[٣] الخلق. *والله أعلم.*

وقالت الباطنية: ليس المراد من ذكر النمل النملَ[٤] المعروفة وقولَها. وكذلك قالوا في الهُدْهُد[٥] إنه لم يُرِد به الهدهد المعروف، إذ لا يجوز أن يكون[٦] للهدهد من العلم أكثرُ مما يكون لسليمان ولغيره، ولكن أراد به الرجل وهو الإمام الذي يدعو الناس إلى الهدى ويدلهم على الرشد. وليس كما قالوا لأنه إنما ذكر هذا[٧] على التعجب، ولو كان ذلك إنسانا ممن يكون له قول وكلام لم يكن لذكر ذلك منه كبيرُ تعجُّب ولا فائدة، دل أنه ليس كما قالوا.

وقوله: **لا يَحْطِمَنَّكم**، أي لا يَكْسِرَنَّكم، والحَطْم هو الكَسر. وفي حرف ابن مسعود: لا يَحْطِمُكم[٨] على طرح النون والتشديد.[٩]

وقوله: **وهم لا يشعرون**، قال بعضهم: هذا من النملة ثناء على سليمان ومدح عليه لعدله في ملكه وسلطانه: إنه لو شعر بكم لم يَحطمكم ولم يُهلككم. وقال بعضهم: **وهم لا يشعرون**، أي لا يشعر جنوده كلام النمل. وهذا يدل أن النملة كانت رئيس سائر النمل وسيدتها حيث قالت ذلك[١٠] من بين غيرها من النمل. وعلى كل رئيسٍ وسيدِ القوم أن يحفظ رعيّته

[١] سورة الإنسان، ٩/٧٦.
[٢] م: من الصدق.
[٣] ر ع م: منه.
[٤] ر ع م – النمل.
[٥] انظر: الآية ٢٠ من هذه السورة.
[٦] ر ع م – أن يكون.
[٧] م – هذا.
[٨] ر ن ع: لا يحطمنكم.
[٩] وهي قراءة الأعمش، انظر: معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٦١/٣؛ قراءة ابن مسعود وردت على: ادخلْنَ مساكنكنّ لا يَحطمنكنّ؛ انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٥٢.
[١٠] ن – ذلك.

وحواشِيَه عن المهالك[1] وما[2] يحملهم على الفساد. وقول مَن قال: إن النمل يومئذ كانت كالذباب عظيما لا يحتمل، لأنها لو كانت كما ذكر لم يكن لقوله: **وهم لا يشعرون** معنى لأنها لو كانت كالذباب يشعرون بها، فدل أنها كانت على ما هي اليوم. ***والله أعلم.***

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[١٩]

وقوله:[3] **فتبسم ضاحكا من قولها**، قال بعضهم: **تبسم ضاحكا**، أي سبّح الله لما فهم من قول النمل وحمد عليه. وتبسُّم الأنبياء التسبيح؛ وجائز أن يكون التبسم هو السرور، إذ التبسم إنما يكون لسرور يدخل في الإنسان. فقوله: **فتبسم ضاحكا**، أي سُرّ بما أعطاه الله من عِظَم النعمة له والملك، ألا ترى[4] أنه سأل ربه الإلهام ليشكر نعمه التي آتاه الله حيث قال: **رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ**، سأل ربه[5] الإلهام واللطف الذي يكون فيه ليشكر نعمه.[6] ولو كان الإلهام هو الإعلامَ على ما قاله بعض الناس لم يكن سليمان ليسأله ذلك لأنه كان يعلم أن عليه شكرَ نعمه، وكذلك يعلم كل أحد أن عليه شكر مُنعمه، فدل سؤاله الإلهام على الشكر أنه إنما سأل اللطف الذي عنده به يشكر نعمه إذا أعطاه، وهو التوفيق لا الإعلام[7] الذي قالوه.

وقوله: **وعلى والدَيّ**، فيه أنه[8] يجب على المرء شكر النعم التي أنعم الله على والديه. وسأل ربه أيضا أن يوفقه على العمل الذي يرضاه منه حيث قال:[9] **وأنْ أعمَلَ صالحا ترضاه.**

وقوله:[10] **وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين**، جائز أن يكون سؤاله هذا بإدخاله فيما ذكر كسؤال يوسف حيث قال: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ،[11] سأل ربه التَوَفِّيَ

---

[1] ر ع م – عن المهالك.
[2] ر ع م: أو ما.
[3] ن: قوله.
[4] ن: يرى.
[5] ع: به.
[6] وعبارة الشرح هكذا: (ورقة ٥٥٤ و): «سأل ربه تعالى الإلهام واللطف والتوفيق الذي يقدر [به] على شكر نعمه».
[7] ر: لا إعلام.
[8] جميع النسخ: أن.
[9] ر م – قال.
[10] ن: قوله.
[11] سورة يوسف، ١٠١/١٢.

على الإسلام والإلحاق بالصالحين. فعلى ذلك سؤال سليمان يشبه أن يخرج على ذلك. ثم فيه دلالة أن النجاة ودخول الجنة إنما يكون برحمة الله لا بالعمل، حيث قال: **وأدخلني برحمتك،** بعد ما سأل ربه العمل الصالح المرضيّ عنده.[١]

وقوله: **أوزِعْني،** أي ألهمني، والإيزاع الإلهام،[٢] والوَزْع الكفّ والسَّوق. وقال القُتَبي: وأصل الإيزاع الإغراء بالشيء، يقال: أوزعتُه بكذا، أي أغريتُه، وهو موزَع بكذا ومولَع بكذا.[٣]

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[٢٠] **﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾**[٢١]

وقوله: **وَتَفَقَّدَ الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين،** عن ابن عباس رضي الله عنهما[٤] قال:[٥] [أ]تدرون كيف تفقد سليمان الهدهد؟ ثم قال: إنه إذا كان في فَلاة من الأرض دعا الهدهد فسأله عن بُعد الماء في الأرض وغَوْره فهو يعلمه من بين غيره من الطيور، لذلك تفقده وسأله عن حاله.[٦] وذكر أنه سأل ابن سلام عن ذلك فأخبره[٧] بذلك.[٨] لكن هذا بعيد،[٩] لأن سليمان صلوات الله عليه كانت له الريح مسخرة. ذكر أنها كانت تحمله وتسير به كل غداة مسيرة شهر وكل عَشيّة كذلك، وهو قوله: وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا / شَهْرٌ،[١٠] فلا يحتمل أنه إذا وقعت له الحاجة إلى الماء أن لا يبلغ إلى الماء حتى |٥٥٣و]
يحتاج إلى أن يُحْفَر له البئر فيُستخرَج منها[١١] الماء. أو ما[١٢] كان له من الشياطين والجن مسخَّرين له مذللين حتى قال واحد منهم: أَنَا آتِيكَ بِهِ، يعني عرش بلقيس، قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ،

---

[١] ر م - عنده.
[٢] ر ع م: إلهام.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٣.
[٤] ن م: عنه.
[٥] ع + لا.
[٦] *تفسير الطبري*، ١٤٤/١٩.
[٧] ر م: فأخبر.
[٨] *تفسير القرطبي*، ١٣/١٧٧-١٧٨.
[٩] ن: يبعد.
[١٠] سورة سبأ، ١٢/٣٤.
[١١] ر ع م: منه.
[١٢] ر م: وما.

وقال الآخر: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ.[1] فمن له سلطان وقوة على القَدْر الذي ذُكر لا يحتمل أن يقع له الحاجة إلى الماء، وإذا وقعت[2] يحتاج إلى أن يتكلّف وصوله إليه بالهدهد مع تكلُّف الحفر في الأرض. هذا يَبعُد بمرة.[3] *والله أعلم*. إلا أن يخرج على الامتحان ويكون تفقده الطيرَ لِما كان عليه حفظهم جميعا ومنعه إياهم عن الانتشار في الأرض والتفرق، لا لِما ذكروا هم،[4] والله أعلم، لِما على كل ملك وأمير حفظ رعيته وحاشيته والتفقد عن أحوالهم وأسبابهم، فعلى ذلك هذا.

ثم يحتمل أن يكون مِن كل صنف من الطير واحدٌ لا عددٌ حتى قال: **ما لي لا أرى الهدهد،** إذ لو كان عددا من الهَدَاهِد لقال: ما لي لا أرى هدهدا[5] من الهداهد، إلا أن يكون الذي فقده كان رئيسا لغيره من الهَداهِد وسيدهم.[6] فجائز أن يقال ذلك: **ما لي لا أرى الهدهد** من بين غيرهم، يغيب عن بصري ولا أدركه، **أم كان من الغائبين** منهم. فكأنه سأل واحدا منهم عن ذلك فأخبِر أنه من الغائبين فعند ذلك قال: **لأعذبنه عذابا شديدا**، الآية.

فقالت الباطنية في ذلك: إن سليمان لا يحتمل أن يعذِّب مَن ليس بمخاطب في شيء ولا يجري عليه القلم، فدل وعيده إياه من التعذيب والذبح أنه لم يكن هدهدا معروفا ولكن كان رجلا ممن يخاطَب ويُجرَى عليه القلم. وكذلك قالوا في النملة: إنه كان رجلا ممن يكون منه الكلام والفهم، وأما النملة المعروفة فلا يحتمل.

لكن الجواب لهم في ذلك أن الله خلق هذه الدواب والطير وغيرها من الأشياء لمنافع البشر ولحاجاتهم، فجائز تعذيبها وذبحها للردّ إلى منافعهم إذا امتنعت عن الانتفاع بها، على ما تؤدب الدواب وتعذب للرياضة والتعليم لردها إلى الانتفاع بها. أو يعذبه[7] لِما يَشغله عن ذكر الله

[1] سورة النمل، ٢٧/٣٩-٤٠.

[2] ع + له الحاجة إلى الماء أن لا يبلغ إلى الماء حتى يحتاج إلى أن يحفر له البئر فيستخرج منه الماء وما كان له من الشياطين والجن مسخرين له مذللين حتى قال واحد منهم أنا آتيك به يعني عرش بلقيس قبل أن تقوم من مقامك وقال الآخر أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فمن له سلطان وقوة على القدر الذي ذكر لا يحتمل أن يقع له الحاجة إلى الماء وإذا وقعت.

[3] وعبارة *الشرح* هكذا: «هذا بعيد مرة» (ورقة ٥٥٤و).

[4] م: ذكروهم.

[5] ر: هدهد.

[6] جميع النسخ: سيدهم.

[7] ر م: يعذب.

والقيام ببعض أموره على ما ذَكَر في آية أخرى حيث قال: إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ،[١] الآية، لِما شغلته[٢] عن ذكر ربه. فعلى ذلك جائز أن يكون تعذيب الهدهد على الوجوه التي ذكرنا.

ومن الناس من استدل بهذا على مخاطبة الطيور والدواب وغيرها وتكليفها بأمور كما يكلّف غيرها من الخلائق ويخاطب،[٣] واحتج على هذا بقوله: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ،[٤] أخبر أن الطير وغيره أمم أمثالنا. وقد أخبر في آية أخرى أنه لم تَخْلُ[٥] أمة عن أن يكون فيها نذير بقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ،[٦] الأمة التي هي أمثالنا من الإنس والجن، دليله قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[٧] وقوله: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،[٨] الآية ونحوه كثير. وقوله: إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ، ليس في الخطاب والتكليف ولكن في أشياء كثيرة.

*ثم العجب من أمر بلقيس أن كيف خفِي خبرها وأمرها على سليمان كلَّ ذلك الخفاء وكانت |٥٥٣و س ٣١ بقربٍ منه، وكانت ملكة جبارة ذات سلطان ومُلك، وكان يذهب في كل غُدُوّ مسيرةَ شهرٍ وفي كل رَواح كذلك، كيف لم يطّلع على أمرها وخبرها وكانت الجن والشياطين مسخرين له ومذلّلين[٩] يعملون له الأعمال الصعبة الشديدة ويطوفون في الآفاق والأفق، وكان هو بُعِث إلى الدعاء إلى توحيد الله، كيف خفي عليه أمرها وخبرها كلَّ هذا الخفاء حتى أخبره بذلك الهدهد؟ هذا واللهِ أمر عجيب! ومن عادة الملوك أيضا أنهم يطّلع بعضهم على أمور بعض ويعلم بأحواله.

لكن يُحتمل خفاء خبرها عليه لِما لا[١٠] يتجاسر كل أحد أن يكلمه في ذلك وأن يُعلِمه عن حالها وإن كان لا يَعلَم هو ذلك إلا بعد السؤال وطلب الخبر تعظيما له وإجلالا.

---

[١] سورة ص، ٣٨/٣١-٣٢.
[٢] ر م: شغله.
[٣] ر م - ويخاطب.
[٤] سورة الأنعام، ٦/٣٨.
[٥] ع: لم يخل.
[٦] سورة فاطر، ٣٥/٢٤.
[٧] سورة الذاريات، ٥١/٥٦.
[٨] سورة الأعراف، ٧/١٧٩.
[٩] ن: مذللين.
[١٠] ع - لا.

وهكذا الملوك ليس يتجاسر كل أحد على أن يخبره[1] عن كل أمر وخبر إلا بعد السؤال إياه تعظيما لهم وتوقيرا. فعلى ذلك أمر سليمان مع بلقيس. أو أن يكون لأمر وسبب لم يبلغنا ذلك ولم نشعر به.

[٥٥٣ظ] وقال بعض أهل التأويل / في قوله: **وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد**، إنما طلبه[2] وتفقّده لأن الطير قد تُظِلّه على رأسه من الشمس، فلما نظر إلى الطير وجد موضع الهدهد خاليا يقع عليه الشمس فعند ذلك قال: **مَا لِيَ لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين**. وقالوا في قوله: **لأعذبنه عذابا شديدا**، أي لأنتُفَنّ ريشه حتى تصيبه الشمس فذلك هو العذاب الشديد. لكن

[٥٥٣ظ س ٥] لا نفسر [ماهية] ذلك[3] العذاب الشديد الذي أوعده سليمان مخافةَ الكذب. ***والله أعلم***.*

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[٢٢] ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[٢٣]

وقوله: **فمكث غير بعيد**، أي لم يمكث طويلا حتى جاءه. وفي[5] حرف ابن مسعود: فمكث غير بعيد ثم جاءه. **فقال:**[6] **أحطت بما لم تُحِط به**، كأنه سأل: أين كنت؟ فقال عند ذلك له: **أحطت بما لم تُحِط به**. وفي حرف أبيّ: أحطت بما لم تُحِط به أنت ولا أحد من جنودك،[7] أي بلغت ما لم تبلغ أنت أو علِمت ما لم تعلم[ه][8] أنت ولا أحد من جنودك. ثم قال: **وجئتك من سبأ بنبإ يقين**، لا شك فيه، فكأنه سأله عن ذلك النبإ فقال عند ذلك –والله أعلم- **إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء**، أي أوتيت من كل شيء[9] يؤتَى الملوك على ما ذكرنا في قوله: وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.[10]

---

[1] جميع النسخ: عن أن يخبره.
[2] ر م: طلب.
[3] جميع النسخ: ما ذلك.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٣و/سطر ٣١-٥٥٣ظ/سطر ٥.
[5] ر: أو في.
[6] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٩.
[7] م – جنودك.
[8] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٥٢.
[9] ر م – أي أوتيت من كل شيء.
[10] سورة النمل، ١٦/٢٧. وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٥٣و/سطر ٣١-٥٥٣ظ/سطر ٥.

وقوله: **فمكث غير بعيد**، قال بعضهم: غير طويل. وجائز أن يكون **فمكث** وقتا يأتي في مثله من كان بعيدا،[1] لأنه إنما يعبّر عن المكان لا عن الوقت في الظاهر. **فقال أحطت بما لم تحط به**، كأنه يريد[2] المناصحة له والشفقة، يقول:[3] أتيتك من العلم والخبر ما لم تأتِ أنت ولا أحد من جنودك فكيف تعذبني؟ وفي حرف عبد الله [بن مسعود]: فتمكّث[4] غير بعيد ثم جاءه. قال أبو معاذ: مكَث بنصب الكاف ورفعها: مكُث، لغتان.

وقوله:[5] **وجئتك من سبإ بنبإ يقين**، قال بعضهم: حقٍ لا شك فيه، أي عند هدهد. وأما عند سليمان فلا.[6] ألا[7] ترى[8] أن سليمان قال له: سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ،[9] وقف في خبره لينظر أصِدق ما يقول أم كَذِب. وقال بعضهم: **بنبإ يقين**، أي عجيب.

ثم اختلف في قوله **من سبإ بنبإ**، قال بعضهم: **سبأ** اسم رجل تنسب[10] القرية إليه. وقال[11] بعضهم: اسم بلدة. وقال أبو عَوْسَجة: سبأ أبو اليمن. فمن جعلها اسم بلدة لم يَجُرّ[12] ومن جعلها اسم رجل جرّ.[13] *والله أعلم*.

وقوله:[14] **إني وجدت امرأة تملكهم**، كأنه[15] على الإضمار، أي وجدت امرأة[16] تملك أهل سبإ، ألا ترى[17] أنه قال في آخره: وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ،[18] ذِكر القوم في آخر الآية دل أن الأهل كان مضمرا فيه.

---

[1] جميع النسخ: بعيد.
[2] ر ع م: يريه.
[3] ر م: بقوله.
[4] ر: فمكث. *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٩.
[5] ن: قوله.
[6] أي فلا يفيد الإيقان.
[7] ر: لا.
[8] ن: يري.
[9] سورة النمل، ٢٧/٢٧.
[10] جميع النسخ: ينسب.
[11] ع: قال.
[12] أي يجعلها غير منصرفة.
[13] ر ع م: جره.
[14] ن: قوله.
[15] ر م: كأنهم.
[16] ر ع م + تملكهم أي.
[17] ن: يري.
[18] الآية التالية.

وقوله:[1] **وأُوتِيتْ من كل شيء**، أي أوتيت من كل شيء، كما يؤتى الملوك من الذكور من الأسباب والهيئة[2] والهيبة[3] وغير ذلك. وقال بعضهم: **وأوتيت من كل شيء** في بلادها.

ولها عرش عظيم، قال أهل التأويل: أي لها سرير حسن عظيم[4] ضَخمٌ كذا كذا ذراعا طوله، وكذا كذا ذراعا عرضه. وجائز أن يكون العرش كناية عن المُلك كأنه قال: **ولها عرش عظيم**، أي مُلك عظيم.

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[٢٤]

وقوله:[5] **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله**، قال هذا لِعِظَم[6] ما وقع عند الهدهد من السجود لغير الله ليُعلم أن الطير وغيرها من البهائم يعرفون الله ويوحّدونه، وهو كقوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ.[7]

ثم قوله: **يسجدون للشمس من دون الله**، أي[8] يعبدون الشمس من دون الله.[9] وجائز: يطيعون للشمس ويخضعون لها[10] من دون الله.

وقوله:[11] **وزين لهم الشيطان أعمالهم**، أي زين لهم الشيطان أعمالهم[12] الخبيثة السيئة حتى رأوها حسنة، **فصدهم عن السبيل**، وهو سبيل الله، لأن السبيل المطلق هو سبيل الله وهو الإسلام، والكتاب المطلق كتاب الله.

---

[1] ن: قوله.
[2] ع – والهيئة.
[3] م: والهيبة والهيئة؛ ع – والهيئة.
[4] ع: عظم.
[5] ن: قوله.
[6] ع م: العظم.
[7] ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٤٤).
[8] ر م – أي.
[9] ر + أي يعبدون الشمس من دون الله.
[10] ر ع م: ويخضعونها.
[11] ن: قوله.
[12] ر ع م – أي زين لهم الشيطان أعمالهم.

وقوله:[١] **فهم لا يهتدون**، فإن كان هذا القول من هدهد فتأويله:[٢] فصدهم عن السبيل فهم[٣] غير مهتدين، لأنه لا يحتمل أن يعرف أنهم لا يهتدون في حادث الوقت. وإن كان من الله فهو إخبار أنهم لا يهتدون أبدا لما علم أنهم لا يهتدون. *والله أعلم*.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[٢٥]

وقوله:[٤] **ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخَبْءَ**، اختلف في تلاوته وتأويله[٥] بالتخفيف والتشديد؛ فمن قرأ بالتشديد ألّا يسجدوا، فهو يخرج على وجهين. أحدهما على طرح "لا" كأنه يقول: **فهم لا يهتدون** أن يسجدوا، أي هم لا يهتدون أن يسجدوا. والثاني صلة قوله: **فصدهم عن السبيل**، لئلا يسجدوا. ومن[٦] قرأ بالتخفيف فهو يخرج على الأمر، أي أَلَا فاسجدوا لله. وقال بعضهم: "ألا" بالتخفيف: هلا يسجدوا لله، وكذلك ذُكر[٧] في حرف ابن مسعود أنه قرأ: هلا يسجدوا لله،[٨] وهو حجة مَن[٩] قرأ بالتخفيف. وفي حرف أبيّ: أَلَا تسجدوا لله،[١٠] بالتاء على المخاطبة[١١] إلى قوله: **ويعلم ما تسرون وما تعلنون**.[١٢] وذكر في حرف حفصة: ألّا تسجدون بـ[ثبوت] النون.[١٣] قال الكسائي: ومن شدّد "ألّا" فتأويله: زين لهم الشيطان أنْ لا يسجدوا، على ما ذكرنا. وأما التخفيف فهو على وجه الأمر، أي اسجدوا، و"أَلَا" صلة، و[كذلك حرف][١٤] "يا" صلة أيضا.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر ع م: وتأويله.
[٣] ر: منهم.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر ع م - وتأويله.
[٦] ر ع م: من.
[٧] ع - ذكر.
[٨] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٦٩.
[٩] ع: ومن.
[١٠] ر م - لله.
[١١] ع: على المخالطة.
[١٢] *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٥٣.
[١٣] لم أعثر على هذا الحرف في قراءة حفصة؛ انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٢١٢-٢١٤.
[١٤] التصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٥ظ.

﴿اِذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[٢٨]

ثم قال له: **اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليهم**، لا يحتمل أن يكون سليمان أمَر الهدهد بذهاب الكتاب إليها ويُوَلِّيه تبليغ ذلك إليها وهو أعظم من خبره الذي أخبره بذلك [إلا] بعد ما وقف في خبره[١] قبل أن يتبيّن ويظهر له صدقه في خبره. فدل توليته إياه بتبليغ[٢] الكتاب إليها أنه قد ظهر له صدقه فيما أخبره من أمر تلك المرأة؛ إما بوحي من الله تعالى إليه أو [بما] انتهى[٣] إليه من الخبر ما قد علِم بذلك علْم يقينٍ وإحاطة. فعند ذلك ولّاه بتبليغ[٤] الكتاب إليه حيث قال له: **اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليهم ثم تَوَلَّ عنهم فانْظر ماذا يرجعون.**

وقوله: **ثم تَوَلَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون**، يحتمل وجهين. أحدهما ألقِ الكتاب إليهم **ثم تَوَلَّ**، أي استتِرْ[٥] واختَفِ عنهم فانظر ماذا يقولون وماذا يردّون[٦] فيما بينهم من الكلام والجواب.[٧] والثاني على التقديم والتأخير كأنه قال: ألقِ الكتاب إليهم فانْظرْ ماذا يرجعون من الجواب، ثم تَوَلَّ عنهم، أي أعرض عنهم. ففعل ما قال له سليمان من إلقاء الكتاب إليها وإن لم يذكر في الآية حيث قالت:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[٢٩]

يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم، فكأنهم قالوا: ممن ذلك الكتاب؟ فقالت عند ذلك: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ.[٨] وقوله: **كتاب كريم**، قال بعضهم: أي[٩] حسَن، لما[١٠] رأت فيه من الكلام الحسن والقول اللطيف. وقال بعضهم: **كتاب كريم**، أي مختوم. وقد ذكر[١١] في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «مِن كَرَم الكتابِ ختمُه»[١٢] أو كلام

---

[١] م: في خبر.
[٢] ر ع م: تبليغ.
[٣] ر ع م: وانتها.
[٤] ر ع م: تبليغ.
[٥] ع: استتروا.
[٦] م: وما يردون.
[٧] ن - والجواب.
[٨] الآية التالية.
[٩] م - أي.
[١٠] ع: ما.
[١١] ع - ذكر.
[١٢] *المعجم الأوسط* للطبراني، ١٦٢/٤؛ و*مسند الشهاب* للقضاعي، ١٥٨/١.

﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[٢٨]

ثم قال له: **اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليهم**، لا يحتمل أن يكون سليمان أمَر الهدهد بذهاب الكتاب إليها ويُوَلِّيه تبليغ ذلك إليها وهو أعظم من خبره الذي أخبره بذلك [إلا] بعد ما وقف في خبره[١] قبل أن يتبيّن ويظهر له صدقه في خبره. فدل توليته إياه بتبليغ[٢] الكتاب إليها أنه قد ظهر له صدقه فيما أخبره من أمر تلك المرأة؛ إما بوحي من الله تعالى إليه أو [بما] انتهى[٣] إليه من الخبر ما قد علِم بذلك علْم يقينٍ وإحاطة. فعند ذلك ولّاه بتبليغ[٤] الكتاب إليه حيث قال له: **اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليهم ثم تَوَلَّ عنهم فانْظر ماذا يرجعون.**

وقوله: **ثم تَوَلَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون**، يحتمل وجهين. أحدهما ألقِ الكتاب إليهم **ثم تَوَلَّ**، أي استتِرْ[٥] واختَفِ عنهم فانظر ماذا يقولون وماذا يردّون[٦] فيما بينهم من الكلام والجواب.[٧] والثاني على التقديم والتأخير كأنه قال: ألقِ الكتاب إليهم فانْظرْ ماذا يرجعون من الجواب، ثم تَوَلَّ عنهم، أي أعرض عنهم. ففعل ما قال له سليمان من إلقاء الكتاب إليها وإن لم يذكر في الآية حيث قالت:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[٢٩]

يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم، فكأنهم قالوا: ممن ذلك الكتاب؟ فقالت عند ذلك: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ.[٨] وقوله: **كتاب كريم**، قال بعضهم: أي[٩] حسَن، لما[١٠] رأت فيه من الكلام الحسن والقول اللطيف. وقال بعضهم: **كتاب كريم**، أي مختوم. وقد ذكر[١١] في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «مِن كَرَمِ الكتابِ ختمُه»[١٢] أو كلام

---

[١] م: في خبر.
[٢] ر ع م: تبليغ.
[٣] ر ع م: وانتها.
[٤] ر ع م: تبليغ.
[٥] ع: استتروا.
[٦] م: وما يردون.
[٧] ن - والجواب.
[٨] الآية التالية.
[٩] م - أي.
[١٠] ع: ما.
[١١] ع - ذكر.
[١٢] *المعجم الأوسط* للطبراني، ٤/١٦٢؛ و*مسند الشهاب* للقضاعي، ١/١٥٨.

نحو هذا أو شبهه.[١] وجائز أن يكون فيه إضمار، أي: إني ألقي إليّ كتاب من إنسان كريم، وسليمان كان معروفا بالكرم. يشبه أن يكون قد أتاها خبرُ كَرَمِه. و[أما] الملأ قيل:[٢] هم الأشراف وأهل السؤدد. وقال الزجاج: سُمُّوا [الملأ][٣] لما اجتمع عندهم من حاجات الناس وحُسْن الرأي والتدبير في كل شيء من الأمور،[٤] أو كلام نحو هذا.[٥]

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٣٠] ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٣١]

وقوله: **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم**، هو ما ذكرنا، كأنهم سألوها ممن ذلك الكتاب؟ فقالت: **إنه من سليمان**. وسألوها أيضا ما في ذلك الكتاب؟ فقالت: **وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألّا تعلوا علي وأتوني مسلمين**. قوله: **ألّا تعلوا عليّ**، أي لا تستكبروا[٦] ولا تتعظّموا عليّ **وأتوني مسلمين**، مخلصين لله بالتوحيد، أي اجعلوا أنفسكم سالمة لله خالصة له، لا تجعلوا[٧] لأحد سواه فيها شركا[٨] ولا حقا؛ لأنه أخبر أنهم كانوا يسجدون[٩] للشمس من دون الله، فيخبر في الكتاب حيث افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم، أي[١٠] الذي يستحق السجود والعبادة هو الله الرحمن الرحيم، لا ما تعبدون أنتم.

ثم إن مِن[١١] عادة الأنبياء والرسل الإيجازَ في الكلام والرسائل، لا يشتغلون بفضول الكلام وتطويله على ما ذُكر من كتاب سليمان إلى بلقيس: **بسم الله الرحمن الرحيم، ألّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين**، ذكر أن هذا القدرَ كان الكتاب.[١٢] ***والله أعلم***.

[١] ن ع: شبيهه.
[٢] جميع النسخ: قالوا.
[٣] الزيادات والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٥ظ.
[٤] ن + فيهم.
[٥] *معاني القرآن* للزجاج، ٥/١٢٨.
[٦] ر: لتكبروا.
[٧] ع − لا تجعلوا.
[٨] ن: شركاء.
[٩] ع + لله خالصة له لا تجعلوا لأحد سواه فيها شركا ولا حقا لأنه أخبر أنهم كانوا يسجدون.
[١٠] جميع النسخ: أن؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٥ظ.
[١١] ر ع: ثم من إن− ن − من.
[١٢] أي إن الكتاب الذي أرسله إلي بلقيس كان عبارة عن هذا الخطاب الوجيز و لم يحتو على شيء آخر.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾[٣٢]

وقوله:[١] **قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون**، استشارت أشراف قومها وطلبت منهم الرأي في ذلك. وهكذا عمَلُ الملوك وعادتهم أنهم إذا أرادوا أمرا أو استقبلهم أمر[٢] يستشيرون[٣] أولي الرأي من قومهم وأهلَ الحِجا[٤] والتدبير منهم. ثم يعملون بما يعملون[٥] بتدبير يكون لهم وما يرون ذلك صوابا. وعلى ذلك أَمَر الله رسوله[٦] أن يشاور أصحابه بقوله: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ،[٧] ثم أمره إذا عزم على الأمر أن يتوكل على الله في ذلك وأن يكِل أمره إليه. وقوله: **حتى تشهدونِ**، يحتمل وجهين. يحتمل[٨] ما كنت قاطعة أمرا حتى تحضروني، أو ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أنه صواب وأنه[٩] حق. فأجابوها فيما طلبت منهم الرأيَ والتدبير في ذلك فقالوا:

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[٣٣]

نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد، أي نحن أولوا قوة في أنفسنا وأولو بأس، أي حرب وقتال شديد، أي لنا معرفة في ذلك. ومع ما قالوا [من قول] وَكَلُوا الأمر إليها حيث قالوا: **والأمر إليكِ فانظري ماذا تأمرين**. وهكذا الواجب على وزراء الملوك والرعية أنهم إذا استشاروهم في أمر أن يدلّوهم على الأصوب والأحسن[١٠] لهم ثم يكِلوا الأمر إليهم. وقصة سليمان صلوات الله عليه مع ما فيها من العجائب والآداب ففيها معرفة سياسة الملوك وتعليم[١١] آدابهم. من ذلك ما قال سليمان: فَهُمْ يُوزَعُونَ،[١٢] ومن ذلك قوله: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ،[١٣] الآية،

[١] ن: قوله.
[٢] ع: واستقبلهم أمر. أي نزل بهم أمر.
[٣] ع – أمر يستشيرون.
[٤] جميع النسخ: الحجى.
[٥] ر ع م – بما يعملون.
[٦] ع: ورسوله.
[٧] ﴿فبِما رحمةٍ من الله لِنتَ لهم ولو كنت فَظًّا غليظَ القلب لَانْفَضُّوا من حولك فاعْفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ (سورة آل عمران، ٣/ ١٥٩).
[٨] ر ع م – يحتمل.
[٩] ر ع م – وأنه.
[١٠] ر م: والحسن.
[١١] ر ع م: وتعلم.
[١٢] سورة النمل، ١٧/٢٧.
[١٣] سورة النمل، ٢٠/٢٧.

[٥٥٤ظ] وقوله: / لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا.[1] ومن ذلك[2] استشارة بلقيسَ أشرافَ قومها[3] في ذلك وجوابات قومها لها وإخبارها إياهم من طبع الملوك وعاداتهم من الإفساد والقتل والإذلال حيث [قالت:]

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٣٤]

إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّةَ أهلها أذلة وكذلك يفعلون. قال أهل التأويل: هذه شهادة من الله لها بما قالت والتصديق لها فيما أخبرت أنهم كذلك يفعلون بكبرائهم.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[٣٥]

ثم قال: **وإني مرسلة إليهم بهدية فناظِرَةٌ بِمَ يرجع المرسلون**. ذكر أنها قالت: إن لي في هذا رأيا؛ فإنْ يَكُ صاحب دُنْيا فعسى أن نُرضيه بالمال فيسكت عنا[4] ويكفّ شرّه، وإن يكن نبيا فلا يقبل ذلك منا وسنعرف.[5] فعملت ذلك[6] وأرسلت إليه بهدايا فلم يقبلها سليمان فعرفت أنه نبي. وهذا كان منها تدبيرا وحُسنَ رأيٍ[7] في الأمر واحتيالا[8] [حيث] وقفت[9] في ذلك [و] لم تشتغل[10] بالحرب والقتال على[11] ما أشار إليها[12] قومها. وقال ابن عباس: قالت بلقيس لما أتاها كتاب سليمان واستشارت قومها في ذلك وطلبت فُتْياهم فأَفتوا لها بما أفتوا قالت: أَبعثُ إليه بهدية فإن قبِلها فهو ملِك فأحاربه وإن لم يقبلها فهو نبي أُتابعه.[13]

[1] سورة النمل، ٢٧/٢١.
[2] م: أو من ذلك.
[3] ن: قومه.
[4] جميع النسخ: عنها؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[5] جميع النسخ: وسيعرف؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[6] ن + برأيه.
[7] جميع النسخ: الرأي.
[8] ر: واحيالا؛ م: واحتيالا.
[9] جميع النسخ: وفقت؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[10] ع: لم يشتغل.
[11] ع + على.
[12] ر ع م: لها.
[13] *تفسير الطبري*، ١٩/١٥٥-١٥٦.

قال أبو عَوْسَجة: **فناظرة،**[١] [هو من:] أنظَرتُه نِظْرَة، أي أمهلته. والنِّظرة في الدَّين خاصة، والإنظار[٢] [مطلق].[٣]

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[٣٦]

وقوله:[٤] **فلما جاء سليمانَ،** يحتمل[٥] الرسولَ الذي بعثته[٦] بلقيس بالهدية.[٧] ويحتمل **فلما جاء سليمانَ** المال الذي بعثت إليه، يحتمل [أن يكون][٨] ذا أو ذا.

وقوله:[٩] **قال أتمدونن بمال،** أي أتعطونني بمال. وقال أهل الأدب: **أتمدونَنِ بمال،** من المدد، والمددُ[١٠] الزيادة كما يُمَدّ القوم[١١] فيكون[١٢] الإعطاء، كقوله: وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ،[١٣] ويحتمل هذه الزيادة. *والله أعلم.*

وقوله:[١٤] **فما آتاني الله خير مما آتاكم،** أي ما آتاني الله من النبوة والعلم والحكمة خير **مما آتاكم،** من الأموال. ويحتمل: **فما آتاني الله،** فَأُوتيكم إذا أتيتموني مسلمين **خير مما آتاكم،** إذا[١٥] لم تأتوني[١٦] [مسلمين][١٧] وأبيتم[١٨] الإسلام، أو كلام نحو هذا. وقال بعض أهل التأويل:

---

[١] جميع النسخ + قال.
[٢] جميع النسخ: وهو الإنظار.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[٤] ن: قوله.
[٥] جميع النسخ - يحتمل.
[٦] ر م: بعث؛ ن ع: بعثت.
[٧] جميع النسخ: الهدية.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر - والمدد.
[١١] ن + القوم.
[١٢] جميع النسخ: ويكون؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[١٣] سورة الطور، ٥٢/٢٢.
[١٤] ن: قوله.
[١٥] ر م: إذ.
[١٦] ر م: تؤتوني.
[١٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[١٨] ر ع م: وأوتيتم.

فما آتاني الله من الملك، **خير مما آتاكم**، من الملك، لأنه سخر له الجن والإنس والشياطين والطيور والرياح وجميع الأشياء، فذلك خير له[1] وأعظم من ملكها. والأول أشبه وأقرب، إذ لا يُحتمل أن يفتخر سليمان بملكه على غيره، إنما يكون افتخاره بالدين والنبوة. *والله أعلم*.

وقوله: **بل أنتم بهديتكم تفرحون**، قال بعضهم: **بل أنتم بهديتكم تفرحون**، إذا رُدّت إليكم. لكن هذا بعيد [لأن المُهدِي][2] لا يفرح[3] برد الهدية إذا ردت عليه و لم تقبل، بل يحزن[4] على ذلك ويهتم.[5] لكنه يقول -والله أعلم- **بل أنتم** أولى بالفرح بالمال والهدايا منا، إذ مرادكم المال والدنيا ومرادنا الدين والدار الآخرة، أو كلام نحو هذا. والله أعلم بذلك.

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٣٧]

وقوله:[6] **ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قِبَلَ لهم بها**، قال ذلك -والله أعلم- للرسول الذي أتاه بالهدية: **ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قِبَلَ لهم بها**،[7] أي لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بها إن لم يأتوني مسلمين، **ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون**، إن لم يأتوني مسلمين.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٣٨]

ثم قال سليمان عليه السلام: **يا أيها الملأ**، إنما خاطب به أشراف قومه. وهكذا العادة في الملوك أنهم إذا خاطبوا أحدا بشيء إنما يخاطبون أهل الشرف والمنزلة منهم. **أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين**، قال بعض أهل التأويل: إنما قال هذا لأنه علم نبي الله أنهم متى ما[8] أسلموا يَحرُم أموالهم مع دمائهم، فأحب أن يؤتَى به قبل أن يكون ذلك من أمرهم وقبل أن يحرم ذلك[9] عليه. لكن[10] هذا محال بعيد وَحْشٌ من القول، لا يُحتمل أن يكون رغبة سليمان في الأموال؛

---

[1] م: له.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[3] ر ع م: تفرح.
[4] ع: بل الحرب؛ ن: بل يجوز؛ م: بالحرب.
[5] جميع النسخ: وتهتم.
[6] ن: قوله.
[7] ن – قال ذلك والله أعلم للرسول الذي آتاه بالهدية ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها، صح.
[8] ر: متما؛ ن ع: متيما.
[9] ر ع م – من أمرهم وقبل أن يحرم ذلك.
[10] ع: لكن.

[و]هذا الذي ذَكَر بعد ما رد هداياها إليها وأخبر[هم قائلا:] إنكم تفرحون بها لأنكم أهل الدنيا،[١] إذ رغبة أهل الدنيا في الأموال، ونحن أهل الذين رغبتنا في الدين، به نفرح، ثم يستعجل [صلوات الله عليه][٢] كلّ هذا الاستعجال رغبةً في مالها وعرشها. لكنه -والله أعلم- يخرج على وجهين. أحدهما أنه أراد أن يريهم قوته وسلطانه بأن[٣] يرفع واحدٌ من جنوده عرشَها مع عِظَمه بمعاينة منهم ومشاهدة وحَمْلِه من بينهم، ليعلموا أن من قدَر على هذا لَقادر أن يأتيهم بجنود لا طاقة لهم بها[٤] تصديقا لما قال: فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا،[٥] و[أنه][٦] يقدر على قهرهم وغلبتهم.

والثاني أراد أن يريهم آية من آيات نبوته إذا أتوه[٧] ليعلموا أنه نبيّ ليس بملِك. وهذا التأويل الذي ذكرنا آية لكنه قبل أن يأتوهم [مسلمين] ليعلموا أنه نبي ليس بملك.

وقوله: **قبل أن يأتوني مسلمين**، أي مصالحين، وذلك جائز في اللغة.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[٣٩]

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[٤٠]

وقوله: **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك**، قال بعضهم: مقامه[٨] مجلسه الذي كان يقضى فيه إلى أن يفرغ من قضائه حتى يُؤتَى به. **وإني عليه لقوي أمين**، لأن الجن أقوى من الإنس. وصف نفسه بالأمانة لأن الجن لا يرغبون في[٩] الأموال [ك]ما يرغب الإنس. وقال بعضهم: أمين على فرج تلك المرأة،[١٠] [و]مقامه مجلس الرجل يكون فيه حتى يقوم. ولكن لا ندري ما أراد بمقامه / الذي ذكر. [٥٥٥و]

[١] جميع النسخ: دنيا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[٢] جميع النسخ: ويستعجل؛ والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[٣] جميع النسخ: أن.
[٤] ر م - بها.
[٥] الآية السابقة.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[٧] جميع النسخ + قبل أن يأتوني مسلمين.
[٨] ن: مقام.
[٩] ر ع م - في.
[١٠] هذا القول منسوب إلى ابن عباس، انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٠٤/١٣؛ وورد غير منسوب إلى أحد في *تفسير الطبري*، ١٦٢/١٩.

[٥٥٥ظ س١٧ *قال القُتَبي: **عفريت**، أي شديد وثيق. وأصله عِفْرٌ[1] زيدت التاء فيه، يقال: عِفريت نِفريت وعِفرِية نِفرِيَة،[2] وعُفارِيَة [ولم يسمع بـ]نُفارية.[3] وقال أبو عَوْسَجة: العفريت الخبيث المارد، ٥٥٥ظ س١٩] وعفاريت جميع.*

وقال بعضهم أراد سليمان أن يكون أعجل من ذلك **فقال الذي عنده علم من الكتاب** -ذكر أنه كان رجلا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب- **أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك.** ثم اختلف[5] [في] ارتداد طرفه؛ قال بعضهم: هو أن يبعث رسولا إلى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به. وقال بعضهم: هو الرجل ينظر إلى الشيء البعيد قبل أن يرجع إليه طرفه.

فلما رآه مستقرا عنده، قال بعضهم: دخل في نَفَق من[6] الأرض فخرج بين يدَيْ سليمان، يعني العرش، كأنه -والله أعلم- أتاه إذا دعاه بذلك الاسم من غير أن تكلّف هو حمله أو إتيانَه به.[7] فهذا يدل أن الآيات قد تجري على غير أيدي الرسل، لكن تكون[8] الآية للرسول وإن كانت تجري على أيدي[9] غيرهم.

ثم قال:[10] **هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر**، قال بعضهم: واللهِ ما جعله فخرا ولا أَشَرا ولا بَطَرا لكنه[11] جعله شكرا وتواضعا. [و]قال بعضهم: لما دعا ذلك الرجل بذلك[12] الاسم فرآه مستقرا عنده وقع في قلب سليمان شيء وخطر بباله أنّى يكون رجل عنده علم ما ليس عنده[13] من العلم؟[14] فعزم الله له على الخير وقيل له: إنه[15] ممن خوّلك الله.

---

[1] جميع النسخ: العفر.
[2] ر ع م: وعفريت ونفريت؛ ن: وعفريت نفريت.
[3] جميع النسخ: وعفاريت نفاريت. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٤؛ والتصحيح من هذا المرجع.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٥ظ /سطر ١٧-١٩.
[5] ر ع م + ثم اختلف فيه أي في.
[6] ر ع م – من.
[7] ر ع م – به.
[8] ن: يكون.
[9] ن – أيدي.
[10] ع + هذا.
[11] ن ع: ولكنه.
[12] م – بذلك.
[13] أي علم غير الذي عنده.
[14] جميع النسخ + قال؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢٧و.
[15] ع – إنه.

فقال سليمان: **هذا من فضل ربي،**[١] يقول: حيث[٢] أعطى ذلك الرجل ما لم يعطني[٣] ليبلوني أأشكر، إذا[٤] كان مثله تحت يدي أم أكفر. لكن لا يحتمل أن يشكر الله على ما أعطى غيره. ثم يحتمل قوله: **هذا من فضل ربي،** إتيانه أولئك مسلمين، أو النبوةَ والعلم الذي آتاه الله [فـ]قال: ذلك من فضل ربي، أراد تسخير ما سَخَّر له. **ليبلوني أأشكر أم أكفر،** أي ليمتحنني أأشكر أم أكفر، **ومن شكر فإنما يشكر لنفسه،** ليُعلم[٥] أنه إنما يمتحن بالشكر ويأمره به لا لمنفعة نفسه[٦] ولكن لمنفعة الممتحَن المأمور به.

وقوله: **فإن ربي غني كريم، غني** عن شكره **كريم** يقبل القليل منه واليسير.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾[٤١]

وقوله: **قال نكِروا لها عرشها،** قال أهل التأويل:[٧] **نكِروا،** أي غيّروا[٨] لها عرشها، كأنه أمر أن يغيروا بعض ما عليه من الزيادة والنقصان ليمتحنها أتعرف[٩] أنه[١٠] عرشها أم لا. والمُنكَّر هو الذي لا يعرَف، كقوله: قَوْمٌ مُنْكَرُونَ،[١١] وقوله: نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً،[١٢] أي لم يعرفهم. وقوله: **نكروا لها عرشها،** كأنْ يجيء أن يقال: نكروا عرشها، وتكون[١٣] "لها" زائدة. إلا أن يقال: نكروا لها، أي نكروا لأجلها عرشها، وهذا يشبه أن يكون.

[١] «وقع في قلب سليمان عليه السلام شيء أن يكون رجل عنده من العلم ما لم يكن عنده فعزم الله تعالى له على الخير بما أوقع في قلبه بأن هذا الرجل ممن خوّلك الله، أي جعله من خوَلك وخدمك، فقال سليمان: هذا من فضل ربي.» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥٦ظ).
[٢] جميع النسخ: ما.
[٣] ن: لم يعطي.
[٤] ر ع ن: إذ.
[٥] ع – ليعلم.
[٦] م – نفسه.
[٧] ن – قال أهل التأويل.
[٨] ع: غروا.
[٩] جميع النسخ: وتعرف؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦ظ.
[١٠] ر ع م: أنها.
[١١] ﴿هل أتاك حديث ضيفِ إبراهيم المكرَمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٢٤-٢٥).
[١٢] ﴿فلما رأى أيديَهم لا تَصِل إليه نكِرهم وأوجس منهم خِيفة﴾ (سورة هود، ١١/٧٠).
[١٣] جميع النسخ: ويكون.

وقوله: **نَنظرْ أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون**. وقال أهل التأويل: أتهتدي أنه عرشها أو لا تهتدي إليه. وجائز أن يكون قوله: **ننظر أتهتدي**، إلى دين الله وتوحيده **أم تكون من الذين لا يهتدون** إلى دين الله.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[٤٢]

وقوله: **فلما جاءت قيل أهكذا عرشكِ قالت كأنه هو**، قال بعضهم: شَبَّهت هي عليهم ولَبَّست أمره كما فعلوا هم[١] بها من تغيير عرشها عليها وتلبيسه عليها.[٢] لكن قولها: **كأنه هو**، لم تقطع[٣] فيه القول لما رأت فيه من التغيير[٤] والتنكير ورأت فيه شِبه[٥] سريرها[٦] [و]وقفت فيه. ودل قوله: **فلما جاءت قيل أهكذا عرشك**، أن العرش لم يُحمَل وهي[٧] نائمة[٨] على ما قاله بعض[٩] أهل التأويل: إنه حُمل دونها مِن قبلُ ثم[١٠] جاءتهم[١١] بعد ذلك. ***والله أعلم***. ألا ترى أنه لو أمرهم أن يغيروا عرشها وهي عليه لم تشعر به، هذا بعيد. ***والله أعلم بذلك***.

وقوله: **وأُوتينا العلمَ من قبلها وكنا مسلمين**، إن كان هذا القول من سليمان فكأنه يقول: قد أوتينا العلم من قبل علمها[١٢] به أنه عرشها ولنا غُنيَة عن السؤال لها عنه لكن نسألها مستخبرين عن ذلك ممتحنين لها. وقوله:[١٣] **وكنا مسلمين**، أي صرنا[١٤] مسلمين جميعا. أو أن[١٥] يكون هذا صلة قوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا،[١٦] فهذا العلم الذي قال:

---

[١] ر م: كما فعلوهم.
[٢] ع + وتلبيسه عليها.
[٣] ر ع م: لم يقطع.
[٤] جميع النسخ: من الغير.
[٥] ر ع م – شبه.
[٦] ر: سرورها؛ م: سررها.
[٧] ن: وهو.
[٨] م: قائمة.
[٩] ع – بعض.
[١٠] ع: ما.
[١١] ر ع م: جاءت.
[١٢] م: علمنا.
[١٣] ن: قوله.
[١٤] م: صيرنا.
[١٥] ر م: وأن.
[١٦] سورة النمل، ١٥/٢٧.

وأوتينا العلمَ من قبلها وكنا مسلمين، وإلا في الظاهر ليس هذا صلة ما تقدم من قوله: **قالت كأنه هو**. *والله أعلم*.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[٤٣]

وقوله:[١] **وصدها ما كانت تعبد من دون الله**، قال بعضهم: صدّها عبادتها الشمس والأصنام التي عبدوها دون الله عن الإسلام وعبادةِ الله. وقال بعضهم: وصدها سليمان عن عبادتها كانت تعبد من دون الله لأنه ذُكر أنها أسلمت.

*وقال: **صدها**، أي ردّها ومنَعها.* [٥٥٥ظ س١٩]

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٤]

وقوله:[٣] **قيل لها ادخلي الصرح**، قال بعضهم: الصرح صَحن[٤] الدار وهو قول الزجاج.[٥] وقال القُتَبي وأبو عَوْسَجة وأكثر أهل التأويل: الصرح هو القصر.[٦] ثم لا ندري ما سبب بناء ذلك الصرح وما سبب أمره إياها بالدخول فيه وكشفها عن ساقَيها.[٧] أما أهل التأويل فإنهم قد اختلفوا في ذلك، قال بعضهم: قالت الجن لما أقبلت بلقيس: لقد لقينا[٨] من سليمان ما لقينا من التعب، فلو اجتمع سليمان وهذه المرأة وما عندها من العلم لهلكنا. وكانت أمّ هذه المرأة جنِيّة، فقالوا: تعالوا نبغضها[٩] ونُكَرِّهها[١٠] إلى سليمان. فقيل لسليمان: / إن رجليها[١١] مثل حافر الدواب، لأن أمها كانت جنِيّة. فأمر سليمان عند ذلك فبُني[١٢] له بيت من قوارير فوق الماء [٥٥٥ظ]

---

[١] ن: قوله.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٥ظ /سطر ١٧-١٩.

[٣] ن: قوله.

[٤] جميع النسخ: حصن؛ والتصحيح من الزجاج، ١٢٨/٥.

[٥] *معاني القرآن* للزجاج، ١٢٨/٥.

[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٥.

[٧] ن: عن ساقها.

[٨] ر ع م: أتينا.

[٩] ر م: ننقضها.

[١٠] ر ع م: ونكرها.

[١١] ر م: رجلها.

[١٢] ن: فبيني.

وأرسل فيه السمك لتحسب [بلقيس] أنه ماء[1] فتكشف عن رجليها فينظرَ سليمان أصدقت الجن أم كذبت. **فلما رأته حسبته** الماء **وكشفت عن ساقيها**، فنظر إليها سليمان فإذا هي أحسن الناس قدمين وساقين. فلما رأت الجن أن سليمان رأى ساقيها قالت الجن [لبلقيس:] لا تكشفي عن ساقَيك **إنه صرح ممرد من قوارير**. وقال بعضهم: لا، ولكن ذُكر لسليمان أنَ على ساقَيها شعَرا وأنهما شَعْراوان، فأمر بذلك ليعرف ذلك. وقال[2] بعضهم: لا، ولكن خافت الجن عند ذلك أن يتزوجها سليمان فتُفشي إليه أشياء كانوا أَطْلعوها[3] عليه وأفشَوا إليها. فأرادوا أن يُكرِّهوها إليه فطعنوها بعيوب في عقلها ونفسها[4] فقالوا: يا نبي الله ألا نريك عقلها فإنّ في عقلها شيئا؟ قال: بلى، فجاءت الجن بماء فأجرَوه فتركوه لجة، ثم جاءوا بالسمك والضفادع فأرسلوها في الماء ثم جيء بها إلى ذلك الماء. **فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها**، فقالوا لسليمان: إن في عقلها آفة، ألا ترى أنها لا تعرف الصرح من الماء ولا تميز بينهما، أو نحو هذا من الكلام. لكن لا نعلم ما سبب ذلك ولا يُحتمل أن يكون سليمان يحتال هذه الحيلة[5] لينظر إلى ساقيها[6] وهي أجنبية.

ثم جائز أن يكون لغير ذلك: أراد أن يُرِيها آية من آيات نبوّته حيث اتخذ صرحا مُمَرَّدا من قوارير يُرَى أنه ماء[7] لِلَطافته، وذلك خارج عن تدبير البشر لتعلم هي أن ذلك تدبير السماء لا تدبير البشر. أو أن يكون أراد بذلك -والله أعلم- أن يريها عِظَم مُلكه وسلطانه لتعلم أنه يفعل ما يشاء قادر على ذلك، لا ينفعها سوى الطاعة له والإجابة والخضوع لله والإسلام له. فعند ذلك، **قالت ربِ إني ظلمت نفسي**، فيما عبدت دون الله، **وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**، أي أخلصت وأسلمت نفسي لله رب العالمين.*

وقال [القُتَبي]: الصرح القصر، والصروح جميع. **ولُجَّةً**: الماء المجتمع الكثير. وقال: المرد هو[9] المُمَلَّس بالطين أو بالجصّ أو بما كان. وقال غيره: المُمَرَّد الطويل. وقال القُتَبي:

---

[1] ع - ماء.
[2] ع: قال.
[3] ر: أطلعواها.
[4] ر: ونسبها.
[5] ر ع م - الحيلة.
[6] جميع النسخ: ساقها.
[7] ر ع م - أنه ماء.
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٣٩ و ٤٣ فنقلناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٥٥ظ/سطر ١٧-١٩.
[9] ر م: وهو.

ومن ذلك يقال: الأمْرَد الذي لا شعرَ على وجهه، ويقال للرملة التي لا تُنبِت: مرداء، ويقال: المُمَرَّد المطوَّل، ومنه قيل لبعض الحصون: مارد.[١] وقال الكسائي: المُمَرَّد الأملَس، وقال:[٢] منه سمي الأمردُ أمردَ.[٣]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾[٤٥]

وقوله:[٤] **ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله**، يحتمل هذا: لقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا وأمرناه أن يقول لهم: اعبدوا الله. وجائز أن يكون قوله: **أن اعبدوا الله**،[٥] بالرسالة، أي أرسلناه ليدعوهم إلى عبادة الله. وقوله: **اعبدوا الله**، يحتمل:[٦] وحّدوا الله، ويحتمل العبادة نفسها: أن اعبدوا الله ولا تشركوا غيره فيها أو لا تشركوا[٧] في تسمية الألوهية غيره ولكن وحّدوه. فكيف ما كان ففيه أمر بالتوحيد له في العبادة وجَعْل[٨] الألوهية له.

وقوله:[٩] **فإذا هم فريقان يختصمون**، قيل: فريقان: مؤمن[١٠] بصالح ومكذِّب به. ولم يبين فِيمَ كانت خصومتهم وبين مَن كانت في هذه الآية، لكنه بين في آية أخرى وفسر، وهو ما قال: قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ.[١١] هذه الخصومة التي ذكر في قوله: **فإذا هم فريقان يختصمون**، بيْن الرؤساء من الكفرة والمؤمنين بصالح. *والله أعلم.*

---

[١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٥.
[٢] ر ع م: وقال.
[٣] لم أجده معزوًا إلى الكسائي، لكن ذكره ابن قتيبة غير معزو إلى أحد، انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٥.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر - وجائز أن يكون قوله أن اعبدوا الله.
[٦] ن: محتمل؛ ع: ويحتمل.
[٧] ر م: ولا تشركوا.
[٨] ر م - وجعل.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ع: ومؤمن.
[١١] سورة الأعراف، ٧/٧٥-٧٦.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٤٦]

وقوله: **يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة**، أي[١] لم تستعجلون بالعذاب[٢] قبل الرحمة. واستعجالهم العذاب والسيئة ما[٣] ذَكَر في آية أخرى وهو قوله: فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ،[٤] فذلك استعجالهم السيئة قبل الحسنة.

وقوله:[٥] **لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون**، أي لولا توحدون الله ولا تشركوا غيره[٦] في العبادة وتسمية الإلهية لكي يرحمكم. وفيه إطماع لهم أنهم[٧] لو آمنوا وتابوا عنه لرحمهم، كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[٨]

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [٤٧]

وقوله:[٩] **قالوا اطَّيَّرْنَا بك وبمن معك**، أي تشاءمنا بك[١٠] وبمن معك. لم يزل الكفرة يقولون[١١] لرسل الله صلوات الله عليهم ولمن آمن معهم:[١٢] اِطَّيَّرْنَا بكم، إذا أصابتهم الشدة والبلاء يتطيرون بهم ويتشاءمون ويقولون: إنما أصابنا هذا بشؤمكم! وإذا أصابهم[١٣] رخاء [٥٥٦و] وسعة يقولون:[١٤] هذا[١٥] لنا بنا ومن أنفسنا. وهو ما قال قوم / موسى لموسى[١٦] حيث قالوا: فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ،[١٧] الآية. وكذلك قال أهل مكة لرسول الله حيث قال:

---

[١] ن – لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة أي.
[٢] ر ع م – بالعذاب.
[٣] ر ع م – ما.
[٤] سورة الأعراف، ٧٧/٧.
[٥] ن: قوله.
[٦] ع – غيره.
[٧] ر م – أنهم.
[٨] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر م: منك.
[١١] ر ع م – يقولون.
[١٢] جميع النسخ: منهم.
[١٣] ع: أصابكم.
[١٤] جميع النسخ: فقالوا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٧ظ.
[١٥] م – هذا.
[١٦] ر ع م – لموسى.
[١٧] ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطَّيَّروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ١٣١/٧).

وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ.[١] كانوا[٢] يتطيرون برسول الله ويتشاءمون بما يصيبهم من الشدة وما ينزل بهم من البلاء، فأخبر الله رسوله وأمره أن يقول لهم: قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أي الرخاء والشدة من عند الله ينزل، وهو باعثُ ذلك لا أنا. فعلى ذلك قوله: **طائركم عند الله**، أي ما ينزل بكم ويصيبكم من الشدة والرخاء إنما ينزل من عند الله، لا بنا ولا بكم. أو يقال. ما ينزل بكم من العذاب في الآخرة إنما يصيب بتكذيبكم إياي في الدنيا. أو أن يقال: **طائركم عند الله**، أي جزاء طِيَرَتِكم عند الله هو يجزيكم بها بعذاب الدنيا أو الآخرة.[٣]

بل أنتم قوم تُفتَنون، يحتمل قوله: **بل أنتم قوم تفتنون**، ابتداء، مرة بالشدة ومرة بالرخاء لا بما تكسبون من الأعمال. وجائز أن يكون[٤] قوله: **تفتنون** بالعذاب بما تكسبون من الأعمال في الدنيا، أي[٥] تعذبون بها. قال أبو عَوْسَجة: **طائركم عند الله**، يقول: الله أعلم بطائركم وما تَطَيّرتم به. وقال[٦] القُتَبِي: **طائركم عند الله**، أي ليس ذلك بي وإنما هو من الله،[٧] وهو ما ذكرنا.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[٤٨] ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[٤٩] ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٥٠] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥١]

وقوله:[٨] **وكان في المدينة تسعة رهط**، قال بعضهم: الرهط إنما يقال من ثلاثة إلى تسعة، وإذا نقص عن ذلك أو زاد فإنما[٩] يقال: رجال. وقال أبو عَوْسَجة: الرهط النَّفَر،

---

[١] ﴿أينما تكونوا يُدرِكْكُم الموت ولو كنتم في بروج مُشَيَّدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾ (سورة النساء، ٧٨/٤).

[٢] ع: قانوا.

[٣] ر م: والآخرة.

[٤] ر ع م - يكون.

[٥] ع: أن.

[٦] ر ع م: قال.

[٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٦.

[٨] ن: قوله.

[٩] ر ع م - فإنما.

وأَرَاهِطُ[1] وأَرْهُطُ[2] جميع.[3] ثم يحتمل الرهط وجهين. أحدهما **تسعة رهط**، أي تسعة نفَر من الأتباع وغيره **يفسدون في الأرض ولا يصلحون**. والثاني: **تسعة رهط**، لا تسعة نفر من الرؤساء، ولكل واحد[4] منهم رهط من الأتباع، **يفسدون في الأرض ولا يصلحون.**

جائز أن يكون[5] هذا إخبارا من الله أنهم يفسدون أبدا في الأرض ولا يؤمنون أبدا. وجائز أن يكون إخبارا عن حالهم، أي يعملون الفساد والمعاصي. **ولا يصلحون**، أي لا يسعَون بالصلاح. وقال ابن عباس: إن هؤلاء التسعة كانوا من أبناء أشرافهم وكانوا بالحِجر[6] وكانوا فُسّاقا.[7] فقال بعضهم لبعض: لنقتلنّ صالحا وأهله ثم لنقولنّ لوليه، أي لقومه من ورثته ما قتلناه، وهو قوله:[8] **لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهلَه ثم لَنقولنّ لوليه ما شهدنا مَهْلِكَ أهله**، فتحالفوا[9] على ذلك فأتَوا صالحا ليلا فدخلوا[10] عليه بأسيافهم ليقتلوه وأهلَه[11] وعند صالح ملائكة جاءوا من الله تعالى يحرسونه، فقتلوا الرهط في دار صالح بالحجارة فذلك قوله: **ومكروا مكرا**، بصالح وأهله، **ومكرنا مكرا**، أي أهلكناهم، **وهم لا يشعرون** أنهم يُهلَكون.[12]

وقال بعضهم: هؤلاء التسعة الرهط تواثقوا أنهم يُبيِّتون صالحا ويقتلونه وأهله بعد ما عقَروا الناقة وقالوا فيما بينهم: فإن خوصِمنا في ذلك لَنَقُولَنَّ ولَنُقَاسِمَنّ **ما شهدنا مهلك أهله**، أي ما حضرنا في هلاكهم. على هذا التأويل يكون على التقديم والتأخير. وقال بعضهم: هؤلاء التسعة كانوا شرار قومه، خرجوا بخمر إلى بعض المغار ليشربوها ثم لِيُبَيِّتوا على صالح وأهله،

---

[1] ر ع م: وأراهيط.
[2] جميع النسخ: ورهوط. والتصحيح من المعاجم.
[3] رَهْطُ الرجلِ: قومُه وقبيلته. يقال: هم رَهْطه دِنْية. والرَّهْطُ: عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة، وبعض يقول: من سبعة إلى عشرة، وما دون السبعة إلى الثلاثة نَفَرٌ. وقيل: الرَّهْط ما دون العشرة من الرّجال لا يكون فيهم امرأة. قال الله تعالى: ﴿وكان في المدينة تِسْعةُ رَهْط﴾. فجمع ولا واحد له من لفظه. وجمع الرَّهْط: أَرْهُط وأَرْهاط وأَراهِط (*لسان العرب*، «رهط»).
[4] ر ع م: أحد.
[5] ر ع م – يكون.
[6] ر ع م: بالحجرة. أي في أرض حِجر ثمود.
[7] ع: أفساقا.
[8] ر ع م: وقوله.
[9] ن: فيتخالفوا.
[10] ع: يدخلوا.
[11] ر ع م: وأهله.
[12] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٣/٣٥٥؛ و*روح المعاني* للألوسي، ١٩/٢١٣.

فشربوا هنالك فانهدّ بهم الصخرة وعذِّبوا فيه، فذلك قوله: **ومكروا**، بقتل صالح وهلاكه **مكرا ومكرناهم** حيث أهلكناهم **مكرا وهم لا يشعرون**. والمكر هو الأخذ بغتة. وقوله: **ومكروا مكرا**[1] **ومكرنا مكرا**، أي جزيناهم جزاءَ مكرهم.

ثم اختلف في قراءة: **لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهله ثم لنقولن**، بالنون، فذلك قول بعضهم لبعض. وقرأ بعضهم بالتاء: لَتُبَيِّتُنَّهُ ثم لتقولن، فذلك قول الرؤساء للأتباع.[2] ومن قرأ بالياء[3] [لَنُبَيِّتَنَّهُ] يجعله خبرا عن الله تعالى لهم.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٥٢]

وقوله:[4] **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا**، أي خالية بما ظلموا[5] لم نُسكِن[6] فيها أحدا ولكن تركناها خالية كذلك.[7] وقال بعضهم: **خاوية**، أي خَرِبة بما ظلموا، كقوله: وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا،[8] أي ساقطة خَرِبة. وقد كان ذلك كله. منها ما جعل لغيرهم سكنا إذا أهلكهم من نحو ما أورث بني إسرائيل ديار القبط وأموالهم وأنزلهم فيها، ومنها ما تركها كذلك[9] خالية بعد ما أهلك أهلها، ومنها ما أهلك أهلها[10] وخرّبها وتركها كذلك.

وقوله:[11] **إن في ذلك لآية**، أي في هلاك من ذكر لآية[12] ولعبرة لقوم[13] **[يعلمون]** يعتبرون.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[٥٣]

وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون، مخالفة الله ومخالفة أمره ونهيه.

---

[1] ر م – ومكروا مكرا.
[2] حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٠؛ ومعجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٧٨/٣.
[3] وهي قراءة أبو رجاء وحميد بن قيس. انظر: *زاد المسير* لابن الجوزي، ١٨٢/٦.
[4] ن: قوله.
[5] ر ع م – خالية بما ظلموا.
[6] ر ع م: لم تسكن.
[7] ع: لذلك.
[8] ﴿أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها﴾ (البقرة، ٢٥٩/٢).
[9] م – كذلك.
[10] ر ع م – ومنها ما أهلك أهلها.
[11] ن: قوله.
[12] ر ع م: الآية.
[13] ر ع م – لقوم.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[٥٤] ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[٥٥]

وقوله: **ولوطا إذ قال لقومه**، كأن فيه إضمارا،[١] كأنه قال: أرسلنا لوطا إلى قومه **إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون**، أي أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون وتعلمون أنها فاحشة.

أإنكم لتأتون الرجال شهوة، أي اشتهاء لكم **من دون النساء**، يقول: تأتون الذكور وتَدَعون النساء، وهو ما قال في آية أخرى: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ،[٢] الآية.

وقوله: **بل أنتم قوم تجهلون**، قال بعضهم: ولكن أنتم قوم تجهلون، أي تجهلون الأمر فتعصون. ويشبه أن يكون[٣] هذا جواب قولٍ كان مِن قومه نحو ما قالوا: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ،[٤] فقال عند ذلك: **بل أنتم قوم تجهلون**، ما تقولون، أي على جهلٍ ما تقولون ذلك، أو كلام نحوه. *والله أعلم*.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[٥٦]

وقوله:[٥] **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم**، قوله: **فما كان** [٥٥٦ظ] / **جواب قومه**، في وقت، **إلا أن قالوا** كذا، لا في الأوقات كلها، لأنه قد كان منهم قول وجوابات نحو ما قالوا: ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ،[٦] الآية، ونحوه، وقولهم: **إنهم أناس يتطهرون**. دل هذا منهم أنهم قد علموا أن ما يأتون ويعملون أنه خبيث وفُحش ومنكر حيث قالوا: **إنهم أناس يتطهرون**.

ثم يحتمل قولهم[٧] هذا وجوها. أحدها أنهم قالوا ذلك استهزاء منهم بهم. والثاني **قالوا أخرجوا آل لوط**، فإنهم يستقذرون[٨] أعمالنا وأفعالنا. والثالث على التحقيق: **إنهم أناس يتطهرون**.

---

[١] ر م: إضمار.
[٢] ﴿أتأتون الذُّكران من العالمين وتَذَرون ما خلَق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/١٦٥-١٦٦).
[٣] ر ع م - يكون.
[٤] سورة الشعراء، ٢٦/١٦٧.
[٥] ن: قوله.
[٦] ﴿إنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٩).
[٧] ع: قوله.
[٨] ر م: يستقذفون.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٥٧]

وقوله: **فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين**، فيه دلالة أن غير الزوجة يجوز أن يسمّى أهلا. قال عامة أهل التأويل: أهله بناته. وفي قوله:[١] **قدّرناها من الغابرين**، دلالة خلق أفعال العباد حيث أخبر أنه: **قدرناها من الغابرين**. والغُبور والبقاء فعلها. فأخبر أنه قدّر ذلك منها وخلق. وقوله: **من الغابرين**، أي الباقين في عذاب الله. وفي حرف[٢] ابن مسعود: ولقد وَقّينا إليه أهله كلّهم إلا عجوزا في الغابرين.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾[٥٨]

وقوله:[٣] **وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين**، أي ساء مطر المنذرين الذين لم يقبلوا[٤] الإنذار و لم[٥] تنفعهم النّذارة.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٥٩]

وقوله:[٦] **قل الحمد لله**، قال عامة أهل التأويل: **قل الحمد لله**،[٧] أمر نبيه بالحمد له والثناء عليه على إهلاك[٨] أعداء الرسل الخالية. ثم قال: **وسلام على عباده الذين اصطفى**، وهم الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم. وجائز أن يكون أمْره إياه بالحمد له والثناء عليه لما أنعم عليه من أنواع النعم. منها ما ذكر من إهلاك[٩] أعداء الرسل وإبقاء أوليائهم تخويفا لأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهلكهم[١٠] كما أهلك أعداء الرسل الخالية. أو أن يكون أَمْرُه إياه بالحمد له والثناء عليه لما أنعم عليه في نفسه من أنواع النعم[١١] من النبوة والرسالة والهداية ونحوه. *والله أعلم*.

---

[١] ر ع م: وقوله.
[٢] ر ع م: في حرف.
[٣] ن: قوله.
[٤] ر: لم يتقبلوا.
[٥] ن: وإن لم.
[٦] ن: قوله.
[٧] ر ع م – قال عامة أهل التأويل قل الحمد لله.
[٨] جميع النسخ: على هلاك؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٨و.
[٩] جميع النسخ: ما ذكروا من هلاك.
[١٠] جميع النسخ: أن يهلكوا.
[١١] ر – النعم.

وقوله:[1] **وسلام على عباده الذين اصطفى**، يحتمل الرسلَ، كقوله: وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ،[2] ويحتمل الأمر بالسلام على أصحابه وجميع المؤمنين، كقوله: وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ؛[3] أمر رسوله بالسلام على المرسلين وعلى أصحابه وعلى المؤمنين. ثم في قوله: **اصطفى**، دلالة أن لا أحد يستوجب الصفوة إلا بالله حيث قال: **اصطفى**.

وقوله:[4] **آللهُ خير أَمَّا يشركون**، أي الذي فعل هذا[5] بالأمم الخالية من إهلاك الأعداء[6] وإبقاء الرسل والأولياء [خير][7] أم الأصنام التي تشركون في عبادته وهي لا تملك شيئا من ذلك؟ يقول -والله أعلم- إنكم تعلمون أن الله يملك ما ذُكَر من إهلاك أعدائه وإبقاء رسله، والأصنام التي تعبدونها[8] دونه لا تملك شيئا فكيف تشركونها[9] في ألوهيته؟ وإلا لم يَذكر جواب قوله: **آلله خير أما يشركون**، جوابُه أن يقول:[10] بل الله خير. وكذلك روى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -إن ثبت- أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: «بل الله خير وأبقى وأجلّ وأكرم.»[11]

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[٦٠]

وقوله:[12] **أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة**، يذكّرهم بهذا شيئين.[13] أحدهما قدرته وسلطانه في خلق ما ذكر من السماوات والأرض

---

[1] ن: قوله.
[2] سورة الصافات، ١٨١/٣٧.
[3] ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ (سورة الأنعام، ٥٤/٦).
[4] ن: قوله.
[5] م – هذا.
[6] جميع النسخ: للأعداء.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٨و.
[8] ن: يعبدونها.
[9] ر ع م: تشركون.
[10] جميع النسخ: أن يقولوا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٨و.
[11] شعب *الإيمان* للبيهقي، ٣٧٢/٢.
[12] ن: قوله.
[13] جميع النسخ: وجهين؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٨و.

وإنزال[١] الماء من السماء وإنبات النبات من الأرض وإخراجه، على إقرار منهم[٢] أن الله هو[٣] خالق ذلك لا غيره، فيقول: فإذ علمتم أن الله هو خالق ذلك كله فكيف أشركتم غيره من لا يملك ذلك ولا يقدر في تسمية الإلهية والعبادة؟

والثاني يخبر عن اتساق الأمور والتدبير فيهما جميعا واتصال منافع أحدهما بالآخر على تباعد ما بينهما، ليعلم أن منشئهما ومدبّرهما واحد لا عدد. فإذ عرفتم ذلك فكيف أشركتم غيره فيها؟ وهو كقوله: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا.[٤] وهذا الحرف على الثنوية والدهرية. وهؤلاء لقولهم بالعدد وإنكارهم[٥] الواحد، والأول على المقرّين بالواحد إلا أنهم أشركوا الأصنام في التسمية والعبادة.

وقوله:[٦] **حدائقَ ذاتَ بَهجة**، قال بعضهم: الحدائق الحيطان، والبساتين ما دون الحيطان. وقال بعضهم: الحدائق الحوائط التي حفّت بالأشجار، والبساتين هي الملتفة بها.[٧] وقال أبو عَوْسَجة: الحدائق البساتين والرياض، والحديقة الروضة. وقال القُتَبي: الحدائق البساتين، واحدها حديقة، سميت بذلك لأنها[٨] يُحدَق عليها[٩] أي يُحظَر [عليها حائط].[١٠] **ذات بهجة**، حَسَن المنظر. وجائز أنها إنما[١١] سميت ذات بهجة لما يبتهج صاحبها إذا نظر إليها ويُسَرّ.

وقوله:[١٢] **ما كان لكم أن تنبتوا شجرها**، أي ما تقدرون أنتم أن تنبتوا شجرها فمن هو دونكم أشد وأبعد، فكيف[١٣] أشركتم في العبادة وتسمية[١٤] الإلهية من هو دونكم[١٥] في كل شيء؟

---

[١] ر م: وأنزل.
[٢] ر م: على إقرارهم.
[٣] ر ع م - هو.
[٤] سورة الأنبياء، ٢٢/٢١.
[٥] ن: والإنكار.
[٦] ن: قوله.
[٧] ع - بها.
[٨] ع: أنها.
[٩] جميع النسخ: تحدق بها.
[١٠] ن: تحظر. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٦.
[١١] ر ع م - إنما.
[١٢] ن: قوله.
[١٣] ر م: كيف.
[١٤] ع: وسمية.
[١٥] ع: وهو دونكم.

وقوله:[1] **أإله مع الله**، أي لا إله مع الله. **بل هم قوم يعدلون**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل: **يعدلون**، أي[2] يجعلون من لا يملك ما ذُكر عديلا لله. والثاني: **يعدلون**، أي يعدلون[3] عن الله ويميلون إلى غيره، من العدول. *والله أعلم*.

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦١]

قوله:[4] **أمن جعل الأرض قرارا**، يَقِرّون عليها ويتعيّشون فيها ويبيتون. **وجعل خلالها أنهارا**، ينتفعون بها أنواع المنافع ويشربون. **وجعل لها رواسي**، أي الجبال لئلا تَمِيد بهم. **وجعل بين البحرين حاجزا**. قال بعضهم: جعل / بين بحر الفارس وبحر[5] الروم [٥٥٧و] جزيرةَ العرب حاجزا. وسُمّي جزيرةً لما جُزِر الماء فيها، أي ذهب. وقال بعضهم: بحر الشام وبحر العراق.[6] وقال بعضهم: قوله: **وجعل بين البحرين حاجزا**، بين العذْب والمالح حاجزا بلطفه؛ لا يختلط هذا بهذا ولا هذا بهذا لطفا منه. يذكّرهم نِعَمه عليهم ولطفه أنْ كيف أشركتم في عبادته وألوهيته مَن لا يملك ذلك وصرفتم شكرها إلى غير المنعم؟

أإله مع الله، أي لا إله مع الله. **بل أكثرهم لا يعلمون**، يحتمل قوله: **أكثرهم لا يعلمون**، أي لا ينتفعون بما يعلمون فكأنهم لا يعلمون،[7] لأن من لا ينتفع بما يعلم فكأنه جاهل. نفى عنهم العلم لتركهم الانتفاع به كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان والعقل لتركهم الانتفاع بهذه الجوارح والحواس وإنْ كانت لهم هذه الجوارح. فعلى ذلك جائز نفيُ العلم عنهم لتركهم الانتفاع به. والثاني **بل أكثرهم لا يعلمون** لما لا يتكلفون النظر فيما ذكر، أو لا يعلمون أن بينهما حاجزا. *والله أعلم*.

---

[1] ن: قوله.
[2] ع: أن.
[3] ع - أي يعدلون.
[4] ر ع م - قوله.
[5] ر: بحر.
[6] ع - وقال بعضهم بحر الشام وبحر العراق.
[7] ر ع م - يحتمل قوله أكثرهم لا يعلمون أي لا ينتفعون بما يعلمون فكأنهم لا يعلمون.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٦٢] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦٣]

وقوله:[١] **أمن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض**، يخرج على الصلة بقوله: آللّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ،[٢] كأنه يقول: من لا يملك إجابة المُضْطَرَّ وكشْف السوء عنه وجَعْلكم الخلفاءَ في الأرض خير أمَن لا يملك من ذلك شيئا؟ فجواب ذلك أن تقولوا:[٣] بل الذي يملك ذلك خير ممن لا يملك ولا يقدر ذلك. أو يخرج على الوجهين[٤] اللذَّين ذكرتهما. أحدهما أنكم تعلمون[٥] أن الذي يجيب المُضْطَرّ ويكشف السوء هو الله تعالى، لا الأصنام التي تعبدونها، فكيف أشركتموها في الألوهية[٦] والعبادة؟ والثاني أنه إذا أجاب دعوة المُضْطَرّ وكشَف السوء وجعَلكم خلفاء الأرض بعد هلاك أوائلكم فدل ذلك أنه واحد لا عدد؛ إذ لو كان فِعل عدد لكان إذا أجاب هذا وكشف السوء ردّ[٧] الآخر[٨] ومنع،[٩] فدل بقاء ذلك كله واتساق الأمر أنه واحد لا شريك له. فهذا على الثنويّة، والأول على المشركين غيرَه في العبادة له وتسمية الإلهية.

وقوله:[١٠] **أإله مع الله**، أي لا إله مع الله. **قليلا ما تذكّرون.**

وعلى ذلك يخرج قوله: **أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بُشرا بين يدي رحمته**، على الوجوه التي ذكرناها.

*وقوله: **بُشْرا**، من البِشارة، ونُشرا بالنون[١١] من التفريق والرفع.[١٢] وقوله: **خُلَفَاءَ الْأَرْضِ**، [٥٥٧و س ٢٠]

[١] ن: قوله.
[٢] سورة الشعراء، ٥٩/٢٦.
[٣] ر ع م: يقولوا.
[٤] ع: على وجهين.
[٥] ع: تعملون.
[٦] ن ع: في الإلهية.
[٧] ر ع م – وجعلكم خلفاء الأرض بعد هلاك أوائلكم فدل ذلك أنه واحد لا عدد إذ لو كان فعل عدد لكان إذا أجاب هذا وكشف السوء رد.
[٨] ر ع م: والآخر.
[٩] ع: منع.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ع: من النون.
[١٢] «أي ترفع السحاب وتفرقه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٥٨ظ).

يخلُفون مَن قبلهم مِن[1] الأمم. قال أبو معاذ: وواحد الخلفاء خَليف، وواحد الخلائف خَليفة.
٥٥٧و س٢٢] والخليف مِن الخالف،[2] كالعليم من العالم.*

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦٤]

وكذلك قوله: **أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض**، أي من[4] يقدر على ما تقدم ذكره [هو] يملك البعث بعد الموت والإحياءَ.[5] يُلْزمهم البعث بهذا؛ أي من يَقدر هذا يَقدِر ما ذكر. **أإله مع الله**، أي لا إله مع الله، بل الله هو المتفرد بذلك دون من يعبدون ويشركون.[6]

وقوله: **قل هاتوا برهانكم**، أي [قل] لمن[7] لَجَّ في هذا أو أنكر ذلك وادّعى[8] الشرك فيه لغيره: **هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**، في مقالتكم.*

وقوله: **أإله مع الله**، يقول -والله أعلم- أإله مع الله[10] يفعل ذلك بكم: يرزقكم ويُنزل[11] لكم من السماء ماء ويُنبت لكم[12] من الأرض ما تأكلون وترعى[13] أنعامُكم، أوَمع الله إله يهديكم في ظلمات البر والبحر ويرسل لكم الريح بُشْرا، أو[14] يجيب المُضْطَرَّ ويكشف السوء عنه وكل ما ذكر؟ أي ليس معه إله سواه بل الله هو[15] يفعل ذلك كله بكم. فكيف أشركتم غيره في إلهيته

---

[1] ع - من.
[2] ع: من المخالف.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٧و/سطر ٢٠-٢٢.
[4] جميع النسخ: أمن.
[5] جميع النسخ: وإحيائه.
[6] ع: وتشركون.
[7] جميع النسخ: من؛ والزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٨ظ.
[8] ر ع م: ادعى.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٥٧و/سطر ٢٠-٢٢.
[10] ر ع م - أإله مع الله.
[11] ع: أي ينزل.
[12] ر ع م - لكم.
[13] جميع النسخ: ويرعى.
[14] ع: إذ.
[15] ر ع م - هو.

وعبادته على علم منكم أن الذي تعبدون من دونه لا يملك شيئا: أن يفعل ذلك بكم. يذكر سفههم وقلة بصرهم ومعرفتهم. ثم قال: **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**،[١] أن مع الله إلها فعَل ذلك بكم إن كنتم صادقين.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[٦٥]

ثم قال: **قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله**، كأنه قال -والله أعلم- لرسوله: **قل لا يعلم**، ممن تعبدون من أهل السماوات والأرض[٢] الغيبَ إلا الله، لأن بعضهم كان يعبد أهل السماوات وهم الملائكة، وبعضهم كانوا يعبدون من في الأرض. يقول: لا يعلم ممن تعبدون مِن دون الله من في السماوات والأرض الغيبَ إلا الله،[٣] إنما يعلم الغيب[٤] الله.

ثم قوله: **الغيب**، يخرج على وجهين. أحدهما ما يغيب عن بعض[٥] فهو يعلم ذلك. والثاني لا يعلم الغيب إلا الله، أي ما كان وما يكون إلى أبد الآبدين لا يعلم ذلك إلا الله وإن علموا علموا ذلك [من الله تعالى].[٦] ومنهم من صرف الغيب إلى البعث والساعة، يقول: لا يعلم الساعة أحد متى تكون[٧] إلا الله.

وقوله:[٨] **وما يشعرون أيّانَ يبعثون**، قال عامة[٩] أهل التأويل: وما يشعر أهل مكة متى يبعثون. لكن لو كان الجهل عن وقت البعث فأهل مكة وغيرهم من أهلُ السماوات وأهل الأرض في جهلهم بوقت البعث شرعا سواء، لا أحد يعلم من أهل السماوات والأرض أنه متى يُبعَث،[١٠] إلا أن تكون[١١] الآية في منكري[١٢] البعث، فحينئذ جائز صرفه إلى بعض دون بعض.

---

[١] ن: قلتم؛ ع – صادقين.
[٢] ر ع م: ومن في الأرض.
[٣] ر م – إلا الله.
[٤] ع + إلا.
[٥] جميع النسخ: ما يغيب بعضهم من بعض يقول ما يغيب بعضهم من بعض؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٨ظ.
[٦] جميع النسخ: وان اعلموا وعلموا ذلك؛ والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٥٨ظ.
[٧] جميع النسخ: يكون.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر ع م – عامة.
[١٠] ر ع م: تبعث.
[١١] ر ع م: يكون.
[١٢] ر ع م: في منكر.

فأما في وقت البعث فالناس في جهلهم بوقت البعث سواء، وهو ما قال في آية أخرى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا،[1] الآية. أخبر أنه لم يُطلِع أحداً[2] على علم ذلك بل علْم ذلك[3] عند الله.

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾[٦٦]

وقوله:[4] **بل ادَّارَكَ علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عَمُونَ**، اختلف في قراءته وتأويله. أما القراءة فإنه قرأ بعضهم: **إدَّارَكَ** بالتشديد والألف.[5] وقرأ بعضهم: أدْرَك،[6] بإسقاط الألف و[إسقاط] التشديد. وقرأ بعضهم:[7] "بَلَى" / بإثبات الياء في "بلى" وعلى الوقف [٥٥٧ظ] عليها. و[وقرأ بعضهم:] أأدرك[8] على الاستفهام: بلى أدْرَك.[9] ومنهم من قرأ على الاستفهام: أأدرك[10] [لكن] على غير إثبات الياء[11] في حرف "بل"[12] وعلى غير قطع منه. فمن قرأ: **إدَّارَكَ** بالتشديد على غير الاستفهام يقول: معناه: تدارك واجتمع، أي تدارك علمهم في الآخرة واجتمع حين عاينوها، وهم اليوم في شك منها وهم اليوم منها عمون، بل ادَّرَكَ علمهم في الآخرة.[13] يقول: أَبلَغ علمهم بالآخرة، أي لم يُدْرِك و لم يَبْلُغ علمهم.[14] **بل هم في شك منها بل هم منها عمون**، يُسفّههم ويُجهّلهم.[15] يقول: ما بلغ علمهم بالآخرة. وقال بعضهم: **بل ادَّارَكَ**[16] **علمهم في الآخرة**،

---

[1] ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يُجلّيها لوقتها إلا هو﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٨٧).
[2] ر ع م: أحد.
[3] ر ع م - بل علم ذلك.
[4] ن: قوله.
[5] *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٥.
[6] ع: ادارك.
[7] ن: وبعضهم قرأ.
[8] ر: وادرك؛ ن: االدرك؛ ع: والادراك.
[9] ن: بلى أأدرك؛ ع: ادراك + على الاستفهام بلى ادارك.
[10] ر: ادرك؛ ع: االدارك.
[11] أي الألف المقصورة المكتوبة على شكل الياء الغير المنقوطة.
[12] ن: بلى.
[13] ر ع م - واجتمع حين عاينوها وهم اليوم في شك منها وهم اليوم منها عمون بل ادرك علمهم في الآخرة.
[14] انظر حول القراءات الواردة: *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٥؛ و*معجم القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٤٨٥-٤٨٧؛ و*تفسير الطبري*، ٢٠/٧؛ و*تفسير القرطبي*، ١٣/٢٢٦-٢٢٧؛ وانظر أيضا: *لسان العرب*، «درك».
[15] ع + ما.
[16] ن: ادرك.

أي أم أدرك علمهم؟ وقال بعضهم: ادَّرَكَ علمهم في الآخرة، أي غاب علمهم عن الآخرة [في الدنيا] وادرك في الآخرة حين لم ينفعهم. وعن الحسن قال: بل ادَّرَكَ علمهم، أي اضمحلّ علمهم وذهب. وعن ابن عباس[١] وغيره قالوا: بل ادرك علمهم في الآخرة، بل اجتمع[٢] علمهم بأن الآخرة كائنة، وهم مشركو[٣] العرب. **بل هم في شك منها**، قال: يقولون مرة: الآخرة كائنة ثم يشكّون فيها فيقولون: ما ندرى أكائنة أم لا. **بل هم منها عَمُون**، يعني جَهَلَة بها. وجائز أن يسمى الشاكّ في شيء أعمى.[٤] وأبو عَوْسَجة والقُتَبي يقولان: **ادَّارَكَ علمهم**، أي تدارك ظنهم[٥] في الآخرة وتتابع بالقول [والحَدْس].[٦] **بل هم منها عمون**، أي مِن عِلمها. وقال[٧] بعضهم من أهل الأدب: لا تستقيم[٨] قراءة من قرأ بإثبات الياء في "بلى" والصلة بالأول، لأن "بلى" بالياء إنما يقال في الإيجاب والإثبات، وما تقدم من الكلام هو على الإنكار والنفي، وذلك غير مستقيم في اللغة والكلام.[٩]

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾[٦٧] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٦٨]

وقوله:[١٠] **وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون**، كأنهم قالوا ذلك لأحد وجهين: إما استهزاءً بما يخبرهم الرسل: إنكم تبعثون، أو قالوا ذلك احتجاجا احتجّوا به على الرسل بقولهم الذي قالوا: **لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**، يحتجّون فيقولون:[١١] لقد وُعِد[١٢] آباؤنا بالبعث كما وُعدنا نحن ثم لم نرهم بُعثوا منذ ماتوا، فعلى ذلك نحن وإن وعدنا فلا نُبعث كما لم يُبعث[١٣] آباؤنا.

---

[١] ع: عن ابن عباس.
[٢] جميع النسخ: اجمع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٩و.
[٣] ر ن ع م: مشركوا.
[٤] جميع النسخ: عميا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٦و.
[٥] ع: فظنهم.
[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٦.
[٧] ن: قال.
[٨] جميع النسخ: لا يستقيم.
[٩] ع + والله أعلم.
[١٠] ن: قوله.
[١١] م: ويقولون.
[١٢] جميع النسخ: وعدنا.
[١٣] ر ع م: نبعث؛ ع – كما لم يبعث.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[٦٩]

ثم قال: **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين**، يقول -والله أعلم-: لو سرتم في الأرض فنظرتم إلى ما حلّ بمكذّبي الرسل من العذاب. والرسل إنما كانوا يدعون إلى توحيد الله والإقرار بالبعث بعد الموت، فعلى[1] ذلك ينزل بكم ما نزل بأولئك بتكذيبهم الرسل والبعث[2] وغيره. فيكون قوله: **سيروا في الأرض**، ليس على حقيقة الأمر بالسير ولكن على ما ذكرنا، أي لو سرتم لعرفتم ما حلّ بهم بتكذيبهم البعثَ.[3] أو أن يكون الأمر بالسير في الأرض أمرا بالتفكر فيما نزل بأولئك. الأمر بالنظر في عاقبة أمرهم أمْر بالاعتبار فيهم، وفي أمر أولئك أمر[4] بهذا ليزجرهم ذلك عن مثل صنيعهم وفعلهم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[٧٠]

وقوله: **ولا تحزن عليهم**، قال قائلون: قوله: **ولا تحزن عليهم**، بما يحل بهم من العذاب إن لم يحزنوا هم على أنفسهم و لم يرحموها. وقال بعضهم: قوله: **ولا تحزن عليهم** إن لم يُسلموا، كقوله: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا،[5] وكقوله:[6] لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[7] وقوله:[8] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[9] وأمثال ذلك؛ كادت نفسه تَهْلِك وتَتْلَف إشفاقا عليهم بما ينزل بهم بتركهم الإسلام فقال: ولا تحزن عليهم ولا[10] تذهب نفسك عليهم حسرات. ليس على النهي ولكن على تسكين نفسه وتقريرها على ما هي عليه لئلا تتلَف وتهلك، وهو ما قال: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ.[11]

---

[1] جميع النسخ: فكل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٥٩و.
[2] جميع النسخ: الرسل بالبعث.
[3] ر ع م – البعث.
[4] ر – أمر.
[5] سورة الكهف، ٦/١٨.
[6] ر ع: وكقولك.
[7] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[8] ن: وكقوله.
[9] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[10] ن: فلا.
[11] سورة القصص، ٥٦/٢٨.

وقوله: **ولا تكن في ضَيق مما يمكرون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما: لا تكن في ضَيق مما يستهزءون بكم ويسخرون بما توعِدهم من العذاب والهلاك. ألا ترى أنهم قالوا على إثر ذلك: مَتَىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،[١] قالوا ذلك له استهزاء بما يوعِدهم. فكأنه قال لرسوله: لا تكن في ضَيق مما يستهزءون بما توعِدهم فإن الله يجزيهم جزاء استهزائهم بكم.

والثاني [و]**لا تكن في ضَيق مما يمكرون**، أي مما يريدون ويَهمُّون قتلَك، فإن الله يحفظك ويَحُوطك فلا يَصِلون إليك مما[٢] يريدون من قتلك وإهلاكك، وهو ما قال: وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[٣] وفيه دلالة إثبات رسالته حيث أمّنه وأخبره أنه يحفظه ويعصمه من جميع الأعداء وهو بين أظهرهم. فذلك آية من آيات النبوة والرسالة. ***والله أعلم.***

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٧١]

وقوله: **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**، قد ذكرنا أنهم إنما[٤] يقولون ذلك استهزاء وتكذيبا بما كان يُوعِدهم من العذاب بتكذيبهم إياه. ثم كان يوعدهم مرة بعذاب ينزل بهم في الدنيا كما نزل بأوائلهم بتكذيبهم الرسل، ومرة يوعدهم بعذاب ينزل بهم في الآخرة، فيكذبونه في ذلك كله ويستهزءون به ويقولون: **متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**، وكذلك قال أوائلهم لرسلهم: فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.[٥]

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾[٧٢]

ثم قال: **قل عسى أن يكون رَدِفَ لكم بعض الذي تستعجلون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما قوله: **رَدِف لكم**، بعد هذه الحال وبعد هذا القول الذي قلتم[٦] **بعض الذي تستعجلون**، أي ينزل بكم بعد هذه الحال **بعض الذي تستعجلون** وهو العذاب. وقوله: **ردف لكم**، أي يدنو[٧] منكم ويقرُب. والثاني / **عسى أن يكون رَدِف لكم**، بعد الحزن والمكروه الذي يحل بكم بالموت، [٥٥٨و]

---

[١] الآية التالية.
[٢] ن: بما.
[٣] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[٤] ن - إنما.
[٥] ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونَذَرَ ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ (سورة الأعراف، ٧٠/٧). وهو من قول قوم هود عليه السلام.
[٦] جميع النسخ: قالوا.
[٧] ر: يدنوا.

بعض الذي تستعجلون، وهو عذاب القبر، لأنهم وقت الموت يحزنون ويكرهون لِمَا شاهدوا[1] وعاينوا من حالهم، ولذلك يسألون ربهم الرجوع والردَّ إلى المحنة ثانيا، نحو قولهم: رَبِّ ارْجِعُونِ،[2] وقولهم: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ،[3] ونحوه.

[٥٥٨و س٢٠] *قال[4] بعضهم في قوله: **قل عسى أن يكون ردف لكم**، أي أعجلَ لكم.*

[٥٦٠ظ س٢٠] *قال القُتَبي: قوله: **ردف لكم**، أي تبِعكم، واللام زائدة كأنه قال: ردِفكم.[6] ***والله أعلم***

[٥٦٠ظ س٢٠] ***بالصواب***.[7]*

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٧٣]

وقوله: **وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون**. يحتمل قوله: **لذو فضل على الناس**، وجوها. أحدها ذو فضل في تأخير العذاب عنهم، **ولكن أكثرهم لا يشكرون**، ذلك الفضل ولكن يستعجلون. والثاني ذو فضل على الناس في دينهم في بعثه وإرساله إليهم مَن يزجرهم ويَصرِفهم عما يستوجبون من عذاب الله ومَقْته وهو الرسول، لكنهم لا يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه بل يعاندونه ويكابرونه. أو **لذو فضل على الناس** فيما أنعم عليهم في[9] أموالهم وأنفسهم، لكنهم لا يشكرون في ذلك بل يصرفون[10] شكره إلى غير المنعم. ***والله أعلم***.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٧٤]

وقوله:[11] **وإن ربك لَيعلم ما تُكِنُّ صدورهم وما يعلنون**، قوله: **تُكِنُّ صدورهم**، يحتمل وجهين. أحدهما ما[12] تُكِنُّون أنتم في صدوركم وتُسِرّون فيها. وما تُعلنون، أي ما تبدون وتُظهرون[13] فيها،

---

[1] ع: يشاهدوا.
[2] ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رَبِّ ارجِعُونِ﴾ (سورة المؤمنون، ٩٩/٢٣).
[3] ﴿فهل لنا من شفعاءَ فيَشفَعوا لنا أو نُرَدُّ فنعملَ غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).
[4] ن: وقال.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٨و/سطر ٢٠-٢١.
[6] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٦.
[7] ر ن - والله أعلم بالصواب.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٩٣ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٠ظ/سطر ٢٠.
[9] ع: من.
[10] ع: بل ويصرفون.
[11] ن: قوله.
[12] م - ما.
[13] ع - وتظهرون.

يعلم[١] ذلك كله. أو ما **تُكِنُّ** صدورهم، أي[٢] ما تُخفى أنفس الصدور وتُسر فيها، وما يعلنون، وما تحمل الصدورُ أصحابَها على إبداء ما فيها وإظهاره، وهو ما[٣] ذُكر في الخبر حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الإنسان مضغةً إذا صلُحت صلُح جميع بدنه وهو القلب».[٤] ***والله أعلم***.

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٧٥]

وقوله:[٥] **وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين**، هذا يخرج على وجهين أيضا. أحدهما ما من غائبة في السماء والأرض مما كان ويكون [إلى] أبد الآبدين إلا كان ذلك مبيّنا في كتاب مبين. يخبر أنه كان لم يزل عالما بما كان منهم [ويكون إلى] أبد الآبدين، وأنه عن عِلم بأفعالهم وصنيعهم خلَقهم وأنشأهم لا عن جهل وغفلة.

والثاني **وما من غائبة في السماء والأرض**، أي ما من غائبة عن الخلق: ما يَغيب بعضهم من بعض ويُسِرّ بعضهم بعضا إلا كان ذلك في كتاب مبين، [أي] إلا كان ذلك عند الله محفوظا مرقوبا ينبئهم[٦] ليكونوا على حذر. يقول: إن ما يغيب بعضهم من بعض فهو عند الله محفوظ رقيب لا يغيب عنه شيء، كقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.[٧] ***والله الموفق***.*

﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٧٦]

وقوله:[٩] **إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**. قال بعضهم: قوله: **أكثر الذي هم فيه يختلفون**،[١٠] مقطوع من قوله: **إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل**، كأنه قال: **يقص على بني إسرائيل**، أي يبيّن لهم. ثم قال على الاستئناف: **أكثر الذي هم فيه يختلفون**. وقال بعضهم: لا، ولكن هو موصول بعضه ببعض: **إن هذا القرآن يقص**، أي يبيّن على بني إسرائيل أكثر مما اختلفوا فيه. فإن كان على ما يقول [أصحاب] هذا [الرأي] فهم بأنفسهم

---

[١] ن: ويعلم.
[٢] ع: أو.
[٣] ع: وما.
[٤] ولفظ البخاري (الإيمان ٤٠): «ألَا وإن في الجسد مضغةً إذا صَلُحت صلح الجسد كله وإذا فَسَدت فسد الجسد كله ألَا وهي القلب»؛ انظر: *صحيح مسلم*، المساقات ١٠٧؛ و*سنن ابن ماجة*، الفتن ١٤.
[٥] ن: قوله.
[٦] ر ع م: يبينهم.
[٧] سورة ق، ١٨/٥٠.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٧٢، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٥٨و/سطر ٢٠-٢١.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر ع م – قال بعضهم قوله أكثر الذي هم فيه يختلفون.

يبيّنون الاختلاف الذي هم فيه، لا يحتاج إلى أن يبين لهم[1] القرآن الذي هم فيه يختلفون، إذ هم يبيّنون ما اختلفوا فيه. ولكن تأويله -والله أعلم- أن هذا القرآن يبيّن لهم الحكم في أكثر ما يختلفون فيه،[2] أو يبيّن لهم الحق في أكثر ما يختلفون فيه. وفي ظاهر الآية أنه يبين لهم أكثر الذي هم فيه يختلفون، [و]أنه قد بقي شيء مما اختلفوا فيه لم يبيَّن لهم حيث قال: **أكثر الذي هم فيه يختلفون.** لكن قوله: **أكثر الذي هم فيه يختلفون**،[3] أي يبين لهم ما فيه نص القرآن ولم يبين لهم ما فيه دليل القرآن. أو يبين لهم ما فيه نص القرآن ولم يبين[4] ما فيه سنّة الرسول[5] ونحوه.[6] ***والله أعلم.***

﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٧٧]

وقوله:[7] **وإنه**، أي القرآن الذي ذكر. **لهدى ورحمة**،[8] أي هدى من الضلالة لمن اتّبعه في الدنيا وعمل به، **ورحمة** في دفع العذاب عنهم في الآخرة. فيكون هو هدى ورحمة لمن آمن به.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[٧٨]

وقوله:[9] **إن ربك يقضي بينهم بحكمه**، حكمه هو عدله، كأنه يقول: إن ربك يقضي بينهم بعدله، لا يجور[10] ولا يظلم[11] في الحكم والقضاء. **وهو العزيز العليم. العزيز**[12] الذي لا يُعجزه شيء، **العليم** الذي لا يخفى عليه شيء. عزيز بذاته عليم[13] بذاته.

---

[1] ر ع م - لهم.
[2] ر ع م - فيه.
[3] ر - لكن قوله أكثر الذي هم فيه يختلفون.
[4] ع: أو يبين.
[5] ر ع م: القرآن.
[6] يقول السمرقندي في تفسير الآية: «وفي ظاهر الآية إشكال من وجهين. أحدهما أنه قال: ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾، أي يبين هذا القرآن على الذين سألوا من بني إسرائيل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الذي هم فيه ويَنْسَون ما اختلفوا فيه، فلا حاجة في البيان إلى القرآن. والثاني ذَكَر أن القرآن يبين أكثر ما اختلفوا فيه لا جميعه. وذكر في مواضع أن فيه بيانَ كل حكم فقال: ﴿ ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٥٩)، وقال: ﴿ تبيانا لكل شيء﴾ (سورة النحل، ١٦/٨٩)» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥٩ظ).
[7] ن: قوله.
[8] ر ع م + أي هدى ورحمة.
[9] ن: قوله.
[10] ر ع م: لا يجوز.
[11] ن - ولا يظلم.
[12] ر ع م - العليم العزيز.
[13] ر ع م: عالم.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾[٧٩]

وقوله:[١] **فتوكل على الله**، أي توكل على الله واعتمدْ عليه ولا تَخَفْ مكرَهم وما يريدون ويقصدون أن يكيدوا بك، كقوله: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[٢]

وقوله:[٣] **إنك على الحق المبين**، لأنّ معك حججا[٤] وبراهين ليس مع أولئك حجج وبراهين، وإنْ كان كلٌّ منهم يقول: أنا على الحق، فأنت على الحق المبين لا هم، لأن معك حججا[٥] وبراهين [بأن] الذي أنت عليه حق وأن الذي هم عليه باطل ليس بحق.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[٨٠]

وقوله:[٦] **إنك لا تُسمِع الموتى ولا تُسمع الصمَّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين**، قال بعض أهل التأويل: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادي يوم بدر: «يا فلان ويا فلان»، وهم قتلى، بعدما أمر أن يُجمَعوا في قَليب: «هل وجدتم ما وعَد ربكم حقا، ألم تكذّبوا نبيكم وتكفروا بربكم وتقطعوا أرحامكم؟» فأنزل الله هذا الآية: **إنك لا تسمع الموتى**.[٧] لكن عندنا أن الله تعالى سمّى الكافر ميتا في غير آيٍ من القرآن لِما لم يُجهِدوا أنفسهم / في عبادة الله ولا استعملوها [٥٥٨ظ] في طاعته فهم كالموتى، وسماهم صُمّا لِما لم يسمعوا الحق و لم يقبلوه، وسماهم بُكْما لِما لم ينطقوا بالحق ولا تكلموا به، وسماهم عُميا لِما لم يبصروا الحق، وسماهم موتى لِما لم يستعملوا أبدانهم[٨] في الحق.[٩] فنفى عنهم هذه الحواسّ لِما لم ينتفعوا بهذه الحواس ولا استعملوها فيما أُنشأت وخُلقت وإن كانت[١٠] لهم هذه الحواس. فعلى ذلك سماهم موتى وهَلْكى. وفي موضع آخر شبّههم بالأنعام وأخبر أنهم أضلّ[١١] لِما لم يستعملوا أنفسهم فيما أنشأت هي له و لم ينتفعوا بها.

---

[١] ن: قوله.

[٢] سورة المائدة، ٦٧/٥.

[٣] ن: قوله.

[٤] جميع النسخ: حجج.

[٥] جميع النسخ: حجج.

[٦] ر - وقوله؛ ن: قوله.

[٧] صحيح *البخاري*، الجنائز ٨٦، المغازي ٨؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٧٦-٧٧؛ وسنن *النسائي*، الجنائز ١١٧.

[٨] ر ع م: أيديهم؛ ن: أبدا انهم.

[٩] انظر: سورة البقرة، ١٨/٢، ١٧١؛ وسورة فاطر، ١٩/٣٥-٢٢.

[١٠] ع: كان.

[١١] ﴿ولقد ذَرَأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (سورة الأعراف، ١٧٩/٧).

فإن قيل: ما معنى قوله: **ولا تُسمع الصمَّ الدعاءَ إذا ولَّوا مدبرين**، أخبر أنه لا يقدر على أن يسمع الصمَّ إذا ولَّوا مدبرين، ولا يقدر أن يسمع الصم وإن أتَوا مقبلين و لم يولّوا؟

قيل: معناه -والله أعلم- أنهم صاروا صمّا لا ينتفعون بما سمعوا لإعراضهم وترك إمكان النظر فيه. ولو أقبلوا إليه لانتفعوا به فيصير مُسمعا لهم. يخبر عن شدة تعنتهم ومكابرتهم أنهم كالصمّ المدبرين لا يمكن إسماعهم بحال ولا تفهيمهم وإن جَهَد. وأما الصمّ المقبلون فإنهم قد يمكن إسماعهم وتفهيمهم بجهد: بالإشارة والإيماء ونحوها.[1] *والله أعلم بذلك*.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٨١]

وقوله:[2] **وما أنت بهادي العُمْي عن ضلالتهم**، وفي بعض القراءات: وما أنت تهدي[3] العُميَ عن ضلالتهم.[4] هذا يدل أنْ ليس كل الهدى البيانَ على ما قالت المعتزلة، لأنه لو كان الهدى كله بيانا في جميع المواضع على ما قالوا هم لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدر أن يبين للكفار عن ضلالتهم وقد بين لهم. ثم أخبر رسوله: **وما أنت بهادي العُمْي عن ضلالتهم**، فدل هذا أن عند الله هداية ولطفا[5] إذا سألوه وطلبوا منه ذلك فأعطاهم لاهتدوا به وآمنوا. فهذا ينقض على المعتزلة قولهم.

وقوله:[6] **إنْ تُسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون**، أي ما تسمع إلا أهل الإيمان بالآيات وأهل الإسلام منهم، فأما أهل العناد والمكابرة فلا.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[٨٢]

وقوله:[7] **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض**، قال بعضهم: قوله: **وإذا وقع القول عليهم**،[8] أي إذا وقعت الحجة عليهم ولزمت فكذبوها أخرجنا لهم دابة.

---

[1] ر م- ونحوها.
[2] ن: قوله.
[3] ع: بهادي.
[4] حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٧؛ ومعجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٤٩٠.
[5] ن ع: ولطف.
[6] ن: قوله.
[7] ن: قوله.
[8] ن - قال بعضهم قوله وإذا وقع القول عليهم.

وقال بعضهم: وإذا وقعت السَّخْطة والغضب عليهم أخرجنا لهم دابة.[١] وقال قائلون: **إذا وقع القول عليهم**، أي إذا بلغوا في الكفر حدا[٢] يعلم الله أنهم لا يؤمنون أبدا بعد ذلك أخرجنا لهم دابة. لكن قد ذكرنا في غير موضع أن هذا لا يصح ولا يجوز، إذ الله عز وجل لم يَزَل عالما بما كان ويكون منهم أبدَ[٣] الآبدين، فليس علمه بأحوالهم بما يكون منهم إذا بلغوا ذلك الحد، بل لم يَزَل عالما بما يكون منهم. وهذا الحرف الذي يقول هذا القائل يومئ إلى أنه إنما يعلم ذلك منهم إذا بلغوا ذلك الحد، وقبل ذلك لا، فهو قبيح. وقول من قال: إذا وقعت الحجة عليهم فهو لا يحتمل أيضا، لأن[٤] الحجة قد كانت قامت قبل ذلك الوقت وليست تقوم الحجة عليهم في ذلك الوقت. فيكون التأويل أحد وجهين. أحدهما ما ذكرنا من وقوع العذاب ووجوب العقوبة والسَّخطة عليهم، كقوله: أُولٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ،[٥] أي العذاب وجب عليهم. والثاني أي وإذا أتى وقت خروج الدابة التي وعَدنا لهم أنها تخرج أخرجنا[ها] لهم في ذلك الوقت، أي لا يتقدم[٦] خروجها عن[٧] الوقت الموعود ولا يتأخر، كقوله: فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.[٨] وهكذا كل شيء جعل[٩] الله لظهور[ه][١٠] وكونه وقتا لا يتقدم ولا يتأخر ذلك الوقت. هذا –والله أعلم– يشبه أن يكون تأويل الآية.

وقوله:[١١] **تُكَلِّمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**، قراءة العامة بالتشديد: تكلّمهم، من التكليم والتحديث. وكذلك في بعض الحروف: تحدّثهم[١٢] وتُنبئهم.[١٣] وقد قرئ: تُكْلِمهم بالتخفيف،[١٤]

---

[١] ر ع + وقوله.
[٢] م: هذا.
[٣] ع: أبدا.
[٤] ع: أن.
[٥] ﴿أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ (سورة الأحقاف، ١٨/٤٦).
[٦] ع + ولا يتأخر ذلك.
[٧] ع– خروجها عن.
[٨] ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة الأعراف، ٣٤/٧).
[٩] م: جعله.
[١٠] جميع النسخ + ذلك.
[١١] ن: قوله.
[١٢] ر ع م: يتحدثهم.
[١٣] قراءة ابن مسعود وردت على: تُنبّئهم؛ انظر: *كتاب المصاحف* للسجستاني، ١٥٣.
[١٤] معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٩٠/٣–٤٩١.

وهو من الجَرْح،[١] وهو ما ذُكر من[٢] الأخبار والقِصص أن الدابة إذا خرجت تجرح[٣] الكافر وتَسِمه بِسِمَة وعلامة حتى يُعرف الكافر من المؤمن فيقال: يا مؤمن ويا كافر. وسئل ابن[٤] عباس عن ذلك وقال: تُكلّم المؤمن وتحدثه وتجرح[٥] الكافر.[٦] *والله أعلم*.

ثم اختلف في قوله: **أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**، اختلف في تلاوته وتأويله. [قرأ بعضهم:][٧] **أن الناس**، بنصب الألف، و[بعضهم:] "إن الناس" بكسرها.[٨] فمن قرأ بالنصب: "أن الناس" جعل ذلك القول من الدابة. ثم يخرج على وجهين. أحدهما تقول[٩] الدابة: إن الناس كانوا بي وبخروجي لِمَا وُعدوا لا يوقنون أني أخرج، فها[١٠] أنا ذا خرجت. والثاني أنها تخبر عن الله وتُنبئ أن الناس كانوا بالدابة وبغيرها من الآيات لا يوقنون. ومن قرأ بالخفض "إن الناس"[١١] يجعل ذلك القول من الله ابتداءَ إخبارٍ [بـ]أنهم كانوا لا يزالون لا يوقنون بآياتنا.[١٢] وفي[١٣] خروج الدابة أعظم آيات في إثبات رسالة رسول الله ونبوته، لأنه أخبر أنها تخرج في وقت كذا، فتخرج على ما أخبر في ذلك الوقت على الوصف الذي وصف فيدلهم على صدقه.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٨٣]

وقوله:[١٤] **ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا**، يُجمَع القادة منهم والأتباع

[٥٥٩و] والمتبوعون فيساقون[١٥] / إلى النار جميعا، كقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[١٦] الآية،

---

[١] جميع النسخ: من الجراحة.
[٢] ر م: في.
[٣] ع: تخرج.
[٤] ن + ابن.
[٥] ع: ويخرج.
[٦] انظر: *تفسير القرطبي*، ١٣/٢٣٨؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ٢٠/٢٥.
[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٠و.
[٨] حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٨.
[٩] ر ن م: يقول.
[١٠] ع: فيها.
[١١] ر ع م - الناس.
[١٢] ر ع م - بآياتنا.
[١٣] ن + وفي.
[١٤] ن: قوله.
[١٥] ع: فتساقون.
[١٦] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٣).

وكقوله: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا [إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا]،[١] الآية، وكقوله: وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ.[٢] قال[٣] أهل التأويل: **يوزعون**، أي يُحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، وقد ذكرنا الوزع فيما تقدم وما قيل فيه.[٤]

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٨٤]

وقوله:[٥] **حتى إذا جاءوا**، أي حتى إذا جاءوا[٦] جميعا واجتمعوا، يعني الكفار، **قال** لهم: **أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها عِلما**. يحتمل قوله:[٧] **ولم تُحيطوا بها علما**، أي قد أحطتم بها علما أنها آيات لكن كذّبتم وأنكرتم أنها آيات عنادا ومكابرة، إذ يجوز أن يُتكلم بالنفي على إثبات ضده، كقوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ،[٨] أي يعلم[٩] بضد ذلك وبخلاف ما تقولون أنتم. وذلك جائز في القرآن كثير. أو أن[١٠] يكون قوله: **ولم تحيطوا بها علما**،[١١] لما لم تتفكروا[١٢] فيها و لم تنظروا[١٣] إليها نظرَ التعظيم والإجلال[١٤] لكي تعرفوا وتحيطوا[١٥] بها علما أنها آيات. وإلا لو كان التأويل على ظاهر ما ذكر لكان لهم عذر في تكذيبها إذا لم يحيطوا بها علما، إذ من لم يُحط العلمَ بالشيء فله عذرُ الردّ وترك القبول، لكن يخرج على الوجهين اللذين ذكرتهما. ***والله أعلم***.

ثم قال: **أم ماذا كنتم تعملون**، في تكذيب الآيات أو الأعمال[١٦] التي عملتموها[١٧] بلا حجة ولا برهان.

---

[١] سورة الزمر، ٧١/٣٩.
[٢] سورة فصلت، ١٩/٤١.
[٣] ع: وقال.
[٤] انظر: تأويل الآية ١٧ من هذه السورة.
[٥] ن: قوله.
[٦] م- أي حتى إذا جاءوا.
[٧] ر ع م - قوله.
[٨] سورة يونس، ١٨/١٠.
[٩] ر ع م: نعلم.
[١٠] ر ع م: وأن.
[١١] ع- علما.
[١٢] ر ع م: لم يتفكروا.
[١٣] ر م: و لم ينظروا.
[١٤] ر: وإجلال.
[١٥] جميع النسخ: وأحطتم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٠ظ.
[١٦] ر ع م: والأعمال.
[١٧] جميع النسخ: عملوها.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾[٨٥]

ووقع القول عليهم، أي وجب القول بالعذاب ووقع ما وعدوا من العذاب بما ظلموا حيث قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،[١] ونحوه.

وقوله:[٢] **فهم لا ينطقون**، أي لا ينطقون بالحجة مما يكون لهم به عذر.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٨٦]

وقوله:[٣] **ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصِرا إن في ذلك لآيات**، أي في الليل والنهار لآيات **لقوم يؤمنون**.[٤] ثم الآيات التي ذَكَر فيهما تكون[٥] من وجوه. أحدها[٦] دلالة وحدانيته، ودلالة علمه وتدبيره وحكمته، ودلالة كرمه وجوده، ودلالة قدرته وسلطانه، ودلالة القدرة على البعث والإحياء بعد ما صاروا رمادا ترابا. أما دلالة كرمه وجُوده ما جعل لهم في الليل والنهار منافع تدوم ما داموا هم.[٧] ثم[٨] تلك المنافع تكون من وجهين. أحدهما جعل النهار للتقلب فيه والتصرف لمعاشهم وما به قوام دنياهم. وجعل الليل راحة لهم وسكونا. ولو[٩] جعلهما جميعا[١٠] للتقلب ما قام به معاشهم وما به قوام أنفسهم وأبدانهم أبدا، لأنه لا يلتئم[١١] ذلك إلا بالراحة. ولو جعلهما جميعا للراحة لم يقُم أمر معاشهم. فمِن رحمته وفضله جعل أحدهما للراحة والآخر للتقلب[١٢] وهو ما ذكر في آية أخرى: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ.[١٣]

---

[١] سورة هود، ١١٩/١١.

[٢] ن: قوله.

[٣] ن: قوله.

[٤] ر ع م – يؤمنون.

[٥] ن ع: يكون.

[٦] ر ن ع م: احديها.

[٧] ع: داموهم.

[٨] ع– ثم.

[٩] ع: وما.

[١٠] م– جميعا.

[١١] ر ن م: لا يلتام.

[١٢] ع– ما قام به معاشهم وما به قوام أنفسهم وأبدانهم أبدا لأنه لا يلتئم ذلك إلا بالراحة ولو جعلهما جميعا للراحة لم يقم أمر معاشهم فمن رحمته وفضله جعل أحدهما للراحة والآخر للتقلب.

[١٣] ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة القصص، ٧٣/٢٨).

والثاني من النعمة التي ذَكَر [هو] أنه جعل[١] الذي[٢] للتلقب إنما جعل ذلك للكل لا للبعض دون البعض.[٣] وكذلك[٤] الذي هو مجعول للراحة والقرار[٥] إنما جعله كذلك للكل لا لقوم دون قوم. ولو جعل كذلك لكان لا يقوم أمر معاشهم ولا ما به يقوم أبدانهم وأنفسهم. ولكن من رحمته وفضله جعل المجعول وقتا للراحة للكل لا لبعض دون بعض، وكذلك المجعول للتقلب [هو] للكل[٦] ليظفر المشترون بالباعة والباعة بالمشترين ليلتئم[٧] أمر معاشهم ودنياهم.

وأما دلالة وحدانيته ما جعل منافع أحدهما متصلة بالآخر، إذ لا يقوم أحدهما إلا بالآخر[٨] على اختلاف جوهرهما، ليعلم أن مدبرهما ومنشئهما واحد، إذ لو كان عددا لكان ما أراد هذا إيصالَه مَنَع[ه] الآخرُ. فإذْ[٩] لم يكن ولكن جَرَيَا على سَنَنٍ واحد واتساق واحد دلّ أنه تدبير واحد لا عدد.

ودلالة علمه وحكمته أنهما منذ كانا كانا على ميزان واحد وعلى تقدير واحد من غير تغيّر ولا تبدّل[١٠] يقع فيهما، دلّ أن لمنشئهما علما ذاتيا وحكمة ذاتية لا علما مكتسبا مستفادا كعلم[١١] الخلق.

وأما دلالة القدرة والسلطان [ف]لأنهما يقهران ويغلبان[١٢] الخلق كله من الجبابرة والفراعنة شاءوا أو أبَوا، حتى إذا أراد واحد منهم[١٣] منع أحدهما أو يزيد في أحدهما[١٤] أو ينقص من الآخر لم يقدر عليه. أو إن اجتمعوا جميعا على دفعهما[١٥] أو دفع أحدهما دون الآخر لم يقدروا عليه، دل أن لمنشئهما قدرة وسلطانا،[١٦] إذ من قدر على إنشاء هذا لا يُعجزه شيء.

---

[١] ن + فيهما إذ جعل الذي جعل؛ ع + الليل.
[٢] ن – الذي.
[٣] ن: بعض؛ ع– البعض.
[٤] ر م: ولذلك.
[٥] ر ع م: والقران.
[٦] ر ع م – للكل.
[٧] ن ع: ليلتأم.
[٨] ع– إذ لا يقوم أحدهما إلا بالآخر.
[٩] ع: فإذا.
[١٠] ع: من غير تغير وتبدل.
[١١] ع: لعلم.
[١٢] ر ع م – ويغلبان.
[١٣] جميع النسخ + في.
[١٤] ر ع م – أو يزيد في أحدهما.
[١٥] ن: على دفعها.
[١٦] ع: وسلطانه + ما.

ودلالة القدرة على البعث لأنه يُتلف أحدهما ويَذهب به[1] حتى لا يبقى أثره ثم يأتي بالآخر على تقدير الأول. فمن قدر على إنشاء هذا بعد ذهاب الآخر بكليته وذهاب أثره لقادر على إنشاء الخلق بعد فنائهم وهلاكهم وإنه لا يعجزه شيء.

ثم لما جعل هذا ما ذكرنا وخلق ما خلق[2] من المنافع التي ذكرنا لهذا العالم خلق هذا العالم للمحنة يأمرهم وينهاهم، وجعل لهم عاقبة فيها يثاب من أطاعه ويعاقب من عصاه. إذ لو لم يكن عاقبة لكان خلقهم عبثا لا حكمةَ فيه، لأن من[3] بنى بناء للفناء والنقض خاصة لا لعاقبة يؤمل نفعها[4] كان / بناؤه عبثا غير حكمة. فعلى ذلك خلْق الخلق لا لعاقبة تُقصَد عبَثٌ ليس بحكمة. [٥٥٩ظ]

والآيات لمن آمن بها وصدق، فأما من لم يؤمن وكذب بها فهي آيات عليهم لا لهم

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[٨٧]

وقوله:[5] **ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض.** اختلف في النفخ ما هو وفي عدده، واختلف في الصور[6] أيضا ما هو وكيف هو؟ أما الاختلاف في النفخ فمنهم من يقول: ليس على حقيقة النفخ ولكن إخبار عن خِفة قيام القيامة على الله. أخبر بالنفخ عنها لأنه أخف شيء على الخلق وأهونه فأخبر به عنها، وهو ما قال: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ،[7] شبه أمرها بلمح البصر لِما ليس شيء أخفَ على المرء من لَمح البصر، فعلى ذلك ذكر النفخ عند قيامها لخفته على الخلق. ومنهم من يقول: ذكر النفخ لسرعة نفاذ الساعة، إذ ليس شيء أسرع نفاذا من النفخ وهو ما قال: إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً،[8] ذكر ذلك وشبهها بالصيحة والرجفة لسرعة نفاذها، إذ ليس شيء أسرع نفاذا[9] من الصيحة والرجفة.

---

[1] ع: عنه.
[2] ن – ما خلق.
[3] ع: لا من.
[4] جميع النسخ: يتأمل نفعه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦١و.
[5] ن: قوله.
[6] ر: واختلفوا في الصورة.
[7] ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾ (سورة النحل، ٧٧/١٦).
[8] ر ن م – واحدة. انظر إلى مثل قوله تعالى: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾(سورة يس، ٢٩/٣٦)؛ وقوله: ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ (سورة يس، ٥٣/٣٦).
[9] ع: نفاذ.

فيقول: ليس على حقيقة النفخ ولكن[١] إخبار عن خفتها على الله أو سرعة نفاذها على ما ذكرنا، وهو ما قال: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[٢] ليس أنه ينفخ فيه نفخا ولكن يجعل كأنه قال: وجعلنا فيه من روحنا. ومنهم من يقول على حقيقة النفخ، فإن كان على هذا فهو أن يمتحن به[٣] المَلَك من غير أن يقع له الحاجة إلى ذلك، نحوَ ما امتحن الكرام[٤] الكاتبين بكتابة أعمال الخلق وأفعالهم من غير وقوع الحاجة إليه لكن امتحانا منه ملائكته بذلك. أو أن يكونوا هم[٥] أحذر،[٦] إذ هو عالم بما كان وبما يكون: كيف يكون ومتى يكون وأيَّ شيءٍ يكون؟

وأما اختلافهم في عدد النفخ، قال قائل:[٧] إنه واحد، يحتج بقوله: إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً، وقوله: فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ.[٨] ومنهم من يقول بالنفختين، يحتج[٩] بقوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ.[١٠] أخبر أنه يَردُف الأولى غيرُها ويحتج بقوله أيضا: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى.[١١] ومنهم من يقول بالنَّفَخات الثلاث، يقول الأولى للفزع، والثانية للصَّعق على ما ذكرنا في الآية، والثالثة للإحياء. ومنهم من يقول بالثلاث إلا أنه يجعل ذلك كله بعد الموت. إحداها للفزع في القبور، والثانية للإحياء فيها، والثالثة للإخراج منها والنشر. ويقول هذا القائل بعذاب أهل القبر من النفخة الثانية إلى النفخة الثالثة. وعلى ذلك رويت أخبار[١٢] في ذلك، فإن ثبت[١٣] فهو ذاك وإلا نقف فيه.

---

[١] ن: ولكنه.
[٢] ﴿ومريمَ ابنةَ عمرانَ التي أحصَنَت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدَّقت بكلمات ربها وكُتبه وكانت من القانتين﴾ (سورة التحريم، ١٢/٦٦).
[٣] ر ع م – به.
[٤] ع: الكرامة.
[٥] ر ع م – هم.
[٦] يقول السمرقندي في تفسير الآية: «ويحتمل أيضا أن يكون الأمر للملائكة بالكتابة، لأن ذلك في عرف الناس أبلغ في الحذر من غير الكتابة فخرج على وفق عاداتهم ليكون أقرب إلى المراد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦١و).
[٧] ن ع: قائلون.
[٨] ن م – وإنما هي واحدة؛ ر م – وإنما هي واحدة. سورة النازعات، ١٣/٧٩-١٤.
[٩] ن ع: يقول.
[١٠] سورة النازعات، ٦/٧٩-٧.
[١١] ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (سورة الزمر، ٦٨/٣٩).
[١٢] ن: الأخبار.
[١٣] ع: فما ثبت.

وأما اختلافهم في الصور قال قائلون: يُنفخ في الخلق[1] والصُّور جمع صورة. قال الزجاج: لا يحتمل هذا، لأن الصور على سكون الواو ليس هو من أفراد الصُّوَرِ ولا من جمعها، لأن الفرد هو صورة بالهاء وجمع الصورة صُوَر[2] بتحريك الواو على ما ذكر في الآية: [وَصَوَّرَكُمْ] فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ.[3] ومنهم من يقول هو قَرْن يُنفخ فيه كقرن كذا أو بُوق كبوق كذا. لكنا[4] لا نفسر شيئا مما ذَكَر من النفخ والصور أنه كذا ولا نشير إلى شيء أنه ذا، إلا إن ثبت شيء من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال به، وليس هو بشيء يوجب العمل به فَيُتَكَلَّف صحته أو سَقَمه إنما هو شيء يجب التصديق به، فنقول[5] بالنفخ والصُّور على ما جاء ولا نفسره. ***والله أعلم.***

وقوله: **ففَزِع من في السماوات ومن في الأرض**، وقال في آية أخرى: فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ؛[6] إنما هو إخبار عن شدة هَوْل ذلك اليوم، كقوله: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى [وَمَا هُمْ بِسُكَارَى]،[7] الآية، وكقوله تعالى: [إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ] يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ [وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا]،[8] ونحوه.

وقوله: **إلا من شاء الله**، قال بعضهم: **إلا من شاء الله**،[9] هم الشهداء في الأرض، وعلى ذلك روى في بعض الحديث أنه قال: «ما أُعطِي آدمي بعد النبوة أفضلَ من الشهادة، لا يسمع الشهيد[10] الفزَع يوم القيامة إلا كرجل قال لصاحبه:[11] أتسمَع؟ قال: أسمع كأذِين[12] الصلاة.»

---

[1] أي يُنفخ الأرواح في صُوَر الموتى.

[2] ن: صورة. *معاني القرآن* للزجاج، ٤/٢٢.

[3] سورة المؤمن، ٤٠/٦٤. وعبارة السمرقندي هكذا: «قال الزجاج: لا يحتمل هذا، لأن الصور على سكون الواو ليس بجمع صورة ولا من الوُحدان. فالوحدان هو الصورة بالهاء، والجمع هو الصور بتحريك الواو إلى الفتحة، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦١و). وانظر أيضا للمزيد: *لسان العرب*، «صور».

[4] ع: لكن.

[5] ن: فيقول.

[6] ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦٨).

[7] سورة الحج، ٢٢/٢.

[8] سورة الحج، ٢٢/١-٢.

[9] ر ع م - قال بعضهم إلا من شاء الله.

[10] ن: الشهداء.

[11] ع: صاحبه.

[12] ن: كتأذين. والأذان والأذين بمعنى واحد (*لسان العرب*، «أذن»).

وقال بعضهم: هم جبريل ومكائيل وإسرافيل وملك الموت. وقال بعضهم: هم الأنبياء والرسل. لكن لا نقول نحن: إن أهل الثُّنْيا هم كذا ولا نشير إلى أحد، لأنا لا نعلم ذلك إلا إن ثبت في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول به. وجائز أن يكون الذين استثناهم هم[1] الذين أخبر عنهم في آخر الآية أنهم يكونون آمنين من فزع ذلك اليوم وهوْله، وهو ما قال: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ.[2]

وقوله:[3] **وكلٌّ أتوه**، قرئ[4] بالمد: آتُوه[5] وتطويله مضمومة التاء فيه على مثال فَاعِلُوه[6] وهو جمع آتٍ،[7] كقوله:[8] إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا.[9] وآتُوه جمع آتٍ[10] وهو من سيأتون. وقرأ بعضهم بقصر الألف ونصب التاء على الإتيان [بمعنى:] قد أتوه.[11]

وقوله:[12] **داخرين**، قيل صاغرين ذليلين، دخَر أي ذلّ.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[٨٨]

وقوله: **وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب**، قال بعضهم: وهي تمرّ مر كذا لكثرتها وازدحامها يرى الناظر إليها / ويحسبها كأنها جامدة. وكذلك العسكر العظيم يحسب [٥٦٠و] الناظر إليه كأنه[13] ساكن جامد لكثرتهم وازدحامهم، فعلى ذلك الجبال. وقال بعضهم: لا ولكن لشدة ذلك اليوم وهوْله وفزَعه على الناس يحسبون الجبال[14] كأنها[15] جامدة وهي تمر مر السحاب،

---

[1] ر ع م: عن.
[2] سورة النمل، ٨٩/٢٧.
[3] ن: قوله.
[4] ع: قرأ.
[5] ن - آتوه.
[6] معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٩٢/٣؛ حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٨-٥٣٩.
[7] ع + وقوله.
[8] ر ع م - كقوله.
[9] ﴿إنْ كلُّ مَن في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ (سورة مريم، ٩٣/١٩).
[10] ر ع م: اتا.
[11] حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٥٣٩.
[12] ن: قوله.
[13] ن: إليها كأنها.
[14] ر ع م - الجبال.
[15] ع: أنها.

وهو ما ذكر: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى،[1] الآية، لشدة هوْل[2] ذلك اليوم وفزعه. وقال بعضهم: لا ولكن الجبال لهوْل ذلك اليوم وفزَعه تمر مرَّ السحاب وسَيْرَه، كقوله:[3] وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ.[4] وأصله إنما يذكر هذا وما تقدم من هوْل[5] ذلك اليوم وشدته على الخلق ليتّعظوا وينزجروا.[6]

وقوله:[7] **صُنعَ الله الذي أتقن كل شيء**، قال بعضهم: **أتقن**، أحكم وأبرم. وقال بعضهم: **أتقن**، أي أحسن كل شيء.

قال[8] بعض المعتزلة: كيف يكون الكفر حسنا وهو قبيح لأنه شتم رب العالمين،[9] ولا يجوز أن يقال: الله خلَق[10] شتْمَ نفسِه أو أحسن[11] شتْمَ نفسه أو أحسن كفْرَ الكافر وغير ذلك من الخرافات.

فيقال لهم: لا يقول أحد إنه خلق الكفر وأحسنه أو أحسن شتم نفسه على هذا الإطلاق، [و]من قال ذلك فهو كافر. ولكن يقول: خلَق[12] فعْلَ الكفْر من الكافر قبيحا وخلق شتم الشاتم لربه قبيحا[13] وخَلَق فعل المعصية من العاصي[14] قبيحا. لكنه [هو] من حيث خلْقُه ذلك وجعْله حجة عليه حسن متقن محكم[15] وإن كان ذلك الفعل[16] منه قبيحا باطلا سفها جَورا،[17] أعني من الكافر.

---

[1] ﴿يوم ترونها تَذْهَلُ كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢).

[2] ر م – هول.

[3] ن – كقوله.

[4] سورة القارعة، ١٠١/٥.

[5] ع: هو.

[6] ر: أو ينزجروا.

[7] ن: قوله.

[8] ن: وقال.

[9] ر ن – العالمين.

[10] ن – خلق.

[11] ر ع م: وأحسن.

[12] ر ع م – خلق.

[13] ر ع م – وخلق شتم الشاتم لربه قبيحا.

[14] ن ع: من المعاصي.

[15] جميع النسخ: حسنا متقنا محكما.

[16] ن ع: الحكم.

[17] ع: جوارا.

ألا يرى أنّ من تكلَف أن يعرف فعل الكفر منه سفها وجورا كان غير مذموم، لأنه يتكلف أن يعرف ما هو سفه في الحقيقة سفها ويعرف ما هو حق حقا. فهو من هذا الوجه عارف حقٍ وحكمةٍ لأن الحكمة توجب أن يَعرف كل شيء على ما هو في نفسه حقيقة. فعلى ذلك خلقُ فعْل الكفر من الكافر على الوجه الذي ذكرنا هو حسن متقَن محكَم، وإن كان من حيث فِعل الكافر قبيحا سفها باطلا. وهذا كما نصفه[1] على الإطلاق أنه رب كل شيء وخالق كل شيء ولا نقول: يا خالق الأنجاس، ويا رب الأقذار ونحوه، وإن كان هذا داخلا في الجملة أنه خالقها وربها، لأنه على الإطلاق يخرج مخرج المدح له والثناء، وعلى التخصيص[2] [يخرج][3] مخرج الذم له، فعلى ذلك الأول.

وقوله: **صُنْعَ الله الذي أتقن كل شيء**، [يذكر] على إثر وصف الجبال بما وصف من انتقاضها وإفسادها وإخراجها من[4] الصفة التي أنشأها إلى ما ذكر [بأنه] لم يخرج من الإتقان والإحكام والإبرام ليُعلم أنْ ليس في[5] إفساد الشيء خروج عن الإتقان إذا كان ذلك بحكمة.[6] *والله أعلم*. وقوله:[7] **إنه خبير بما تفعلون**، وعيد لهم.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾[٨٩]

وقوله:[8] **من جاء بالحسنة**، قالوا جميعا: الحسنة هاهنا التوحيد والإيمان.

وقوله:[9] **فله خير منها**، قيل فيه بوجوه.[10] أحدها: من جاء بالتوحيد، توحيدِ ربه [يوم] البعث فله خير منها، ومجيئه[11] ربه بالتوحيد إذا خُتم به فله ما ذكر. شَرَط المجيء به ولم يَقُل: من عمل بالحسنة فله كذا لأن الرجل قد يعمل بالحسنات ثم يفسدها ويبطلها فلا يثاب بها عليها، ليُعلم أن ما يَنتفع بالحسنات في الآخرة[12] الحسنة التي خُتم بها عليها وجاء بها ربه.

---

[1] ر ع م: يصفه.
[2] ر ع م: على التخصيص.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦١ظ.
[4] ع – عن.
[5] ع: من.
[6] ر م: محكمه؛ ع: محكمة.
[7] ن: قوله.
[8] ن: قوله.
[9] ن: قوله.
[10] ن: وجوه.
[11] ر: ويجيب.
[12] ع: بالآخرة.

وقال بعضهم: قوله: **فله خير منها**، أي ما يعطى في الآخرة له من الثواب[1] والجزاء إنما يكون من الحسنة التي كانت منه في الدنيا، منها يكون له جميع الخيرات في الآخرة.[2] وقال بعضهم: **فله خير منها**، أي الذي أُعطي له في الآخرة من الخيرات خير مما ترك في الدنيا من النعم وصبَر عليها فذلك خير مما ترك، كقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ[3] كذا. وقال بعضهم: **فله خير منها**، أي رؤية الرب ولقاؤه خير مما أعطِي غيرَها[4] من الخيرات، على ما يكون في الدنيا رؤية الملك ولقاؤه على الرعيّة أعظم وأفضل عندهم من غيره من الكرامات وإنْ عظمت وجلّت. وقال بعضهم: ذلك الثواب والجزاء في الآخرة خير مما عملوا به من الخيرات في الدنيا، لأن الثواب وجوبه بطريق الفضل والرحمة لا الاستيجاب[5] والاستحقاق، إذ في الحكمة والعقل وجوب العمل [شكر للنعمة][6] وليس فيهما وجوب الثواب. فما[7] هو سبيله فضل الله خير مما هو غيره. لكنه عورِض بأنّ كل ما كان سبيل وجوبه الحكمة والعقلَ خير مما كان سبيل وجوبه الإفضال، إذ ما كان سبيل وجوبه بالحكمة والعقل لا يسَع تركه، وما كان وجوبه الإفضال له تركه. لكنه قال: إن قوله: **فله خير منها**، أي في طباعكم ووهمكم ذلك الثواب خير من ذلك لا أنه في الحقيقة خير، وهو كقوله: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[8] أي في طباعكم. وعندكم أن[9] إعادة الشيء أهوَن من ابتدائه، إذ ليس شيء أهون[10] على الله من شيء، ولكن عندكم أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه،[11] فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم***.

وقوله: **وهم من فزَعٍ يومئذٍ آمنون**، أخبر أنهم إذا أتوا ربهم بالتوحيد يكونون[12] آمنين من فزع ذلك اليوم وهوْله.

---

[1] ر ع + والثواب.
[2] ع: بالآخرة.
[3] ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (سورة هود، ١١/١١).
[4] ع: غيره.
[5] ع: للاستيجاب.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦١ظ.
[7] ر م: فيما؛ ن: مما.
[8] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).
[9] ع: أي.
[10] ر: أهو.
[11] ن – أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه.
[12] ع: يكون.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٩٠]

وقوله: **ومن جاء بالسيئة**، أي بالشرك، **فكُبَّت وجوههم في النار**، المنكَبّ على الوجه[١] هو المُلقَى على الوجه، كقوله: يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ.[٢]

وقوله:[٣] **هل تجزون إلا ما كنتم تعملون**، أي ما تجزون إلا / بأعمالكم. [٥٦٠ظ]

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٩١] ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[٩٢]

وقوله: **إنما أُمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها**، وقوله: **حرمها**، يحتمل وجهين. يحتمل **حرمها**، أي منعها من الاستلاب والاختطاف فيها، كقوله: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ،[٤] ليس على التحريم حتى لا يحلّ له ذلك ولكن على المنع والحظر، أي منعنا منه المراضع. والثاني على التحريم نفسه، وهو ما جعل في كل أحد[٥] من الكافر والمسلم في الجاهلية والإسلام حرمة ذلك المكان حتى لا يتناول أحد من صيد تلك البقعة ومن شجرها وحشيشها. ***والله أعلم***.

وقوله: **وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن**، أي وأمرت أن أتلو القرآن[٦] أيضا عليكم. كأنهم أوعدوه بوعيد وخوّفوه به وطلبوا منه الموافقة لهم فقال عند ذلك لهم: **إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة**، وهو رب كل شيء، أي أمرت أن أكون عبدا له لا أجعل نفسي عبدا لغيره، وأمرت أيضا أن أجعل نفسي سالما له[٧] لا أجعل[٨] لأحد[٩] فيها شركا كما جعلتم أنتم، وأمرتم أنتم[١٠] أيضا بذلك كله.[١١] وأمرت أيضا أن أتلو القرآن عليكم،

---

[١] ع: وجه.
[٢] ﴿يوم تُقلَّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ (سورة الأحزاب، ٦٦/٣٣).
[٣] ن: قوله.
[٤] ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبلُ فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفُلونه لكم وهم له ناصحون﴾ (سورة القصص، ١٢/٢٨).
[٥] ر ع م: في كل حد.
[٦] ر ع م – أي وأمرت أن أتلو القرآن.
[٧] ع – له.
[٨] ر + نفسي سالما له لا أجعل.
[٩] ر: لا أحد.
[١٠] ر ع م – وأمرتم أنتم.
[١١] ع – بذلك كله.

فأنا أتلوه عليكم[1] كذّبتموني أو لم تكذبوني فإني لا أخاف كيدكم ولا مكركم.[2] *والله أعلم*.

وفي قوله: **إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها**، دلالة[3] لزوم الرسالة، لأن أهل مكة وغيرهم قد أقرّوا جميعا بحرمة تلك البقعة من أوائلهم[4] وأواخرهم فما عرفوا ذلك إلا بالرسل. دل أن أوائلهم يقرّون بالرسالة والنبوة، فعلى ذلك يلزم هؤلاء الإقرار بها. *والله أعلم*.

وقوله: **فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه**، يخبر أن من آمن وقبل الهدى فإنما يفعل ذلك لمنفعة نفسه، ومن ضلّ أيضا فإنما يكون ضرره[5] عليه، كقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا.[6]

وقوله:[7] **فقل إنما أنا من المنذرين**، أي ليس عليّ إلا الإنذار، فأما غير ذلك فذلك عليكم، كقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[8] وقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ.[9]

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٩٣]

وقوله: **وقل الحمد لله سيُريكم آياته**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما سيريهم آيات وحدانيته وربوبيته وآيات رسالته. وقوله:[10] **فتعرفونها**، أي بالآيات ما ذكر، كقوله: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ.[11] والثاني سيريهم ما وعد لهم من النصر والمعونة ليعرفوه عيانا على ما عرفوه خبرا.

وقوله:[12] **وما ربك بغافل عما تعملون**، قال بعضهم: هذا الحرف توبيخ للظالم وتعيير وزجر، وتعزية للمظلوم وتسلٍّ[13] له. وقال بعضهم: هذا الحرف ترغيب وترهيب.*

---

[1] ع: عبدا له.
[2] ر: فلا مكركم.
[3] ع + من.
[4] ع: للأوائلهم.
[5] ر ع م: ضرورة.
[6] سورة فصلت، ٤١/٤٦.
[7] ن: قوله.
[8] سورة النور، ٢٤/٥٤.
[9] سورة الأنعام، ٦/٥٢.
[10] ن: قوله.
[11] ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (سورة فصلت، ٤١/٥٣).
[12] ن: قوله.
[13] ن ع: وتسلي.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٧٢ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٦٠ظ/سطر ٢٠.

الفهارس

- فهرس الآيات المستشهد بها
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس الشعوب والقبائل والأماكن
- فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات
- فهرس الأشعار
- فهرس الكتب
- فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الأشعار

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- *أحكام القرآن*؛
تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن الرازي الجصاص، بيروت بدون تاريخ (دار الفكر).

- *الأدب المفرد*؛
تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- *الإصابة*
في تمييز الصحابة؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- *الأنساب*؛
تأليف أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، بيروت ١٩٩٨م.

- *التاريخ الكبير*؛
تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، تحقيق السيد هاشم الندوي، بيروت بدون تاريخ (دار الفكر).

- *تفسير ابن كثير*
... المسمى *تفسير القرآن العظيم*؛ تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، بيروت ١٤٠٨هـ.

- *تفسير الطبري*
... المسمى *جامع البيان في تأويل آي القرآن*؛ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

- *تفسير غريب القرآن*؛
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

- *تفسير القرطبي*
... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، القاهرة ١٩٦٧م.

- *تفسير مقاتل*
... المسمى *تفسير مقاتل بن سليمان*؛ تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، القاهرة ١٩٧٩م.

- ***تهذيب التهذيب***؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، حيدرآباد ١٣٢٥-١٣٢٧هـ/ ١٩٠٧-١٩٠٩م.

- ***تهذيب اللغة***؛
تأليف أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، بيروت ٢٠٠١م.

- ***الثقات***؛
تأليف أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، بيروت ١٩٧٥م.

- ***حجة القراءات***؛
تأليف الإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- ***حلية الأولياء***
وطبقات الأصفياء؛ تأليف أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الإصفهاني، بيروت ١٤٠٥هـ.

- ***الدر المنثور***
في التفسير بالمأثور؛ تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٩٩٣م.

- ***ديوان أمية***
ابن أبي الصلت؛ تحقيق عبد الحفيظ السطلي، دمشق ١٩٧٤م.

- ***روح المعاني***
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، بيروت ١٩٨٥م.

- ***زاد المسير***
في علم التفسير؛ تأليف أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، بيروت ١٤٠٤هـ.

- ***سنن الترمذي***؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***سنن أبي داود***؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***سنن ابن ماجة***؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***سنن البيهقي الكبرى***؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

– *سنن النسائي*؛
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
– *سير أعلام النبلاء*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط– محمد نعيم العرقسوسي، بيروت ١٤١٣هـ.
– *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة طوبقابي سرايي، قسم مدينة، رقم ١٧٩ [Topkapı Sarayı ktp., Medine nr. 179]؛ ومكتبة بايزيد، قسم ولي الدين، رقم ٤٢٥ [Beyazıt ktp., Veliyyüddin nr. 425].
– *شعب الإيمان*؛
تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بسيوني، بيروت ١٤١٠هـ.
– *شرح ديوان زهير بن أبي سلمى*؛
تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب، القاهرة ١٩٥٠م.
– *صحيح البخاري*؛
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعفي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
– *صحيح مسلم*؛
تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
– *الطبقات الكبرى*؛
تأليف أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري المعروف بابن سعد، بيروت بدون تاريخ (دار صادر).
– *كتاب الزهد*؛
تأليف أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
– *كتاب المصاحف*؛
تأليف أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق Arthur Jeffery، Leiden ١٩٣٧م.
– *القاموس المحيط*؛
تأليف أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاهرة ١٣٣٠هـ.
– *كشف الظنون*
عن أسامي الكتب والفنون؛ تأليف كاتب جلبي مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- *كنز العمال*

في سنن الأقوال والأفعال؛ تأليف علاء الدين علي بن عبد الملك حسام الدين بن قاضيخان المتقي الهندي، بيروت ١٩٨٩م.

- *لسان العرب*؛

تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، بيروت ١٤١٤هـ.

- *مجاز القرآن*؛

تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق فؤاد سزكين، بيروت ١٩٨١م.

- *المستدرك*

على الصحيحين؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- *مسند الشهاب*؛

تأليف أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت ١٤٠٧هـ/-١٩٨٦م.

- *مصنف عبد الرزاق*؛

تصنيف أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٤٠٣هـ.

- *المصنف*؛

... *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*؛ تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض ١٤٠٩هـ.

- *معجم الأدباء*؛

تأليف أبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي المعروف بياقوت الحموي، بيروت ١٩٩١م.

- *المعجم الكبير*؛

تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الموصل ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

- *المعجم الأوسط*؛

تأليف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد -- عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة ١٤١٥هـ.

- *مسند أحمد بن حنبل*؛

تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م؛ وتحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩/١٩٩٩.

- *معجم القراءات القرآنية*؛

تأليف الدكتور عبد العال سليم مكرم والدكتور أحمد مختار عمر، القاهرة ١٩٩٧م.

- ***معاني القرآن وإعرابه؛***
تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ***الموطأ؛***
تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ***النهاية***
في غريب الحديث والأثر؛ تأليف أبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- ***الوافي بالوفيات؛***
تأليف أبي الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، بيروت ٢٠٠٠م.

